# الضياء الشمسي على الفتح القدسي

## شرح ورد السحر للبكري

تأليف

شيخ الإسلام الأستاذ قطب الأقطاب
مصطفى بن كمال الدين البكري
المتوفى ١١٦٢ هـ

تحقيق وتعليق
الشيخ أحمد فريد المزيدي

المجلد الأول



BOOKS - PUBLISHER
Beirut - Lebanon
كتاب ـ ناشرون | بيروت ـ لبنان

# الضياء الشمسي على الفتح القدسي

## شرح ورد السحر للبكري

تأليف

شيخ الإسلام الأستاذ قطب الأقطاب
مصطفى بن كمال الدين البكري
المتوفى ١١٦٢ هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

الجزء الأول



Explanation of Al-Bakri's
" WIRD AL-SAHAR "

AḌ-ḌIYĀ' AŠ-ŠAMSĪ
'ALĀ AL-FATḤ AL-QUDSĪ
ŠARḤ WIRD AS-SAḤAR LIL-BAKRĪ

الضياء الشمسي
على الفتح القدسي
شرح ورد السحر للبكري


**Author :** *Sheikh AL-Islam Mustafa ben Kamaluddin Al-Bakri (D.1162H.)*

**المؤلف :** شيخ الإسلام مصطفى بن كمال الدين البكري (ت ١١٦٢ هـ)

**Editor :** *Al-Sheikh Ahmad Farid Al-Mazidi*

**المحقق :** الشيخ أحمد فريد المزيدي

**Classification :** *Sufism*

**التصنيف :** تصوف

**Year :** *1434 H. - 2013 A.D*

**سنة الطباعة :** ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

**Pages:** *1056 (2 Volumes)*

**عدد الصفحات :** ١٠٥٦ (مجلدان)

**Size :** *17 x 24 cm*

**القياس :** ٢٤ x ١٧ cm

**Printed in :** *Lebanon*

**بلد الطباعة :** لبنان

**Edition :** *First edition*

**الطبعة :** الأولى

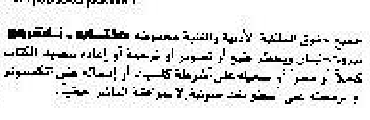
**ISBN :** *978-2-7451-5994-6*









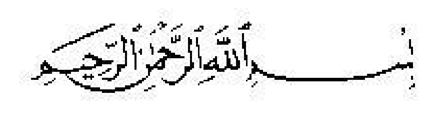




Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street, Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Solh
E-mail: books.publisher@hotmail.com



ISBN-13: 978-2-7451-5994-6



## مقدمة التحقيق

الحمد لله المذكور بكل لسان، الذاكر عباده بتوالي الإنعام والإحسان، الذي خص أهل الذكر بالذكر في الذكر على سبيل الامتنان وخص الجاهل على سؤاله في محكم القرآن.

أحمده هو الحامد المحمود لنفسه بنفسه في كل آن، وأشكره شكر عبد حضره الذكر وغيبه عن الأحوال والزمان والمكان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إيقان وإذعان.

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذي وضع عنه وزره ورفع ذكره في سائر الأكوان ولا يذكر إلا ويذكر معه في الشهادة والإقامة والصلاة والأذان.

اللَّهُمَّ صلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ قدر آياته العظام.

وصلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ قدر معجزاته عَلَى التمام.

وصلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ صَلَاةً تجعلنا بها من أهل الإنعام.

فاللَّهُمَّ بلغ بفضلك الجليل من عبدك الحقير الذليل إلى حبيبك الكريم الجميل، وآله وصحبه، وهُداه سواء السبيل أنواع عُطُور الصلوات والبركات والسلام، عدد ما تبلغه إليه من جميع الأنام في الليالي والأيام، وأضعاف أضعاف، أضعاف ذلك يا ذا الجلال والإكرام.

هذا .. وبين يديك أيها المشتاق لعلوم أهل الفضل والإحسان، كتابٌ ترقّبه كل صوفي عارف وكل طالب علم عارف، وهو الضياء الشمسي شرح الفتح القدسي المعروف بورد السَّحر للبكري، وقد صنفه وشرحه الأستاذ قطب الأقطاب بحر العلوم سيدي مصطفى بن كمال البكري.

وقد قمت بالضبط والتحقيق، والتعليق والتخريج والعزو للبعض والتوثيق، وما هو إلا جهد المقل، ومحاولة الاقتراب من دخول الباب، وحصول بركة الأعتاب، وطمعًا في ورثة أولي الألباب.

علمًا بأننا وجدنا صعوبات كثيرة في الحصول على النسخة المخطوطة وفيها ما فيها

من الإشكالات التي منَّ الله علينا بحلها قدر المستطاع، فإن الكتاب مشحونٌ بالشواهد الشعرية، والرموز والاصطلاحات الصوفية؛ ومن المعلوم أنَّ أكثر كتب الشيخ البكري كمسودة لم تبيض، لا سيما ما كتبه أثناء الرحلات، وفيها الكثير من الإشكالات لا سيما في الشعر، ولكن اجتهدنا ومن صاحب الكتاب استمددنا، فكان الإخراج كما ترى وهذا فضلٌ من الله ومحمد من نبي الهدى خير الورى ﷺ.

وإننا الآن نقوم بتحقيق تراث الشيخ البكري وقد أخرجنا البعض منه وكذلك تراث السادة البكرية والخلوتية بالأخص، ونسأل الله التوفيق والعون وهو على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير فإنه نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ هادي العباد، ولباب اللباب، وموصل الألباب لحضرة القدوس الوهاب.

**كتبه/ أبو الحسن والحسين: أحمد فريد المزيدي**



# ترجمة مختصرة للشيخ المصنف

هو بحر الصفا، ونهر الصدق والوفاء، نجل الإمام الصدّيق، وسبطي الحسن والحسين، سيدي أهل التحقيق، شيخ مشايخ أهل الطريقة الخلوتية، وسيّد أهل العصابة القره باشلية، الداعي العباد إلى الله بمرتبة أهل الوراثة المحمّدية، والقائم في منصب الإرشاد لجميع البريّة، إمام المحقّقين، وقدوة أهل الفضل واليقين، وعمدة أهل العلم الراسخين، من يُسمع من قبره الأنين، بالصلاة على النبيّ الأمين ﷺ، وقد نبّه هو في منظومته البهيّة، على عدم انقطاع الصلاة منه على خير البريّة، كيف لا، وهو قطب مصر والشام، وسيّد عصابة أهل الإسلام، مَنْ شرب الجميع من غدير نهره، ودانت له جميع أولياء عصره، شيخنا، وأستاذنا، وعمدتنا إلى الله، وملاذنا، صاحب الكشف الحقيقي بين الرجال العارفين بالله، سيدي الشيخ العلّامة الفقيه الحجة الربّاني سيدي الأستاذ الكبير الشهير صاحب الكشف والواحد المعدود بألف، كان مغترفًا من بحر الولاية، مقدمًا إلى غاية الفضل والنهاية، رطب اللسان بالتلاوة، صاحب العوارف والمعارف والتآليف والتحريرات، والآثار التي اشتهرت شرقًا وغربًا، وبعُدَ صيتها في الناس عجمًا وعربًا، أحد أفراد الزمان، وصناديد الأجلاء من العلماء الأعلام، والأولياء العظام، العالم الأوحد: أنزل الله عليه سحائب رحمته، وأسكننا معه في فسيح جنّته:

أبو المعارف قطب الدين مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر محيي الدين الصديقي أبو المعارف البكري الدمشقي الخلوتي الصوفي الحنفي الشهير بالقطب البكري.

قد أخذ هذه الطريقة الخلوتية المرضية سيدي مصطفى البكري عن شيخه الشيخ ابن حسام الدين سيدي عبد اللطيف الحلبي، وذلك في دمشق الشام سنة ألف ومائة وعشرة، فأخذ عنه وبايعه، وسلك على يديه، وعبر بأمره ونهيه وتابعه، وحين ظهر لأستاذه منه علامات الكمال، وظهرت عليه إشارات الوصول، والدلالات في الأحوال، أقامه الخليفة عنه، وهاديًا بأوامره بالدعوة إلى الله آمرًا وناهيًا، فسطع بدر هدايته، وطلع نجم ولايته، فاهتدت به خلائق كثيرة، وغدت طريقته في البلاد شهيرة، وبلغت مريدوه ما لا يحصرها

تعداد، وأذعن له كل معاصريه في سائر البلاد، وللمصنف نسبة ظاهرية وباطنية إلى طريق النقشبندية والقادرية، ونسبة باطنية إلى طريق الشاذلية، وإنما اشتهر بالخلوتية.

وُلد سنة 1099، وتُوفي بدمشق سنة 1162 اثنتين وستين ومائة وألف.

من مصنفاته:

- الاستغفارات (بتحقيقنا) مع شرحه للشيخ محمد المرصفي.
- الألفية الوفية للسادة الصوفية في التصوف.
- انتظار فتح الفرج واستمطار منح الفرج.
- بلوغ المرام في خلوتية الشام.
- بهجة الأذكياء في التوسل بالمشهور من الأنبياء.
- الجواب الشافي واللباب الكافي.
- حلة الأردان في الرحلة إلى جبل لبنان.
- الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية.
- الحملة الرضوانية الدانية في الرحلة الحجازية الثانية.
- الدر الثمين شرح مقاصد منهاج العابدين.
- الدر الفائق في الصلاة على خير الخلائق (بتحقيقنا) مع شرح علي المكي.
- ديوان الدوح والأدواح وعنوان الروح والأرواح.
- الذخيرة الماحية للآثام في الصلاة على خير الأنام.
- رد الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان.
- رسالة الصحبة التي أنتجتها الخدمة والمحبّة (بتحقيقنا).
- رشحات صدح من مسبي العذار ونفحات مدح في نبي المختار.
- رشحات الوعد الإنجازي في الكلام على صلوات الرازي.
- رشحة الصفا في امتداح المصطفى.
- رفع الستر والردا عن قول العارف أروم وقد طال المدا.
- الروضات العرشية على الصلوات المشيشية (بتحقيقنا).
- السيوف الحداد في الرد على أهل الزندقة والإلحاد (طبع بتحقيقنا).

- شوارق البارق المشام في التوسل بالأنبياء من المبدأ إلى الختام.
- صادحة الأزل (بتحقيقنا).
- الصراط القويم في ترجمة الشيخ عبد الكريم.
- الصلاة البرية في الصلاة على خير البرية.
- الضياء الشمسي على الفتح القدسي في مجلدين (تحت قيد التحقيق).
- طلبة الفقير المحتاج فيما يتوجه المتوجه ليلة المعراج.
- العدة العمدة المخلصة من الشدة.
- العرائس القدسية في الدسائس النفسية (بتحقيقنا).
- العقد الفريد في ترجمة الشيخ محمد سعيد.
- العقد المتلألئ على ورد العسالي.
- الموارد البهية في الحكم الإلهية (طبع بتحقيقنا).

كروم عرش التهاني في شرح صلاة ابن مشيش الدَّاني. (بتحقيقنا).

- المدد البكري شرح صلاة سيدي محمد البكري. (بتحقيقنا).
- الهبات الأنوارية على الصلوات الأكبرية.
- شرح حزب النووي.
- شرح ورد الشعراني.
- الصمصامة الهندية في المقامة الهندية.
- الوصية الجلية للسالكين طريقة الخلوتية (بتحقيقنا).

ورسائل عدة نقوم بتحقيقها والله المستعان والموفق.

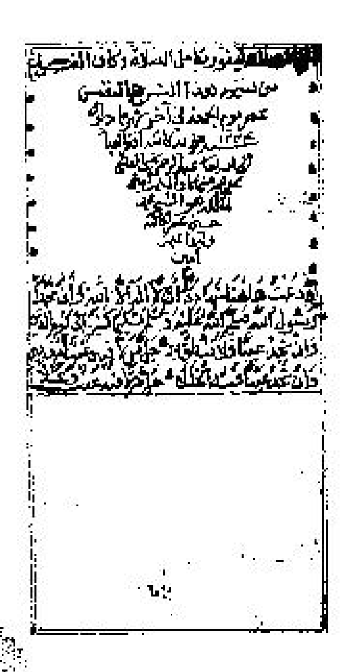
**وانظر ترجمته: هدية العارفين للبغدادي (1/ 684)، وعجائب الآثار للجبرتي (٢/ 165، 166)، وسلك الدرر للمرادي (4/ 191)، والأعلام للزركلي (8/ 141).**

# نماذج من صور المخطوط

صورة اللوحة الأولى من المخطوط

صورة اللوحة الثانية من المخطوط

صورة اللوحة الثالثة من المخطوط



صورة اللوحة الأخيرة من المخطوط

# وِرْدُ السَّحَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَوْرَدَ مَنْ أَرَادَ المَقَامَ المَوْرُودَ، وَخَصَّ أَهْلَ الأَوْرَادِ مِنَ العِبَادِ بِنَفَحَاتِ الجُودِ، وَمَنَحَهُم مِنَ الوَارِدَاتِ الإِلَهِيَّةِ مَا رَقَّاهم بِهِ إِلَى مَنَازِلِ السُّعُودِ، أَحْمَدُهُ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ مِنْ مُلَازَمَةِ الأَوْرَادِ مَعَ كَمَالِ الأَدَبِ وَالشُّهُودِ.

وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى الحَبِيبِ الشَّاهِدِ المَشْهُودِ صَاحِبِ المَقَامِ المَحْمُودِ، وَاللِّوَاءِ المَعْقُودِ الَّذِي عَرَّفَنَا مَا نَقُولُ مِنَ الأَذْكَارِ فِي القِيَامِ وَالرُّكُوعِ، وَالسُّجُودِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي المَنْهَلِ المَقْصُودِ وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، مَا اهْتَزَّتْ مِنَ الأَغْصَانِ قُدُودٌ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا مَا دَامَ الوُجُودُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاعْلَمْ أَيُّهَا المُرِيدُ المُلَازِمُ عَلَى أَقْطَافِ أَزْهَارِ الأَوْرَادِ مِنْ رِيَاضِ الأَمْدَادِ فِي حَضَرَاتِ الإِسْعَادِ أَنِّي لَمَّا رَأَيْتُ النُّفُوسَ مُتَعَشِّقَةً فِي ذَلِكَ رَاغِبَةً فِيهَا هُنَالِكَ؛ لِتَنْوِيرِ المَسَالِكِ عَنَّ لِي أَنْ أَصْنَعَ لِلإِخْوَانِ وِرْدًا يَقْتَبِسُونَ مِنْ نُورِهِ عَجَائِبَ فِي حِنْدِسِ الأَوْهَامِ، وَيَتَلَقَّوْنَ مِنْ تَغْرِيدِ شَحْرُورِهِ غَرَائِبَ تَدِقُّ عَلَى الأَفْهَامِ، فَشَرَعْتُ فِي ذَلِكَ مُعْتَمِدًا عَلَى السَّيِّدِ المَالِكِ فَأَقُولُ فِي تَرْجَمَتِهِ رَاجِيًا فَيْضَ فَضْلِهِ وَمِنَّتِهِ:

هَذَا وِرْدٌ يُتْلَى فِي السَّحَرِ نَافِعٌ - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى - لِمَنْ وَاظَبَ عَلَيْهِ مَعَ التَّدَبُّرِ لِمَعَانِيهِ وَالتَّفَهُّمِ لِمَبَانِيهِ فُتِحَ بِهِ عَلَى العَبْدِ الفَقِيرِ وَالعَاجِزِ الحَقِيرِ مُصْطَفَى بنِ كَمَالِ الدِّينِ بنِ عَلِيِّ بنِ كَمَالِ الدِّينِ بنِ مُحْيِي الدِّينِ الصِّدِّيقِي نَسَبًا، الخَلْوَتِي طَرِيقَةً، الحَنَفِي مَذْهَبًا، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَائِلِ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ أَيَّامَ زِيَارَتِنَا لِبَيْتِ المَقْدِسِ فِي سَنَةِ أَلْفٍ وَمِائَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ (وَسَمَّيْتُهُ) بـ«الفَتْحِ القُدْسِي وَالكَشْفِ الأُنْسِي وَالمَنْهَجِ القَرِيبِ إِلَى لِقَاءِ الحَبِيبِ»، وَكَمُلَ فِي مَجْلِسٍ لَطِيفٍ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ قَصِيدَةً مِيمِيَّةً فُتِحَ بِهَا عَلَيَّ بِهَا سَابِقًا، وَصَلَوَاتٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ زِدْتُهَا الآنَ، وَقَصِيدَتِي الَّتِي سَمَّيْتُهَا سَابِقًا بِالمُبْهِجَةِ فِي الطَّرِيقَةِ المُنْبَلِجَةِ الَّتِي عَلَى وَزْنِ المُنْفَرِجَةِ وَزِدْتُهُ بَعْضَ تَوَسُّلَاتٍ.

وَقَدْ رَتَّبْتُهُ عَلَى حُرُوفِ المُعْجَمِ فِي أَوَائِلِ تَوَسُّلَاتِهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَسْهَلَ فِي حِفْظِ

كَلِمَاتِهِ، وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَنفَعَ بِهِ مَنْ لَازَمَ عَلَى تِلَاوَتِهِ وَلَمْ يُخْلِ مُصَنِّفَهُ مِنْ دَعَوَاتِهِ إِنَّهُ وَلِيُّ مَنْ يُنَادِيهِ عَلَى الخُصُوصِ فِي الأَسْحَارِ بِلِسَانِ الذُّلِّ وَالانْكِسَارِ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ مَغْمُورًا بِآلائِهِ وَأَيَادِيهِ.

فَأَقُولُ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ التَّالِي بِقَوْلِهِ:

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَتَقْرَأُ الفَاتِحَةَ مَرَّةً وَأَوَائِلَ سُورَةِ البَقَرَةِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:5] و﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:163]، وَآيَةَ الكُرْسِيِّ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:217]، وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ البَقَرَةِ، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ [البقرة: 286] ثَلَاثًا، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 128] إِلَى آخِرِهَا، وَيُكَرِّرُ ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ [التوبة:129] إِلَى آخِرِهَا سَبْعًا، وَسُورَةَ الإِخْلَاصِ ثَلَاثًا، وَالمُعَوِّذَتَيْنِ مَرَّةً وَاحِدَةً، ثُمَّ يَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ سَبْعِينَ مَرَّة، ثُمَّ يَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ جَمِيعِ جُرْمِي وَظُلْمِي، وَمَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلَاثًا، ثُمَّ يَقُولُ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## (حَرْفُ الهَمْزَةِ)

إِلَهِي أَنْتَ المَدْعُو بِكُلِّ لِسَانٍ، وَالمَقْصُودُ فِي كُلِّ آنٍ، إِنِّي أَنْتَ قُلْتَ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:60] فَهَا نَحْنُ مُتَوَجِّهُونَ إِلَيْكَ بِكُلِّيَّتِنَا فَلَا تَرُدَّنَا، وَاسْتَجِبْ لَنَا كَمَا وَعَدْتَنَا، إِلَهِي أَيْنَ المَفَرُّ مِنْكَ وَأَنْتَ المُحِيطُ بِالأَكْوَانِ، وَكَيْفَ البَرَاحُ عَنْكَ وَأَنْتَ الَّذِي قَيَّدْتَنَا بِلَطَائِفِ الإِحْسَانِ.

إِلَهِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ تُعَذِّبَنِي بِأَفْضَلِ أَعْمَالِي، فَكَيْفَ لَا أَخَافُ مِنْ عِقَابِكَ بِأَسْوَأِ أَحْوَالِي.

## (حَرْفُ البَاءِ)

إِلَهِي بِحَقِّ جَمَالِكَ الَّذِي فُتِّتَ بِهِ أَكْبَادُ المُحِبِّينَ وَبِجَلَالِكَ الَّذِي تَحَيَّرَتْ فِي عَظَمَتِهِ أَلْبَابُ العَارِفِينَ إِلَهِي بِحَقِّ حَقِيقَتِكَ الَّتِي لَا تُدْرِكُهَا الحَقَائِقُ وَبِسِرِّ سِرِّكَ الَّذِي لَا تَفِي بِالإِفْصَاحِ عَنْ حَقِيقَتِهِ الرَّقَائِقُ.

إِلَهِي بِرُوحِ القُدُسِ قَدِّسْ سَرَائِرَنَا وَبِرُوحِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ خَلِّصْ مَعَارِفَنَا، وَبِرُوحِ أَبِينَا آدَمَ اجْعَلْ أَرْوَاحَنَا سَابِحَاتٍ فِي عَوَالِمِ الجَبَرُوتِ، وَاكْشِفْ لَهُمْ عَنْ حَظَائِرِ اللَّاهُوتِ، إِلَهِي بِالنُّورِ المُحَمَّدِيِّ الَّذِي رَفَعْتَ عَلَى كُلِّ رَفِيعٍ مَقَامَهُ، وَضَرَبْتَ فَوْقَ خِزَانَةِ أَسْرَارِ أُلُوهِيَّتِكَ أَعْلَامَهُ، افْتَحْ لَنَا فَتْحًا صَمَدَانِيًّا وَعِلْمًا رَبَّانِيًّا، وَتَجَلِّيًا رَحْمَانِيًّا وَفَيْضًا إِحْسَانِيًّا.

## (حَرْفُ التَّاءِ)

إِلَهِي تَوَلَّنِي بِالهِدَايَةِ وَالرِّعَايَةِ، وَالحِمَايَةِ وَالكِفَايَةِ، إِلَهِي تُبْ عَلَيَّ تَوْبَةً نَصُوحًا لَا أَنْقُضُ عَقْدَهَا أَبَدًا، وَاحْفَظْنِي فِي ذَلِكَ؛ لِأَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ السُّعَدَاءِ.

## (حَرْفُ الثَّاءِ)

إِلَهِي ثَبِّتْنِي لِحَمْلِ أَسْرَارِكَ القُدْسِيَّةِ، وَقَوِّنِي بِإِمْدَادٍ مِنْ عِنْدِكَ حَتَّى أَسِيرَ بِهِ إِلَى حَضَرَاتِكَ العَلِيَّةِ، وَثَبِّتِ اللَّهُمَّ قَدَمِي عَلَى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمِ، وَطَرِيقِكَ القَوِيمِ.

## (حَرْفُ الجِيمِ)

إِلَهِي جَلَا لَنَا هَذَا الظَّلَامُ عَنْ جَلَالِكَ أَسْتَارًا، وَأَفْصَحَ الصُّبْحُ عَنْ بَدِيعِ جَمَالِكَ وَبِذَلِكَ اسْتَنَارَ، إِلَهِي جَمِّلْنِي بِالأَوْصَافِ المَلَكِيَّةِ وَالأَفْعَالِ المَرْضِيَّةِ.

## (حَرْفُ الحَاءِ)

إِلَهِي حَلَا لَنَا ذِكْرُكَ بِالأَسْحَارِ، وَحَسُنَ تَخَضُّعُنَا عَلَى أَعْتَابِكَ يَا عَزِيزُ يَا جَبَّارُ، إِلَهِي حُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ يَشْغَلُنِي عَنْ شُغْلِي بِمُنَاجَاتِكَ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنَ الأَسْرَارِ التِي خَبَّأْتَهَا فِي مَنِيعِ سُرَادِقَاتِكَ، إِلَهِي حُلَّ لَنَا إِزَارَ الأَسْرَارِ عَنْ عُلُومِ الأَنْوَارِ.

## (حَرْفُ الخَاءِ)

إِلَهِي خُطِفَتْ عُقُولُ العُشَّاقِ بِمَا أَشْهَدْتَهُمْ مِنْ سَنَاءِ أَنْوَارِكَ مَعَ وُجُودِ أَسْتَارِكَ، فَكَيْفَ لَوْ كَشَفْتَ لَهُمْ عَنْ بَدِيعِ جَمَالِكَ وَرَفِيعِ جَلَالِكَ؟! إِلَهِي خُصَّنِي بِمَدَدِكَ السُّبُّوحِي لِيَحْيَى بِذَلِكَ لُبِّي وَرُوحِي.

## (حَرْفُ الدَّالِ)

إِلَهِي دَاوِنِي بِدَوَاءٍ مِنْ عِنْدِكَ كَيْ يُشْتَفَى بِهِ أَلَمِي القَلْبِي، وَأَصْلِحْ مِنِّي يَا مَوْلَايَ

ظَاهِرِي وَلُبِّي، إِلَهِي دُلَّنِي عَلَى مَنْ يَدُلُّنِي عَلَيْكَ وَأَوْصِلْنِي إِلَى مَنْ يُوصِلُنِي إِلَيْكَ.

**(حَرْفُ الذَّالِ)**

إِلَهِي ذَابَتْ قُلُوبُ الْعُشَّاقِ مِنْ فَرْطِ الغَرَامِ وَأَقْلَقَهُم إِلَيْكَ شَدِيدُ الْوَجْدِ وَالهُيَامِ، فَتَعَطَّفْ عَلَيْهِم يَا عَطُوفُ يَا رَءُوفُ يَا اللهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ.

**(حَرْفُ الرَّاءِ)**

إِلَهِي رَقِّقْ حِجَابَ بَشَرِيَّتِي بِلَطَائِفِ إِسْعَافٍ مِنْ عِنْدِكَ لِأَشْهَدَ مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْسِكَ، إِلَهِي رَدِّنِي بِرِدَاءٍ مِنْ عِنْدِكَ حَتَّى أَحْتَجِبَ بِهِ عَنْ وُصُولِ أَيْدِي الأَعْدَاءِ إِلَيَّ.

**(حَرْفُ الزَّايِ)**

إِلَهِي زَيِّنْ ظَاهِرِي بِامْتِثَالِ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ وَنَهَيْتَنِي عَنْهُ وَزَيِّنْ سِرِّي بِالأَسْرَارِ، وَعَنِ الأَغْيَارِ فَصُنْهُ.

**(حَرْفُ السِّينِ)**

إِلَهِي سَلِّمْنَا مِنْ كُلِّ الأَسْوَاءِ، وَاكْفِنَا مِنْ جَمِيعِ البَلْوَى، وَطَهِّرْ أَسْرَارَنَا مِنَ الشَّكْوَى وَأَلْسِنَتَنَا مِنَ الدَّعْوَى.

**(حَرْفُ الشِّينِ)**

إِلَهِي شَرِّفْ مَسَامِعَنَا فِي خِطَابِكَ وَفَهِّمْنَا أَسْرَارَ كِتَابِكَ وَقَرِّبْنَا مِنْ أَعْتَابِكَ وَامْنَحْنَا مِنْ لَذِيذِ شَرَابِكَ.

**(حَرْفُ الصَّادِ)**

إِلَهِي صَرِّفْنَا فِي عَوَالِمِ المُلْكِ والمَلَكُوتِ، وَهَيِّئْنَا لِقَبُولِ أَسْرَارِ الجَبَرُوتِ، وَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ رَقَائِقِ دَقَائِقِ اللاهُوتِ.

**(حَرْفُ الضَّادِ)**

إِلَهِي ضُرِبَتْ أَعْنَاقُ الطَّالِبِينَ دُونَ الوُصُولِ إِلَى سَاحَاتِ حَضَرَاتِكَ العَلِيَّة وَتَلَذَّذُوا لِذَلِكَ فَطَابُوا بِعِيشَتِهِم المَرْضِيَّةِ.

**(حَرْفُ الطَّاءِ)**

إِلَهِي طَهِّرْ سَرِيرَتِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُبْعِدُنِي عَنْ حَضَرَاتِكَ وَيَقْطَعُنِي عَنْ لَذِيذِ مُوَاصَلَاتِكَ.

**(حَرْفُ الظَّاءِ)**

إِلَهِي ظَمِئْنَا إِلَى شُرْبِ حُمَيَّاكَ لَا يُخْفَى، وَلَهِيبُ قُلُوبِنَا إِلَى مُشَاهَدَةِ جَمَالِكَ لَا يُطْفَى.

## (حَرْفُ العَيْنِ)

إِلَهِي عَرِّفْنِي حَقَائِقَ أَسْمَائِكَ الحُسْنَى، وَأَطْلِعْنِي عَلَى رَقَائِقِ دَقَائِقِ مَعَارِفِكَ الحَسْنَا، وَأَشْهِدْنِي خَفِي تَجَلِّيَاتِ صِفَاتِكَ وَكُنُوزَ أَسْرَارِ ذَاتِكَ.

## (حَرْفُ الغَيْنِ)

إِلَهِي غِنَاكَ مُطْلَقٌ، وَغِنَانَا مُقَيَّدٌ، فَنَسْأَلُكَ بِغِنَاكَ المُطْلَقِ أَنْ تُغْنِينَا بِكَ غِنًى لَا فَقْرَ بَعْدَهُ إِلا إِليكَ يَا غَنِي يَا حَمِيدُ يَا مُبْدِئُ يَا مُعِيدُ يَا رَحِيمُ يَا وَدُودُ يَا اللهُ يَا رَحْمَنُ يَا رحِيم.

## (حَرْفُ الفَاء)

اللَّهُمَّ إِنَّكَ فَتَحْتَ أَقْفَالَ قُلُوبِ أَهْلِ الاخْتِصَاصِ وَخَلَّصْتَهُم مِنْ قَيْدِ الأَقْفَاصِ فَخَلِّصْ سَرَائِرَنَا مِنَ التَّعَلُّقِ بِمُلاحَظَةِ سِوَاكَ وَافْنِنَا عَنْ شُهُودِ نُفُوسِنَا حَتَّى لَا نَشْهَدُ إِلَّا عُلاكَ.

## (حَرْفُ القَاف)

إِلَهِي قَدْ جِئْنَاكَ بِجَمْعِنَا مُتَوَسِّلِينَ إِلَيْكَ فِي قَبُولِنَا مُتَشَفِّعِينَ إِلَيْكَ فِي غُفْرَانِ ذُنُوبِنَا فَلا تَرُدَّنَا.

## (حَرْفُ الكَاف)

إِلَهِي كَفَانَا شَرَفًا أَنَّنَا خُدَّامُ حَضَرَاتِكَ وَعَبِيدٌ لِعَظِيمِ رَفِيعِ ذَاتِكَ.

## (حَرْفُ اللام)

إِلَهِي لَو أَرَدْنَا الإِعْرَاض عَنْكَ مَا وَجَدْنَا لَنَا سِوَاكَ فَكَيفَ بَعْدَ ذَلِكَ نعْرِض عَنْكَ، إِلَهِي لُذْنَا بِجَنَابِكَ خَاضِعِينَ وَعَلَى أَعْتَابِكَ وَاقِعِينَ فَلا تَرُدَّنَا يَا عَلِيمُ يَا حَكِيمُ.

## (حَرْفُ المِيم)

إِلَهِي مَحِّصْ ذُنُوبَنَا بِظُهُورِ آثَارِ اسْمِكَ الغَفَّارِ، وَامْحُ مِن دِيوَانِ الأَشْقِيَاءِ شَقِيًّا وَاكْتُبْهُ عِنْدَكَ فِي دِيوَانِ الأَخْيَارِ.

## (حَرْفُ النُّون)

إِلَهِي نَحْنُ الأُسَارَى فَمِن قُيُودِنَا فَأَطْلِقْنَا وَنَحْنُ العَبِيد فَمِن سِوَاكَ فَخَلِّصنَا وَأَعْتِقْنَا يَا سَند المُسْتَنِدِينَ وَيَا رَجَاء المُسْتَجِيرِينَ، إِلَهَنَا وَإِلَه كُلِّ مَأْلُوه، وَرَبَّ كُلِّ مَرْبُوبٍ، وَسَيد كُلِّ ذِي سِيادَة، وَغَايَة مَطْلَب كُلِّ طَالِبٍ نَسْأَلُكَ بِأَهْلِ عِنَايَتِكَ الَّذِي اخْتَطَفَتْهُم يَدُ جَذَبَاتِكَ وَأَدْهَشَتْهُم سَنَاءُ تَجَلِيَاتِكَ فَتَاهُوا بِعَجِيبِ كَمَالاتِكَ أَنْ تَسْقِينَا شَرْبَةً مِنْ صَافِي شَرَابِ أَهْلِ مَوَدَّتِكَ الرَّبَانِيينَ وَعَرَائِسَ أَهْلِ حَضْرَتِكَ الَّذِين هُم فِي جَمَالِكَ مُهِيمُونَ.

## (حَرْفُ الهاء)

إلهي هَذهِ أُويقاتُ تَجلِّياتِكَ وَمحَلُّ تَنَزلاتِكَ.

## (حَرْفُ الواو)

وَنحْنُ عَبيدُكَ الوَاقِفُونَ عَلى أَعتابِكَ الخاضِعُونَ لِعِزةِ جَنابِكَ الطَّامِعُونَ فِي سَنى بَهِيِّ شَرابِكَ فَلا تَرُدنا عَلى أَعْقابِنا بَعْدَ مَا قَصَدْناكَ مُتَذَلِّلينَ يَا اللهُ يَا رَحْمنُ يَا رَحيمُ.

## (حَرْفُ اللام ألف)

اللَّهُمَّ لا نَقْصِدُ إلا إيَّاكَ وَلا نَتَشَوَّقُ إلا لِشُرْبِ شَرَابِكَ وَبَدِيعِ حُمَيَّاكَ.

## (حَرْفُ الياء)

اللَّهُمَّ يَا وَاصِلَ المُنقطِعِينَ أَوْصِلْنَا إليكَ، وَلا تَقْطَعنَا بالأَغيارِ عَنْكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا اللهُ عَدَدَ 66 يَا وَاجِدُ عَدَدَ 14 يَا مَاجِدُ يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ يَا فَرْدُ يَا صَمَدُ لَا إلَهَ إلا أَنْتَ بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ فَأَغِثْنَا يَا مُغِيثُ أَغِثْنَا (ثَلاثًا) الغَوثَ الغَوثَ مِن مَقْتِكَ وَطَرْدِكَ وَبُعْدِكَ يَا مُجِيرُ أَجِرْنَا (ثَلاثًا) مِنْ خِزْيِكَ وَعِقَابِكَ وَمِنْ شَرِّ عِبَادِكَ أَجْمَعِينَ يَا لَطِيفُ الْطُفْ بِنَا بِلُطْفِكَ يَا لَطِيفُ عَدَدَ 129 اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ عَدَدَ 10 مَرَّاتٍ.

اللَّهُمَّ يَا لَطِيفًا بِخَلْقِهِ يَا عَلِيمًا بِخَلْقِهِ يَا خَبِيرًا بِخَلْقِهِ الْطُفْ بِنَا يَا لَطِيفُ يَا عَلِيمُ يَا خَبِيرُ (ثَلاثًا) يَا لَطِيفُ عَامِلْنَا بِخَفِيِّ وَفِيِّ بَهِيِّ سَنِيِّ عَلِيِّ لُطْفِكَ يَا كَافِيَ المُهِمَّاتِ وَالمُلِمَّاتِ اكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَالمُسْلِمِينَ وَالحَاضِرِينَ وَالغَائِبِينَ وَالمُنْتَقِلِينَ مِنْ إخْوَانِنَا هُمُومَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ يَا كَرِيمُ يَا اللهُ يَا رَحْمنُ يَا رَحِيمُ، اللَّهُمَّ أَسْكِنْ وُدَّكَ فِي قُلُوبِنَا وَوِدَّنَا فِي قُلُوبِ أَحْبَابِكَ المُصْطَفِينَ وَأَهْلِ جَنَابِكَ المُقَرَّبِينَ آمِينَ يَا وَدُودُ عَدَدَ 100 يَا ذَا العَرْشِ المَجِيدِ يَا فَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ نَسْأَلُكَ بِحُبِّكَ السَّابِقِ فِي ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة:54] وَبِحُبِّنَا اللَّاحِقِ فِي ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:54] أَنْ تَجْعَلَ مَحَبَّتَكَ العُظْمَى وَوِدَّكَ الأَسْنَى شِعَارَنَا وَدِثَارَنَا يَا حَبِيبَ المُحِبِّينَ يَا أَنِيسَ المُنْقَطِعِينَ يَا جَلِيسَ الذَّاكِرِينَ، وَيَا مَنْ هُوَ عِنْدَ قُلُوبِ المُنْكَسِرِينَ أَدِمْ لَنَا شُهُودَكَ أَجْمَعِينَ.

ثُمَّ يَقُولُ التَّالِي بِصَوْتٍ حَزِينٍ مَادًّا صَوْتَهُ: يَا غَنِيُّ أَنْتَ الغَنِيُّ وَأَنَا الفَقِيرُ مَنْ لِلفَقِيرِ سِوَاكَ يَا عَزِيزُ أَنْتَ العَزِيزُ وَأَنَا الذَّلِيلُ مَنْ لِلذَّلِيلِ سِوَاكَ، يَا قَوِيُّ أَنْتَ القَوِيُّ وَأَنَا الضَّعِيفُ مَنْ لِلضَّعِيفِ سِوَاكَ يَا قَادِرُ أَنْتَ القَادِرُ وَأَنَا العَاجِزُ مَنْ لِلعَاجِزِينَ سِوَاكَ، لا إلَهَ

إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ثَلَاثًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَصَلِّ وَسَلِّمِ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ وَدَاوُدَ خَلِيفَتِكَ وَمُوسَى كَلِيمِكَ وَعِيسَى رُوحِكَ وَإِسْحَاقَ ذَبِيحِكَ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

ثُمَّ يَشْرَعُ فِي قِرَاءَةِ القَصِيدَةِ المِيمِيَّةِ لِلْمُؤَلِّفِ وَهِيَ هَذِهِ:

إِلَهِي بِأَهْلِ الذِّكْرِ وَالْمَشْهَدِ الأَسْمَى ... بِمَنْ عَرَفُوا فِيكَ الْمَظَاهِرَ بِالأَسْمَا

بِنُورٍ بَدَا فِي غَيْهَبِ الْوَهْمِ فَانْجَلَى الـ ... ـظَّلَامُ وَذَاكَ النُّورُ مَا خَلْفَهُ مَرْمَى

بِسِرِّ مَقَامَاتٍ تَجِلُّ لِعِظَمِهَا ... عَنِ الوَصْفِ إِذْ فِي وَصْفِهَا تُحَيِّرُ الفَهْمَا

بِكُلِّ خَلِيلٍ قَدْ خَلَا عَنْ شَوَائِبٍ ... وَكُلِّ جَلِيلٍ قَدْ جَلَا نُورُهُ الظُّلْمَا

بِعَرْشٍ بِفَرْشٍ بِالسَّمَاوَاتِ بِالعُلَا ... بِمَا قَدْ حَوَى قَلْبُ المُحَقِّقِ مِنْ رُحْمَا

بِأَسْرَارِكَ اللَّاتِي سَتَرْتَ جَمَالَهَا ... فَلَمْ يَرَهَا إِلَّا فَتًى فِي الهَوَى تَمَّا

بِبَدْرٍ أَتَى يَهْدِي الأَنَامَ لِحُبِّكُمْ ... فَكَمْ فَازَ بِالخَيْرَاتِ مَنْ رَكْبُهُ أَمَّا

بِأَهْلِ الْفَنَا وَالسُّكْرِ وَالصَّحْوِ وَالْبَقَا ... بِكُلِّ مُحِبٍّ فِي مَحَبَّتِكُمْ هَمَّا

بِكُلِّ مُرِيدٍ طَالِبٍ لِجَنَابِكُم ... فَلَمْ يَعْرِفِ الأَحْزَانَ فِيكُمْ وَلَا الهَمَّا

دَعَوْنَاكَ وَالأَحْشَاءُ يَبْدُو زَفِيرُهَا ... وَعَيْنَايَ جَادَا فِي دُمُوعٍ كَمَا الدَّمَا

وَصَبْرِي تَقَضَّى وَانْقَضَى العُمْرُ رَاحِلًا ... وَحُبِّيكَ يَا مَوْلَايَ قَلْبِي قَدْ أَصْمَا

إِلَهِي بِأَهْلِ الانْكِسَارِ وَحَقِّهِمْ ... وَمَنْ بِكَ قَدْ نَالُوا المَقَامَ المُعَظَّمَا

وَمَنْ أَطْلَقُوا الأَكْوَانَ جِنِّي وَطَلَّقُوا الْـ ... ـمَنَامَ وَلَمْ يَشْكُوا لِزَادٍ وَلَا ظَمَا

وَمَنْ مَرَّغُوا لِلْخَدِّ فِي تُرْبِ أَرْضِكُمْ ... وَمَنْ بِالْهَوَى لِلسُّقْمِ فِي الحَالِ أُسْقِمَا

عَبِيدٌ وَلَكِنَّ المُلُوكَ عَبِيدُهُمْ ... وَعَبْدُهُمْ أَضْحَى لَهُ الْكَوْنُ خَادِمَا

إِلَهِي بِهِمْ أَدْعُوكَ يَا سَيِّدَ الْوَرَى ... بِمَنْ بِتَجَلِّي القُرْبِ يَا حِبِّ أَعْجَمَا

تَقَبَّلْ وَجُدْ وَاعْفُ وَسَامِحْ لِمُغْرَمٍ ... وَتُبْ وَتَحَنَّنْ يَا إِلَهِي تَكَرُّمَا

لِعَبْدٍ غَدَا يُسْمَى بِحُبِّكَ مُصْطَفَى ... خَلِيعِ عِذَارٍ فِي المَحَبَّةِ حُكْمَا

وَأَتْبَاعِهِ وَالسَّالِكِينَ طَرِيقَهُ ... وَكُلِّ الْوَرَى مَنْ فَضْلِ ذَاتِكَ عَمَّمَا

وَصَلِّ وَسَلِّمْ سَيِّدِي كُلَّ لَمْحَةٍ عَلَى الْمُصْطَفَى مَنْ بِالْمَعَارِجِ أُكْرِمَا
وَنَالَ دُنُوًّا لَا يُضَاهَى وَرِفْعَةً وَبَعْدَ اخْتِرَاقِ الْحُجْبِ لِلرَّبِّ كَلَّمَا
وَشَاهَدَ مَوْلَاهُ الْعَظِيمَ جَلَالُهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَنًّا وَسَلَّمَا
وَأَرْسَلَهُ يَدْعُو الْبَرَايَا لِقُرْبِهِ وَخَصَّصَهُ فِي الْكَوْنِ أَنْ يَتَقَدَّمَا
وَآلٍ وَأَصْحَابٍ لِيُوثٍ ضَوَارِي وَلَا سِيَّمَا الصِّدِّيقِ مَنْ فِيهِ هَيَّمَا
وَفَارُوقِهِ عُثْمَانَ ثُمَّ ابْنِ عَمِّهِ وَأَوْلَادِهِ السَّادَاتِ ثُمَّ مَنِ انْتَمَى
وَأَتْبَاعِهِ وَالتَّابِعِينَ سَبِيلَهُ مَدَا الدَّهْرِ مَا هَبَّ الصَّبَا وَتَنَسَّمَا

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى مَنْ تَشَرَّفَتْ بِهِ جَمِيعُ الْأَكْوَانِ، وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أُظْهِرَتْ بِهِ مَعَالِمُ الْعِرْفَانِ.

وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَوْضَحَ دَقَائِقَ الْقُرْآنِ، وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَيْنِ الْأَعْيَانِ وَالسَّبَبِ فِي وُجُودِ كُلِّ إِنْسَانٍ.

وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى مَنْ شَيَّدَ أَرْكَانَ الشَّرِيعَةِ لِلْعَالَمِينَ وَأَوْضَحَ أَفْعَالَ الطَّرِيقَةِ لِلسَّالِكِينَ وَرَمَزَ فِي عُلُومِ الْحَقِيقَةِ لِلْعَارِفِينَ، فَصَلِّ وَسَلِّمِ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ صَلَاةً تَلِيقُ بِجَنَابِهِ الشَّرِيفِ وَمَقَامِهِ الْمُنِيفِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا دَائِمًا بِاللهِ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي زَيَّنَ مَقَاصِيرَ الْقُلُوبِ وَأَظْهَرَ سَرَائِرَ الْغُيُوبِ، بَابِ كُلِّ طَالِبٍ وَدَلِيلِ كُلِّ مَحْجُوبٍ، فَصَلِّ وَسَلِّمِ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ مَا طَلَعَتْ شَمْسُ الْأَكْوَانِ عَلَى الْوُجُودِ.

وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى مَنْ أَفَاضَ عَلَيْنَا بِإِمْدَادِهِ سَحَائِبَ الْجُودِ يَا اللهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً تُدْنِي بَعِيدَنَا إِلَى الْحَضَرَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ وَتَذْهَبُ بِقَرِيبِنَا إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ الْمَقَامَاتِ الْإِحْسَانِيَّةِ فَصَلِّ وَسَلِّمِ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ صَلَاةً تَنْشَرِحُ بِهَا الصُّدُورُ وَتَهُونُ بِهَا الْأُمُورُ وَتَنْكَشِفُ بِهَا السُّتُورُ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ عَدَدَ 7 دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ، وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

ثُمَّ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ لِحَضْرَتِهِ ﷺ وَلِأَصْحَابِهِ وَآلِ بَيْتِهِ الْكِرَامِ وَلِأَهْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلِمُنْشِئِ

هَذَا الوِرْدُ الشَّرِيفُ، ثُمَّ يَشْرَعُ فِي قِرَاءَةِ الْمُنْبَهِجَةِ وَهِيَ هَذِهِ:

قُمْ نَحْوَ حِمَاهُ وَابْتَهِجْ    وَعَلَى ذَاكَ الْمُحَيَّا فَعُجِ

وَدَعِ الْأَكْوَانَ وَقُمْ غَسَقًا    وَاصْدُقْ فِي الشَّوْقِ وَفِي اللَّهَجِ

وَالْزَمْ بَابَ الْأُسْتَاذِ تَفُزْ    وَتَكُونَ بِذَلِكَ خِلَّ نَجِي

وَاخْرُجْ عَنْ كُلِّ هَوًى أَبَدًا    وَدَعِ التَّلْفِيقَ مَعَ الْهَرَجِ

إِيَّاكَ أُخَيَّ تُرَافِقُ مَنْ    لَمْ يَنْهَكَ عَنْ طُرُقِ الْعِوَجِ

اقْنَعْ وَازْهَدْ وَاذْكُرْهُ كَذَا    كَ بِبَابٍ سِوَاهُ لَا تَلِجِ

وَادْخُلْ لِلْحَانِ خَلِيلِ وَمِلْ    نَحْوَ الْخَمَّارِ أَبِي السُّرُجِ

وَاشْرَبْ وَاطْرَبْ لَا تَخْشَ سِوَى    إِيَّاكَ أَنْ تَمِلْ عَنْ ذَا النَّهْجِ

كَمْ أَنْتَ كَذَا لَمْ تَصْحُ أَفِقْ    وَإِلَى الْأَبْوَابِ فَقُمْ وَلِجِ

مَوْلَايَ أَتَيْتُكَ مُنْكَسِرًا    وَلِغَيْرِكَ شَوْقِي لَمْ يَعُجِ

وَأَتَيْتُ إِلَيْكَ خَلِيًّا مِنْ    صَوْمِي وَصَلَاتِي مَعْ حِجَجِي

وَكَذَا عِلْمِي وَكَذَا عَمَلِي    وَكَذَاكَ دَلِيلِي مَعْ حُجَجِي

لَا أَمْلِكُ شَيْئًا غَيْرَ الدَّمْـ    ـعِ مَخَافَةَ أَنْ يُغْشَى وَهَجِي

هَلْ غَيْرُ جَنَابِكَ يُقْصَدُ لَا    وَجَمَالِكَ ذِي الْحُسْنِ الْبَهِجِ

مَنْ يَقْصِدُ غَيْرَكَ فَهْوَ إِذًا    بِظَلَامِ الْبُعْدِ تَرَاهُ فُجِي

مَنْ أَنْتَ تُضِلُّ فَذَاكَ مِنَ الْـ    ـهُلَّاكِ وَمَنْ تَهْدِي فَنَجِي

وَدُمُوعُ الْعَيْنِ تُسَابِقُنِي    مِنْ خَوْفِكَ تَجْرِي كَاللُّجَجِ

يَا عَاذِلَ قَلْبِي وَيْكَ فَدَعْ    عَذْلِي وَاقْصِرْ عَنْ ذَا الْحَرَجِ

كَمْ تَعْذِلُنِي لَمْ تَعْذُرُنِي    دَعْنِي فِي الْبَسْطِ وَفِي الْفَرَجِ

أُذْنِي لِحَبِيبِي صَاغِيَةٌ    صُمَّتْ عِنْدَ الْوَاشِي السَّمِجِ

يَا صَاحِبَ حَانِ الْخَمْرِ أَدِرْ    صِرْفًا وَاتْرُكْ لِلْمُمْتَزِجِ

وَأَدِرْ كَاسَ الْأَسْرَارِ وَدَعْـ    ـنِ أَصِيرُ بِهِ مِنْ ذِي الْهَمَجِ

مَوْلَايَ بِسِرِّ الْجَمْعِ كَذَا    كَ وَجَمْعِ الْجَمْعِ وَكُلِّ شَجِي

بِالذَّاتِ بِسِرِّ السِّرِّ بِمَنْ — أَفْضَالِكَ رَبِّي مِنْكَ رَجِي

بِحَقِيقَتِكَ الْعُظْمَى رَبِّي — وَبِنُورِ النُّورِ الْمُنْبَلِجِ

بِعَمَاءٍ كُنْتَ بِهِ أَزَلاً — بِمُحَمَّدِ مَنْ جَا بِالْبَلَجِ

وَبِسِرِّ الْقُرْبِ كَذَاكَ الْحُـ — ـبِّ وَأَهْلِ الْجَذْبِ لِمُنْعَرَجِ

وَبِمَا أَوْجَدْتَ مِنَ الأَكْوَا — نِ بِمَا فِيهِنَّ مِنَ الأَرَجِ

وَبِأَهْلِ الْحَيِّ وَبَهْجَتِهِمْ — وَبِبَحْرِ الْقُدْرَةِ وَالْمَرَجِ

وَبِطِيبِ الْوَصْلِ وَلَذَّتِهِ — بِبِسَاطِ الأُنْسِ الْمُنْتَسِجِ

وَبِقَلْبٍ فِي بَلْوَاكَ غَدَا — وَحَيَاتِكَ لَيْسَ بِمُنْزَعِجِ

بِتَجَلِّي اللَّيْلِ وَعَالَمِهِ — وَظَلاَمِ الْكَوْنِ كَمَا السُّرُجِ

بِمَنَازِلِ أَفْلاَكٍ وَكَذَا — بِمَطَالِعِهَا ثُمَّ الْبُرُجِ

بِالآلِ بِصَحْبِ مَنْ بِهِمُ — كُلُّ الْخَيْرَاتِ إِلَيْنَا تَجِي

يُسْرٌ وَاجْبُرْ كَسْرِي بِرِضًا — لأَكُونَ بِوَصْلِكَ مُبْتَهِجِ

وَاخْلَعْ خِلَعَ الرِّضْوَانِ عَلَى — صَبٍّ فِي حُبِّكَ حِبِّ هَجِ

وَامْنَحْ قَلْبِي نَفَحَاتِكَ يَا — مَوْلاَيَ وَعَجِّلْ بِالْفَرَجِ

وَاحَسْرَةَ قَلْبِي إِنْ لَمْ تَمْـ — ـحُ خَطَايَا الذَّنْبِ مِنَ الدَّرَجِ

وَاغْفِرْ يَا رَبِّ لِنَاظِمِهَا — وَلَهُ رَقِّي أَعْلَى الدَّرَجِ

وَاسْمَحْ لِلسَّامِعِ مَا نُشِدَتْ — قُمْ نَحْوَ حِمَاهُ وَابْتَهِجِ

أَوْ مَا حَادٍ سَحَرًا يَحْدُو — الشِّدَّةُ أَوْدَتْ بِالْمُهَجِ

وَصَلاَةُ اللهِ عَلَى الْهَادِي — وَسَلاَمٌ يُهْدَى فِي الْحُجَجِ

لِمُحَمَّدِنَا وَلأَحْمَدِنَا — مَا فَاحَ أَقَاحٌ فِي الْمُرُجِ

وَعَلَى الصِّدِّيقِ خَلِيفَتِهِ — وَكَذَا الْفَارُوقِ وَكُلِّ نَجِي

وَعَلَى عُثْمَانَ شَهِيدِ الدَّارِ — رِقَا فَسَمَا أَعْلَى الدَّرَجِ

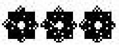
وَأَبِي الْحَسَنَيْنِ مَعَ الأَوْلاَ — دِ كَذَا الأَزْوَاجِ وَكُلِّ شَجِي

وَعَلَى الْمَهْدِيِّ وَعِتْرَتِهِ — الْمُشْبِعِ فِي زَمَنِ الْوَهَجِ

| | |
|---|---|
| وَعَــلَى مَــنْ مَهَّــدَ لِلأَرْضِــ | ــيِنَ كَمَا قَــدْ بَــرَّحَ فِي السُّبُجِ |
| مَــا مَــالَ مُحِــبٌّ نَحْــوَهُمُ | أَوْ سَــارَ الــرَّكْبُ عَــلَى السُّرُجِ |
| أَوْ مَــا دَاعٍ يَدْعُــو المَــوْلَى | يَــرْجُو لِلنَّــصْرِ مَــعَ الفَــرَجِ |

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي الأَوَّلِينَ، وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي الآخِرِينَ، وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فِي المَلإِ الأَعْلَى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ وَعَلَى المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلِ الأَرَضِينَ، وَرَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ سَادَاتِنَا ذَوِي القَدْرِ الجَلِيِّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ أَجْمَعِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

احْشُرْنَا وَارْحَمْنَا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا اللهُ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا اللهُ يَا رَبَّنَا يَا وَاسِعَ المَغْفِرَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللَّهُمَّ آمِينَ.



بسم الله الرحمن الرحيم

## وبه نستعين

الحمد لله الذي أورد ورده المورود ممن أراد نجاته دنيا وأخرى، فتوردت وجنات أوراده، ووردت عليه الموارد تترى، وأنشق أحبابه وردة الشهود، وأطلق خطابه من قيد ورطة الجحود، وجعلهم قبلة أهل الصعود والسعود، وأطلع في سماء القرب كوكب تدانيهم بدرًا، جذبهم إليه فلمعت لهم سواطع الجواذب، واستخلصهم له، فلم تستعبدهم الأماني الكواذب، وحققهم بالفقر والفقد التام اللازب، ورفع لهم بين عباده منزلة وقدرًا، آنسهم بأنس أُنسه في كل حال، ورقى بهم من الوقوف مع الأحوال والمحال، وجمع لهم بين المشاهدة والكلام في حضرة التمثيل؛ إذ ذا في غيرها محال، وحققهم بحقائق حق حقيقة اليقين.

[فطافوا حول كوكبه الدري]، وأسكرهم وابل فيض فتحه القدسي، وحيرهم في عين الهداية لدى كشفه الأنسي، وسلك بهم إلى لقائه بالمنهج القريب المعنوي لا الحسي، فصرحوا بفيض الأنا بالهو والآن والأنا نظمًا ونثرًا، سقاهم من أعين حياة وصاله، فأحياهم وأخرجهم من ظلمات حجبه، وليل حجبه، وحباهم، وعرفهم أن هو هو لا هم هو، ولا هو إياهم، فعاد كل فرد منهم بارتوائه خضرًا، خاطبهم ترجمان لسان القدم بعد أن عماهم تجريد التوحيد، وأثبتهم فثبت منهم القدم، فأدركوا هنا خطاب الصدق إدراكًا ذوقيًا لم يتأخر ولم يتقدم، وفهموا سرَّ قوله جل وعز: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ ﴾ [التوبة: 111] فتح أبواب الحقائق لمن أخفى مراده في مراده، ومنح عجاب الرقائق لمن سعد بشهود سعاده، ورشح إناء الدقائق للمقبل على حضرة إسعاده، فإذا قَدِم وقدم شربه، وقَدم وقدَّم فيما طوى لهم بساط طريقه المنشور، وحباهم طي الأخلاق لا طي الأرض المشهور، وأوقفهم على خبايا زوايا الكنز المستور، وحرزهم صبرهم في يد نفاته أسرى، فأبان لهم علم علم اليقين وعينه وحقه، فإنه رجع بحق كل منهم في عينه، ومحقه في سحقه، موجه على بفتقه بعد رتقه ورتقه بعد فتقه، وكشف لهم الأستار سترًا فسترًا، فسبحان من منح

أهل الذكر منح اللطائف، وأزاح عنهم براقع الكشائف، وكانوا بذلك أعدل الطوائف، وأعلاهم وأغلاهم فخرًا وفجرًا.

أحمده سبحانه وتعالى، وهو الحامد نفسه بنفسه حمدًا يمنحنا به فتح باب قدسه، ولمح لباب كشف أنسه، ويتضح لنا به المنهج المقرب إلى الغاية، فنحظى بأنسه فنعلن ثناءً، ونظهر تمجيدًا وشكرًا، وأسأله أن يجعلنا ممن عملوا فصارت لهم عيون، وتحملوا فمحيت عنهم غيون، وعملوا بما علموا فلاح لهم فلاح جنون، ومصباح فنون، وصباح سكون، وعاينوا كل الصيد في جوف الفراء، وممن فَهِموا فهمُّوا وفُهِّمُوا سر الدرة البيضاء، وفاضت عليهم العلوم الإلهية السرمدية فيضًا وأخرجوا يد شهودهم من جيب وجودهم، فخرجت بيضاء، فرأوا من آيات ربهم الكبرى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في جبروته، ولا شريك في ملكه وملكوته، وهو العليم الخبير بأسرار رحموته، شهادة عبد ظهر له الخبيب كشفًا فانتفى عنه الكرى.

وأشهد أن سيدنا وسعدنا وعدتنا وعمدتنا وذخرنا وكنزنا وفخرنا وعزنا محمدًا عبده ورسوله المحمود عند ربه، والعابد له به، والراقي في مدراج قربه، والواسطة العظمى، الداني كقاب قوسين أو أدنى من حظائر حبه، صاحب القبة الخضرا، والسيادة الكبرى، صلى الله عليه صلاة وسلامًا يلتحق قائلها بنسبه المحمدي، ويتحقق بحسبه الأحمدي، ويدنيانه من المدد الأبدي السرمدي، دنيا وبرزخًا ونشرًا وحشرًا، وعلى آله وأصحابه، وكل من اتبع وقلع لباد المعاندين، وارفع مطامع أفاد الرافدين، أبد الآبدين، ودهر الداهرين، ما سال غدير الدمع على الخد وجرى، وبعد:

فيقول العبد الفقير الحقير إلى مولاه الغني الكبير مصطفى بن كمال الدين بن علي الكسير، أعظم الله له أجرًا، الصِّدِّيقي نسبًا، الحنفيّ مذهبًا، الخلوتي مشربًا، حباه الله لكسره جبرًا، ومنحه رضًا وصبرًا، وجعل له من أمره يسرًا: قد وقع الإذن من الواحد الأحد ليلة الأحد الأولى من جماد الأولى سنة ألف ومائة وثمانية وثلاثين، وأنا نزيل الديار الرومية صانها الله رب البرية، أن أشرع في تبييض شرح «ورد السحر» الذي لوارد الغفلة نحر، المسمى بـ«**الضياء الشمسي على الفتح القدسي**»، وكنت شرعت في الشرح المذكور

من سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف، وكتبت على الجيمية والميمية، وأغلب التوسلات السنية، وأشرت إليه في بعض الرسائل التي تمّت، وفوائدها على المعتنى بها إن شاء الله تعالى عمّت.

ولنذكر سبب تأليف الورد المبارك إن شاء الله تعالى وتبارك، فنقول: لما منّ الحق سبحانه وتعالى على عبده الأبعد الأقصى بزيارة المسجد الأقصى، فكما ذكرته في الرحلة المسماة «بالخمرة المحسية من الرحلة القدسية» خطر لي أن أضع وردًا للإخوان يقرؤونه في السحريات، تكون توسلاته مناسبة لتلك الأوقات، فكان سبب وضعي له:

**أولاً**: إن قيام الليل سنة وهو عند أهل الطريق كالفرض في الاعتناء لتنوير الأجنة، وتلاوة القرآن والاستغفار، والمناجاة منة وأي منة، وروضة يانعة الأغصان؛ بل جَنَّة وجنَّة، فاستخرت الله تعالى في وضعه كثيرًا، حتى وقع الإذن وكان ربك قديرًا، وأصل طريقتنا بعد التهجد التحلق على الشيخ أو بنائبه، والذكر إلى آن يطلع الفجر، فقلنا: الذكر إذا كان بالمناجاة كان أعظم في الأجر.

وكنت استأذنت الشيخ المرحوم في قراءة ورد سيدي محمد زين العابدين الصديقي ﷺ الذي سماه بـ«حزب الفتح» أن أقرأه في السَّحر فأجازني في ذلك فلازمته، وأضفت إليه الصلوات النبوية تأليف سيدي محمد القطب البكري -قدّس الله سره وبعد اندراج الشيخ إلى رحمة الله حفظه بعض الإخوان، وكنا نقرأه والصلوات جماعة، فيحصل لنا حال تلاوته حظ تام، وبسط عام، ولما أذن الحق الولي المتين بإبراز هذا الورد المكين، دأبنا على قراءته من ذلك الحين، ونرجو لمن لازمه أن يكون من المعلمين.

**وثانيًا**: أن فيه اجتماع الإخوان على قراءته، وتنشيط همة القاصر حال تلاوته.

**وثالثًا**: مساعدة الإخوان فيه بعضهم بعضًا، وتنهيض العزائم، وتشويق المحب إلى الدخول في طريق أرباب الدعائم.

**ورابعًا**: أن خلوتية الشام يقرؤون في السحر ورد العارف الهمام الشيخ أحمد العالي ذي القدر الغالي المسمى بـ «ورد الرسائل»، فأحببنا أن نشاركه في أجر جمع الإخوان على قراءة الورد راجين بها الغفران، وقد اعترض علينا في وضعه بأن الزيادة في الطريق لا تجوز، فقلنا: والأمر كذلك إلا أن تكون بإذن، فإن صاحبها للخير بكلتا يديه يجيز، ووفد

علينا من أبناء طريقنا الشيخ يوسف ابن الشيخ محمد الدمياطي- رحمه الله تعالى- فاعترض علينا، فأجبناه: أن هذا لا يمنع من طريقنا سيما بعد الاستخارة، ورؤية رجال الطريق، ووقوع الإشارة فلم يسلم فأخبرني أنه رأى ليلة من الليالي في عالم المثال نفسه يتحدث مع رجل، وإذا بضجة ورجة، وصهيل خيل، قال: فسألت الرجل عن ذلك! فقال: إن الشيخ عبد اللطيف دعا أهل الطريق ليحضروا عند خليفته فلان، وقد حضروا، قال: فقلت له: وكيف يحضرون عند من أحدث في الطريق وردًا، ولا يلبس الكسوة، ولا يعمل ذكرًا بجمعة؟ ولكن أنا أشتكي عليه الشيخ مصطفى أفندي.

قال: فرأيت شيخك يقدمهم راجلاً، فتقدمت لأخبر الشيخ مصطفى أفندي، فقال لي قبل أن أسأله: لا تعترض وإذا جاء الوقت يظهر الأمر، أو ما معناه، فقلت له: وكيف تقول هل زال ما في نفسك؟ قال: لا، قلت: وإذا استأذنت حسن أفندي ابن المرحوم الشيخ علي أفندي -قدس الله سره- وأجازنا به، ماذا تقول؟ قال: إذًا أُسلم، وأظنه لا يجيزه؛ فأرسلت الورد له ضمن كتاب فأرسل فيه الجواب: وحيث وجدتم مبالغة روحانية فطريقنا لا يمنع من ذلك، وتوفي المشار إليه المرحوم حسن أفندي -روح الله روحه- عام ألف ومائة وأربعة وثلاثين، ولقد كنت أسيرًا ما أرى أثر الوارد على الورد تارة من مهابة أسمائهم وتارة من جميل فعالهم وتارة بسماع حديثهم، وكنا إذا قرأناه جماعة في الحضرة الأولى في البيت المقدس النوراني نرى من البسط الروحاني، والصفاء الجناني ما لا يعبر عنه لساني، فلما كان السامع يشهد بتأثير موقعه في القلوب، والسامع لحضور الفؤاد فيه من كل نحب نصطفيه من النور في الحضرة الثانية، وحينما ذهبنا لزيارة الخليل وأولاده الكرام عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، فحصل لنا في الورد حظ كامل وتوفيق طائل، وكنا نقرأه خلف سيدي إسحاق الغيور صاحب المدد الذي يرفع الستور فحفظته عليه، ثم اجترأت بقولي يا سيدي نحن الليلة أضيافك، وكذلك إخواننا القائمون في البيت المقدس فنها الحبور، وسما حتى أن الصبح تنفس، وفي الظهر من صبيحة تلك الليلة الزهراء جاءنا بعض الإخوان ممن حضر الورد دهرًا، وقال: إن الأمر الذي وقع لنا هذه الليلة من الجلال والهيبة لم ندركه قط بحيث إنه استغرق حينًا عن وجودنا، وأدهشنا عن شهودنا حتى أن فلانًا أخبر أنه: رأى رجالاً عظامًا عليهم المهابة دخلوا الخلوة، وكأن

سطوح الصخر علي بالرجال، ولم أكن أخبرت بها وقع من الخاصة الشريفة أحدًا فذكرت ذلك، وحمدت الله تعالى على ما هنالك.

وكثيرًا ما يخبرني الأخ في الله تعالى ذو الود والوفاء شمس الدين الشيخ مصطفى بن عمرو الخلوتي منحه الله كامل الصفاء ببعض مشاهد يراها، ونحن نقرأه جماعة، ذكرت منها نذرًا في الرسالة «المنهل العذب السائغ لوارده في ذكر صلوات الطريق وأوراده»، وقال لي بعض الأفراد: إن هذا الورد عظيم الإمداد، وهو من الفتح الرباني والعطاء الإحساني، ولما وضعته كنت مختطفًا عنك مسلوبًا منك، ولم يدر من أي حضرة ورد عليك، ولا عن أي مقام برز إليك، فصدقت، وقلت له: إني إلى الآن إذا تأملت ظهرت لي معان غريبة، أو مناسبات بين التوسلات عجيبة، فأتحقق أني لم أكن قصدت ذلك، ولا تنبهت لما هنالك.

قال: ولم أذكر لك هذا إلا لتعرف نِعَم الحق سبحانه وتعالى عليك، وتزيد في الحمد والشكر لمن ساق هذا الخير إليك وأظهره على يديك، وهكذا حالاتك في أكثر تأليفاتك، ولم تصحو وأدركت ما يجريه الحق سبحانه على لسانك إلا من مدة يسيرة، فاشكر مولاك على ما أولاك من نعمه الغزيرة.

وقال لي بعض أفاضل الشام وقد سمعني أقرأه منفردًا سحرًا: وثغر الوقت قد سال وتبسم: إن هذا الورد قد احتوى على الاسم الأعظم، فمن لازمه نال البر الأجسم.

وقال لي جناب الشيخ محمد الخليلي العالم المقدام منح القرب الجليلي: كنت كثيرًا ما أحث بجماعتك على قراءة ورد السحر في غيبتك، وأخبرني عنه بعض الإخوان أنه قال له: من لازم على هذا الورد سنة ضمنت له على الله الفتوح، انتهى.

ورفع في سري من ليال قريبة، وكنت لا أرفع يدي في توسلاته؛ بل كنت أضعها على ركبتي مفتوحتين، لم لا ترفعها حال الطلب مع أنه أكمل في مقام الأدب، وأخشع للقلب، وأحق بمقام الرغب والرهب، وأنت تطلب مقامات عزيزة المرتقى، والمنقلب، فاعتراني لذلك حال آراق المدامع، وأفاق دارة القلق وجرها غيث اللوامع، واستغرقني ذلك الوارد إلى أن لمح علم الصباح، وفني من الليل وهن ذلك المصباح، ولقد رأيت في بشرة سنية أن الفقير في المسجد النبوي – على مشرفه ألف ألف تحية – بالقرب من الحجرة

الفاطمية، وهنالك جمع من الصحابة الكرام أولي المهابة الأرفعية، ولم أرتقي لأعرف منهم إلا الجدين الأكبرين الأفخرين الأنورين: الخليفة الأول والرابع، وهما يتفاوضان فيما لتالي الورد من الحسنات فحكم المرتضى بأن له ستمائة حسنة، وجزم الصديق الأكبر بأن له سبعمائة، والعبد يسمع على البعد منهما ذلك، فلما استفقت سررت سرورًا تامًّا بما هنالك.

وقلت: هؤلاء حسنات كبار، وقد ضمنت كثيرًا من حسنات صغار.

وسألت بعض أهل الكشف والرشف، الذي نسفت جبال أوهامهم نسمات القرب أية نسف عن خواطر تقع في الورد من حضور أكابر سادة وأئمة قادة، فهل ذلك صحيح أم وهم ميزان غير رجيح؟ فقال: ما خطر لك حضور أحد إلا وحضر قبل الخطور أو بعده لسر لو ظهر بهر، ويقع لنا في هذا الباب أمور عجاب، ولما لازمنا قراءة وأدمنا تلاوته طلب بعض الأحباب شرح معانيه، وإن لم تكن على أهل النهى خافية، وإيضاح مبانيه، وإن لم تكن بالبلاغة والبراعة وافية؛ لكن القصور المشهود لي يؤخر الإجابة، وقلة البضاعة، وعدم معرفة الصناعة وطريق الإصابة فصرت أقدم رِجْلاً وأؤخر أخرى لتحقيقي أن عدم الإقبال لي أحرى.

ولكني تسليت بقول العارف الغارف من لدن المعارف:

إنَّ المقاديــــرَ إذا ســــاعدَتْ ... ألحقــتِ العاجــزَ بالحـــازمِ

فلجأت إلى الله الذي ما خاب من التجأ إليه، ولا آب بالخيبة من جعل تعويله عليه، فانفتحت أبواب سماء الإجابة بماء مدد منهمر، وتفجرت أرض القلب عيونًا فالتقى ماء الفيض على أمر قد قدر، وتموج ذلك البحر فأخرج الزَّبد وجاد السيد واللبد على أني مقر بالنقص والزلل غير مبرء نفسي من الخطأ والخلل، ولقد أنشدت الواقف السائر قول الطائر المهتدي:

أنـا الخائـر يـا مـن غـدا ناظرًا فيما كتبت ... ومـن أضحى يـردد فـيما قلته النظـر

أســألك الله إن عايــنت لي خطـــأ ... فاسـتر فـإن خـيار النـاس مـن ســتر

وقول الآخر:

ومـا أبـرئ نفسي أنني بـشر أسهو ... وأخطــئ مــا لم يحمنـــي قـــدر

ولا تـــرى عـــذرًا أولى بــذي ذلـــل ... مـــن أن يقـــول مقـــر: إنني بـــشر

وقول المتنبي:

وَمَــن ذا الَّــذي تُــرضي سَــجاياهُ كُلُّهــا    كَفَــى المَــرءَ نُــبلاً أَن تُعَــدَّ مَعايِــبُهْ

وكنت قبل أن أضع هذا الورد فتح عليَّ بأوراد كثيرة:

منها ورد سميته «الفتح الجديد والمنهج القريب» وهو أول ورد فتح به عليّ، وآخر سميته «الورد الأسنى في التوسل بأسمائه الحسنى» توسلنا فيه بكل اسم بما يناسبه، وآخر سميته «التوسلات المعظمة بالحروف المعجمة» وجعلنا لكل حرف منها توجهًا يناسبه، وآخر سميته «التوجه الوافي والمنهل الصافي»، وآخر سميته «الابتهالات السامية من الدعوات النامية»، وآخر سميته «الفيض الوافر والمدد السافر وأوراد سبعية نهارية»، وغير ذلك من الأوراد البهية، ولما اجتمعت بالعارف الكامل الشيخ أحمد بن كسبه الحلبي -رحمه الله تعالى- عرفت أنه غالبها كما ذكرت ذلك في ترجمته المسطرة في «السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد»[1] ولقد قال لي: بعض من له كشف، وإطلاع أن «ورد

(1) للفائدة نذكر كلامه ﷺ: ومنهم ﷺ على الرتبة: الشيخ أحمد بن كسبه الحلبي القادري كان يحب العزلة والوحدة عن الأنام، والإقبال على الله تعالى مدى الدوام، كنت أسمع به، وأتشوق إلى لقائه بقصد الاستفادة، ولكنه كان إذا جاء من أسفاره إلى الشام لا يفتح بابه على جاري العادة، وممن له معه صحبة أكيدة ومحبّة مفيدة أخونا في الله تعالى الشيخ عبد الرحمن السمان بلّغه الله منازل الأمان، فلما جاء في بعض خطراته، أعلم بمجيئه الشيخ قاسم المغربي رحمه الله تعالى فقال له: مُرادي تأخذ له هذه الأبيات الثلاثة ليشرحها وهي:

تَطَهَّــر بِــماءِ الغَــيبِ إِن كُــنتَ ذا سِرٍّ    وَإِلّا تَــيَمَّم بِالــصَّعيدِ وَبِالــصَخرِ
وَقَــدِّم إِمامًــا كُــنتَ أَنــتَ إِمامَــهُ    وَصَــلِّ صَــلاةَ الفَجــرِ في أَوَّلِ العَــصرِ
فَهَــذي صَــلاةُ العَارِفِــينَ بِــرَبِّهِــم    فَــإِن كُــنتَ مِنهم فَانضَحِ البَرَّ بِالبَحرِ

ثم ثاني يوم جاءه بالشرح، فتأمله، فانحظ به ثم اجتمع به، فأخبرني: أنه أول ما خاطبه به إذا اجتمع بإنسان فلا تفاتحه في بحثٍ حتى هو يفاتحك، فإنك ربما تفاتحه في بحثٍ لم يكن له فيه معرفة فتخجله، ثم أخذ يتكلّم بكلام عجيب.

وقال لي الشيخ قاسم: اجتمعت بكثيرٍ من أهل الله تعالى، فلم أجد أحدًا يتكلّم على مقتضى فتحه مثل هذا الرجل، وكان له قوةٌ على الرياضة والمجاهدة، وأقام مدة طويلة لم يضطجع للمنام من فرط المكابدة، وكان قبل دخول رمضان بعشرة أيام يصوم على طريقة الرياضة ويوصل بها رمضان، وربما فعل ذلك في غيره مع اعتزال الأنام. وكان في سنة اثنين وعشرين قدم إلى الشام، ونزل في دار

وفتح بابه ومنع حجابه وأذن للواردين بقصد رد الشاردين، فوردت عليه الأعيان والأكابر وصغار الطلبة وكبار العلماء فلم يكابر، وأغلق الباب على جاري العادة لما رأى بعض القصّاد مرادهم الامتحان لا الاستفادة، وكنت قدمت من بين المقدس المبارك الذي بعد المسجدين في الفضل لا يشارك، فأخبرت بفتحة الباب لمن ورد وعدم تمنّعه من لزيارته قصد. فقلت للجماعة الذين جاءوا للسلام: لا بأس أن نذهب لزيارته لنحظى ببركته، فإنه من أرباب المقام وكان فيهم المجذوب المحبوب الشيخ مصطفى التغلبي، فتوجّه معنا أيضًا فدخلنا عليه، وسلّمنا وجلسنا بين يديه، فأقبل بوجهه عليّ ثم فتح بحثًا طويل الذيل كثير الخير والفوائد والنيل. وقال في أثناء كلامه: ينبغي للإنسان إذا فتح الله عليه بشيء، من نظم أو نثر أن لا يغتر به، وأن لا يشغل قلبه بذلك؛ بل يمزقه أو يحرقه فإن عند الله ما هو أعلا مما هنالك، أو ما هذا معناه ثم أبى، ودّعته وانصرفت وصرت أمزّق فيما نظمته من القصائد وما كتبته من الفوائد وما عملته من الأوراد حتى مزّقت شيئًا كثيرًا، وكان انتفاعي به في هذا المجلس انتفاعًا كبيرًا، وبعد ذلك لم يقسم للاجتماع به نصيب؛ لاحتجابه عن الناس وكان بفعله مُصيب. كان حافظًا لكتاب الله تعالى له اليد الطولى في المعقول والمنقول، ويستغرقه الحال في كلامه، فربما أشكل على السامع ما يقول.

أخبرني بعض الأفاضل ممن كان له عليه تردد: إنه اجتمع به فسمعه يلحن من حيث العربية. قال: فقلت في نفسي: كأن الشيخ لم يعرف العربية. قال: فالتفت إليّ وقال: رحم الله الأجرومي، وذكر بعض مناقبه. ثم قال: إني شرحت الأجرومية على مقتضى كلام القوم، وفتح لي بحثًا دقيقًا في علم النحو حتى أبهتني. قال: ثم ذهبت إليه مرة أخرى، فلما جلست بين يديه خطر لي يا هل ترى أما لهذه الخواطر التي تخطر للإنسان في الصلاة من شيء يُصرفها؟ فالتفت إليّ وقال: إن الإنسان إذا أحضر جناب الحق في وجوده حال الصلاة بأي نوع كان من الاستحضار، انتفت عنه الخواطر.

قال: وأتيته مرة ولي حاجة دنيوية، فأخبرني عن تلك الحاجة وعن كيفية قضائها وأنها بعد يومين أو ثلاث تُقضى وكان الأمر كذلك. ثم قال لي: وكل من اعترضه فغير محق. وكان بينه وبين شيخنا الهمام جناب الشيخ عبد الغني حفظ الله وجوده للأنام، مكاتبات، وأثبتها في كتاب «المراسلات» له، وكان له دائرة كبيرة في مدينة حلب، فخرج عنها رغبةً في عمارة السريرة، فساح وناح وباح عطره، وفاح. وأخبرني بعض ممن يتردد عليه: إن إنفاقه من الغيب؛ لأنها نفقةٌ كثيرة ولا معلوم له، فلا يقال لمثلها من الجيب، وقد أخذ طريقة القادرية عن شيخه الشيخ مصطفى الطيفي.

ولهذا الشيخ مصطفى أحوالٌ عظيمة، وأفعال كريمة وله مناقب مدوّنة، وطريقته الأخذ عن الله وليست طريقته العنعنة. وأخبرني أخونا الشيخ مصطفى بن عمر كان الله له: إنه أخبره باجتماعه في هذه الخطرة الأخيرة بأبي العباس الخضر ﷺ والتحايا الكثيرة. وأخبرني ابن الخالة المرحوم السيد عبد الرحمن أسكنه الله فسيح الجنان: إنه كان كثيرًا ما يكاشفه بخواطره وهو بين يديه، ويقول له:

=

السحر» أعظم أورادك إمدادًا بدون نزاع.

وقلت: في مدحه سابقًا وكتبته على ظهر نسخة، وقمتها للأخ المرحوم ذو الحب، والاقتفاء سيد مصطلح العلماء الطرابلسي أسكنه الله الفردوس الأعلى، ومنحه المدد

=

نحن في كذا وكذا أو مع خاطر كذا وكذا. ولقد بلغني عنه أنه قال لبعض أحبابه: مَن قال لك أطال الله عمرك، فقل له: قصّر الله عمرك، فإن قوله دعاءٌ عليك بطول العناء، وقولك تخفيف عنه من مُقاساات النَّصب والعناء، وكان عنده الحدّة التي تعتري خِيار الأمة، ولم يكن إلا الخبيب همّه، وكان مهما أفاضه الحق عليه من المعارف والأسرار أودعه الماء أو النار محبّةً في عدم الظهور؛ لأنه كما قيل يَقيسم الظُّهور. وأخبرني أخونا الشيخ عبد الرحمن: إنه أُخبر بيوم وفاته وأنه يكون بالاسهال، وكان كما ذكر، وقد ترجمته بعد وفاته ترجمة قليلة فأحببت ذكرها؛ لتكون خاتمة جميلة. فقلت: قد درج بالوفاة إليَّ رحمه الله، وعليَّ جنانه العارف المحقق والصوفي المدقق صاحب الكرامات الظاهرة والخوارق الباهرة، مَن يُشفي زلال سَلسبيله كل قلبٍ مكلومٍ ويكشف في ظلال ظليله كل سرٍّ مكتوم، بحر معارف تلاطمت برياح القُرب أمواجه وروض لطائف عبيره، قوّم من المعوج اعوجاجه، وزاد ابتهاجه نور سناه في الآفاق ساري، وفردٌ يخسر بائعه وبربح الشاري، أقداحه دائرة على مَن عليه وارد، وأفراحه طائرة تُكسب مَن ألمّ به سلبيات الموارد، شيخ سبَّح شبح المعارف في فؤاده، فكساه روح التعبير، وزُمج رماح الحقائق في ميدان سرّه فحلاه بأشباح التصوير جميل، ولكن أسدل على جماله بُرقع الخفاء، ودليل من أمّه حصل له كمال الشفاء، كانت دعواته لا تُرد ومناقبه لا تُعد ذو القوس الموتور والحال المشهور الشيخ أحمد بن كسبه الحلبي مَن هو في حجر المجاهدات رُبي، كان إذا تكلَّم بالمعارف خلْته يغرف من بحر، وإذا نطق بالأسرار فكأنما ينطق بفرائض النحر، كان مشهده الحقيقة مع قيامه بالشريعة والطريقة، نفحته النفحة الصمدانية فاستخلصته منه إليه، وساقته عواصف نسمات الجذب حتى أقبلت به عليه، وما زال يعلو به المقام، ولم يطب له هنا المقام؛ لعلو همّته في الطلب؛ ولتحققه أن الإقامة ليست في الشام ولا حلب؛ ولأن العارف لا يتحقق كمال التحقق إلا بخروجه عن عالم الضيق، فصار يهمز جواد الاجتهاد إلى أن بُشّر باللقاء، فكان أحبُّ إليه من كل مراد، فأجابه إجابة صاد لشرب زلال الوصال، ولبّاه تلبية محقق أنه آن أوان وصل الوصال، وفصل المفصال .... له الفهم الحاذق الزكي حتى أن مطالعة الكتاب مرتين تضرّه.

كما عنه حكي: انتفع به عندنا جماعة في الشام، واعترفوا بفضله لما رأوا حاله على أكمل نظام، له الاتّباع الكامل للشريعة والأخلاق المحمّدية والنفس المطيعة، وصنّف كتبًا كثيرة ومزّقها؛ لعدم الإذن بإظهارها؛ لدقة رموزها وأسرارها. انظر: السيوف الحداد (ص283) بتحقيقنا.

الأجلى وأورده المورد الأحلى:

فتحنا القدسي لازم دركه أن ترم كشفًا عن السر المصون
وأحضر القلب لدى قراءته وأجر سحب العين شوقًا كالعيون
ثم راقب من تناجي خاضعاً وأظهرت وقت التناجي المسكون
ثم غب عن حملة الكون تكن حاضرًا في الحي والصحب يهون
وبنا تدنو إلى النهج القريب من الحب وترقى للفنون
وإذ زاح الغطاء بعد العطاء لاتهج فالسر جهرًا لا يكون
وانتشق عرف الحمى لكفي الظمأ بشراب دون نصف المنون
وأشهد المحبوب في الحر فقد عز أن تدرك ضياك العيون
ولأهل الله سلم ما استطعت وحسن فيهم منك الظنون
وصلاة الله ربي دائماً وسلام منه ما مالت غصون
وتحيات على طه الذي أن يقل للميت كن حيًا يكون
وعلى الآل وصحب من هم شرف الكون وهم خير القرون

وقلت أيضًا:

أوردوا بها العطاش إلينا واستقوا ما وردنا المعسول
فهو ورد من أم حماه وصف القلب منه بالمغسول

وقلت فيه:

ورد به يرد المشوق إلى حماه ويعود ريانًا بذاك المورد
ما إن تلاه من يدم كحلاً جلا إلا احتظى فيه بأول مورود

وكان قد سألني الولد الجناني الفائز بالقرب الجنابي المرحوم المغفور له الشيخ إسماعيل الحرستاني الداني بلغه الله منازل التهاني وأناله الأماني: أن أضع للورد خطبة مختصرة أدخل بها على ترجمة الورد التي كنت وضعتها سابقًا، فأجبته لذلك والله الموفق لما هنالك ولنشرع الآن في شرح الخطبة، ثم الترجمة ونتبعها بالكلام على الآيات والتوسلات

والميمية والصلوات النبوية والجيمية، ونختم بالكلام على الصلوات مستمدين من الله المعونة، وفتح المغاليق المصونة فإنه الهادي لا رب غيره، ولا خير إلا خيره.

قال المؤلف سامحه الله الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

**[الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَوْرَدَ مَنْ أَرَادَ المَقَامَ المَوْرُودَ وَخَصَّ أَهْلَ الأَوْرَادِ مِنَ العِبَادِ بِنَفَحَاتِ الجُودِ وَمَنَحَهُمْ مِنَ الْوَارِدَاتِ الإِلهيَّةِ مَا رَقَّاهم بِهِ إِلَى مَنَازِلِ السُّعُودِ أَحْمَدُهُ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ مِنْ مُلاَزَمَةِ الأَوْرَادِ مَعَ كَمَالِ الأَدَبِ وَالشُّهُودِ].**

**قال الشارح:**

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الباء متعلقة بمحذوف تقديره اقرأ أو ابتدئ، أو ألف أو ابتداءً.

وقال الإمام الأكبري - قدس الله سره - في «فتوحاته» في الباب المعقود لمعرفة أسرار الصلاة وعمومها ما معناه: وعندي أن البسملة متعلقة بالحمد لله فإن الله تعالى لا يحمد إلا بأسمائه وغير ذلك، ولا ينبغي أن يتكلف في القرآن محذوفًا إلا لضرورة، ولا ضرورة هنا، ثم قال: فإذا قال العارف: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، علق الباء بها في الحمد من معنى الفعل، كما قلت: لا أثني على الله تعالى إلا بأسمائه الحسنى، وأما قولهم إن: المصادر لا تعمل عمل الفعل إلا إذا تقدمت، وأما إذا تأخرت فيضعف عن العمل فعندي غير مرضي في التعليل؛ لأنه تحكم من النحوي، انتهى.

وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركًا بسم الله، وحذفت الألف لكثرة الاستعمال خطًا ولفظًا، ولم تحذف في اقرأ باسم لقلته، وإنما قال: باسم ولم يقل بالله؛ لأن التبرك والاستعانة بذكر اسمه، أو لئلا يلتبس بالقسم، وللاسم اشتقاقات من السمو وهو العلو، أو من السمة وهي العلامة، واشتقاقه على هذا من الوسم فيكون محذوف ألفًا، وعوض عنها بهمزة الوصل، أو من السمو فيكون محذوف اللام لكن الحذف من الآخر كثير، والتعويض في الأول قليل، وفي الحديث الشريف: «**كل أمر ذي بال**»[1] أي: ذي حال

(1) رواه ابن حبان (1/ 173).

وشأن يهتم به شرعًا لا يبدأ فيه باسم الله تعالى فهو أبتر، وفي رواية: بـ«بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع»، وفي رواية بالحمد لله فهو أجزم.

وفي رواية بذكر الله: ومعنى الأبتر والأقطع والأجزم ناقص البركة، والرواية الأخيرة أعم، والجمع أن: الابتداء حقيقي وعرفي، ويعتبر ممتدًا، فمن بسمل عند الأكل كان تقديره أكل؛ أي: بمعونته وإمداده، وكذا سائر الأفعال المباحة احترازًا عن المحرمة، وإن كانت الأفعال كلها بالله، لكن لا تنسب السيئة إليه أدبًا، قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: 79]، وفي الاسم ثمانية عشر لغة عدها الطبلاوي بقوله: في الاسم عشر لغات مع ثمانية بعد جدي شيخ الناس أكملها سم سمات سما واسم وزد سمة كذا سما بتثليث لأولها.

وقال في «المصباح المنير»: والاسم همزته همزة وصل وأصله سمو مثل حمل وأحمال، أو قفل وأقفال، وهو من السمو، وهو العلو والدليل عليه أنه يرد إلى أصله في التصغير وجمع التكسير، فيقال سُمي وأسماء، وعلى هذا فالناقص منه اللام وزن أفع والهمزة عوض عنها، وهو القياس أيضًا؛ لأنهم لو عوضوا في موضع المحذوف لكان المحذوف أولى بالإثبات، وذهب بعض الكوفيين إلى أن: أصله وسمٌ؛ لأنه من الوسم، وهو العلامة فحذفت الواو وهي فاء الكلمة وعوض عنها الهمزة، وعلى هذا فوزنه أعل، قالوا: وهذا ضعيف؛ لأنه لو كان كذلك لقيل في التصغير وسيم، وفي الجمع أوسام، ولأنك تقول سميته، ولو كان من السمة؛ لقلت: وسمته وسميته زيدًا، أو سميته بزيد جعلته اسمًا له وعلمًا له وتسمى هو كذلك.

وقال الثعالبي في «الحقائق»: حقيقة الاسم هو عبارة عن المعنى الذي بين وجود المسمى وبين صفته إن كان الاسم يدل على صفة.

واعلم: أن المعقولات أربعة: الاسم والمسمى، والتسمية حقيقة المسمى هي الذات الموضوع لها ذلك الاسم حقيقة المسمى هو الواضع لذلك الاسم حقيقة التسمية، جعل ذلك الاسم دليلاً على ذلك المعنى، انتهى.

وقال القسطلاني -رحمه الله تعالى- في «المواهب الدينية»: وهو -أي الاسم- كلمة وضعتها العرب بإزاء مسمى متى أطلقت فهم منها ذلك المسمى فعلى هذا لا بُدّ من

مراعاة أربعة أشياء: الاسم، والمسمى بفتح الميم الثانية، والمسمي بكسرها، والتسمية.

فالاسم: هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها، أو تخصيصها عن غيرها؛ كلفظ زيد، والمسمّى: هو الذات المقصود، وتمييزها بالاسم؛ كشخص زيد، والمسمي: هو الواضع لذلك الوضع، والتسمية: هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات، والوضع تخصيص لفظ بمعنى: إذا أطلق، أو أحس فهم ذلك المعنى واختلفوا، هل الاسم عين المسمى أو غيره؟ وهي مسألة طويلة تكلم الناس فيها قديمًا، وحديثًا، فذهب قوم إلى أن: الاسم غير المسمى واستدل لها عليه بقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1]، والتسبيح: إنما هو للرب جل وعلا، فدل على أن اسمه هو، هو، وأجيب بأنه: اشرب سبح معنى اذكر، فكأنه قال: اذكر اسم ربك لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان:25]، وقد اشرب معنى اذكر سبح عكس الأول، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ [آل عمران:41] أي: سبح والإشراب جار في لغتهم يشربون معنى، هل فعلاً؟ واستشكل على معنى كونه هو المسمى إضافته إليه فإنه يلزم منه إضافة الشيء إلى نفسه.

وأجيب بأن الاسم هنا بمعنى التسمية، والتسمية غير الاسم؛ لأن التسمية: هي اللفظ بالاسم، والاسم: هو اللازم للمسمى فتغايرا، واحتج من قال: إن الاسم عين المسمى أيضًا بقوله: ﴿يَٰغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [مريم:7] ثم قال: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:12]، فنادى الاسم فدل على أنه: المسمى وجوابه أن المعنى: يأيها الغلام الذي اسمه يحيى، ولو كان الاسم عين المسمى لكان من قال: النار احترق لسانه، ومن قال: العسل ذاق حلاوة، انتهى.

وقد جمع بعضهم بأنه إن أريد به اللفظ فغيره إجماعًا، وإن أريد به المدلول فعينه، انتهى.

ولم تكتب الألف في بسم؛ لكثرة الاستعمال، وطولت الباء عوضًا عنها.

قال الشنواني في «حاشية الأزهرية» التاسعة: أي: من الفوائد: الحكمة في أن الله تعالى جعل افتتاح كتابه بحرف الباء، واختارها على سائر الحروف لاسيما على الألف، وأثبت مكانة الباء، وقال: بسم الله لعشرة معان:

منها: إن في الألف ترفعًا وتكبرًا، وفي الباء انكسارًا وتواضعًا؛ فالألف لما تكبرت وضعها الله تعالى، والباء لما تواضعت رفعها الله تعالى؛ كما ورد في الحديث: «من تواضع لله رفعه الله»(1)، ومن تكبر وضعه الله.

ومنها: أن الباء حرف شفوي تفتح الشفة به ما لم تفتح بغيره من الحروف؛ لأن الميم وإن كان شفويًا لا تفتح الشفة به كما تفتح بالباء حسًا، وكان انفتاح فم الذرة الإنسانية في عهد الست بربكم بالباء في جواب بلي، فلما كان أول حرف نطق به الإنسان، وفتح به فمه، وكان مخصوصًا بهذه المعاني؛ اقتضت الحكمة الإلهية اختيارها من سائر الحروف فاختارها، ورفع قدرها، وأعلى شأنها، وأظهر برهانها، وأعز سلطانها، وجعلها مفتتح كتابه، ومبدأ كلامه وخطابه، وأعطاها رفعة الألف وقامته، وتقدمه على الحروف، وإقامته فحذف الألف في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ وطول باء؛ لإظهار تعظيمها وتفخيمها؛ أي: منحها مرتبة الألف، وأثبتها مكانه، وقرنها باسم ذاته وصفاته، وجعلها معدن كلامه، ومنبع كراماته مع بريته، انتهى.

وقال السلمي -قدس الله سره- في تفسير الباء: إشارة إلى أنه: بالله ظهرت الأشياء، وبه فنيت وبتجليه حسنت، وباستتاره قبحت، فمن كان بالحق خالصًا كان الحق له حقيقة، وقيل: الباء تشير إلى أبد العبودية على الظاهر، والباطن فتبدي على الظاهر اتباع الأوامر، والقيام على حدود الشروط على حد النشاط، وتبدي على الباطن الرضا بالموارد، والصبر على المحن، وقيل: إنه يشير في الباء إلى تصحيح البداية على السنة لتصحح له النهاية في الأحوال على الكشف والمشاهدة، انتهى.

وقال سيدي محيي الدين -قدس الله سره- أبد الآبدين في كتاب "الباء": وذلك أن الباء أول موجود، وهي في المرتبة الثانية من الوجود، وهو حرف شريف، فإنه العدل والحق الذي قامت به السموات والأرض وما بينهما، وأنه من شرفه وتمكنه من طريق مرتبته: أن افتتح لك الحق كتابه العزيز به، فقال: بسم الله فبدأ بالباء، وهكذا في كل سورة، ولما أراد الله سبحانه وتعالى: أن يترك سورة "براءة" بغير بسم الله ابتدأ فيها: بالباء، فقال ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 1] فبدأ بالباء دون غيرها من الحروف.

---

(1) رواه ابن أبي شيبة (7/ 120).

وكان شيخنا وإمامنا أبو مدين ﷺ يقول: «ما رأيت شيئًا إلا رأيت الباء عليه مكتوبة»، كأنه يقول كل شيء بي قام، فكانت الباء في إذا كل شيء.

وقيل للعارف الشبلي ﷺ: أنت الشبلي، فقال: «أنا النقطة التي تحت الباء»، يشير إلى أنه: كما تدل النقطة على الباء، وتميزها عن التاء، والثاء، وغير ذلك؛ كذلك أنا أدل على السبب الذي عنه وجدت، ومنه ولدت، وبه ظهرت وبه بطنت، انتهى.

وقال في الباب الثاني من «فتوحاته»:

الباء للعارف الشبلي معتبر ... وفي نقطتها للقلب مذكر

سرّ العبودية العلياء مازجها ... لذاك ناب مناب الحق فاعتبروا

أليس يحذف من بسم حقيقته ... لأنه بدل منه فذا وزر

ثم قال: اعلم أيها الولي: إن الباء من عالم الملك والشهادة، والقهر مخرجه من الشفتين عدده اثنان بسائطه الألف، والهمزة، واللام، والفاء، والهاء، والميم، والزاي له الفلك الأول، له الحركة المذكورة بتميز في صفاء الخاصة، وفي خاصة الخاصة له بداية الطريق، وغايته مرتبة السابعة سلطانه في الجماد طبعه الحرارة واليبوسة، عنصره النار يوجد عندما يشاكل طبعه، حركته ممتزجة له الحقائق، والمقامات، والمنازلات خالص كامل مربع مؤنس له الذات، ومن الحروف الألف والهمزة، ومن الأسماء ما تقدم، انتهى.

وقال في كتاب «العبادلة»: بالباء عرفه العارفون، وبزوالها صح لهم الدوام في المعرفة، وقال في كتاب «الإسراء»: خلعت نعلي بوادي العلى، وجئت بالباء لميعاد ذلك الشيخ إسماعيل بن سودكين تلميذه ذو القدر المكين في الشرح الذي تلقاه عنه قوله جئت بالباء يعني: بالله تعالى، والتحقيق عند شيخنا وإمامنا: أن الباء مقام العبودية؛ لكون الباء في المرتبة الثانية، وكذلك رتبة العبودية، انتهى.

وفي نفس النسخ قيل: الكتب المنزلة من السماء إلى الدنيا مائة وأربعة صحف شيث ستون، وصحف إبراهيم وهي ثلاثون، وصحف موسى قبل التوراة وهي عشرة، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، ومعاني الكتب مجموعة في القرآن، ومعاني كل القرآن مجموعة في الفاتحة، ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة، ومعاني البسملة مجموعة في بائها، ومعناها بي كان ما كان، وبي يكون ما يكون، وزاد بعضهم، ومعاني الباء في نقطتها،

انتهى.

قال سيدي عمر بن الفارض قدس الله سره:

ولو كنتَ بي مِن نُقطةِ الباء خَفضةً رُفِعتَ إلى ما لم تَنَلهُ بِحيلَةِ

فإن الخفض يقابل الرفع فمن خفض الطرق إلى ذل عبوديته رفعه إلى مشاهدة عز سيده، ورفعت ربوبيته، ولا ينال هذا الرفع بحيلة؛ لأنه بالوهب الإلهي ذي الآثار الجميلة، ومن تنزل ليرتفع فتنزله معلول مخفوض غير مرتفع، وقوله في الحديث القدسي: «فبي عرفوني»[1] أي: بمحمد ﷺ عرفوني؛ لأن عدد نبي بالجُمّل هو عدد اسم محمد ﷺ السيد الأكمل.

واعلم: أن الباء أول رتبة في العدد؛ لأن الواحد ليس بعدد على الأصح المعتمد؛ لأنك إذا ضربت واحدًا في واحد لا يظهر إلا واحد، وهو عدد بالنظر إلى نفسه؛ لأنك أول ما تعد الواحد، فما ثَمّ إلا الواحد، فإن كل عدد إذا قطعت النظر عما قبله كان أولاً فتعد منه، وإذا قطعت النظر عما بعده كان آخرًا، ورأيت وحدة الواحد ظاهرة في كل فرد من أفراد العدد بقطع النظر عما قبله، وما بعده باطنة بالنظر إليهما؛ ولما كان عن الباء ظهور العدد، وكان لها من هذه الحيثية ما لذات المحمود المحمد؛ فإن وجوده في ثاني رتبة، وعنه ومنه وبه ظهر كل ما ظهر وبطن كل ما بطن، وقد اجتمع وجود الباء من سبعة نقط؛ فنقطتها الأولى تشير للجمال، وهو: الرحمة التي سبقت الغضب، ونقطتها الأخيرة تشير للجلال، وهو القهر، والخمسة ما بينهما تشير إلى الروح الحسابي، والخيالي، والعقلي، والفكري، والقدس النبوي، فهذه الأرواح الخمسة البشرية النورانية بها تعرف أمثلة القرآن.

وتشير أيضًا: إلى أركان الدين الخمسة، وتشير من حيث مجموع نقطتها إلى الصفات السبع، والنقطة التي بأسفلها تشير إلى الصفة الوجودية، فهي ثمانية نقط، وتحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، فهي في الحقيقة حاملة عرش ربك الظهور العياني، والمنزل الفرقاني، وقد ظهر في أوائل ثمانية أسماء: بر، باقي، بديع، باريء، باعث، باسط، باطن، بصير، وهذا الحرف: هوائي ظلماني سفلي جمالي جسماني ناطق متواخي.

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (2/ 173).

قلنا في «الحِكم الإلهية»[1]: «العارفون بائيون، والجاهلون بائيون»؛ أي: إن العارف بالله تعالى يرى قيام الكل بالله؛ إذ هو القيوم على كل شيء؛ ولما كان الوجود على الحقيقة له تعالى، والأشياء وجودها منه وبه آب العارفون إلى شهود وجوده، وأن وجودهم عدم بالنظر إليهم وجود بالنسبة إليه؛ ولهذا قيل فيهم بائيون لتحققهم في سر الباء، وبحديث "بي يسمع، وبي يبصر"[2] ومعنى قولنا والجاهلون بائيون؛ أي: الجاهلون بربهم لحملهم بنفوسهم بائيون؛ أي: ينسبون الوجود لهم حقيقة، فيقول أحدهم: وجودي وروحي، وهو لهم من حيث المجاز، ودعوى الوجود عند أهل الشهود ذنب كبير لا يقاس به ذنب، ومشاهدة الدعوى الغفلة عن شهود الوجود الخفي، والالتهاء بالتكاثر الخلقي، ومعلوم أن الوجود المستفاد من الغير هالك والهالك لا يلتهي به السالك، سيما من زال عنه الاشتباه، وعلم أن الأمر كله لله، ومرجعه إلى الله، وقيامه بالله الله، وهذا الاسم الكريم علم الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد.

قال الثعالبي- رحمه الله تعالى- في كتابه «الحقائق»: حقيقة اسم الجلالة: اسم جامع لمعاني الذات والصفات والأفعال، وإن شئت قلت: اسم لموجود واجب الوجود، موصوف بالصفات نزه عن الآفات، لا شريك له في المخلوقات؛ فقولنا: اسم لموجود ردًا على الدهرية القائلين: بأن الأرحام تدفع والأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر؛ وقولنا: واجب الوجود ردًّا على من قال: إن الله جسم؛ لأنه إذا كان جسمًا يكون جائز الوجود؛ وقولنا: موصوف بالصفات ردًا على المعطلة النافين لصفات المعاني؛ وقولنا: منزه عن الآفات ردًا على من وصفه بها جل وعز عن النقص؛ وقولنا: لا شريك له في المخلوقات ردًا على القدرية القائلين: بأن العبد يخلق أفعاله الاختيارية أهلكهم الله تعالى، والاسم: عبارة عن المسمى عند أهل السنة والجماعة، انتهى.

وهل هو مشتق أو غير مشتق؟ وعلى كونه مشتقًا فأصله: إله فحذفت الهمزة، وعوض عنها الألف واللام، فقيل: الله، وقيل: هو من إله يأله إذا تحير إشارة إلى حيرة العقول أُولي الألباب فيه، وقيل: مشتق من لاه يليه لها إذا ارتفع إشارة إلى الرفعة، وإنه

---

(1) في (ص 125) بتحقيقنا، مع البيان والمزيد لسيدي أبي مدين ﷺ.

(2) رواه الحكيم في نوادر الأصول (1/ 265).

تعالى محجوب عن الأبصار، ومرتفع عن كل ما لا يليق به، أو من الهت إلى فلان، أي: سكنت إليه؛ لأن القلوب تطمئن بذكره، والأرواح تسكن إلى معرفته.

وقيل: أصله: لاها بالسريانية، فعرب بحذف الألف الأخيرة، وأدخل الألف واللام عليه، وأُدغمت اللام الأولى في الثانية، أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه، والعباد مولعون في التضرع إليه عند الشدائد، واستدل القائلون بعدم اعتقاد بأن أهل اللغة لم يتم فوافيه، بل لم يوجد في كلامهم استعمال لفظ الله قبل الشروع في صفته فضلاً عن غيره، فكانوا يكتبون: باسمك اللهم، وكان هذا أول ما كتبه النبي ﷺ، وجرى عليه ما شاء الله أن يجري، ثم نزلت بسم الله مجراها، فكتب بسم الله فجرى على ذلك ما شاء الله أن يجري، ثم نزلت: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء:110]، فكتب بسم الله الرحمن، وجرى على ذلك ما شاء الله أن يجري؛ ثم نزلت آية النمل فكتبها ﷺ.

قال سيدي عبد الكريم الجيلي -قدس الله سره- في «الإنسان الكامل»: وقد اختلف العلماء في هذا الاسم فمن قال: إنه جامد غير مشتق، وهو مذهبنا تسمى حق به قبل خلق المشتق، والمشتق منه، انتهى.

وقال في «القاموس»: إله الآلهة، والوهة والوهية عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة، واختلف فيه على عشرين قولاً ذكرتها في المباسط، وأصحها: أنه علم غير مشتق، وأصله: إله كفعاله بمعنى: ما لوه، وكل من اتخذ معبوداً إله عند متخذه بين الآلهة... إلخ.

قال القاضي رحمه الله تعالى: وتفخيم لامه إذا انفتح ما قبله، أو انضم منه، وقيل: مطلقًا وحذف ألفه لحن تفسد به الصلاة، ولا ينعقد به صريح اليمين، وقد جاء في ضرورة الشعر:

**ألا لا بـــــارك الله في ســـــهيل    إذا مـــا الله بـــارك في الـــرجال**

انتهى.

واعلم: لهذا الاسم الهيمنة على سائر الأسماء؛ إذ هو الجامع لها، ولا يختص بحضرة دون أخرى؛ بل هو متصرف سار ظاهر في جميع الحضرات والمراتب والشؤون والظاهر والأفعال، وحروفه الظاهرة أربعة؛ فتصرف كل حرف منها في قطر، وطبيعة، وعنصر، وركن، وهي: الحاملة للعرش؛ إذ عن ظاهرية كل حرف من ظهر ملك، وهم حملته الآن،

وسيظهر عن باطن كل حرف ملك أيضًا عند انتقال الأمر إلى الدار الآخرة فتصير الجملة ثمانية، والفصول أربعة، والمسبحون كذلك، والأشهر الحرم كذلك، والمجتمعة منها؛ كالمجتمع من حروفه، والمنفرد كالحرف المنفرد، ولهذا الاسم الكريم من المزايا ما لا يوجد لغيره منها، لا تخلو منه عبادة، ويقع في أولها، وآخرها، ولا يجمع ولا يثنّى.

ومنها: أن الإيمان لا يتم بدونه؛ لقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[1]، وهو مفتاح الصلاة، والأذان، وختامه وأول اسم أفتتح به الكتاب.

ومنها: أنه الاسم الأعظم ظاهرًا وباطنًا، وكاد أن ينعقد على هذا الإجماع.

ومنها: أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: «قل الله واجعل ما سواه خوض ولعب» إذ كان الاسم الجامع لسائر الأسماء الإلهية، وهي تنعت به، ولا ينعت بها، وإذا أزلت منه حرفًا أو حرفين أو ثلاثة لا يختل معناه، وليس هذا لغير من الأسماء، فإنك إذا أزلت منه حرف الألف بقي لله، وإذا أزلت منه اللام الأولى صار له، وإذا حذفت اللام الثانية بقي هو.

ومنها: إنه لم يسم به غير الله.

ومنها: إنهم حذفوا ياء من أوله، وزادوا ميمًا مشدودة في آخره، فقالوا: اللهم، ولم يفعل ذلك بغيره.

ومنها: إنهم ألزموا الألف واللام عوضًا عن همزته وقطعوها، فقالوا يا الله، وجمعوا بين ياء النداء والألف واللام، ولم يجمع بينهما إلا في ضرورة الشعر؛ كقوله:

**فيا الغلامان اللذان فرا ... إياكما أن تكسبانا شرًا**

ومنها: إدخالهم التاء عليه في القسم في قولهم: تالله لا أفعل، وقولهم: أيمن الله؛ لأفعلنّ، ويطلق على أي اسم كان بقرينة المقام، فإذا قال المريض: يا الله فمراده: يا شافي، وإذا قال التائب: يا الله فمراده: يا تواب.

ومنها: أن هذا الاسم المتعلق لا التخلق بخلاف غيره من الأسماء، وقال الإمام الشيخ أبو بكر الموصلي قدس الله سره: والمتعلق به سبعة شرائط: منها: استحقار ما سواه حالاً، وتعظيم أوامره كشفًا، وسقوط من أكوان شهودًا، والفناء في الجمع استغراقًا، وتعاني المهمة بالله أدبًا ومراقبة الأنفاس سرًا، وذكر الاسم الأعظم ظاهرًا وباطنًا إلى التاء

---

(1) رواه البخاري (2/ 507)، ومسلم (1/ 52).

له في الوله؛ أي: يشرق سره في وجوده، ووجوده في حقيقة شهوده لا يرى، ولا نحي ممن سواه، انتهى.

وقال الشيخ أحمد بن محمد الغزالي -قدس الله سره- في كتابه «التجريد في علم التوحيد»: كلمة الله أربعة أحرف حاصلها ثلاثة أحرف: ألف، ولام، وهاء.

فالألف: إشارة إلى قيام الحق بذاته، وانفراده عن مصنوعاته، فإن الألف لا تعلق له بغيره.

واللام: إشارة إلى أنه مالك جميع المخلوقات.

والهاء: هادي من في السموات، ومن في الأرض ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[1] [النور: 35]، وإن شئت أن تقول الألف: إشارة إلى تأليف بإسباغ النعم والرزق، واللام: إشارة إلى يوم الخلق بالإعراض عن الحق، والهاء: إشارة إلى هيمان أوليائه في المحبة، والعشق ألف التآلف للخلائق كلهم، واللام لام اللوم للمطرود، والهاء هاء متيم في حبه مستهزّ بالواحد المعبود.

وقال سيدي الشيخ السيد محيي الدين عبد القادر الجيلاني قدس الله سره: الله اسم الله الأعظم؛ وإنما يستجاب لك إذا قلت: يا الله وليس في قلبك غيره بسم الله من العارف؛ ككن من الله تعالى هذه كلمة تزيل الهم، وتكشف الغم، وتبطل اسم ابن آدم لأجلك خلق الجنة والنار، وبسبب معصيتك قال: (وإني لغفار) ألوهية الهوية الأحدية مغناطيس حديد قلوب العارفين، وحق اليقين نقطة دائرة التوحيد، والتوحيد: قاعدة بناء الوجود، والخرقة: عبارة عن تلهف من عرف وما انحرف، وعلى قدم الإخلاص وقف، واحرقتاه

(1) قال الشيخ روزبهان: وذلك النُّور في مشكاة القلب، وهو مصباح يزيد نوره بدُهن العقل في قنديل الفؤاد، يتلألأ من صورة الإنسان، ويبرز منها أنوار الربوبية، وذلك الدُّهن لا من شرق ملكوت الأرض، ولا من غرب ملكوت السماء، إنما هو يخرج من برق سنا شجرة قدس القدم، يكاد أن يضيء بنفسه قبل تجلي القدم؛ لأنه نور صدر من الفعل الخاص، ولو لم تمسسه نيران أنوار الكبرياء، لكن غلب نور القدم على نور الحدث، نور على نور وما وهب الحق ذلك النور إلا من اصطفاه الله بها اصطفى آدم ونوحًا وموسى وعيسى وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وزكريا ويحيى ومحمدًا- صلى الله عليهم أجمعين-يهدي الله لنوره من يشاء. فبان لك بهذا البيان الشافي سبب وجود الإنسان، وشرفه على جميع البرية. انظر: تقسيم الخواطر: (ص121) بتحقيقنا.

عليكم، كيف تموتون، وما عرفتم ربكم الشجاعة! صبر ساعة، انتهى.

وقال سيدي محيي الدين بن العربي -قدس الله سره- في كتاب «الجلالة»: واعلموا أنها تحتوي من الحروف على ستة أحرف، وهي أل لاه، وأربعة:

منها: ظاهرة في الرقم وهي ألف الأول، ولام الغيب، وهي المدغمة، ولام الشهادة، وهي المنطوق بها مشددة، وهاء الهوية، وأربعة:

منها: ظاهرة في اللفظ وهي ألف القدرة، ولام الشهادة، وألف الذات، وهاء الهوية، وحرف فيها لا ظاهر في اللفظ، ولا في الرقم لكنه مدلول عليه، وهو واو الهو في اللفظ، وواو الهوية في الرقم، وانحصرت حروفه؛ فاللام للعالم الأوسط، وهو البرزخ، وهو معقول، والهاء للغيب، والواو لعالم الشهادة؛ ولما كان الله هو الغيب المطلق، وكان فيه واو عالم الشهادة؛ لأنها شفوية، ولا يمكن ظهورها في الله، ولهذا لم تظهر في الرقم، ولا في اللفظ فكانت غيبًا في الغيب، وهذا هو غيب الغيب، ومن هنا صح صرف الحس على العقل، فإن الحس اليوم غيب في العقل، والعقل اليوم هو الظاهر، فإذا كان غدًا في الدار الآخرة كانت الدولة في الحضرة الإلهية، وكثيب الرؤية للحس، فنظرت إليه الأبصار؛ فكانت الغايات للإبصار، والبدايات للعقول، ولولا الغايات ما التفت أحد إلى البدايات فانظر ما هنا من الأسرار، وهو أن: الآخرة أشرف من الدنيا، قال الله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾، وقال: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى:17]، ثم أن الآخرة: لها البقاء والدنيا: لها الزوال والفناء، والديمومية أحسن وأشرف من الذهاب والفناء، ثم إن المعرفة ابتداؤها علم اليقين، وغايتها عين اليقين، وعين اليقين أشرف من علم اليقين، والعلم للعقل، والعين للبصر؛ فإن العقل إليه يسعى، ومن أجل العين ينظر فصار عالم الشهادة غيب الغيب؛ ولهذا ظهر في الدنيا من أجل الدائرة، فإنه ينعطف آخرها على أولها فصار عالم الشهادة مقيدًا بما يجب له من الإطلاق فلا يبصر البصر إلا من جهة، ولا تسمع الأذن إلا في قرب بخلافه إذا مشى حقيقة، وانطلق من هذا التقيد؛ كسماع سارية، ونظر عمر إليه من المدينة، وبلوغ الصوت، وما أشبه ذلك، وصار عالم الغيب هو عالم العقل، فإنه يأخذ عن الحس براهنه لما يريد العلم به، وصار عالم الشهادة المطلق غيبًا في الغيب، وله يسعى العقل ويخدم، وأطال في ذلك.

وقال تلميذه سيدي محمد القونوي -قدس الله سره- في «شرح الفاتحة»: والاسم الله إذا جمعت حروفه الظاهرة والباطنة كانت ستة على رأي شيخنا ؛ الألف واللامان، والألف الظاهرة في النطق لا في الخط، والهاء والواو الظاهرة بإشباع الضمة، فإذا أضيفت إلى هذه الستة الحقيقة التي يدل عليها هذا الاسم أعني: الألوهية التي هي عبارة عن نسبة تعلق الحق من حيث ذاته بالأسماء المتعلقة بالكون كانت سبعة فافهم، انتهى.

وقال شيخه -قدس الله سره- في الباب 559: قال الحلاج وإن لم يكن من أهل الاحتجاج بسم الله منك بمنزلة كن منها فمن تقوى جأشه واستدار عرشه فخذا التكوين عنه، فمن قوي جأشه وتمهد فراشه، قال: كن ولم يبسمل فكان، ولم يحوقل.

قال شارح هذا الباب الإمام الجيلي قدس الله سره: مبدئ الباب أشار إلى قوله ﷺ لشبح رآه من بعيد: كن زيدًا، وكان الشبح زيدًا أخي عمر بن الخطاب، كأن أرسله رسول الله ﷺ، وترقب وصوله، وحكايته مشهورة، والمراد: أن من كان متحققًا بربه روحًا وجسمًا صورة، ومعنى تكون له الأشياء بكلمة: كن؛ كما كان ذلك الشبح فصار زيدًا لرسول ﷺ، فقال: كن، ولم يقل بسم الله؛ لأن بسم الله مرتبة العارف، وكن مرتبة الله، انتهى.

ومعنى قول الشيخ قدس الله سره: وإن لم يكن من أهل الاحتجاج؛ أي: فإنه سكران، والسكران لا يحتج بكلامه، لكن إذا قبله أهل الصحو دل على صحته فيقبل، وإذا كان الحلاج مع أن سكره ناشئ عن ذوق وشرب وري لا يعول عليه، فكيف بالذي يتساكر قانعًا بمجرد النسبة، أو اللباس والزِّي، وهو خلي مما يدعيه ملئ بالدعاوى التي لا تجديه بتملح بكلام الغير، ويتملح في نفسه حسن السير، وإذا كان السكر من أهل الصدق غير مرضي؛ فصاحبه يقال فيه: إنه أرضى والحال أنه مقلوب بحاله مقهور بوارد جلاله، فما ظنك بمن لم يشم شمة من ذلك، ولا لاح لسلعة ضياء مما هنالك؛ فالواجب على من نصح نفسه أن يفر ممن هذا حاله فراره من الأسد إذ هجره هو الرأي الأسد، والساعد الأشد، ولا يصحب إلا من شهد له الحال والمقال والرجال؛ أنه من أهل الرسوخ في الإقامة والترحال.

واعلم: أن لهذا الاسم الكريم خواص عجيبة، وتأثيرات غريبة، قال أهل

الخواص: من داوم على ذكر هذا الاسم الشريف في خلوة مجردًا يقول الله الله حتى يقلب عليه منه حال شاهد عجائب الملكوت، ويقول بإذن الله للشيء كن فيكون، وهو ذكر الأكابر من الموحدين، وأرباب المقامات، وأهل الكشف التام، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91].

وذكر بعض العلماء الأعلام: أن من اسم الله في إناء مكرر بحسب ما يسع الإناء، ورش به وجه المصروع احترق شيطانه، قال: ولقد أمرت بذلك رجلاً كان له غلام يصرع منذ أربع وثلاثين سنة، وأعياه أمره؛ فاعتكف ثلاثة أيام، ورش به عليه فاحترق عارضه، ولم يعد إليه، وهو: اسم الكمال والتمام، وهو يذهب العلل كلها، ومن ذكره سبعين ألف مرة في موضع خال من الأصوات لا يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه إياه، وإن واظب على ذلك كان مجاب الدعوة، ومن دعا به على ظالم أخذ لوقته، ويكتبه بعدد حروف لسائر الأمراض، ويشفي به المريض؛ يعافى بإذن الله تعالى.

ومن قال كل يوم بعد صلاة الصبح: هو الله سبعًا وسبعين مرة؛ رأى بركتها في دينه ودنياه، وشاهد في نفسه أشياء عجيبة.

وقال الشيخ -قدس الله سره- في الباب ثلاثمائة أربعة وتسعين من «فتوحاته»: من أراد أن يتولى الله تعليمه شهودًا كما تولى أهل الله؛ كالخضر وغيره، فليترك جميع المعلومات، وجميع العالم من خاطره، ويجلس فارغ القلب مع الله بحضور ومراقبة وسكينة، وذكر إلهي باسم الله، الله ذكر قلب، ولا ينظر في دليل يوصله إلى علمه بالله، فإذا لزم الباب، وأدمن القرع بالذكر؛ وهب الرحمة التي يؤتيه الله من عنده؛ أعني: توقيفه، وإلهامه لما ذكرنا، قال الله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65] من الوجه الخاص الذي بينه، وبين الله، وهو لكل مخلوق؛ إذ يستحيل أن يكون للأسباب أثر في المسببات، فإن ذلك لسان الظاهر، انتهى.

وقال -قدس الله سره- في «مفتاح الجفر»: وفيه؛ أي: في الوفق المثلث سر بجلالة الله بطريق الاستخدام، وهلكها الموكل بها هلاك، وهو من أعزب الأوفاق، ومن أراد التعريف بهذا الاسم فليكون مع الرياضة في كل يوم عدده مضروبًا [71 في 34][1]؛ فيكون

(1) غير واضحة في الأصل.

المجموع 357؛ ثم يلازم ذلك أسبوعًا كاملاً، بيد أمر أول يوم أحد في الشهر المفرد كالمحرم، وربيع الأول، وجمادى الأولى، ورجب، ورمضان، وذي القعدة، والأولى في رجب، ويتلوا بعد هذا الاسم الشريف كل يوم يا سريع يا فتاح بعدد القوى التي في الاسمين فياء النداء، فافهم ترشد.

وهذه صورة الوقف المبارك [...][1]، ونقل بعض أهل الخواص عن فرد الخواص: أنه قال: تصوم لله تعالى ثلاثة أيام البيض، وتذكر الجلالة الشريفة أربعة آلاف وثلاثمائة وستة وخمسين، فإنك يأتيك في اليوم الثالث رجل قصير القامة، شيخ كبير السن، أبيض اللون، ويقول لك ماذا تريد يا أخي؟ فاطلب منه ما شئت فإنه يغيب عنك ساعة، ويأتيك به، انتهى.

ومن خواصه: أن من قرأه على حجر، ورمى به في البحر سكن هيجانه، ولم يغرق أحد في تلك السنة، ومن نقشه في نقشة في سفينة لم تغرق، ومن رسمه في وفق متخمس لم يعسر عليه أمرًا، خصوصًا إذا كان خالي الوسط، وبه تسهل الشدائد، وهذه صورته كما ترى [...][2]، وإذا كبر في وفق مربع، وحمله من به الحمى المطبقة ذهبت عنه للوقت، وبرئ من حينه، وهذه صنعته [...][3].

ومن وضع أعداد الجلالة الشريفة في مثلث، ويكون مفتاحه الثامن عشر، ومركزه الثالث والثلاثين، فيأتي على الصورة، وهذا المثلث سر عظيم في خلاص المسجونين والمأسورين، وإذا ضوعف وصار الاسم في مركز الوفق فمن حمله هابته الوحوش، ولم يجير عليه أحد، ولا يراه جني إلا فرّ هاربًا منه، هذه صورته [...][4]، ومن كتب حروف الجلالة هكذا: ال ل ه، ونظر إليها في يوم ستًا وستين مرة إلى تمام ست وستين يومًا، وهو يذكر الاسم الكريم لا يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه، ولا يقع عليه بصر جبار إلا ذُل له، وخضع، [...][5].

ولقد قال الأخ في الله تعالى الشيخ مصطفى بن عمرو -ختم الله له بالحسنى، وجاد

---

(1) جدول غير واضح في الأصل.

(2) جدول غير واضح في الأصل.

(3) جدول غير واضح في الأصل.

(4) جدول غير واضح في الأصل.

(5) جدول غير واضح في الأصل.

عليه بالارتقاء إلى المنزل الأسنى رأيت منقولاً: أن من قال سبع مرات: الله الله ربي لا أشرك به شيئا؛ غلب عدوه، وإذا قدم اسم الرب على اسم الجلالة غلب، ورأيت في كلام سيدي الشيخ الأكبر ما يؤيده، فما الموجب لهذه الغلبة.

قلت: إن اسم الرب داخل تحت حيطة اسم الجلالة وحقه التقديم، فإذا أخره الداعي عن مرتبته، وجعله في المرتبة الثانية؛ تأخرت إجابته عنه فغلب، وإذا جعله في مرتبته غلب، قال: إن عندي ورد لبعض العارفين، يقول فيه: «ربي الله»؛ فقلت له: إن مؤلفه لم يقصد إلا مجرد المناجاة، وهي تتأتى سواء قدم لفظ الجلالة أو أخر، والقرآن جاء بهما، فالأولى قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: 38] فمن كان مقصده، والثانية في قوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: 28]، فمن كان مقصده الخاصية لزمه: أن يقدم لفظ الجلالة، ومن قصد مجرد التوحيد، والمناجاة فلا يضره ذلك، وعبارة الشيخ الأكبر التي رآها مؤيدة هي قوله في «التراجم»: لا تقل ربي الله فتمكن أعداءك منك، ولكن قل الله ربي فيهم الاسم، فلا يصلونك، انتهى.

وسيأتي الكلام أيضًا على هذا الاسم عند قولنا في الورد، ويكررها التالي ستًا وستين مرة الرحمن وصف ثابت لله، لا يشاركه فيه غيره، وهو أبلغ من الرحيم؛ ولذا قدم عليه؛ لأن معناه: المنعم بجلائل النعم والرحيم بدقائقها، وقيل: الرحمن أبلغ من جهة غير البهيّة الرحيم، وقيل: معناها واحد، وهو اتحاد النعم جليلة، أو دقيقة، ويشهد له قوله ﷺ: «**يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما**»[1]، وهو خاص بحسب إطلاق لفظه صفة على الله سواء كان معرفًا، أو منكرًا،أو مضافًا؛ ولذلك لا يجوز التسمية به كلفظ الجلالة، ومن سم به؛ كقوله لا زلت رحمانًا ورحمن كل شيء.

قال القاضي رحمه الله تعالى: والرحمن أبلغ من الرحيم؛ لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى؛كما في قُطَعَ وقطَعَ، وكبار وكبار، وذلك إنما يؤخذ تارة باعتبار الكمية، وأخرى باعتبار الكيفية، فعلى الأول؛ قيل: يا رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا؛ لأن النعم الأخروية كلها أجسام، وأما النعم الدنيوية فجليلة، وحقيرة، وإنما قدم والقياس يقتضي الترقي من الأدنى إلى الأعلى؛ لتقدم رحمة الدنيا؛ ولأنه صار كالعلم من حيث إنه

(1) رواه الطبراني في الدعاء (3/ 134)، والبيهقي في الدعوات الكبير (1/ 194).

لا يوصف به غيره؛ لأن معناه: المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها، وذلك لا يصدق على غيره؛ لأن من عداه فهو مستفيض بلطفه، وإنعامه يريد به جزيل ثواب، أو جميل ثناء، أو يريح أنفة الخسة، أو حب المال عن القلب؛ ثم إنه كالواسطة في ذلك؛ لأن ذات النعم، ووجودها، والقدرة على إيصالها، والداعية الباعثة عليه، والتمكن من الانتفاع بها، والقوى التي يحصل بها الانتفاع إلى غير ذلك من خلقه تعالى لا يقدر عليها أحد غيره؛ أو لأن الرحمن لما دل على جلائل النعم، وأصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها، فيكون كالتتمة والرديف له، وللمحافظة على رؤوس الآي، والأظهر أنه غير مصروف، وإن منع حظر اختصاصه بالله تعالى؛ أن يكون له مؤنث على فَعلي أو فعلانة إلحاقًا له بما هو الغالب في بابه. وإنما خص التسمية بهذه الأسماء ليعلم العارف أنه المستحق؛ لأن يسمى به في مجامع الأمور، وهو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها، جليلها وحقيرها فيتوجه بشدائده إلى جناب القدس، ويتمسك بحبل التوفيق، ويشغل سره بذكره، والاستمداد به عن غيره، انتهى.

قال الجيلي -قدس الله سره- في «الإنسان الكامل»: اعلم أن الرحيم والرحمن اسمان مشتقان من الرحمة؛ ولكن الرحمن أعم، والرحيم أخص وأتم من الرحمن لظهور رحمته في سائر الموجودات، وخصوص الرحيم لاختصاص أهل السعادات به، فرحمة الرحمن قد تمزج بالنقمة مثلاً؛ كشرب الدواء الكريه الطعم والرائحة، فإنه ولو كان رحمة بالمريض فإن فيه ما لا يُلائِمُ الطبع، ورحمة الرحيم لا يُمازِجُها شوب، فهي محض النعمة، ولا توجد إلا عند أهل السعادات الكاملة، ومن الرحمة التي تحت اسمه الرحمن رحمه الله تعالى بأسمائه وصفاته بظهور آثارها، ومؤثراتها؛ فالرحيم في الرحمن كالعين في هيكل الإنسان، أحدهما: الأعز الأخص الرفيع.

والآخر: الشامل للجميع، ولهذا قيل: إن الرحيم لا تظهر رحمته بكمالها إلا في الآخرة؛ لأنها أوسع من الدنيا، ولأن كل نعيم في الدنيا فإنه لا بد أن يشوبه كدر، فهو من المجالي الرحمانية، وقد أوسعنا القول في هذين الاسمين في كتابنا المسمى: بـ«الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم»، فمن أراد معرفتها فلينظر هناك، انتهى[1].

---

(1) انظر: الإنسان الكامل (ص 75)، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

واعلم: أن هذا الاسم جامع لسائر الأسماء، ما عدا اسم الله تعالى، فإنه جامع له؛ لأنه اسم ظاهر في مرتبة الألوهية، والرحمن اسم ظاهر في مرتبة الرحمانية، والأولى أعم، والثانية أخص؛ إذ ليس لنا في هذه الخلقية إلا من حيث النسبة، فهي مختصة بالحقية لكن بالظهور، فما ظهرت المراتب الخلقية، فعمت رحمة الرحمانية لكن ضمنًا؛ وأما الألوهية فإنها تجمع الأحكام الحقية، والخلقية، فالرحمانية أعربت الألوهية لاختصاصها بالحق، فهي المظهر الأعظم، والمجلي الأعم، ويجتمعان في وقوعهما على الذات من غير تقييد بموجود دون غيره، أو صفة دون أخرى غير أن اسم الجلالة: عبارة عن الذات الصرف، واسم الرحمن: عبارة عن وجود الذات، والوجود صفة، ولكل اسم صفة، فكما أن لاسم الله صفة الألوهية، كذلك لاسم الرحمن صفة الرحمانية الأسمائية الآلوهية؛ لأنه المستوي على العرش من غير تشبيه، ولا تكييف، إذ العرش محل الاستواء الرحماني لا الذات، وقد اختلف في معنى الاستواء، فالسلف فوض والخلف أوّل.

وقالت الصوفية: الاستواء حاصل بالاسم الرحمن فإن العرش موطن الرحمة؛ لأنه وسع كل شيء، واستولت عليه الصفة الرحمانية؛ كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:156]، فكان الاستواء للاسم الرحمن، كما أن النزول إلى سماء الدنيا واقع بالاسم الرب، فالاستواء والنزول صفتان لهذين الاسمين، والمعنى حصول تجلٍ خاص بهما من حيث ظهورهما الخصوصي.

وقال سيدي محيي الدين -قدس سره- في «فتوحاته»: وصل في فصل صلة أولي الأرحام، وأن الرحم شجنة من الرحمن، فافهم رزقك الله الفهم عن الله لما كانت الرحم شجنة من الرحمن من وصلها أوصله الله بمن هي شجنة منه، ومن قطعها قطعه الله، كانت الصدقة على أُولي الأرحام صدقة وصلة بالرحمن، فهذه الصورة الآدمية خليفة، فمنزله يعطي أن يكون الخليفة ظاهرًا بصورة من استخلفه، فمن تصدق على نفسه بما فيه حياتها كانت له صدقة، وصلة بالله الذي الرحمن من نعوته، فإن الله خلق آدم على صورته على خلافهم في الضمير.

قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:1]؛ فوصف نفسه بالرحمن، وخرج الترمذي عن سلمة بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنان صدقة وصلة، وكلما قربت النسبة عظمت المنزلة**»[1]، هذا عند

(1) رواه الترمذي (3/ 46)، وابن حبان (8/ 133).

أصحابنا، والأمر عندنا ليس كذلك، فإنه كلما بعدت النسبة عظمت المنزلة؛ ولما في ذلك:

رأيـــــــت ربي بعـــــــين ربي فقلــــــت: ربي فقـــــال: أنـــــت[1]

فيتخيل بعض العارفين أن هذا البيت على النمط الأول، وليس كذلك فضمير المتكلم من هذا البيت عين العبد بربه لا بنفسه، فتدبر هذا النظم فإنه من أعجب المعارف الإلهية يحتوي على أسرار عظيمة وعلم كبير.

وقد سألت شيخنا الهمام الشيخ عبد الغني المقدام عن هذا البيت، وذكرت جوابه في رسالة «رفع الستر والرداء» عن معنى على هذه الصفة قول العارف: «أروم وقد طال المدا»، ومن خواص هذا الاسم على ما ذكره بعضهم أن من كتبه مكسرًا على هذه الصفة (ا ل ر ح م ن)، وكتب اسمه واسم من يريد مكسرًا بتكسير حروف الرحمن، وحمل ذلك معه أحبه الشخص حبًّا شديدًا.

وقال البوني -رحمه الله تعالى- في «شمس المعارف الكبرى»: هذا الاسم الشريف له مربع خمسة في خمسة يوضع بسر التداخل في شرف رجل، فصاحبه لا يزال يتقلب في رضوان الله تعالى، ولا يراه أحد إلا رق له، وتتوالى عليه النعم، ومن وضعه في ماء وسقى منه صاحب الخجج زالت عنه لوقتها، ومن أكثر من ذكره نظر الله تعالى إليه بعين الرحمة، ويصلح ذكرًا لمن كان اسمه عبد الرحمن، ومن واظب على ذكره كان ملطوفًا به في جميع أحواله، وأما مربعه فهو هذا المربع ففي «شمس المعارف الكبرى».

وروي عن الخضر عليه السلام أنه قال: من صلى عصر الجمعة واستقبل القبلة، وقال: يا الله يا رحمن إلى أن تغيب الشمس، وسأل الله تعالى شيئًا من أمور الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه.

وقال فيها أيضًا: فمن خواصه لعطف القلوب، وجلب كل مطلوب فمن أراد ذلك فليكتب اسم من يريد حروفًا مفرقة مكسرة، ثم تربطه مع اسمه الرحمن واجمع ذلك واكتب الجميع في رق، واتل الاسم عدد مساحة الوفق، واحمله يحصل المطلوب، وإذا كتب اسمه الرحمن بمسك وزعفران خمسين مرة، وحمله إنسان كان مبارك الطلعة مهابًا مقبولاً عند كل أحد، انتهى.

---

(1) البيت للإمام علي رضي الله عنه.

إلى غير ذلك من الفوائد التي بالمرادات عوائد الرحيم نعت لاسمه تعالى الرحمن لا لله، ودعوى أن التابع لا يتبع مردود نحو: جاء زيد وهند الظريفة قبل، وإنما أخر عن الرحمن؛ لأنه يوصف به غيره تعالى، فيقال: رجل رحيم، ورحيم القوم، والرحمن يوصف به.

فيقال: رحمن قومه، ولا يوصف به مفردًا إلا الله ﷻ فوسط الرحمن لذلك، وهو مشتق كالرحمن من الرحمة، وفيهما مبالغة لكن فِعْلان أبلغ من فَعيل، ويجوز في إعراب هذين الاسمين في غير القرآن رفعهما على القطع، ونصبهما على لغة يراعني، ونصب أحدهما ورفع الآخر وجر الأول ورفع الثاني، أو نصبه لا العكس؛ لأن الاتباع بعد القطع لا يجوز.

وقال سيدي محيي الدين -قدس الله سره- في الباب الخامس من «فتوحاته» الذي تكلم فيه على أسرار بسم الله الرحمن الرحيم: وبقي الكلام على نقطتي الرحيم مع ظهور الألف، فالليالي العشر الياء والنقطتان الشفع، والألف الوتر، والاسم بكليته الفجر، ومعناه الباطن الجبروتي، والليل إذا يسر هو الغيب الملكوتي، وترتيب النقطتين الواحدة مما يلي الميم، والثانية مما يلي الألف، فالميم وجود العالم الذي بعثه إليهم، والنقطة التي تليه أبو بكر ﷺ، والنقطة التي تلي الألف محمد ﷺ، وقد بقيت الياء عليهما؛ كالغار ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:40]، فإنه واقف مع صدقه، ومحمد ﷺ واقف مع الحق في الحال الذي هو عليه في ذلك فهو الحكيم نفعله يوم بدر في الدعاء، والإلحاح أبو بكر ﷺ، وغير ذلك صاح فإن الحكيم يوفي المواطن حقها، ولما لم يصح اجتماع صادقين معًا كذلك لم يقم أبو بكر في حال النبي ﷺ، وثبت مع صدقه به، فلوقفة النبي ﷺ في ذلك الموطن، وحضره أبو بكر لمقام في ذلك المقام الذي أقيم فيه رسول الله ﷺ؛ لأنه ليس ثم أعلى منه فيحجبه عن ذلك؛ فهو صادق ذلك الوقت وحكيمه وما سواه تحت حكمه، فلما نظرت نقطة أبي بكر إلى الطالبين أسف عليه، فأظهر الشدة وعلمت الصدق.

وقال: لا تحزن إن أسمعتنا لأثر ذلك الأسف: إن الله معنا، كما أخبرتنا وإن جعل منازع، أن محمدًا هو القائل: لم يبال لما كان مقامه ﷺ بجمع والتفرقة معًا، وعلم من أبي بكر الأسف، ونظر إليه فتأيد وتقوى، وعلم أن أمره مستمر إلى يوم القيامة.

فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، وهذا أشرف مقام ينتهي إليه، فقدم الله عليه ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله شهود بكري، ووراثة محمدية، وخاطب الناس بمن عرف نفسه عرف ربه، وقوله فيما يخبر عن ربه تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[الشعراء:62]، والمقالة عندنا إنما كانت لأبي بكر ﷺ، ويزيدنا قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلاً غير ربي؛ لاتخذت أبا بكر خليلاً**»[1]، فالنبي ﷺ ليس بمصاحب، وبعضهم بعض، وهم له أنصار وأعوان، فافهم تهدى إلى سواء السبيل، انتهى.

ومن خواص هذا الاسم على ما نقله البوني رحمه الله تعالى: أن من كتبه في ورقة إحدى وعشرين مرة، وعلق على صاحب الصراع أزال عنه ذلك، وإذا كتبت في كف مصروع، وتكلم به في أذن المصروع سبع مرات أفاق من ساعته.

وقال في «شمس المعارف الوسطى»: اسمه تعالى الرحمن الرحيم هما اسمان جليلان عظيمان، والذكر بهما شريف للمضطرين، وأمان للخائفين فمن نقشهما يوم الجمعة آخر ساعة من النهار في خاتم وتختم به، فإنه لا يرى ما يكرهه أبدًا، ومن أكثر من ذكرهما كان ملطوفًا به في جميع الأمور.

وأما الكلام على البسملة من حيث المجموع، فقد اختلف، هل هي مع معمولها جملة إنشائية أم خبرية؟

فصحح قوم الثاني، وقوم الأول، وعليه المعول، وجاء في فضلها أحاديث كثيرة، فمن ذلك قوله ﷺ: «**إذا قال العبد: بسم الله الرحمن الرحيم، قالت الجنة: لبيك وسعديك، اللهم إن عبدك فلان قال بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم زحزحه عن النار وأدخله الجنة**»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «**أن عثمان بن عفان ﷺ سأل رسول الله ﷺ عن بسم الله الرحمن الرحيم؛ فقال: هو اسم من أسماء الله تعالى، وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين، وبياضها من القرب**»[3]، وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي

---

(1) ذكره المتقي الهندي في الكنز (11/ 551).

(2) رواه ابن حبان (3/ 293)، والترمذي (4/ 699) بنحويه.

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 437) بنحويه.

في «عمل اليوم والليلة»، والحاكم في «المستدرك» عن ابن المليح، واسمه عامر.

وقيل: زيد بن أسامة بن عمير عن أبيه ﷺ: «قال: كنت رديف النبي ﷺ فعثر بعير، فقلت: تعس الشيطان، فقال لي النبي ﷺ: لا تقل تعس الشيطان، فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت، ويقول: بقوتي صرعته ولكن قل: بسم الله فإنه يصغر حتى يصير مثل الذباب»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «من قال بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم صرف الله عنه سبعين بابًا من البلاء؛ أولها: الهم والغم واللمم»[2].

وعن ابن مسعود ﷺ: «من أراد أن ينجيه الله تعالى من الزبانية التسعة عشر؛ فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فإنها تسعة عشر حرفًا، فيجعل كل حرف منها صفة من واحد منهم»[3] قال الله تعالى ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: 26].

قال محمد بن مسلم الزهري: هي بسم الله الرحمن الرحيم.

وعنه ﷺ: «من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجودها تعظيمًا لله غفر له»[4].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ: «أنه نظر إلى رجل يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال له: جودها فإن رجل جودها؛ فغفر له»[5].

وروي: أن أول ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ: بسم الله الرحمن الرحيم، وعنه ﷺ: «مفتاح القرآن التسمية».

وروى ابن أبي الدنيا بسنده عن بشر بن منصور قال: ذهبت مع محمد بن المنكدر، نعود وهيب بن الورد، قال: فوضع يده عليه، ثم قال: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ثم قال: «لو قالها صادق على جبل لزال».

ونقل القشيري ﷺ في ترجمة منصور بن عمار: أن سبب توبته أنه وجد في الطريق

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك (4/ 324).

(2) رواه ابن شاهين في فضائل الأعمال (ص380).

(3) ذكره القرطبي في تفسيره (1/ 92).

(4) ذكره ابن حجر في لسان الميزان (4/ 299).

(5) ذكره القرطبي في تفسيره (1/ 91).

رقعة مكتوبًا عليها بسم الله الرحمن الرحيم، فرفعها فلم يجد لها موضعًا فأكلها، فرأى في المنام كأن قائلاً يقول له: فتح الله عليك باب الحكمة باحترامك لتلك الرقعة.

ومن فضائلها أن الوضوء لا يتم إلا بها؛ لقوله ﷺ على ما أخرجه أبو داود: «**لا وضوء لمن لا يسمي الله**»[1].

وقال الحسن ؓ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: 46]، يعني: بسم الله الرحمن الرحيم.

وقال أبو القاسم الجنيد ؓ في بسم الله: هيبته، والرحمن: عزته، وفي الرحيم: مودته.

وقال الشيخ ؓ في الباب الخامس من «فتوحاته»: في معنى «**إن صلحت أمتي فلها يوم وإن فسدت فلها نصف يوم**»[2] أي: من أيام الرب، وهو ألف سنة بخلاف أيام الله، فإنها أكبر فلكًا؛ أي: فإنه خمسون ألف سنة، ثم قال: واعلم: أن صلاح هذه الأمة بنظرها إلى نبيها ﷺ، وفسادها بإعراضها عنه، وقد صلحت ولله الحمد، وقد نظرنا في بسم الله الرحمن الرحيم، فرأيناها متضمنة ألف علامة للساعة كل علامة لا تحصل إلا بعد انقضاء حول، ولا بد من حصول تلك العلامات قبل قيام الساعة، فلا بد من كمال ألف لنظام شرع هذه الأمة، وأطال في ذلك، وقال في موضع آخر منها عند ذكر المتصرفين.

ومنهم: من يعطي ذلك كله، أي: خرق العوائد، والانفعالات في بسم الله وحده، فيقوم له ذلك مقام الأسماء كلها، وتنزل من هذا العبد منزلة كن، وهي آية من فاتحة الكتاب، ومن هناك يفعل لا من بسملة سائر السور، وما عند الناس من ذلك خبر، والبسملة التي تنفعل عندها الكائنات على الإطلاق هي بسملة الفاتحة، فأما بسملة سائر السور فهي لأمور خاصة، ولقد لقينا فاطمة بنت بن مثنى، وكانت من أكابر الصالحين تتصرف في العالم، ويظهر عنها من خرق العوائد بفاتحة الكتاب، خاصة كل شيء رأيت ذلك منها، وكانت تتخيل: أن ذلك يعرفه كل أحد، وكانت تقول لي: «أتعجب ممن يعتاض عليه شيء، وعنده فاتحة الكتاب لأي شيء لا يراها فيكون له ما يريد ما هذا إلا حرمان بين، وخذ منها وانتفعت بها»، انتهى.

---

(1) رواه البيهقي في الكبرى (1/ 41).

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (3/ 547).

وقال في «مفتاح الجفر» عند الكلام على حرف الباء: والبسملة آية من كل سورة، وفيها سر الاستخدام للملك مهد بأل، وكل أكابر السادة ﷺ كانت لهم رد، أو هي من خصائص الأمة المحمدية، وخلوتها تسعة عشر يومًا، ومن فاته في هذا الفن – سر بسم الله الرحمن الرحيم- لا يطمع آن يفتح عليه بشيء، ولأنها الباب المفتوح والسر الممنوح، وفضائلها جمة تعلمها سائر الأمة.

وتتلو في الخلوة تسعة عشر ألفًا، ومن تصرف بها نال الكمال المطلق، والسر المحقق، وأتى بالأحوال الخارقة، والمقامات الصادقة بحيث إن تخضع له الملوك فما دونها، والسباع الجوارح، وكل ذات أذى من الحشرات، وكان من المتصرفين، بسر بسم الله الرحمن الرحيم تصريفًا تامًا الشيخ أبو يعزى ﷺ.

واعلم: أن منزلة بسم الله الرحمن الرحيم من العارف بمنزلة كن من البارئ جل وعلا، وهي السر الأكبر والياقوت الأحمر، وكم تصرف العارفون، وكم ألف في فضلها العالمون، وليس لنا أن نكشف الأسرار إلا للأخيار، فافهم السر العظيم يا بن الحكيم أنت الصديق، فمن أفادك هذا التحقيق.

وقال -قدس الله سره المنير- في «التفسير»: ومنها، أي: ومن الأمور اللازمة لمن يريد أن يتكلم على القرآن أن يعلم؛ أن الفصل بين كل سورتين بالبسملة، هو قولك بسم الله الرحمن الرحيم، وأن لكل سورة اسمًا إلهيًا خاصًا يتضمنه بسم الله الرحمن الرحيم؛ كالاسم الفتاح لفاتحة الكتاب، والاسم الواحد بالحاء لسورة آل عمران، والاسم الواحد لسورة البقرة، وأمثال ذلك مما تنفرد به تلك السور لا مما تشترك فيه مع غيرها؛ ولذلك وضعت البسملة في أوائل السور؛ ليعلم أن الاسم الذي تتضمنه البسملة، إنما هو للسورة التي تبتدأ بعد البسملة قرأتها؛ ولذلك ورد الخبر أن المصلي «**إذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم، يقول الله: ذكرني عبدي**»[1]، وإنما يذكر المذكور باسمه حتى يعرف.

وقال في قوله: ﴿**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ يقول الله: «**حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يقول الله: أثنى عليَّ عبدي**»[2]، ومعلوم أن في البسملة الرحمن

---

(1) رواه البيهقي في الكبرى (2/ 39) والطبراني في الأوسط (9/ 82).

(2) رواه مسلم (1/ 296).

الرحيم، وما قال الله في قراءة العبد إياها أثنى عليَّ عبدي، وإنما قال: ذكرني عبدي، فعلمنا أنه يريد الاسم والرحمن الرحيم من الأسماء المركبة؛ كبعلبك ورام هرمز، فكما أن القرآن عبارة عن مائة سورة، واثنتي عشر سورة؛ لذلك اقترن باسمه به مائة اسم إلهي، واثني عشر اسما؛ لأن لكل سورة بسملة؛ ولهذا كانت الأنفال والتوبة سورة واحدة، وإنما كان في البسملة الرحمن الرحيم بعد الاسم الجامع، ليعلم أن الرحمة وسعت كل شيء؛ لأن القرآن وسع كل شيء.

فإنه قال فيه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:38]، فكل شيء مذكور فيه إما بالإجمال، وإما بالتعيين فمن عرف القرآن عرف منازله من كل قارئ، سواء كان المتكلم به الله نفسه، أو على لسان عبده، ومن عرف آيات القرآن عرف إعجازه، فإن إعجازه هو موضع الأدلة، ومن عرف كلماته عرف الوجود، فإن كلمات الله لا تنفد، والوجود دائم باقٍ، ومن عرف حروفه عرف أصل وجود الكلمات وأسرارها، وعرف المفردات، وهو من خصائص علم الأفراد من رجال الله؛ كالخضر وأمثاله.

ثم قال: إن بسملة الفاتحة للرحمة الجامعة؛ لأنها لأم الكتاب، واللام جامعة؛ ولهذا قيل لها الرأس؛ لأن الرأس جامع لجميع القوى الحسية والمعنوية فرحمة بسملة الفاتحة جامعة بالقصد الخاص؛ لأنها شملت المستقيمين والحائدين، والمغضوب عليهم، فمن هؤلاء من تناله الرحمة من طريق الوجوب، ومنهم من يجوزها من طريق الامتنان، وهم الجم الغفير؛ فتكون رحمة بسملتها مع التي في نفس السورة رحمة الامتنان، ومن لم يجعل البسملة من الفاتحة لم يبق له إلا رحمة الوجوب، فتكون مخصوصة بأهل الاستقامة، وهو القصب العام المشهور عند علماء الرسوم، وقد ورد الترغيب في من فصل بسم الله الرحمن الرحيم مع الحمد لله رب العالمين في نفس واحد تنبيهًا من الرسول ﷺ على أن القصد رحمة الامتنان فتعم من طرفي اللام، ولكن بأحوال مختلفة يعلم ذلك أهل الجمع والوجود. انتهى.

وقد اختلف العلماء والقراء فيها، هل هي آية من الفاتحة فقط أو من كل سورة سوى براءة فيكره الابتداء بها؟ وإلى الأول ذهب أهل مكة والكوفة ومن وافقهم، وإلى الثاني ذهب جم غفير وهو الصحيح من مذهب الإمام الشافعي، ويجهر بها في صلاة

الجهر، ومدعيًا على الصحيح إنها تسن بعد التعوذ في أول كل ركعة لآية السورتين، وهي آية فاصلة وتقرأ سرًا في صلاة الجهر.

وقيل: ليست بآية، ولا بعض آية من الفاتحة ولا من الفاتحة غيرها، وإنما كتبت للتيمن والتبرك، وهو الصحيح من مذهب الإمام مالك ومن وافقه، وتكره قراءتها عنده في صلاة الفرض لا في النفل مع إجماعهم أنها بعض آية من النمل، وبعضها آية من الفاتحة، وليست من القرآن أول براءة لنزولها بالقتال الذي لا تناسبه البسملة في سورة النمل للرحمة والرفق.

قال الشاطبي رحمه الله تعالى: ومهما تصلها أو بدأت براءة لتنزيلها بالسيف لست مبسملاً، ولا بد منها في ابتدائك سورة سواها، وفي الأجزاء خير من تلا.

وقال الشيخ عبد الرحمن العليمي الحنبلي في تفسيره: وأما مذاهب القراء فيها فقد أجمع القراء على اثنان: البسملة أول الفاتحة سواء وصلت بسورة الناس أو ابتدأ بها، واختلفوا فيها؛ فأما ابن كثير وعاصم والكسائي فإنهم يفتقدونها آية من الفاتحة، ومن كل سورة وافقهم حمزة على الفاتحة فقط، وصح عن نافع أنه قال: أشهد أنها من السبع المثاني، وأن الله تعالى أنزلها.

وقيل: إن أبا عمرو وقالون، ومن تابع الثاني: من قرأ المدينة لا يفتقدونها آية من الفاتحة، ولم يرض ابن الجوزي هذا القول.... الخ.

وفي معنى كونها مفتاح الجنة: حكى الشيخ أحمد الغزالي رحمه الله تعالى- عن صالح المزني قال: كنت في بعض أسفاري دخلت مدينة فاجتزت بمؤدب الصبيان، وهو يضرب صبيًا فسألته عنه، فقال لي: هذا اليوم أمرته أن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، وهو يأبى أن يقولها، فقلت: دعني وإياه، فتقدمت إليه، وقلت: يا بني هلا قلتها فإنها آية من الفاتحة، وهي مفتاح الجنة؟ فقال: يا صالح أخاف أن تكون مفتاح خروج روحي من بدني، يا صالح ألست الذي يقتل الناس بقراءتك؟ فقلت: بلى، قال: أما في القرآن آية تقتلك فتريح المحبين منك، فاستولى عليَّ الدهش من أمره، فقلت: حبيبي من وراء حجاب قلبي لا جرم حرم أن تسرق في حواشيه أنوار هذا الاسم، فقال: يا صالح سألتك بالله الكريم إلا قرأت لي شيئًا من كلامه لأسمع، فليس لي لسان يتجاسر أن يتلفظ بشيء

منه، قال صالح: فافتتحت في القراءة: ببسم الله الرحمن الرحيم، فصاح الغلام صيحة عظيمة، وقال: هذا اسم إن تركته قتلني، وإن قلته قتلني؛ ثم خر ميتًا، فسألت عنه من أبوه، فقالوا هذا من ولد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فلم أر ذلك غريبًا، إن الأصول عليها تنبت الشجر، انتهى.

أما خواصها فعند الشمس البوني- رحمه الله تعالى- في ذلك رسالة قال فيها: إذا تلاها الشخص عدد حروفها سبعمائة وسبعة وثمانين مرة مدة سبعة أيام على أي شيء كان من جلب نفع، أو دفع ضرر، أو بضاعة خاف أن تكسد فإنها تربح ربحًا عظيمًا، وإذا تليت بهذا العدد على قدح ماء، وسقي للبليد أزال ما به من البلادة، وحفظ كل شيء سمعه بإذن الله تعالى، وإذا تليت في أُذن مصروع إحدى وأربعين مرة؛ أفاق من ساعته، وإذا تليت عند النوم إحدى وعشرين مرة؛ أمن تلك الليلة من الشيطان، وبيته من السرقة، وأمن من موت الفجأة، وهي تدفع لكل بلاء وإذا كتب ب من البسملة عشرين مرة، وتليت عليها البسملة، مائة مرة وأضفت إليها هذه الأحرف (س لا م ع ل ي ن و ح ف ي ا ل ع ال م ي ن) وسقيتها للملسوع؛ أفاق وعافاه الله تعالى، ورأيت بخط والدي- رحمه الله تعالى.

فائدة: عزاها للإمام أبي الحسن الشاذلي ﷺ، وهي: من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم اثنا عشر ألف مرة فك رقبته من النار، واستجيبت دعوته.

وعن بعضهم قال: من كانت له حاجة إلى الله تعالى؛ فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم اثنا عشر ألف مرة، ويصلي بعد كل ألف ركعتين، ويصلي على النبي ﷺ، ويسأل الله حاجته، ويعود إلى القراءة، وكلما أكمل ألفًا؛ فقال كذلك إلى أن يتم الاثني عشر ألفًا فإنها تقضي كائنة ما كانت.

ونقل الشعراني ﷺ في «طبقاته» في ترجمة الشيخ أبي المواهب الشاذلي ﷺ أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: قل عند النوم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمسًا، بسم الله الرحمن الرحيم خمسًا، ثم قل: اللهم بحق محمد أرني وجه محمد ﷺ حالاً ومآلاً فإنك إذا قلتها عند النوم، فإني آتي إليك، ولا أتخلف عنك أصلا ثم قال: وما أحسنها من رقية، ومن معنى لمن آمن به هذا منقول من لفظه رضي الله عنه[1]، انتهى.

(1) في الطبقات الكبرى (1/ 294).

ومن فوائد الشيخ علي الأجهوري المالكي لقضاء الحوائج أن تقول وأنت متوجه إلى حاجتك عشر مرات: اللهم أنت لها، ولكل حاجة فاقضها بفضل بسم الله الرحمن الرحيم (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها).

وعن خالد بن الوليد ﷺ: أنه حاصر قومًا من الكفار في حصن لهم، فقالوا له: إنك تزعم أن دين الإسلام حق فأرنا آية لنسلم، فقال لهم: احملوا إليَّ السُّم القاتل فأتوه بكأس منه فأخذه، وهم يشاهدون ذلك، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، وشربه وقام سالمًا، فقالوا: هذا دين حق فأسلموا جميعًا، انتهى.

**(الحمد لله)**

الحمد: هو الثناء على الجميل من جهة التعظيم من نعمة أو غيرها، وهو على خمسة أقسام: قوليّ، وفعليّ، وحاليّ، ولغويّ، وعرفيّ.

فالأول: حمد اللسان، وثناء وعلى الحق بما أثنى به على نفسه مخبرًا بذلك على لسان أنبيائه، والثاني: هو الإتيان بالأعمال البدنية ابتغاء مرضات الله تعالى، والثالث: هو الذي تلون عن اتصاف الروح والقلب بالأوصاف الإلهية، والرابع: هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم، والتبجيل باللسان وحده، والخامس: فعل ينبي عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا أعم من أن يكون فعل اللسان، أو الأركان، وهو أعم من الشكر؛ لأنه الثناء بجميل الصفات الذاتية، والشكر: هو الثناء بالأنعام؛ ولذا يقال: حمدت فلانًا على علمه، ولا يقال: شكرته على شجاعته، فكل شكر حمد، ولا عكس، ويؤيده قوله ﷺ: «**الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده**»[1]، والشكر اللغوي هو: الوصف الجميل على جهة التعظيم، والتبجيل على النعمة من اللسان، والجنان، والأركان، والعرفي هو: صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه إلى ما خلق لأجله، فمورد الحمد اللغوي خاص إذ هو باللسان، ومتعلقه عام إذ هو في مقابلة نعمة، والحمد العرفي بالعكس، ففي فعل اللسان في مقابلة النعمة حمد لغوي، وعرفي، وشكر لغوي، وفي فعله لا في مقابلة حمد لغوي، وفي فعل الجنان، والأركان في مقابلة النعمة حمد عرفي، وشكر لغوي، وهو متوقف على خمسة أمور محمود به ومحمود عليه، وحامد ومحمود وصيغة.

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (6/ 75).

قال في «المصباح»: حمدته على صفاته الجميلة وأفعاله الاختيارية التي ليست خلقه، كما يقال: حمدته على شجاعته وإحسانه حمدًا أثنيت عليه، ومن هنا كان الحمد غير الشكر؛ لأنه يستعمل الصفة في الشخص، وفيه معنى التعجب، ويكون فيه معنى التعظيم للممدوح، وخضوع للمادح؛ كقول المبتلي الحمد لله؛ إذ ليس هنا شيء من نعم الدنيا، ويكون في مقابلة إحسان يصل إلى الحامد، وأما الشكر فلا يكون إلا في مقابلة ضيع، فلا يقال شكرته على شجاعته، وقيل: غير ذلك (الَّذي)اسم موصول (أَوْرَدَ ) أي: أحضر في حضرته الخاصة.

قال في «القاموس»: وأَوْرَدَه أَحْضَرَه المورِدَ كاسْتَوْرَدَهُ (مَنْ أَرَادَ) أي: اختار واجتبى في سابق علمه(الْمُقَامَ): بضم الميم؛ أي: المقر والمجلس، وهو مقعد الصدق في المرتبة العندية، ويجوز الفتح، وهما بمعنى (الْمَوْرُودَ) أي: المقصود لأهله والمشهود لطلاب نهله، (وَخَصَّ) وعين التخصيص ضد التعميم، قال في «القاموس»: خَصَّهُ بالشيء، أي: فضله اخْتَصَّه بالشيء خصه به فاختص، وتخصص لازم ومتعد، انتهى.

(أَهْلَ) الأهل من كل شيء خاصته (الأَوْرَادِ) جمع ورد، قال في «تهذيب الصحاح»: والورد الجزء، انتهى.

ومعناه في الاصطلاح: مجموع أذكار، وأدعية وضعت بعض مناجاة الحق سبحانه وتعالى، والابتهال إليه، والتضرع بين يديه عملاً بحق العبودية، وقيامًا بنواميس الربوبية فإن الفقر والاحتياج شأن العبد، ويقتضيان الطلب، ويستعين بتلاوتها الطالب على قهر النفس والهوى الغالب، فإن أمداد الأوراد وافرة، وإسعافها بنيل المراد سافرة، وسبب تنويع الأوراد للمريدين أن النفس من شأنها الشرود، والذكر له صولة على القلب، واستيلاء للقرآن يقود، فتجد النفس بذلك شدة وكربة فبالأوراد تزول بعض غضنها المكدرة من صاجها شربه، وتختلف الثمرات لاختلاف المشارب، واستعداد الذائق، والمرتوي الشارب فترى الورد من أوراد أهل المعارج، ومتنوع الثمار، والنتائج بحسب صدق التوجه، وقوته وضعفه من القاصد، ومتعد دائرة الواضع له الزارع والحاصد.

فلكل وَارِدٌ وِرْدٍ وِرْدٌ يخصه، وشرب صاف يسقيه مكرعًا، ولجناح سره يقصه، فعادت بهذه المشارب مختلفة، وإن كانت بحسب الينبوع مؤتلفه، وأنشأ العارفون

أورادهم، وارشفوا منها ورادهم، ورأوا بعين الفهم الوقاد: أن ما وضعوه أقرب في الرشاد والإرشاد؛ ولهذا حرصوا على ملازمتها، وضمنوا الفتح للمستقيم على تلاوتها لم يستعملوا في جميع ما يفاض عليهم مخيلة في نكره؛ بل يتلقون من تلك الإلهام، ويكثرون للملهم حمدًا وشكرًا، وعلامة المأذون له في الكلام أن تكسى كلماته طلاوةٌ وحلاوةٌ، وغير المأذون تنفر من كلامه الطباع وبمتجه الإسماع حال التلاوة، فإن قال قائل: أليس الدعاء بالوارد أبلغ في رفع الاستعداد؟

قلنا: وهو كذلك بدون إنكار لكن القوم، وإن تكلموا فمن أذنه، وأمره ينطقون، أو من حيث الإمداد يتكلمون يأخذون عنه، فيعلمون ويكلمون ويَفهمون ويُفهمون، فبنوره يهتدون، وبهديه يسيرون فيسعدون، وإذا كان للغير بالنجم يهتدي فما بالك بمن بشمس الشموس يقتدي، فإن قيل: نرى بعض الطائفة، تكلفوا السجع في أحزابهم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك.

قلنا: نعم، ورد النهي عن تكلفه وتقصده، فإذا ورد بدونهما فلا ملام، كما ورد عنه ﷺ في قوله: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وعمل لا يرفع، ودعاء لا يسمع**»[1]، وفي رواية «**اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع**»[2].

وقوله ﷺ: «**اللهم اجعلني شكورًا، واجعلني صبورًا، واجعلني في عيني صغيرًا، وفي أعين الناس كبيرًا**»[3].

وقوله: «**اللهم اغنني بالعلم، وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى، وجملني بالعافية**»[4].

وقوله: «**اللهم إني أعوذ بك من خليل ماكر عيناه تريانى، وقلبه يرعاني إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أذاعها**»[5] إلى غير ذلك مما ورد عن زين الممالك ﷺ، فعلم بهذا أن

---

(1) رواه مسلم (4/ 2088)، وابن حبان (1/ 283).

(2) رواه مسلم (4/ 2088)، الترمذي (5/ 519).

(3) ذكره السيوطي في الجامع الكبير (1/ 5109).

(4) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (6/ 149- 41/ 238).

(5) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (6/ 205).

المراد: عدم التكليف، فإذا جرى على اللسان فلا ملام عليه إذ لم يكن الأمر في توفرها إليه.

قال سيدي أحمد زروق قدس الله سره ما لمعت بروق في شرح «حزب البحر»:

وبالجملة فأحزاب المشايخ صفةُ حالهم، ونكتةُ مقالهم، وميراثُ علومهم وأعمالهم، وبذلك جروا في كلِّ أمورهم لا بالهوى، فلذلك قُبِلَ كلامهم، ولا بما جاء بعدهم من أراد محاولة ذلك بنفسه لنفسه، فعاد ما توجه به عليه بعكسه، وما هو إلا كما يحكى: أن النحلة علَّمت الزنبور طريق النسج، فنسج على منوالها، وصنع بيتًا على مثالها، ثم ادَّعى أن له من الفضيلة ما لها، فقالت له: هذا البيت، وأين وإنما السر في السكان لا في المنزل.

فأحزاب أهل الكمال ممزوجة بأحوالهم، مؤيدة بعلومهم، مسددة بإلهامهم مصحوبة بكراماتهم، حتى قال الشيخ أبو الحسن – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – في شأن «حزبه الكبير»: من قرأه كان له ما لنا، وعليه ما علينا.

قال سيدي أبو عبد الله محمد بن عباد رحمه الله تعالى: يعني له ما لنا من الحرمة، وعليه ما علينا من الرحمة.

قلت: والذي يظهر من قوة الكلام: أن ذلك إثبات في حوزة الشيخ، ودائرته مما هو أعم من الرحمة والحرمة، وهذا جار في كل أحزاب الشيخ وجميع طريقته؛ لأنه إذا كان الإيمان بطريقتهم ولاية، فكيف بالدخول فيها بأوفى جزء؟

نعم، ولا يستعمل ذلك إلا بعد المحبة لهم، «**ومن أحب قومًا حشر معهم**»[1]، كما قاله عليه الصلاة والسلام، وقال أيضًا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – للرجل الذي سأله عن القوم، ولما يلحق بهم: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»[2].

ويرحم الله الشيخ أبا عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم، حيث قال: اللهم إنا نتوسل إليك بحبهم؛ فإنهم أحبوك، وما أحبوك حتى أحببتهم، فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك، ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بحظنا منك؛ فتمم لنا ذلك حتى نلقاك.

وأنشدوا في ذلك:

لِي سَادَةٌ مِنْ عِزِّهِم ... أَقْدامُهُم فَوقَ الجِبَاهِ

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (3/ 19)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (19/ 379).

(2) رواه البخاري (3/ 1349)، ومسلم (4/ 2032).

إنْ لم أكُــــنْ مِــــنهم فَــــلِي  فِي ذِكْــــرِهم عِــــزٌّ وجَــــاه[1]

وسبب وضع الأشياخ الأحزاب، والأوراد تشويق المريد إلى طلب المريد، وهو الله تعالى المراد والقصد الأعظم، جمع الخلق على الحق، وترقيهم إلى منزلة الصدق، وعملاً بقوله ﷺ: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجرهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»**[2].

وقوله ﷺ: **«لئن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت»**[3]؛ ولهذا بذلوا جهودهم في الدعوة إلى الله تعالى بكل ما أمكن سرًا وإعلانًا، وركضت خيولهم في ذلك المقام لما وجدت ميدانًا، وتجردوا لمحاربة النفوس بعد ما أدرعوا، وشكوا السلاح وتلونوا لها ألوانًا، والحرب خدعة رغبة في الفلاح، وأنشقوها نشوقًا معطرًا؛ ليترقوا بها فلها أطلسًا هو من كمال العارف أن ينصبغ بحيلة أهل زمانه، ويتلون كالماء بلون إنائه تنزلاً؛ لينهض بهم إلى درجة عرفانه لا لحظ نفساني، أو لحظ شيطاني؛ إذ قد خلصهم الحق من ذلك، واستخلفهم مزيد الكون، وظلامه الحالك.

وقد قيل: آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة، أي: النفسانية، ويظهر فيهم حب الرئاسة العرفانية؛ ولذا قيل: قال الأكبري معنى تخرج: تظهر، فإن ظهور الرئاسة العرفانية للخلق يوجب لهم الإقبال عليهم، وهو يستلزم المدد، والتقريب من حضرات القريب لا عن قصد فاسد، أو رأي كاسد من مدح، أو ذم؛ إذ قد استوى عندهم ما المدح وخشية الذم، لكن لما تحتم عليهم النصح والإرشاد، ورأوا بدون ميل القلوب إليهم يعسر حصول المراد، فاستمالوا القلوب والأرواح، وسعوا في تآلف الأشباح، ومما استمالوا به الطلاب وضع الأوراد والأحزاب؛ وحيث كانت الأعمال بالنيات، والمدار على ما تحتوي عليه الطويات، فلا ملام، ولا اعتراض للتخلص من الأغراض، والشفاء من الأمراض الموجبة للانقباض، ومما يتحتم على الساري في مدارج القوم الراجي يقظة

(1) انظر: شرح حزب البحر للشيخ زروق (ص32) بتحقيقنا.

(2) رواه مسلم (4/ 2060).

(3) رواه الطبراني في الكبير (7/ 315).

وتنبها من النوم أن يؤول ما أشكل عليه من كلماتهم، ويظن فيهم الخير، ولا يبادر إلى الإنكار بما أبهم عليه من عباراتهم، فإن الشريعة المطهرة بحرها ممتد واسع وبرها منتشر الأرجاء شاسع، أي: واسع.

نقل عن الإمام محيي الدين النووي ﷺ أنه قال: ينبغي للإنسان إذا وجد في كلام أخيه إشكالاً أن يطرقه سبعين احتمالاً، فإذا لم تقنع نفسه بذلك، فليرجع عليها بالملامة، ويقول لها: قد احتمل كلام أخيك كذا كذا من الاحتمالات فلمَ لم تقبليه، أو ما معناه؟ أو فليسلم فإن التسليم أسلم، والاعتراف بالقصور أحكم، وأنشدوا:

وإذا كنت بالمناظر غرًا ... ثم أبصرت حاذقًا لا تمارِ

وإذا لم تر الهلال فسلم ... لأناس رأوه بالأبصارِ

وإلا فليسأل العارف باصطلاحهم، والشارح في منهج سراحهم.

واعلم: أن يلزم كل من عين على نفسه وردًا، أو عين له أن يلازم على تلاوته؛ كالأوراد، أو فعله؛ كالصلاة والصوم، وغيرهما ولا يتركه ما أمكنه إلا من عذر شرعي، سيما من بايع شيخه على ملازمة ذلك الورد، فهذا يلزمه قضاء ما فاته من الأوراد الليلية نهارًا، والنهار ليلاً.

وكان سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ يقول: ما قطع مريد ورده يومًا إلا قطع عنه الإمداد في ذلك اليوم، فإن طريق القوم تحقيق وتصديق وعمل وتنزه وغض بصر، وطهارة يد وفرج ولسان، فإن خالف شيئًا من أفعالها رفضته، ولو كرها.

وقال سيدي أبو طالب المكي قدس الله سره: ومداومة الأوراد من أخلاق المؤمنين، وطريق العارفين، وهي بريد الإيمان، وعلامة الإيقان.

ومن كلام سيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ قدس الله سره: ورد المحققين رد النفس بالحق عن الباطل في عموم الأوقات، وفي رواية أخرى عنه: ورد المحققين إسقاطًا لهوى، ومحبة المولى أبت المحبة أن تستعمل محبًا لغير أحبابه.

وأنشد سيدي محمد بن عراق- رحمه الله تعالى:

كلٌّ له وِردٌ يكون وسيلة ... لمعاشه ومعاذه ومعاده

وجعلت وردي في الخروج عن السوى ... وأكون مع مولاي تحت مراده

وقال سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ في «حكمه»: «**لا يستحقر الوِرْدَ إلا جَهُولٌ**»[1] وقال: **الواردُ يوجدُ في الدارِ الآخرَةِ، والوِرْدُ ينطوي بانطواءِ هذهِ الدارِ وأولى ما يعتنِي بـه مـا لا يُخْلِـفُ وجـودُهُ الوردُ هو طالِبُهُ منك والواردُ أنتَ تطلبُهُ منه، وأينَ ما هو طالبُهُ منك مما هو مَطْلَبُكَ منه؟**»، انتهى.

قالوا: رد نتيجة الورد؛ ولذا قالوا: من لا ورد له لا وارد له، ومن كثرت أوراده كثرت وارداته، ومن كثرت وظائفه كثرت لطائفه، وكثرتها تبنى عن علو الهمة، والرغبة في رفع الحجب المدلهمة، وتدل على المحبة، فإن من أحب شيئًا أكثر من ذكره، ومن تحقق بتوالي نعم المنعم عليه ازداد في حمده وشكره.

و(**مِنَ العِبَادِ**) بكسر العين جمع: عبد، وهو: ما يقابل السيد، ومقام العبودية أشرف المقامات الإنسانية، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: 1]، فلم يذكر النبوة والرسالة؛ لأن هذا الوصف أشرف، وفي الحديث الشريف« **أنا عبد لا آكل**

---

(1) قال الشيخ ابن عجيبة: الورد في اللغة هو الشرب قال تعالى: ﴿بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: 98]، وفي الاصطلاح: ما يرتبه العبد على نفسه أو الشيخ على تلميذه من الأذكار والعبادات.

والوارد في اللغة هو الطارق والقادم يقال: ورد علينا فلان، أي: قدم، وفي الاصطلاح: ما يتحف الحق تعالى قلوب أوليائه من النفحات الإلهية فيكسبه قوة محركة، وربما يدهشه أو يغيبه عن حسه ولا يكون إلا بغتة، ولا يدوم على صاحبه.

ثم إن الورد ينقسم على ثلاثة أقسام: ورد العباد والزهاد من المجتهدين، وورد أهل السلوك من السائرين، وورد أهل الوصول من العارفين.

فأما ورد المجتهدين؛ فهو استغراق الأوقات في أنواع العبادات وعبادتهم بين ذكر ودعاء وصلاة وصيام، وقد ذكر في الإحياء والقوت أوراد النهار وأوراد الليل وعيّن لكل وقت وردًا معلومًا.

وأما ورد السائرين؛ فهو الخروج من الشواغل والشواغب وترك العلائق والعوائق وتطهير القلوب من المساوئ والعيوب وتحليتها بالفضائل بعد تخليتها من الرذائل وعبادتهم ذكر واحد وهو ما يعينه له الشيخ لا يزيد عليه مع جمع القلب وحضوره مع الرب.

وأما ورد الواصلين فهو إسقاط الهوى ومحبة المولى وعبادتهم فكرة أو نظرة مع العكوف في الحضرة فكل من أقامه مولاه في ورد فليلتزمه ولا يتعدى طوره ولا يستحقر غيره إذ العارف لا يستحقر شيئًا بل بصير مع كل واحد في مقامه، ويقرر كل شيء في محله فلا يستحقر الورد، ويطلب الوارد إلا جهول أو معاند، وكيف يستحقر الورد وبه يكون الورود على الملك المعبود؟.

متكئًا إنما آكل كما تأكل العبيد»[1] واختار لما خير أن يكون عبدًا رسولاً، وقال: «قولوا عبد الله ورسوله»[2]، وقال تعالى: ﴿وإنه لما قام عبد الله يدعوه﴾؛ أي: النبي ﷺ.

قال الإمام القشيري رضي الله عنه في «الرسالة»: قال أبو علي الدقاق رضي الله عنه: ليس شيء أشرف من العبودية، ولا اسم أتم للمؤمن من هذا الوصف، وقال سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق- رحمه الله تعالى- يقول: العبودية أتم من العبادة؛ فالأول: عبادة، ثم عبوديته، ثم عبودة، فالعبادة للعوام والعبودية للخواص، والعبودة لخواص الخواص، ثم قال: وسمعته يقول: العبادة لمن له علم اليقين، والعبودية لمن له عين اليقين، والعبودة لمن له حق اليقين، وسمعته يقول: العبادة لأصحاب المجاهدات، والعبودية لأرباب المكابدات، والعبودة صفة أهل المشاهدات، فمن كم يزجر نفسه فهو: صاحب عبادة، ومن لم يضن بقلبه فهو: صاحب عبودية، ومن لم يتحل بروحه فهو: صاحب عبودة، انتهى.

واعلم أن العبودية هي: الفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، وهي: الظل الملازم والبد اللازم، فمن جهل عبوديته كان من الخاسرين، ومن تحقق فيها كان من الغابرين، ولا سيادة مع شهودها، فمن رأى له سيادة على شيء في وقت ما؛ فهو غافل في تلك الحالة عن عبوديته، والعبيد على أقسام عبيد أجور، وعبيد دهور، وعبيد شهوات، وعبيد هوى، وعبيد سوى، وعبيد إخلاص، وعبيد اختصاص، وعبيد إحسان، وعبيد رحمن، وعبيد اسم أو أسماء، وعبيد اسم الذات مجامع الأسماء، وكلما تعلق العبد في مقام العبودية، وتحقق ترقي لمقام الرجولية فتخلق، وهذا مقام الوارث الذي لآخرته حارس، ولأرض قلبه حارث، وصاحبه عزيز، وهو أعز تساقط عليه رطب الأسرار الجنية بدون هذه، وأنشد القاضي عياض - أسكنه الله أفسح الرياض:

وممـــا زادني عجبـــًا وتـــيهًا    وكـــدت بأخمصي أطـــأ الـــثريا
دخـولي تحـت قـولك: يـا عـبادي    وإن صــيرت أحمـــد لي نبـــيا

وقال الآخر:

وهـان علـيَّ اللـوم في جـنب حـبها    وقـــول الأعـــادي إنـــني لخلـــيع

(1) ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (4/ 109).

(2) رواه الدارمي (2/ 412).

أم إذا نوديت باسم وإنني إذا قيل لي يا عبدها لسميع

وأنشد الآخر -عفا الله عنه:

ومنذ عرفت الحب ما ذقت غيرها وفيها مذاق الصبر عندي كالشهد

وحسبي إذا لقبوني بعبدها علوًّا وهذا غاية الحظ والسَّعد

وقال السيوطي -رحمه الله تعالى- في شرح «عقود الجمان»: وعبد في الأصل وصف غلبت عليه الاسمية، وله عشرون جمعًا، نظم ابن مالك منها إحدى عشر في بيتين، واستدرك عليه الباقي في آخرين، فقال ابن مالك رحمه الله تعالى: عباد عبيد جمع عبد، وأعبد أعابد معبوذًا معبدة عبد، كذلك عبدان وعبدان أثبتاه كذاك العبد، أو امدد إن شئت أن تمد.

وقلت: وقد زيد أعباد عبود عبدة، وحقق بفتح، والعبدان تشد، وأعبدة عبدون، ثمت بعدها عبيدون معبوذًا بعض فخذ تشد، انتهى.

(بِنَفَحَاتٍ) جمع: نفحة، وهي: العطية يقال: نفح فلان بكذا، أي: أعطاه، وفي «المختار» نفح الطيب: فاح، وله نفحة طيبة، ونفحت الناقة: ضربت برجلها، ونفحت الريح: هبت، قال الأصمعي: ما كان من الرياح نفح، فهو برد، وما كان نفح فهو حر، وقد سبق، وباب الثلاثة: قطع، ونفحة من العذاب قطعة منه، انتهى.

وفي الحديث الشريف: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدًا»[1].

(الْجُودِ) والنفحات الجودية، وهي: الواصلة لا عن طلب واستحقاق؛ بل محض فضل من الكريم الخلاق، ولما جادوا بالأرواح، وتركوا لذائذ الأشباح جازاه بم للجود بالجود مع أن جودهم به من غير جحود، ومن ترك لله شيئًا عوضه الله خيرًا منه، ورزقه قوة الهبة على الطالب تعينه، (وَمَنَحَهُمْ) أي: أعطاهم، قال في «القاموس»: مَنَحَه كَمَنَعَه، وضَرَبَه، أعْطَاهُ، والاسم المِنْحَةُ، انتهى.

(مِنَ الْوَارِدَاتِ) جمع: وارد، قال الإمام القشيري ﷺ: والوارد ما يرد على القلوب

(1) رواه الطبراني في الكبير (19/ 233).

من الخواطر المحمودة مما لا يكون من قبيل الخواطر فهو أيضًا وارد، ثم يكون وارد من الحق، ووارد من العلم، فالواردات أعم من الخواطر؛ لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب، وما يتضمن معناه، والواردات تكون عن وارد قبض وبسط إلى غير ذلك من المعاني، انتهى.

وقال ابن عطاء الله في «حكمه»: منح العطاء من عدله، وحكمه محل ما يكون الواردات الإلهية إلا بغتة صيانة أن يدعيها العتاد بوجود الاستعداد، ثم قال: الوارد يأتي من حضرة قهار؛ لأجل ذلك لا يصادمه شيء إلا دمغه، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، ثم قال: لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن انبسطت أنوارها، وأودعت أسرارها فلك في الله غناء عن كل شيء، وليس يغنيك عنه شيء، انتهى.

وقد سئل سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني -قدس الله سره- عن صفات الواردات الإلهية، والطوارق الشيطانية فقال: الوارد الإلهي لا يأتي استدعاء، ولا يذهب بسبب، ولا يأتي على نمط واحد، ولا في وقت واحد، والطارق الشيطاني بخلاف ذلك، انتهى.

(الإلهيَّة) هي المنسوبة للإله الموصوف بالألوهية التي شأنها إعطاء كل ذي حق حقه، وحيث كانت الواردات نتائج الأوراد فهي مقدمات لها فمن كانت أوراده ربانية، أو رحمانية كانت وارداته كذلك، والإلهية أعلى، فكلما ارتقت الأوراد وصفت من الشوائب ارتقت الواردات أيضًا وفاضت بالعجائب والغرائب، وكم من حاضر في الأوراد وهو غائب ليس له نصيب في عوائد فوائد تلك الكتائب، وكم من غائب حاضر له قسم وافر من موارد هاتيك الأطائب، فإن قلت: أما هم القوم الذي لا يشقى جليسهم، ولا تطرقه النوائب؟ قلنا: نعم، لا يشقى، ولكنه لما غاب قلبًا لم يشق من لبن مددهم الخاص الرائب (مَا رَقَّاهم بِهِ) أي: علا مراتبهم لديه بسبب تلك الواردات التي تورد صاحبها المقصود وتدنيه (إِلَى مَنَازِلِ السُّعُودِ) جمع منزل، قال في «المختار»: والنزل بفتحتين، والمنزل المنهل، والدار، والمنزلة أيضًا المرتبة لا تجمع، واستنزل فلان، أي: حط عن مرتبته، والمُنْزَل بضم الميم، وفتح الزاي الإنزال، تقول: أنزلني مُنْزَلاً مباركًا، والمَنْزِل بفتح الميم، والزاي النزول، وهو الحلول، يقول: نَزَل ينزل نُزُولاً ومَنْزَلاً، وأنزله غيره، واستنزله بمعنى، ونزله تنزيلاً،

والتنزيل النزول في مهله... إلخ.

والمنازل تضاف للكواكب السيارة، فيقال منازل الشمس، ومنازل القمر، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:40، 41]، وهي ثمانية وعشرون منزلة؛ أربعة عشر فوق الأرض، ومثلها تحتها، فإذا غربت إحداها طلعت الخامسة عشر، وقد قابل كل منزلة حرفًا من الحروف، ولم يعد أهل هذا الفن الفلكي اللام ألف حرفًا لتركيبه، وهو معدود شرعًا، والمنقول من الحروف يقابل الظاهر على وجه الأرض حال غروب الرابعة عشر، وطلوع الخامسة عشر؛ لأن المنقوط خمسة عشر، والغير المنقوط منازل سعودات، والمنقوط نحوسات؛ فذو النقطة أقرب إلى السعود، وذو النقطتين أبعد، وذو الثلاث في أوج طبقات النحوسات.

وقد خلقها الله تعالى أشكالاً مختلفات لا يشبه أحدها الآخر، وهي متفرقة إلى اثني عشر برجًا، والبروج منها الثابت، والمنقلب، ولا إله إلا الله اثنا عشر حرفًا، والإثبات ثابت، والنفي منقلب فاستمد كل برج من حرف، وأمد البرج ما اختص به من المنازل، وأمدت المنازل ما حل بها من الكواكب، وأمدت الكواكب ما تعلق بها من العناصر، وأمد كل عنصر جزءه، فاستقام نظام العالم العلوي والسفلي بمدد أشعة أنوار حروف لا إله إلا الله؛ ثم قرن بحروفها حروف محمد رسول الله، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور:35] وعن هذا النور الثاني، وجدت الكائنات حتى الدقائق والثواني؛ فانضم إلى كل حرف، حرف يرشف عطفًا، وازداد المد حرفًا وحرفًا عظمًا ونطقًا فانتظم نظام الأفلاك، وانتبهت لملاحظته السعود عيون سائر الأملاك، ومن غريب الاتفاق أن حروف أسماء الخلفاء الأربعة ﷺ اثنا عشر حرفًا، فإذا قال الداعي: اللهم إني أسألك بسر لا إله إلا الله، وبحرمة محمد رسول الله، وبأبي بكر الصديق، وبعمر بن الخطاب، وبعثمان بن عفان، وبعلي بن أبي طالب عم النبي، أن تقضي حاجتي قضيت حاجته، وفي إضافة المنازل إلى السعود تبشير، وإشارة إلى الارتقاء المسعود، قال في «القاموس»: وسُعودُ النُّجوم: عَشَرةٌ: سَعْدُ بُلَعَ، وسَعْدُ الأَخْبِيَةِ، وسَعْدُ الذابحِ، وسَعْدُ السُّعودِ، وهذهِ الأَرْبَعَةُ من مَنازِلِ القَمَرِ، وسَعْدُ ناشِرَةَ، وسَعْدُ المَلِكِ، وسَعْدُ البِهامِ، وسَعْدُ الهُمامِ، وسَعْدُ البارِعِ، وسَعْدُ مَطَرٍ، وهذه

السُّتَّةُ ليستْ من المَنازِلِ، كلٌّ منها كوْكَبانِ بينهما في المَنْظَرِ نحوُ ذِراعٍ، انتهى.

والمراد بمنازل السعود: مراتب السعد الناشئ عن حضرة التقريب الإلهي، والفيض العلي الكلي (أَحْمَدُهُ) سبحانه وتعالى؛ أي: أثني عليه الثناء اللائق بجنابة علمه؛ أي: (عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ) الفضل والفضيلة، كما قال في «المختار» ضد النقص والنقيصة والإفضال والإحسان، ورجل مفضال، وامرأة مفضالة على قومها إذا كانت ذات فضل وسمحة، وأفضل عليه، وتفضل بمعنى، والمتفضل أيضًا الذي يدعي الفضل على أقرانه، ومنه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: 24]، إلى آخره به على عبده من نعمه التي لا تحصى عدًّا، ولا يحاط بها حدًّا، ولا سيما ما تفضل به (مِنْ مُلَازَمَةِ) قال في «تهذيب الصحاح»: لزمت الشيء ألزمه لزومًا، ولزمت به ولازمته، وإلزام الملازم، وألزمته الشيء فالتزمه والالتزام وألزمه إياه فالتزمه، وهو لزمه الاعتناق، انتهى.

وقال في «القاموس»: لَزِمَه، كَسَمِعَ، لَزْماً ولُزوماً ولِزاماً ولِزامَةً ولُزْمَةً ولُزْماناً، بضمهما، ولازَمَه مُلازَمَةً ولِزاماً والتَزَمَه وأَلْزَمَه إياهُ فالْتَزَمه، وهو لُزَمَةٌ، كهُمَزَةٍ، أي إذا لَزِمَ شيئاً لا يُفارِقه، وككِتابٍ الموتُ، والحِسابُ. انتهى.

وقال السيد في تعريفاته: الملازمة لغةً: امتناع انفكاك الشيء عن الشيء، واللزوم والتلازم بمعناه، واصطلاحًا: كون الحكم مقتضيًا للآخر على معنى أن الحكم بحيث لو وقع يقتضي وقوع حكم آخر اقتضاء ضروريًا؛ كالدخان للنار في النهار، والنار للدخان في الليل، انتهى.

وللملازمة أثر ظاهر؛ فإن الأمر كما قال: ذو القلب الطاهر أطلب، ولا تضجر من يطلب؛ فإنه الطالب إن يضجرا أما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا، والقلوب الغافلة عن المحبوب أقسى من الصخر، فإنها أظلمت بالغفلة، وقنعت بسفساف الأخلاق دون مكارمها الموجبة للفخر، فالملازمة باب الفتوح، وبها يكون العبد ممنوحًا للريحان والروح، وهي: قرينة الاستقامة إذ هي عليها علامة، وقد أنشدني المجذوب المطروب الشيخ أحمد النحلاوي أذاقه الله حلاوة الصحو الذي ما له مساوي وهو:

من لازم المحراب لا بد أن يرى سراجين وقادين بأربع فتائل

وفي صورة المذكور حال مؤثر يدل على أنه مؤسر، والمعنى: أن من لازم محراب التقريب بالنوافل شاهد سراج الملكوت العالي والملأ السافل، والفتائل الأربع هي: الرحموت والرهبوت والجبروت واللاهوت، وقد يقال: المراد بالمحراب محراب الحضور، وبالسراجين: الكشف الصوري، والخيالي الموجبين لرفع الستور المستمدين من حضرات أربعة جالبة للسرور؛ حضرة الأفعال والأسماء والصفات والذات.

أو يقال المحراب هو: طاقة الطوق والسراجان الأكل من تحت الأرجل، ومن فوق وكل منهما يستمد من حضرتين الحضرة الإلهية، والحضرة الكيانية، وقد يقال: ملازمة المحراب تنتج سراجي الحب والاقتراب، وهما يستمدان من أربعة فتائل؛ الذكر ونسيانه، والغيبة فيه، والغيبة عن الغيبة فيه إلى غير ذلك من المعاني، لمن يعاني (**الأَوْرَادِ مَعَ**) قال في «القاموس» مع اسم، وقد يسكن وينون، وحرف خفض، أو كلمة تضم الشيء، وأصلها معًا، أو هي للمصاحبة، وتكون بمعنى عند، وتقول جاءوا معًا؛ أي: جميعًا، انتهى.

وفي «المختار»: والدليل على أنه اسم حركة آخره مع تحرك ما قبله.

(**كَمَالِ**) قال في «المختار»: الكَمَال التَّمام وقد كَمَل يَكْمُل بالضم كَمالاً. وكَمُل بضم الميم لُغَة. وكَمِل بكسْرها لغة وهي أَرْدَؤُها. وتكامل الشيءُ. وأكْمَلَه غيْرُه. ورجُل كامل وقوم كَمَلَة مثل حافد وحَفَدة. ويقال أعْطِه المالَ كَمَلاً أي كُلَّه. والتكميل والإكْمالُ الإتْمام. واسْتَكْمَلَه اسْتَتَمَّه، انتهى.

(**الأَدَبِ**) قال في «القاموس»: الأَدَبُ، مُحَرَّكَةً الظَّرْفُ، وحُسْنُ التَّناوُل، أَدُبَ، كَحَسُنَ، أَدَباً فهو أَدِيبٌ، ج أُدَباءُ. وأَدَّبه عَلَّمَه، فَتَأَدَّبَ واسْتَأْدَبَ. والأُدْبَةُ، بالضمِّ، والمَأْدَبَةُ والمَأْدُبَةُ طَعامٌ صُنِعَ لدَعْوَةٍ أو عُرْسٍ. انتهى.

قال القشيري- رحمه الله- في أول باب الأدب: قال الله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم:17]، قيل: حفظ آداب الحضرة، وقال تعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم:6].

جاء في «التفسير» عن ابن عباس رضي الله عنهما: فقهوهم وأدبوهم، ويسند عن

النبي ﷺ قال: «حق الولد على والده أن يحسن اسمه، ويحسن موضعه، ويحسن أدبه»[1]، ويحكى عن سعيد بن المسيب أنه قال: من لم يعرف ما لله ﷻ عليه في نفسه، ولم يتأدب بأمره ونهيه كان من الأدب في عزلة.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: "**إن الله ﷻ أدبني فأحسن تأديبي**"[2]، وحقيقة الأدب اجتماع خصال الخير، والأديب الذي اجتمعت فيه خصال الخير، ومنه المأدبة للجمع، سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: العبد يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله، وأطال في الباب بما يستطاب (**وَالشُّهُودِ**) وهو في الاصطلاح رؤية الحق بالحق.

قال الجيلي -قدس الله سره- في كتاب «المناظر الإلهية»: منظر الشهود يشهدك الله في هذا المنظر ظهوره؛ أي: ظهور تجلياته في سائر مخلوقاته، وهذا المنظر أول الحقيقة التي ليس فيها التباس، ولا تخيل، ولا تصور، ولا بطلان؛ بل يشهد الحق تعالى، أي: من حيث إمداداته في سائر موجوداته، وفي هذا المنظر ثلاث غرف بين كل غرفة، وغرفة من المدارج، والمعارج ما لا يحصى:

الغرفة الأولى: شهوده تعالى في كل شيء بعد وقوع النظر على ذلك الشيء.

الغرفة الثانية: شهوده تعالى في كل شيء مع وقوع النظر على ذلك الشيء من غير مهلة.

الغرفة الثالثة: شهوده تعالى في كل شيء قبل وقوع النظر على ما يشهده فيه.

اعلم: أن هذا الشهود من غير حلول، ولا حماسة، ولا نوع من أنواع التجسيم والتشبيه، ولا شيء من ذلك كما شاء على ما هو من التنزيه، والكمال، والتعالي فيما يشاء من المظاهر تلك سنة الله التي قد خلت في عباده من أوليائه يتجلى فيما شاء؛ ألا ترى تجليه سبحانه وتعالى لموسى في النار المخلوقة التي رآها إلى جانب الشجرة فسمع النداء أنه: أنا الله لا إله إلا أنا، فلم ينكر تجليه في النار؛ بل أمن وصدق آفة هذا المنظر شهودك للخلق مع شهود الحق؛ لأنك إنما شهدته في مناظرة الخلقية فلا بد من شهود الظهور متميزًا، ولا موجود سواه، ومن هذا المنظر ينتقل إلى منظر الوجود ترتيبًا إلهيًا فيما يتعرف به إلى أوليائه.

---

(1) رواه ابن جميع الصيداوي في معجم الشيوخ (2/ 102).

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 72)، والسيوطي في جامع الأحاديث (31/ 237).

وقال الشيخ محيي الدين -قدس الله سره- في الباب الخامس والخمسين[1]: وقد قال بعضهم: شهود الحق فناء ما فيه لذة لا في الدنيا، ولا في الآخرة فليس التفاضل، ولا الفضل في التجلي، وإنما التفاضل والفضل فيما يعطي الله لهذا المتجلي له من الاستعداد، وعين حصول التجلي عين حصول العلم لا يعقل بينهما بون كوجه الدليل في الدليل سواء؛ بل هذا أسرع وأتم في الحكم، وأما التجلي الذي يكون معه البقاء، والعقل، والالتذاذ والخطاب والقبول، فذلك التجلي الصوري، ومن لم ير غيره، ربما حكم على التجلي بذلك مطلقًا من غير تقييد، والذي ذاق الأمرين فرق ولا بد، بلغني عن شهاب الدين السهروردي ابن أخي أبي النجيب أنه قال: بالجمع بين الشهود والكلام، فعلمت مقامه في ذلك الوقت الذي تكلم بهذا الكلام، فما أدري هل أرتقي بعد ذلك أم لا؟

وعلمنا أنه في رتبة التخيل، وهو المقام العام الساري في العموم، وأما الخصوص فيعلمونه، ويزيدون بأمر ما هو فوق العامة ما أشار إليه السياري، ونحن ومن جرى مجرى التحقيق من الرجال، والله يقول: الحق وهو يهدي السبيل.

وقال في الباب الخامس والثلاثين: وصل من هذا الباب: إن الله ما جمع لأحد بين مشاهدته وبين كلامه في حال مشاهدته؛ فإنه لا سبيل إلى ذلك إلا أن يكون التجلي الإلهي في صورة مثالية؛ فحينئذٍ يجمع الله المشاهدة والكلام، وهذا غير منكور، وقد بلغنا عن الشيخ شهاب الدين ببغداد ﷺ أنه قال: بالجمع بين المشاهدة والكلام، ولكن ما نقل عنه أكثر من هذا، فإني سألت الناقل فلم يذكر لي نوع التجلي، والظن بالشيخ جميل فلا بد أن يريد التجلي الصوري ألا ترى قول السياري حيث ذكر: أنه ما ألذ عاقل بمشاهدة قط؛ ثم فسر فقال: لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة، والخطاب في حال الفناء لا يصح؛ لأن فائدة الخطاب أن يعقل؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآىِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: 51] كموسى والحجاب عين الصورة التي يناديه منها، وما يزول الشر عن بشريته، وإن فني عن شهودها، فعين وجودها لا يزول والحد يصحبها.

وإنما قلنا هذا: لأني سمعت بعض الشيوخ يقول: هذا حظ البشر، فإذا زال عن بشريته كان حكمه حكمًا آخر فأثبت له ﷺ: أن الأمر كما يظنه فلما تحقق ما ذكرنا رجع عن

(1) في (6/ 395).

ذلك، وقال: ما كنت أتخيل أن الأمر على ما قلته، ولم أجعل بالي لهذا فإنه تكلم في شرح الآية فغلط، وما تكلم في هذا إلا عن ذوق الأمر، ومن هب يقع الغلط، ونحن نعلم أن الذي قال: الله حق كله، فإنه لا يخالف الأذواق فلا بد أن يكون كلام الذائق يطابق الإخبارات الإلهية حتى يقول: من لا معرفة له بالرجال أن هذا المتكلم بها لا يخالف ما جاء به قرآن ولا سنة؛ إنما هو أخذه منهما، وهو مفسر لهما، وصاحب الذوق ما قال إلا ما ذاقه فمن المحال أن يخالفه شيئًا مما جاء عن الله، لكن الأجنبي الذي لا ذوق له يقول: هذا غير الذائق؛ بل جماعة من أهل الطريق ممن لا ذوق لهم يتخيلون مثل هذا.

ويقولون: إن فلانًا يتكلم من حيث ما ورد في «الأخبار الإلهية» ليس لها مادة غيرها، وينكرون الذوق؛ لأنهم ما عرفوه من نفوسهم مع أنهم يقعدون في نفوسهم أنهم على طريق واحدة، وكذلك هو الأمر وهم أصحاب الأذواق بلا شك، غير أن فيهم البصير والأعمى والأعشى، فلا يقول واحد منهم إلا ما أعطاه الطريق إلا ما أعطاه حاله لا ما أعطاه الطريق، ولا ما هو الطريق عليه في نفسه ولا سيما السلوك المعنوي، فإن عمى القلوب يحول بينك وبين الحق، وعمى البصر الذي لم ير صاحبه قط ليس يحول إلا بينك وبين الأكوان خاصة ليس له إلا ذلك، وهذا العمى من الحجب... إلخ[1].

قاله في الباب الحادي والسبعين في «أسرار الصوم» فصل في فضل القبلة للصائم: فمن علماء الشريعة من أجازها، ومنهم من كرهها على الإطلاق، ومنهم من كرهها للشباب، وأجازها للشيخ، وصل اعتبار هذا الفصل هذه المسألة نقيض مسألة موسى ﷺ؛ فإنه طلب الرؤية بعد ما حصل له الكلام، فالمشاهدة، والكلام لا يجتمعان في غير التجلي البرزخي، وهو كان مقام شهاب الدين عمر السهروردي الذي مات ببغداد رحمه الله، فإنه روى لي من أثق به بنقله من أصحابه أنه قال: باجتماع الرؤية والكلام.

فمن هنا علمت أن مشهده برزخي لا بد من ذلك، غير ذلك لا يكون والغفلة عن الإقبال والقبول على الفهوانية من حضرة اللسن، فإنه محل الكلام، وكان الإقبال عليه أيضًا بالكلام المسموع؛ إذ كان في المشاهدة المثالية، ومن كان فيها يتصور منه طلب الإقبال على الفهوانية، فإذا كلمه لم يشهده، وهذا المقام الموسوي ذوقية في الموضع الذي ذاقه

---

(1) في الفتوحات (5/ 214).

موسى ﷺ، غير أني دقته في بلة في الرمل على قدر الكف، وذاقه موسى في حاجته، وهي طلبه النار لأهله، ففرحت حيث كان ماء، وإنما قلنا إذا كلمه لم يشهده؛ لأن النفس الطالبة تستفرغ لفهم الخطاب، فتغيب عن المشاهدة، فهو بمنزلة من يكره القبلة إذ الصائم هو صاحب المشاهدة؛ لأن الصوم لا مثل له، والمشاهدة لا مثل لها، وأما من أجازها، فقال: التجلي مثال لا أبالي فإن الذات من وراء ذلك التجلي، والتجلي لا يصح إلا من مقام التجلي له، وأما لو كان التجلي في غير مقام المتجلي له لم يصح طلب غير ما هو فيه؛ لأن مشاهدة الحق فناء، ومع الفناء لا يتصور طلب، فإن اللذة أقرب من طلب الكلام لنفس المشاهدة، ومع هذا فلا يلتذ المشاهد في حال المشاهدة.

قال أبو العباس السياري- رحمه الله تعالى: ما التذ عاقل بمشاهدة قط؛ لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة، وأما من كرهها للشباب، فاعتباره المبتدئ في الطريق، وأجازها للشيخ، واعتباره المنتهى، فإن المنتهى يطلب الرجوع من المشاهدة إلى الكلام؛ فيترك المشاهدة، ويقبل على الفهوانية إذ لا تصح الفهوانية إلا مع الحجاب؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورى:51]، والمنتهي يعرف ذلك فلا يفعله، وأما المبتدئ، وهو الشاب فما عنده خبرة بالمقامات، فإنه في مقام السلوك، فلا يعرف منها إلا ما ذاقه. والنهاية: إنما تكون في المشاهدة، وهو يسمع بها من الأكابر، فيتخيل أنه لا تفقد المشاهدة مع الكلام، والمبتدئ في مشاهدة مثالية، فيقال له: ليس الأمر كما تزعم إن كلمك لم يشهدك، وإن أشهدك لم يكلمك؛ ولهذا لم يجوزها للشاب، وأجازها للشيخ؛ لأن الشيخ لا يطلب الفهوانية إلا إذا كان وارثًا لرسول في التبليغ عن الله، فيجوز له الإقبال على الفهوانية لفهم الخطاب.انتهى.

ومن هنا تفهم قول سيدي أبي حسن الشاذلي -قدس الله سره- في «حزب البر»: «وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة» إن مراده التجلي الصوري البرزخي، وهو وإن علا فمقام المشاهدة أعلا.

**قال المصنف: [وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى الْحَبِيبِ الشَّاهِدِ الْمَشْهُودِ صَاحِبِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَاللِّوَاءِ الْمَعْقُودِ الَّذِي عَرَّفَنَا مَا نَقُولُ مِنَ الْأَذْكَارِ فِي الْقِيَامِ وَالرُّكُوعِ، وَالسُّجُودِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي الْمَنْهَلِ الْمَقْصُودِ وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ**

الدِّينِ، مَا اهْتَزَّتْ مِنَ الأَغْصَانِ قُدُودُ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا مَا دَامَ الْوُجُودِ].

قال الشارح: (وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ) أي أنشئ صلاة وسلامًا تامين عامين (عَلَى الحَبِيبِ) المحبوب، والخاطب المخطوب، والطالب المطلوب، قال في «القاموس»، والصلاة الدعاء، والرحمة، والاستغفار، وحسن الثناء من الله ﷻ على رسول الله ﷺ، وعبادة فيها ركوع وسجود، واسم يوضع موضع المصدر، يقال صلى صلاة لا تصلية دعاء، انتهى.

والصلاة عليه ﷺ واجبة في العمر مرة، وقيل: بل كلما ذكر، وفي التشهد الأخير من المفروضات عند الشافعي - رحمه الله تعالى - ومعناها: الدعاء المقرون بالتعظيم، ويختص لفظها بالأنبياء، والملائكة، وتقال لغيرهم تبعًا، قال اللقاني الكبير في شرحه الصغير على «الجوهرة الثاني» أي: من التنبيهات ما فرض في العمر مدة الشهادتان، والحمد، والحج، والصلاة على النبي ﷺ خارج الصلاة، وألحق الرضا على السلام بها بحثًا، ورد على من جعله مستحبًا من شيوخ المغرب، قلت الآية دالة على تساويهما، انتهى.

وقال البرذعي في «حاشيته على شرح الحسام لإيساغوجي»: والصلاة أقول فإن قلت ما معناها؟

قلت: معناها الرحمة، ورفعة الدرجة من قبيل المجاز المرسل تسمية للغاية باسم ذي الغاية دون معناها اللغوي، وهو الدعاء، والعرفي وهو الأركان المعلومة، والأفعال المخصوصة، انتهى.

وما اشتهر أنها من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن الآدميين تضرع، ودعاء صح عن السلف، وبه تمسك الشافعي في الجمع بين معنى المشترك، ورده صاحب التوضيح بما هو مذكور في كتب الأصول، وقد ذهب بعض العلماء إلى كراهة أفراد الصلاة عن السلام لفظًا وكتابةً، أو هو خلاف الأولى، وخصت الأنبياء بالصلاة والتسليم، كما خصت الصحابة بالترضي وغيرهم بالترحم، والأصح عدم كراهة الدعاء بالرحمة للنبي ﷺ، كما لا يكره التسليم على الصحابة ﷺ، وإن كان تركه من أدب الشريعة رغمًا للشيعة في تسليمهم على آل البيت، ذكره الخفاجي في شرح «الشفاء» قال: وعندي أنه يكره الدعاء بالرحمة للنبي ﷺ من العامة في موطن لم يؤثر فيه لا سيما منفردًا، انتهى.

وقال الشنواني في «حاشيته» على الأزهرية: فائدة: كره سحنون المالكي الصلاة على

النبي ﷺ عند التعجب.

وقال الحليمي: من أئمتنا لا يكره ذلك؛ كسبحان الله لا إله إلا الله، أي: لا يأتي بالنادر وغيره إلا الله فإن صلى عليه عندما يستعذر، أو بضحك منه، فأخشى على صاحبه، فإن عرف أنه جعلها عجبًا، ولم يتجنبه كفر، انتهى.

ونظر فيه النووي، قال بعض المتأخرين من أئمتنا: والذي يتجه أنه لا بد في الكفر من قيد زائد على ذلك ربما يومئ إليه فحوى كلامه، وهو أن يذكرها عند المستعذر، أو المضحوك منه بقصد استعذارها، أو جعلها ضحكة؛ فيكفر حينئذ، كما هو ظاهر، وجزم البدر العيني بحرمتها؛ كالتسبيح، والتكبير عند عمل محرم، أو عرض سلعة، أو فتح متاع، ولا يؤمر بها أحد عند الغضب خوفًا أن يحمله الغضب على الكفر، نقله النووي في «الأذكار» وأقره، انتهى.

وقال القهستاني في «شرح الكيدانية»: الصلاة بألف مبدلة عن واو لفظًا، وفي الكتابة ترسم بالواو إلا إذا أضيفت، أو تثبت فتكتب صلاتك، أو صلاتان بالألف، وقال ابن درستويه: لم تثبت بالواو في غير القرآن، وهي اسم من التصلية؛ أي: الثناء الكامل؛ ولما لم يكن في وسعنا أمرنا أن نكل ذلك إليه تعالى، انتهى.

وقال اللقاني -رحمه تعالى- في الشرح المذكور: ولا يخفى أن أمره سبحانه وتعالى إيانا بالصلاة والسلام عليه إما للتعبد، أو لكون ذلك على طريق الشكر منا، أو المكافأة له عليه الصلاة والسلام بما هو في الوسع، أو لطلب كمال كما في سعة كرم الله سبحانه وتعالى على حصوله له على ذلك الطلب منا، أو لإظهار فضله ﷺ، ومحبته، واحترامه، وتعظيمه الواجب علينا، والظاهر أن ذلك من الخيرات الواصلة إلينا بسببه ﷺ حال حياته، وبعد وفاته إذ منفعتها في الحقيقة عائدة على المصلي؛ لأنه داع ومعمل لنفسه؛ لأنه إذا صلى أحدنا عليه صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا كما جاء في الخبر، انتهى.

وهل الصلاة عليه ﷺ مقبولة غير مردودة، قلنا: إما في حقه فمقبولة، وإما في حق غيره فالصحيح أنها كغيرها من العبادات قبولاً وردًا، وهل هي مشتقة من الصلة؟ لأنها تصل بين العبد وربه، أو من صلوات العود إذا قومته، والمصلي يحتاج أن يكون ذا استقامة في دينه، ولا مانع من إرادة المعنيين، ولها كيفيات كثيرة؛ فمنها ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال:

لما نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:56]؛ قالوا يا رسول الله علمنا ذلك، فكيف نصلي عليك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر قال: « **قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد** »[1]، وغير ذلك من الكيفيات التي في كتب «الأخبار» مسطورة، وفي «الشفاء»: أن من مواطن الصلاة على النبي ﷺ وآله التي مضى عليها عمل الأمة، ولم ينكرها أوائل الرسائل، وما يكتب بعد البسملة، وأحدث ذلك عند ولاية بني هاشم، فمضى عليه عمل الناس في أقطار الأرض.

ومنهم: من يختم بها أيضًا، ثم وقع الإجماع على ذلك، قال ﷺ: « **كل كلام لا يذكر اسم الله تعالى فيه، فيبتدأ به وبالصلاة عليَّ فهو أقطع مححوق من كل بركة** »[2].

وفي لفظ: « **كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر لله ثم بالصلاة عليَّ فهو من أقطع أكتع**... إلى آخره»[3].

ومن فضائلها ما جرب من تأثيرها، والنفع بها في التنوير، ورفع الهمة حتى قيل إنها تغني عن الشيخ في الطريق، كما حكاه السنوسي في «شرح الصغرى» وسيدي أحمد زروق، وأشار إليه الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى اليمني في جواب له، لكن ذلك محمول على مجرد التنوين، وأما الترقية في درجات الولاية فلا بد فيها من شيخ عارف سالك في تلك المسالك لغيرها كان في كما هو معلوم عند أهل الخصوص لا العموم، وربما استقى بها لناس بلغوا في الحب والصدق بالنهاية، فأورثهم كثرة استعمالها رفع حجب بسابق عناية، وهذا قليل نادر فإذًا لاتخاذ الوسائط بادر، ومن فوائدها أنها تذهب حرارة الطباع، وتغوي النفوس بخلاف غيرها، فإنها تثير حرارة فيها، وذكر لها شارح الدلائل سيدي محمد بن أحمد الفاسي اثنتين وأربعين فائدة، وقد تكلمنا على الصلاة بعبارة أخرى في «الروضات

---

(1) رواه البخاري (3/ 1233)، ومسلم (1/ 305).

(2) ذكره السفاريني في غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب (1/ 22).

(3) ذكره الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (1/ 5).

العرشية على الصلوات المشيشية»[1] العاهد على الأمم يوم يذل فيه القدم، قال الله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب:45].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:143]، فهو ﷺ الشهيد على أمته **(الشَّاهِدِ)** لهم؛ لقبول دعوته المشهود له بالفضل الأعظم، والقرب الأجسم، والتبليغ الأفخم، والطريق الأقوم وهو **(المَشْهُودِ)** لأهل الشهود في كل حضرة، ومقام يشهدون قدمه الشريف، ويقتفون أثره المنيف في الترحال، والمقام **(صَاحِبِ المَقَامِ المحْمُودِ)** وهو ما خصه به المالك المعبود كالحوض المورود، والوسيلة والشفاعة العظمى يوم الورود **(وَاللِّوَاءِ المَعْقُودِ)** هو لواء الحمد في اليوم المشهود.

قال الشيخ في «فتوحاته» عند الكلام على حضرة يدعي صاحبها عبد الحميد: وهو فعيل فعم اسم الفاعل بالدلالة الوضعية، واسم المفعول، فهو الحامد، والمحمود إليه يرجع عواقب الثناء كلها، ومحمد ﷺ بيده لواء الحمد، ولآدم عليه السلام علم الأسماء، ولمحمد ﷺ الثناء بها والتلفظ بالمقام المحمود، وأعطى في القيامة لأجل المقام المحمود العمل بالعلم، ولم يعط لغيره في ذلك الموطن، فصحت له السيادة، فقال ﷺ:

«آدم فمن دونه تحت لوائي»[2] وما له لواء إلا الحمد؛ وهو رجوع عواقب الثناء إلى الله، وهو قوله: الحمد لله لا لغيره، وما في العالم لفظ إلا يدل على ثناء البتة، أعني ثناء جميلاً، وأن مرجعه إلى الله، فإنه لا يخلو إما أن يثني المثني على الله، أو على غير الله، فإذا حمد الله بحمد فهو أهل الحمد، وإذا حمد غير الله فلا يحمد إلا بما يكون فيه من نعوت المحامد، وتلك النعوت مما منحه الله إياها، وأوجده عليها، إما في جبلته، وإما في تخلقه فتكون مكتسبة له، وعلى كل وجه فهي من الله، فكان الحق معدن كل خير وجميل، فرجع عاقبة الثناء على المخلوق بتلك المحامد على من أوجدها، وهو الله فلا محمود إلا الله، وما من يكون له وجه إلى مذموم إلا وفيه وجه إلى محمود، فهو من حيث إنه محمود يرجع إلى الله، ومن حيث إنه مذموم لا حكم له؛ لأن مستند الذم عدم، ولا يجد متعلقًا فيذهب ويبقى

---

(1) في (ص 78)، بتحقيقنا.

(2) رواه أحمد (1/ 281).

الحمد لمن هو له، ولا يبقى لهذا اللفظ المعين إلا وجه الحمد عند الكشف، ويذهب عنه وجه الذم؛ أي: ينكشف أن لا وجه للذم، انتهى.

(الَّذِي عَرَّفَنَا) أي: علمنا (مَا نَقُولُ مِنَ الأَذْكَارِ) المقربة من المذكور والموجبة لتوالي الإمداد وظهور الأنوار في حال (فِي القِيَامِ) للعبادات، والصيام النفلي والفرضي؛ ومعناه اللغوي قال في «المختار»، قال الخليل: الصوم قيام بلا عمل، والصوم أيضًا الإمساك عن الطعام، وقد صام الرجل من باب قال: وصيامًا أيضًا، وقوم صوم بالتشديد، وصم أيضًا، ورجل صومان؛ أي: صائم، وصام الفرس: قام غير إعتاق، وصام النهار، قام قائم الظهيرة واعتدال، والصوم أيضًا ركود الرياح، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم:26].

قال ابن عباس: صمتًا، وقال أبو عبيد: كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير؛ فهو صائم، (وَالرُّكُوعِ) أي: وعلمنا ﷺ ما نقول في الركوع، وهو الانحناء، وما به خضع، ومنه ركوع الصلاة، وركع الشيخ: انحنى من الكبر؛ كذا في «المختار» (وَالسُّجُودِ): فيه سجد خضع، ومن سجود الصلاة؛ وهو وضع الجبهة على الأرض، وبابه دخل، والاسم السجدة بكسر السين، وسورة السجدة بفتحها... إلى آخره تعالى، (صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ) أي: تقدس وتنزه وسلم عليه (وَعَلَى آلِهِ) الآل عند إمامنا الأعظم ثلاث عينات وجيم وحاء، آل العباس، وآل عقيل، وآل علي، وآل جعفر، وآل الحارث.

وعند الإمام الشافعي: هم مؤمنو بني هاشم، وبني المطلب، وعند المالكية تختص ببني هاشم، قال اللقاني- رحمه الله تعالى- في شرح «الجوهرة الصغير»: واشتقاق الآل من آل يؤول إذا رجع إليك بقرابة، ونحوها أصله أول تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفًا.

وقال الزمخشري: أصله أهل؛ فقلبت الهاء همزة ثم الهمزة ألفًا، وهو المشهور، وتصغيره: أُهيل، وأُويل يشهد للأصلين، واللائق بمقام الدعاء حملهم على أتقياء أمته عليه الصلاة والسلام، كما هو قول مالك ﷺ لتعميم الدعاء، وكما قال الأزهري وجماعة: وإن جرى فيهم في بابي الزكاة، والفيء خلاف، والمشهور من مذهبنا اختصاصهم فيهما بأقاربه المؤمنين من بني هاشم، وزاد الشافعية والمطلبي.

قال الجلال المحلي: لا يكافئهم في النكاح أحد من الخلق، ويطلق عليهم الأشراف والواحد شريف، وهم ولد علي وعقيل وجعفر، وحمزة، هذا مصطلح السلف؛ وإنما حدث تخصيص الشريف، فولد الحسن والحسين في مصر خاصة من عهد الفاطميين، انتهى.

وقد ورد في فضل آل البيت الأطهار: أحاديث كثيرة ذات انتشار، واشتهار أوردت بعضها في مقدمة رسالة «العرق المؤذن بالطوب» في الفرق بين العجم والعرب، وما يلفقه بعض جهلة الشيعة لا تفرقوا بيني وبين آلي بـ«علي»، وهو من موضوعاتهم صبَّ الله عليهم البلاء ... آمين.

(وَأَصْحَابِهِ) جمع صاحب، وهل الصحب اسم جمع لصاحب بمعنى الصحابي، أو جمع له.

فذهب إلى الأول سيبويه، والأخفش إلى الثاني، وبه جزم الجوهري كركب وراكب، والصحابي في اصطلاح أهل الحديث، والأثر، على ما ذكره الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى- هو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام، والمراد باللقاء: هو ما هو أعم من المجالسة والمماشاة، ووصول أحدهما إلى الآخر، وإن لم يكالمه ويدخل فيه رؤية أحدهما لآخر سواء كان بنفسه أو بغيره، والتعبير باللقاء أولى من قول بعضهم، الصحابي من رأى النبي ﷺ؛ لأنه يخرج ابن أم مكتوم ونحوه من العميان، وهم صحابة بلا تردد، واللقاء في هذا التعريف كالحس، وقولي مؤمنًا كالفصل يخرج من حصل له اللقاء المذكور في حال كفره، وقولي به فصل ثاني يخرج من لقيه مؤمنًا بأنه سيبعث، ولم يدرك البعثة فيه نظر، انتهى.

قال اللقاني- رحمه الله تعالى: قلت: مال شيخي إلى اعتبار لقيه له بعد موته، ونقل من كلام ابن حجر ما يدل عليه، واعتبر جماعة قيد التمييز، وألغاه آخرون، وجزم الجلال بعد عيسى ابن مريم من الصحابة، ونقل عن بعضهم بعد الخضر، وإلياس فيهم.

قال الذهبي: عيسى ابن مريم نبي وصاحبي، فإنه رأى النبي ﷺ، فهو آخر الصحابة موتًا، انتهى.

قال: وكل ذلك مبني على اللقيا، واشتراط اللقيا بالتعارف، وقد اعتبره آخرون،

فأخرجوهم، وألحق الدخول لعدم التنافي بين مقام الصحبة، ومقام النبوة، انتهى.

(ذَوِي) أي: (المَنْهَلِ) أصحاب المنهل، قال في «القاموس»: والمنهل: المشرب، والشرب والوضع الذي فيه المشرب، والمنزل يكون بالمفازة... إلخ.

(المَقْصُودِ) الذي يقصد بالورود، ( وَعَلَى التَّابِعِينَ) جمع تابع، والتابع: هو من لقي الصحابي على ما صححه ابن الصلاح والنووي، وقال الخطيب: هو من صحب الصحابي وعليه، فمجرد اللقيا لا يكفي، والفرق مزية لقائه ﷺ على لقاء غيره من صلحا أمته، ولا يشترط فيه التمييز، ولو شرط في الصحابي لمزيد شرف الصحبة، وذلك لملقيهم من لقيه عليه الصلاة والسلام، وقربهم من زمانه، وأفضل التابعين أويس القرني على الأصح، كما أن أفضل التابعات: حفصة بنت سيرين على خلاف في المسألة؛ كذا في شرح «الجوهرة» للقاني، وتابعيهم الضمير للتابعين (هُمْ بِإِحْسَانٍ) قيد للاتباع، فإنه يصدق على الإساءة أيضا، وهو شرط فيه (إِلَى يَوْمِ الدِّينِ)، هو يوم الجزاء، وسيأتي الكلام عليه عند الفاتحة (مَا اهْتَزَّتْ) ما مصدرية، والاهتزاز التحرك، من بيانية (مِنَ الأَغْصَانِ): جمع غصن، وهو غصن الشجرة، قال في «المختار» وجمعه: أغصان وغصون وغصنه وغصن، مثل: قرطة وقرطة، وغصن الغصن: قطعه، وبابه ضرب، وأبو الغصن كنية حجي، انتهى.

(قُدُودٌ [وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا مَا دَامَ الْوُجُود][1]): جمع قد، وهو القامة، ولقد ظرف زماني باعتبار النطق، أو مكاني باعتبار الرقم مبني على الضم؛ لأنه لا يصلح وقوعه موقع الفاعل، ولا موقع المبتدأ والخبر، وكذلك قبل، فأما بعد الفاء، جواب بعد لتضمنه، أما المتضمنة معنى مهما يكن من شيء بعد زاد بعضهم، وجيء بها أيضًا لرفع توهم إضافة بعد إلى ما بعده، انتهى.

ومعنى (فَاعْلَمْ) أي: تنبه واعرف ما أدلك عليه، وأرشدك إليه، أيها المريد الطالب قرب المريد، قال الله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ [آل عمران:152]، ولما سمعها الشبلي ﷺ صاح وقال: فأين من يطلبون الله؟ وعبارات القوم في تعريف المريد كثيرة، وسيأتي نذر منها عند قولنا في الميمية: بكل مريد طالب لجنابكم (المُلَازِمُ عَلَى أَقْطَافِ) أي: اجننا (أَزْهَارِ): جمع زهرة، قال في «القاموس»: الزهرة وتحري

---

(1) ما بين المعكوفين لم يشرحه المؤلف هنا وإنما شرحه في مواطن أخرى من الكتاب.

النبات، ونوره والأصفر منه، وجمعه: زهر وأزهار، وجمع الجمع: أزاهر، ومن الدنيا بهجتها ونضارتها وحسنها، وبالضم: البياض والحسن، وقد زهر كفرح وكرم، وهو أزهر **(الأَوْرَادِ مِنْ رِيَاضِ)**: جمع روضة.

قال في «المصباح»: والروضة الموضع المعجب بالزهور، يقال: نزلنا أرضًا أريضة، قيل: سميت بذلك؛ لاستراحة المياه السائلة إليها؛ أي: لسكونها، وأراض الوادي واستراض إذا استنقع فيه الماء، واستراض اتسع وانبسط، ومنه يقال: افعل ما دامت النفس مستريضة، وجمع الروضة: رياض وروضات بسكون الواو، وهذيل تفتح على القياس، انتهى.

**(الأَمْدَادِ)**: هو في الأصل إمداد الجيش بآخر، والاستمداد: طلب الإمداد، وفي «المختار»، وقال أبو زيد رضي الله عنه: مددنا القوم؛ صرنا مددًا لهم وأمددناهم بغيرنا، وأمددناهم بفاكهة، وأمد الجرح صارت فيه مدة... إلخ.

قال الله تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ [الإسراء:20]، فشبه الإمداد الإلهي الوارد من حضرة العطاء المطلق برياض ذات أزهار وأثمار، والمريد يقطف منها ما قسم له، ويجتني من أنوارها ما أصله فصر له.

واعلم: أن الإمداد على حسب المستمد، واستعداده وقبوله على ما يرد عليه من مراده، وهو أنواع وأقسام ولا تنضبط، لكن بعضها ببعض مرتبط، وشرعه من عين المنة، ومهبطه الأسرة والأجنة، وفيضه تارة يكون طلاء وهتانًا وذابلاً بحسب الأشخاص، والأزمان، والأمكنة فرب إمداد لا يطفي غلة، ولا يشفي علة، وآخر يفهم فلا يغم، ورب إمداد قاصر على قلب صاحبه، أو سره، وآخر يسري إلى أجزائه؛ بل يتعدى لثوبه ومقره، وربما سرى لقوته في الكون سريان الماء في العود، فتصير لصاحبه مشيخة باطنية على أهل الوجود شعر بذلك صاحبه، أو لم يشعر لكن يدركه أهل الشهود، وبها استمدت من جميع العالم من غير جحود، وهو غائب عن ذلك الاحتجاب، أو ارتقاء وصعود، وقد يلحق هذا المدد من يعدم في غابر المدد، ومن سيأتي في المستقبل من كل صادق.

قيل: فأقبل وقد أخبرني الكاشف بالكشف الإلهي أنه عاين لبعض الفقراء هذا الإمداد الكلي حتى أسكره ذلك المنظر الأعلى، وأدهشه ها ذاك المشهد الأعلى مع أن ذلك

الفقير محجوب عما هنالك غير مدرك لما هو غايته ذلك، وأن السالك **(في حضرات الإسعاد)**: جمع حضرة. قال في «تهذيب الصحاح»: وحضرة الرجل قربه، وفناءه.

وقال السيد الشريف في «التعاريف»: الحضرات الخمسة الإلهية:

حضرة الغيب المطلق: وعالمها عالم الأعيان الثابتة في الحضرة العلمية.

وفي مقابلها حضرة الشهادة المطلقة: وعالمها عالم الملك.

وحضرة الغيب المضاف: وهي تنقسم إلى ما يكون أقرب من الغيب المطلق؛ وعالمه عالم الأرواح.

الجبروتية والملكوتية: أعني: عالم العقول والنفوس المجردة، وإلى ما يكون أقرب من الشهادة المطلقة؛ وعالمه عالم المثال، ويسمى بعالم الملكوت.

والخامسة: الحضرة الجامعة للأربعة المذكورة: وعالمها عالم الإنسان الجامع لجميع العوالم، وما فيها فعالم الملك مظهر عالم الملكوت، وهو عالم المثالي المطلق، وهو مظهر عالم الجبروت؛ أي: عالم المجردات، وهو مظهر عالم الأعيان الثابتة، وهو مظهر الأسماء الإلهية، والحضرة الواحدية، وهو مظهر الحضرة الأحدية، انتهى[1].

---

(1) قال القاشاني: حضرة الهوية: هو باطن مفاتح الغيب. حضرة أحدية الجمع: هو التعين الأول، فباعتبار أحديته يسمى حضرة، وباعتبار واحديته كان جمعاً. حضرة الأحدية الجمعي: هي أحدية الجمع التي هي التعين الأول، وقد عرفت معنى أحديته وجمعه. حضرة الجمع والوجود: هو التعين الأول أيضاً، سمي بذلك لأنه هو اعتبار الذات من حيث وحدتها، وإحاطتها، وجمعها للأسماء والحقائق، لكونها كما عرفت في باب الباء من كونها هي حقيقة البرزخية الجامعة بين الأحدية والواحدية، وبين المبدأ والمنتهى، والبطون والظهور، فكانت هي حضرة الجمع والوجود لا محالة، لأن البطون والظهور لا يخرج شيء عنها. حضرة الطمس: هي حضرة الجمع والوجود أيضاً، سميت بذلك لكون السيار إذا وصل إليها انطمس ظلمة كونه في تجلي نور الأنوار. حضرة الإجمال: هي اعتبارات الوحدة، وإنما كانت إجمالاً لاستدعاء التفصيل المغايرة والغيرية اللذين لا يتم التفصيل إلا بهما مع استحالة ذلك في اعتبارات الوحدة لمنافاتها المغايرة المؤذنة بالكثرة لتقابلهما. حضرة الألوهية: هو التعين الثاني، كما عرفت ذلك في باب التاء «التعين» لكون الأسماء التي باعتبارها تظهر أحكام الألوهية من معاني الرحمة، والملك، والخلق، والرزق، وغير ذلك. إنما يتعين في هذه الحضرة، لأن ما قبلها إجمال لا تميز فيه. الحضرة العندية: يعني بها حضرة العند المضاف إلى الحق، عز شأنه، المعنية بقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ

=

﴿إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ وغير ذلك مما يعبر عنه بلفظ العندية المضافة إلى حضرة الربوبية، وتلك الحضرة هي الظرف المعني الذي هو باطن كل الظروف الزمانية منها والمكانية، المشار إلى تعاليه على الكل بقوله ﷺ: «ليس عند ربكم صباح ولا مساء». فتلك العندية المستعلية هي الحضرة العندية، وقد مر ذكرها في باب أصل الزمان. حضرة بيد التجريد: هي حضرة بيد التجريد الذي عرفته في باب الباء.

حضرة الأسماء: ويقال: حضرة الأسماء، وأصول الأسماء، وجوامع الأسماء، كما عرفت ذلك في باب الأصول والجوامع. حضرة التعقل الأول: يراد به حضرة التعقّل للحروف الأصلية التي عرفتها.

حضرة التعقل الثاني: ويسمى حضرة العلم الذاتي، وعرصة العلم الذاتي، وحضرة الارتسام كما عرفت ذلك في باب التعين الثاني. والمراد بذلك إنما هو تعقل الماهيات في عرصة العلم الأزلي الذاتي، من حيث الامتياز النسبي، فإن ذلك هو حضرة العلم الأزلي. حضرة الارتسام: هي حضرة العلم والتعين الثاني، سميت بحضرة الارتسام لأجل ارتسام الكثرة النسبية المنسوبة إلى الأسماء الإلهية والحقائق الكونية في هذه الحضرة المسماة بحضرة العلم الأزلي، وحضرة العلم الذاتي. وهي حضرة الارتسام التي يشير إليها أكابر المحققين من أهل الكشف، وعلماء أصول الدين، والحكماء المتأخرين بأن الأشياء مرتسمة في نفس الحق، ويعنون بذلك علمه تعالى بالماهيات من حيث الامتياز النسبي، إلا أن الفرق بين فهم الحكيم، وذوق المحقق من أهل الكشف في هذه المسألة، أن المكاشف يرى أن ذلك وصف العلم من حيث امتيازه النسبي عن الذات، لا أنه وصف الذات من حيث هي، ولا من حيث إن علمها عينها. الحضرة العمائية: هي حضرة العلم، وحضرة الارتسام، وهو التعين الثاني، وقد عرفت هناك أن سبب تسميتها بالعمائية كونها تحول بين إضافة ما فيها من الحقائق إلى الحق والخلق، كما يحول العماء، الذي هو الغيم الرقيق بين الناظر وعين الشمس. حضرة المعاني: هي التعين الثاني، سمي بذلك لتحقق جميع المعاني الكلية والجزئية وتميزها فيه لاستحالة خلو شيء عن علمه تعالى. حضرة العلم الأزلي: هي المرتبة الثانية، والتعين الثاني، سميت بذلك لأنها هي حضرة تعلق علمه تعالى بالأشياء على سبيل التفصيل لحقائقها، تعلقاً غير متعلق بشيء من المراتب الكونية، فلهذا كان تعلقاً أزلياً. حضرة العلم الذاتي: هي المرتبة الأولى، وإنما سميت بذلك لأن ما فيها لا يظهر لغير ذات الحق تعالى. حضرة الوجوب: هي طرف الحضرة العمائية، التي تلي التعين الأول، سمي بذلك لأنه حضرة تعين أسماء الحق التي كلها واجبة له لذاته دون تعين حقائق الخلق التي كلها ممكنة لذاتها. حضرة الامتناع: هي الظرف الذي يتوهم مقابلته لحضرة الوجوب في البعد. حضرة الإمكان: هي المتوسطة بينهما، ولما كان المنسوب إلى حضرة الوجوب إنما هو الوحدة الحقيقية والكثرة النسبية، صارت حضرة الوجوب لأجل انتساب الوحدة إليها إنما تختص بها، وبما

=

ينسب إليها من المظاهر هو حكم الفعل، والتأثير. وكانت جميع الأسماء الإلهية منسوبة إلى هذه الحضرة، ثم أنه ظهر وتميز في مقابلة هذه الحضرة في هذه المرتبة الثانية، التي هي العماء، حضرة العلم المتعلق بالمعلومات الممكنة، فسميت حضرة الإمكان تسمية لها بما فيها، ثم إن هذه الحضرة لأجل ما قد احتوت عليه من الحقائق الممكنة نسبت إليها الكثرة الحقيقية والوحدة النسبية المجموعية بخلاف ما عرفته في حضرة الوجوب، ثم إن هذه الحضرة لأجل شدة نسبة الكثرة إليها صارت متعلقاتها، ومحوياتها، مختصة بالقبول والتأثر والانفعال، كما كانت حضرة الوجوب مختصة بالفعل والتأثير لشدة انتساب الوحدة إليها، ثم لأجل ما في حضرة الوجوب من حكم الكثرة النسبية صار فيها ضرب من القبول والانفعال، من الطلب الاستعدادي من السؤال، والإسعاف بما يسأل حصوله، ثم لأجل ما في حضرة المعلومات، التي هي حضرة الإمكان من الوحدة النسبية كان لها التأثير والفعل بالطلب والسؤال من حضرة الوجوب المسؤول منها. حضرة الأسماء: هي حضرة الوجوب لما عرفته من أن جميع الأسماء الإلهية إنما تنسب إليها. حضرة الأعيان: هي حضرة الإمكان، لما عرفت من ارتسام جميع الحقائق الممكنات فيها. حضرة التفصيل: ويقال: حضرة تفصيل المعلومات، وتمييزها، والمراد به التعين الثاني، فإنه هو محل التمييز والتفصيل، كما عرفت. وقد يعني بحضرة التفصيل القلم الأعلى، وسيأتي في باب القلم. حضرة الطلب: يعني بها التعين الثاني، وذلك لكون النسبة الربية منطوية في انطواء المربوب، وهي تطلب من الفيض الرحماني بلسان الأسماء الإلهية الكامنة الظهور بأعيان الممكنات، وفيها. وكذا الأعيان الثابتة تطلب ظهور الأسماء، واتحادها بها، والحق سبحانه من حيثية: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ يمد هؤلاء وهؤلاء وظهوره في شؤونه على أحسن ما يليق بكل شيء هو عين إجابة سؤال الحضرتين: الوجوبية والإمكانية. حضرة الإجابة الأصلية: هي هذه الحضرة، كما عُرفت من كونها هي حضرة إجابة سؤال الحضرتين، وكانت هي محل أصل الإجابة. حضرة الفعل: ويقال: حضرة التأثير، وهي حضرة الوجوب. حضرة الانفعال: ويقال: حضرة التأثر، وهي حضرة الإمكان. حضرة الجلال: هي الحضرة التي يرى الحق فيها نفسه في نفسه لنفسه من غير اعتبار تعين من مظهر أو نسبة أو غير ذلك، وهي الحضرة التي لا مطمع لأحد في نيلها، كما مر في باب الجلال، وهذه الحضرة هي باطن كل جلال وهيبة، وهي تظهر في الوجود بصورها العقلية والحسية والخيالية. وذلك الباطن هو تعين الجلال في أول رتب الذات الذي هو التعين الأول، فإن كل ما يظهر من الصور والحقائق في المراتب الإلهية منها والكونية، فإنما هي شؤون اعتبارات الذات، كما عرفت، فالشأن الذي هو باطن صور الجلال، وعين تعين كل جلال يظهر في الوجود. يقال له، أعني لذلك الشأن: حضرة الجلال. حضرة الجمال: هو باطن كل جمال، وحسن، وبهاء، وزينة في الذوات والأوصاف على قياس ما عرفته في حضرة الجلال. حضرة الكمال: هي الحضرة الجامعة بين الجلال والجمال، وتسمى الحضرة

وهذه الحضرات التي أشرنا في الورد إلى طلبها بقولنا: وقوني بإمداد من عندك حتى أسير به إلى حضراتك العلية، وطلبنا طهارة السريرة من كل شيء يبعدنا عنها بقولنا: إلهي طهر سريرتي من كل شيء يبعدني عن حضراتك، وهذه أصول الحضرات الإلهية، ولكل أصل فروع، وللفروع من التشعب جموع؛ وأما الحضرات الأسمائية المتعلقة بالمراتب الكونية فكثيرة:

=

البرزخية، ومستعرفها. قال الشيخ: وما من آية في كتاب الله تعالى ولا كلمة في الوجود إلا ولها ثلاثة أوجه: جلال، وجمال، وكمال. الحضرة البرزخية: ويقال لها: الحضرة الإجمالية، الإنسانية والتفصيلية العمائية، ويعني ذلك الحضرة الجامعة بين حضرة الوجوب والإمكان من وجه والفاصلة بينهما من وجه مشتملة على الصفات الإلهية حاملة تعين التجلي الجامع للجميع المسمى بالنفس الرحماني، كما أنعت به في معرفة التعين الثاني. حضرة القرب: وتسمى حضرات المقربين، وحضرات أهل العناية، وتسمى: رتب القرب. حضرة العناية: هي حضرة أهل القرب، سميت بذلك لأن القرب إنما يصح لمن سبقت له العناية. حضرة الدنو: هي حضرة القرب، ويقال: منزلة الدنو، وهي التعين الثاني، وحضرة المعاني سمي بذلك لما عرفته من كونه تعالى إنما يدنو من بعده في حضرة الإمكان. حضرة التدلي: حضرة ظهور الحق بصفات الخلق، فإن قرب العالي من السافل يسمى دنواً، هكذا فهموا من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾، أي العبد ﴿فَتَدَلَّى﴾ أي الحق. حضرة التداني: هي التعين الثاني، والفرق بين الدنو والتداني ما عرفته من كون الدنو هو: طلب النسبة الربية للظهور بحقائق الأسماء، وأن التداني هو: إجابة الحضرتين. حضرة النزول: هو التعين الثاني لما عرفته في باب التعين أنه تعالى إنما يظهر بصفات تعيناته في هذه الحضرة. حضرة ظهور الحق بصفات الخلق: هي حضرة التعين الثاني لأنه لما كان هو محل تفصيل اعتبارات الوحدة كان هذا التعين هو حضرة نزول الحق عن رتبة الوجوب الذاتي الخاص به الذي لا يصح أن يشارك فيه بوجه إلى حضرة الإمكان، فأضيف إليه كل ما فيها من تعجب وتردد وضحك وتبشبش وغير ذلك. حضرة ظهور الخلق بصفات الحق: هي التعين الثاني أيضاً، وذلك من جهة أن هذه المرتبة التي هي التعين الثاني هي تعينات رقائق المخلوقات، فعندما يتخلص المخلوق من قيود الكثرة بحيث لا يبقى فيه سوى حقيقته المتعينة في الحضرة، فإنه قد يظهر بصفات الحق من إحياء الميت، وإبراء الأكمه والأبرص، وغير ذلك. حضرة الصفاء: هي هذه الحضرة التي يظهر الخلق فيها بصفات الحق. سميت بذلك لأنها هي الحضرة التي يصح فيها للخلق الصفاء من كدورات الكثرة الخلقية، وتحققهم بصفاء الوحدة الحقيقية. وقد يعني بحضرة الصفاء ما فوق هذه الحضرة من الحضرات المنسوبة إلى التعين الأول، فإنه بالصفاء أحق وأولى. [لطائف الأعلام].

منها: حضرة الإمداد، وحضرة الأعياد، وحضرة الأشياء، وحضرة الأفراد، وحضرة الإسعاد، وحضرة التخصيص، وحضرة التنصيص، وحضرة التقريب، وحضرة التهذيب، وقد أوصلها الإمام الهمام الجيلي -قدس الله سره- إلى مائة حضرة في كتابه «لوامع البرق الموهن» في معنى: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[1]، وذكر فيه إنها لا تحصى، ولا يمكن أن تستقصى، وإضافة الحضرات إلى الإسعاد؛ لأن معناه الإعانة، وبها تسهل الملازمة على الأوراد، قال في «المختار»: والإسعاد الإعانة والمساعدة المعاونة، وقولهم: لبيك وسعديك، أي: إسعادًا لك بعد إسعاد، انتهى إلى جواب أعلم.

لما: من الحروف الجازمة، ومعناها: حين رأيت (**فِي حَضَرَاتِ الإِسْعَادِ**): أي: عاينت وشاهدت بعين البصيرة والبصر (**النُّفُوسَ**) جمع نفس، قال في «المختار»: النفس الروح، يقال: خرجت نفسه، والنفس والدم، يقال: سألت نفسه، وفي الحديث «**ما ليس له نفس سائلة**»[2] فإنه لا ينجس الماء ما دامت فيه، والنفس الجسد، ويقولون ثلاثة أنفس، فيذكرونه؛ لأنهم يريدون به الإنسان، ونفس الشيء: عينه يؤكد به، يقال: رأيت فلانًا نفسه، وجاني بنفسه، انتهى.

والكلام على معنى النفس طويل، وقد ذكرنا بعض تلك الأقاويل أوائل الرسالة المسماة بـ«العرائس القدسية المفصحة عن الدسائس النفسية»[3]، فراجعه هناك بلغت مناك، وهذاك (**مُتَعَشِّقَةً**) مفعول رأيت؛ أي: متكلفة العشق، فإن التعشق: هو تكلف العشق (**فِي ذَلِكَ**) أي: في ملازمة الأوراد إذ من شأنها الكسل والعبور، وإلا لها بالتكاثر حتى تزور القبور، لكن صاحبها بعشقها فيها، ويظهر لها بعض خوافيها فتضاه يسيرًا، وترى القيام بها أمرًا عسيرًا، ثم إنها تعود بالمجاهدة والمكابدة (**رَاغِبَةً**) أي: ذات رغبة (**فِيهَا**) أي: في الذي (**هُنَالِكَ**) من (**لِتَنْوِيرِ المَسَالِكِ**) على السالك، وما يفيضه الولي المالك مما يحي به القلب الهالك، ويمحق به الظلام الحالك (**عَنَّ لِي**) جواب لما ومعنى عن ظهر.

قال في «القاموس»: عن الشيء يعني: عنا وعينا وعيونا إذا ظهر أمامك واعترض،

---

(1) سيأتي تخريجه والكلام عليه، وهو من الأحاديث الكشفية.

(2) طبع بتحقيقنا.

(3) رواه البيهقي في الكبرى (1/ 253).

انتهى.

(أَنْ أَصْنَعَ) أي: أشاوا، ذلك (للإِخْوَانِ) جمع أخ، وهم الداخلون في حكم الإخوة الخاصة بالعهود والمواثيق التي لأجنحة المخالفة قاصة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات:10]، وهذه أخوة الإسلام، وأخص منها أخوة الأرحام، وأخص منها أخوة عهد، وعقدوا السلام.

قال في «المختار»: وَالأَخُ أصْلُه أَخَوٌ بفتح الخاء لأنه جُمع على آخاءٍ مثل آباءٍ والذاهب منه واو لأنك تقول في التثنية أَخَوانِ وبعض العرب يقول أَخَانِ على النقص ويجمع أيضاً على إِخْوان مثل خَرَب وخِرْبانٍ.

قلت: الخَرَب ذَكَر الحُبَارَى وعلى إِخْوَة وأُخْوَة بكسر الهمزة وضمها أيضاً عن الفَرَّاء وقد يُتَّسع فيه فيُراد به الاثنان كقوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ ﴾ [النساء:11]، وهذا كقولك إنَّا فَعَلْنَا ونحن فَعَلْنا وأنتما ثنان. وأكثر ما يستعمل الإِخْوان في الأصدقاء والإخوة في الولادة وقد جمع الواو والنون ، قال الشاعر:

وكـــنت لهـــم كَـــشَرِّ بنـــي الأَخِيـــنا

وأَخٌ بَيِّن الأُخُوَّة وأختٌ بيِّنة الأخوَّة أيضاً وآخاهُ مُؤَاخاةً وإِخَاءً والعامة تقول وَاخاه. وتآخَيا على تَفَاعَلا. وتأخَّيْتُ أخاً أي اتخذت أخاً ، انتهى[1].

والإخوان على أقسام: إخوان عهود، وإخوان آبا وجد وذو إخوان وفاء وإخوان صفاء.

واعلم: أن الأخ الصادق في هذا الزمان إلا غيره هو الكبريت الأحمر، فمن وجده فقد وجد، ومن فقده فقد فقد، ويعض عليه بالنواجز، وليكن مما عداه نابذ إذ هو الذي يحق أن يصحب؛ لأن مصاحبة منه لا تصحب، وحاله يتجدد، وقاله يرشد، وإذا أخا الشيخ بين اثنين خصوصًا لزمهما أن يراعيا تلك الأخوة أكثر؛ لأنا تلونا فيها نصوصًا، فقد ثبت أنه ﷺ آخا بين كثير من الصحابة الأعلام؛ لينهض الأعلى منهما بأخيه إلى منزل الكرام، فآخا بين الشيخين، فانتسب الفاروق من الصديق ما لا أذن سمعت ولا بصرته

---

(1) في مختار الصحاح [أخ 1/ 6].

عين رضي الله عنها وعنا بها، ولما آخى النبي ﷺ بين سعد بن ربيع الأنصاري وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما؛ عرض عليه سعد أن يناصفه في أهله وماله، وكان له امرأتان، فقال له عبد الرحمن ﷺ: بارك الله لك في أهلك ومالك، ولما كان مبنى الطريق على المساعدة والمعاضدة، ولزم كل واحد من الإخوان ذلك، فإن اليد الواحدة لا تصفق، والمطلوب من الإخوان بذل الجهد في الإسعاف بحسمي الإمكان نتعم الألطاف، قال الله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص:35]، وإن من لم يدأب على إقامة نظام الطريق بالقلب والقالب؛ فلا يقال فيه طالب مطالب، بل مغلوب لنفسه غير غالب، وفي السير متلاعب، وإن الأخوة تقتضي: أن يخص الأخ أخاه بكل ما يرى ما فيه انتفاعه، ويعاين فيه ارتفاعه، وأن لا يكتم عنه نصيحة، ولا يفشي له سرًّا فيورثه الفضيحة.

وضع المؤلف سامحه الله تعالى لإخوانه السالكين، أو المؤمنين، أو لكل منهما هذا الورد الموتر، ولازمه أعظم ورد، ولكل قال له منه حظ مقسوم، وشهب صاف معلوم محبة في وصول هذا الخير إليهم على يديه؛ ولأنه يحب أن يصل إليهم من المودة ما في الحديث الشريف: « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1] أي: فإن كامل الإيمان لا يرضى تخصيص نفسه لتقدمه عن حظها بمدد قدسه.

وللأخوة آداب كثيرة صرحت ببعضها الأحاديث الشهيرة، فمن ذلك قوله ﷺ: «**إذا آخى الرجل الرجل، فليسأله عن اسمه واسم أبيه، وممن هو فإنه أوصل للمودة**»[2] رواه ابن سعد والبخاري في التاريخ والترمذي عن يزيد بن نعامة الضبي، وفي رواية: «**إذا أحببت رجلاً فأساله عن اسمه واسم أبيه، فإن كان غائبًا حفظته، وإن كان مريضًا عدته، وإن مات شهدته**»[3] رواه البيهقي عن ابن عمر ﷺ.

وعنه ﷺ « **إذا أحب أحدكم أخاه في الله تعالى فليعلمه فإنه أبقى في الألفة وأثبت في المودة**»[4] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان عن مكحول مرسلاً، وفي رواية: « **إذا أحب**

(1) رواه البخاري (1/ 14)، ومسلم (1/ 68).

(2) رواه الترمذي (4/ 599).

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان (19/ 25).

(4) رواه ابن أبي الدنيا في الإخوان (1/ 72).

**أحدكم صاحبه، فليأته في منزله فليخبره أنه يحبه لله**»[1] رواه أحمد والضياء عن أبي ذر.

وعنه ﷺ: «**ثلاث يصفين لك ود أخيك تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه**»[2] رواه الطبراني في «الأوسط»، والحاكم والبيهقي عن عثمان ابن طلحة الحجبي، والبيهقي عن عمر موقوفًا.

وعنه ﷺ: «**إذا رأيت من أخيك ثلاث خصال، فارجه: الحياء والأمانة والصدق، وإذا لم ترها فلا ترجه**»[3] رواه عدة والديلمي في «مسند الفردوس» عن ابن عباس.

وعنه ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى يحب المداومة على الإخاء القديم فداوموا عليه**»[4] رواه الديلمي في «مسند الفردوس» عن جابر، إلى غير ذلك من الأحاديث.

وجاء في فضل الحب في الله أخبار صحيحة، وأحاديث رجيحة منها: «**ما تحابَّ رجلان في الله إلا وضع الله لهما كرسيًا، فجلسا عليه حتى يفرغ الحساب**»[5]، وفي رواية:

«**ما تحاب اثنان في الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه**»[6] رواه البخاري في الأدب وأبو يعلى وابن حبان والحاكم في «المستدرك»، والطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «السنن» والضياء المقدسي عن أنس ﷺ.

وعنه ﷺ: «**المتحابين في الله في ظل العرش**»[7] رواه الطبراني عن معاذ.

وعنه ﷺ: «**استكثروا من الإخوان، فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة**»[8] رواه ابن النجار في تاريخه عن أنس.

وقد تشوق ﷺ إلى لقي من يأتي من بعده من أمته، بقوله ﷺ: «**يا أبا بكر ليت أني لقيت إخواني، فإني أحبهم الذين لم يروني وصدقوني وأحبوني، فإني لأحب لأحدهم عن**

---

(1) رواه أحمد (5/ 145-173).

(2) رواه الطبراني في الأوسط (8/ 192).

(3) ذكره المتقي في الكنز (9/ 126).

(4) رواه الديلمي في مسند الفردوس (1/ 154).

(5) رواه الطبراني في الكبير (20/ 36).

(6) رواه البخاري في الأدب المفرد (1/ 191)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/ 499).

(7) رواه الطبراني في الكبير (20/ 79).

(8) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (4/ 357).

**والده وولده**»[1] رواه أبو الشيخ عن أنس، وفي رواية: « **ليتني لقيت إخواني، فإني أحبهم، فقال أبو بكر: ألسنا نحن إخوانك؟ قال: لا أنتم الأصحاب، إخواني الذين لم يروني، وآمنوا بي وصدقوني، وأحبوني حتى أني أحب إلي أحدهم من والده وولده، ألا تحب يا أبا بكر قومًا أحبوك بحبي إياك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فإنهم أحبوك إلا بحبي إياك**»[2] رواه أبو نعيم في «فضائل الصحابة» عن نافع بن هرمز عن أنس، وأبو هرمز متروك، وقد ذكرنا في «الأرجوزة» المسماة بـ«بلغة المريد ومشتهى موقف السعيد» أدب المريد مع إخوانه وشيخه، وما يلزمه في نفسه، وكل من أهمل العمل بالآداب أهمل، ومن أمهل ذلك أمهل، ومن أجمل ما به يتحمل أن يتجمل من الآداب ما به يتكمل، وليقبل من كل ناصح ما ينهيه عليه، وإلا كان لنفسه غير ناصح وقد أمر الحق بالتواصي بالحق والصبر، فمن قبله نجا، ومن رده هلك ودس من الغفلة في قبر، وكنا ألفنا رسالة سميناها «التواصي بالصبر والحق امتثالاً لأمر الحق» ولم تكمل وقد كملت، ولله الحمد.

وقد اعترى إخوان هذا الزمان الخلل، وصحبهم الملل، وعمتهم فأعمتهم العلل، فمن رافقهم أمر خطل جلل يكثرون البغضاء، ويوبخ بعضهم بعضًا، وقد جاء في الخبر عن سيد البشر: «**إن الله تعالى ليبغض الذين يكثرون البغضاء لإخوانهم في صدورهم، فإذا لقوهم تخلقوا لهم**»[3] رواه الديلمي عن واثلة.

وعنه ﷺ: « **يكون في آخر الزمان قوم إخوان العلانية أعداء السريرة، ذلك لرغبة بعضهم إلى بعض، ورهبة بعضهم من بعض**»[4] رواه أحمد وأبو نعيم في «الحلية» عن معاذ.

وأنشد بعضهم:

تغيّر إخوان هذا الزّمان ... وكلُّ صديقٍ عَراهُ الخلل

وكانوا قديماً على صحّةٍ ... فقد داخلتهم حُروفُ العللِ

فضيت التعجبَ من أمرهم ... فصرتُ أُطالِعُ بابَ البدَل

(1) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 308).

(2) رواه أبو نعيم في فضائل الصحابة (1/ 60).

(3) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 168).

(4) رواه أحمد (48/ 154)، وأبو نعيم في الحلية (1/ 238)، (6/ 102).

وأنشد آخر:

عَاشر من النَّاس مَنْ تَرجو مَودته ... فأكثر الناس جمعٌ غير مُؤتلف

منهم صديق بلا قاف ومعرفة بغير فاء وإخوان بلا ألف مفعول أضح (وِرْدًا يَقْتَبِسُونَ) قال في «القاموس»: القبس محركة شعلة نار تقتبس من معظم النار؛ كالمقباس، وقبس يقبس منه نارًا، واقتبسها أخذها، والعلم استفاده، انتهى.

(مِنْ نُورِهِ): النور ضد الظلمة، قال في «المختار»: النُّورُ، الضِّياء، والجمع: أَنْوَارٌ، وأَنَارَ الشيءَ، واسْتَنَارَ بمعنى: أَضَاءَ، والتَّنْوِير للإنارة، وهو أيضًا الاستنار، وهو أيضًا أزهار الشجرة، يقال: نورت الشجرة تنويرًا، وأنارت؛ أي: أخرجت نَوْرها... إلخ.

وحقيقة النور، وهو الظاهر بنفسه المظهر لغيره، وهو ينقسم إلى قسمين: جوهر ذاتي قائم بنفسه المظهر لغيره، وعرضي قائم بغيره؛ والجوهري غني الذات، والعرضي فقير، وحاصل الغني يرجع إلى وجوب الذات، والفقير إلى إمكانها، والمراد وجوب الوجود في الذات، وإمكان وجود الذات بناء على زيادة الوجود، والوجوب تمامية وكمالية، وتأكد أو شدة في الوجود، والإمكان يلزم النقصان، فالغني ما لا تتوقف ذاته ولا كماله على غيره، والفقير ما تتوقف ذاته وكماله، ويطلق الجوهر والنور؛ لأن النور هو الظهور والجوهر فوعل من الجهر، وهو الظهور، فالنور جوهر؛ لأنه أظهر من كل ظاهر؛ لأنه الظاهر في حقيقة نفسه المظهر لغيره من الموجودات الجسمانية والروحانية، ولولا النور ما ظهر شيء، والأنانية تطلق على الذات النورية الجوهرية؛ لأن أن في لغة العرب: تفيد القوة والتأكيد، والواجب الوجود لا شبهة في أكمليته، وتأكد وجوده وشدته.

كذا في شرح «الإشراق» للمحقق الشيرازي، وقال فيه: النور العرضي يعرض للأجسام، وليس عين حقيقتها، ولا جزء منها، ونورية الأجسام ظهور للأجسام لا لذات النور العارضي فالعدم قيامه بنفسه فليس وجوده لذاته بل لغيره، وهي الجسم الذي ظهر به وبدون المحل لا يظهر فقره، وعرضته، وضعفه بخلاف النور المجرد الجوهري، فإنه نور لذاته فهو يدرك ذاته لجوهريته واستغنائه بنفسه وقوة ذاته في الظهور والإدراك؛ لأنه عين الظهور، فالنور هو الظهور، ولا يحتاج إلى محل، وليس كذلك النور العرضي للتفقر إلى المحل؛ لأن وجود العرض؛ إنما هو للموضوع فإنه ناعت له بذاته، وشدة الظهور لا

تنافي العرضية، وليس له -أعني للعارض- ذات مستقلة، بل هو وصف لذات فليس مدركًا لذاته؛ لأنه لا ظهور له عندها، وحقيقة الإدراك هو ظهور الشيء للشيء، والظهور وإن كان حقيقة النور، إلا أن حقيقته ليست لذاته؛ بل لغيره لقيامه به، فتكون حقيقته ظهورًا لغيره لا لنفسه، فلو قام بنفسه لكان نورًا لنفسه، وكان مدركًا لها، وليس كذلك، وناقش الدواني بأنه لا يثبت أن ما لا يدرك نفسه، فليس نورًا لنفسه، ولا هو عين، ولا مبين... إلخ.

قال السيد الشريف في «التعاريف»: والنور كيفية تدركها الباصرة أولاً، وبواسطتها سائر المبصرات، انتهى.

واعلم: أن الأنوار لها وصفان حدوث وقدم، فالأول: مختص بكل ما سوى الله، والثاني: بالله وأول الأنوار ظهورًا، وأتمها نورًا نور نبينا ﷺ، ففي حديث عبد الرزّاق بسنده عن جابر ﷺ: «يا رسول الله أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء، قال: يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا فلك، ولا سماء ولا أرض، ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس؛ فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء؛ فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش؛ ثم قسم الجزء الثاني أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث الملائكة؛ ثم قسم الجزء الثالث على أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول السموات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار؛ ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول نور إبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم، وهو المعرفه بالله تعالى، ومن الثالث نور أنسهم؛ وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله»[1] الحديث كذا في شرح الهمزية للإمام ابن حجر رحمه الله.

وهي أنواع كثيرة؛ إذ لكل مقام نور، وكذلك الأحوال؛ ولكل نور حقيقة، وهي نور وللحقيقة حقيقة إلى أن ينتهي الأمر إلى نور الأنوار، وسر الأسرار، وحقيقة الحقائق، وينبوع الدقائق، والبرزخ الكلي الجامع، والفيض الآلي الهامع مسبح الأرواح، وممتد

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (2/ 311).

الأفراح، وسيأتي التوسل بهذا النور الذي لم يرم أحد مرامه عنه.

قلت: إلهي بالنور المحمدي الذي رفعت على كل رفيع مقامه.

واعلم: أن الأنوار تكشف الأستار، وبها تتضح الأسرار؛ إذ هي الكاشفة لغواشي الإثارة، وللأنوار أسراره، ولتلك الأسرار أنوار، فكانت هذه الأسرار زادًا على الأنوار، ولذا قلنا في الورد:

**إلهـــي حـــل لـــنا إزار الأسرار عـــن علـــوم الأنـــوار**

**فمـــن دخـــل حـــضرة الـــنور بالـــنور تـــراءت لـــه حقائـــق الأمـــور**

**ونفـــذ بـــصر بـــصيرته فـــأدرك لكـــل سر مـــستور**

والنور بالكنه لا يرى لكن تجليه يرى، وإليه الإشارة «**نور أنى أراه**»[1] وهذه رواية أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، ورواية ابن عباس ﷺ: «**نور أنّي أراه**» فهو مثبت لرؤية التجلي لا لكنه المتجلي، فإنه محال على كل محال.

وقد تكلمنا على هاتين الروايتين في رسالة «رفع الستر والردا عن معنى قول العارف أروم، وقد طال المدا»[2]، ولم يدخل أحد حضرة النور من أهل الحضور إلا استغرق عن الشعور، وانفتح له باب حبور وسرور، وأغلقت عنه أبواب نفور وشرور، وربما دخلها المكاشف بجزاء أو جلي أو كل، فمن دخلها بقلبه حدثه عن ربه، ومن دخلها بروحه أنباه عن سبوحه، ومن دخلها بكله أدرك سر وثاقه في حله، وعزه في ذله، وكثره في قله، وجمع بين الأضداد، وبلغ منزلة الأفراد.

ونقل العارف باللمح الملكي أبو طالب المكي ﷺ في «قوت القلوب» حديث:

«**اللهم اجعل لي نورًا في سمعي، ونورًا في بصري، ونورًا في شعري، ونورًا في بشري، ونورًا في لحمي، ونورًا في عظامي، ونورًا بين يدي، ونورًا من خلفي، ونورًا عن يميني، ونورًا عن شمالي، ونورًا من فوقي، ونورًا من تحتي، ونورًا في قلبي، ونورًا في قبري، اللهم زدني نورًا واعطني نورًا، واجعل لي نورًا**»[3].

---

(1) رواه مسلم (2/ 51) والطبراني في الأوسط (18/ 111).

(2) تحت قيد الطبع بتحقيقنا.

(3) رواه ابن خزيمة في صحيحه (2/ 167)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (3/ 210).

ثم قال: وهذه الأنوار التي سأها ﷺ في كل جزء من أجزائه؛ إنها هو دوام النظر من نور النور يشاهد القيومية في كل حركة وسكون يتولاه بحيطته، ولكلا ومنتظره ويستقيم له بحفظه، انتهى.

فإن قلت: إذا كان السيد المختار أصل الأنوار، ومركز الأدوار، وينبوع الأطوار، ومحمودية الأسرار، وهو البحث الظاهر عن نوره كل نور في الطول والعرض، ويشهد لتخليصه من العوارض البشرية، وكونه نورًا صرفًا عدم وقوع ظله على الأرض، فما حقيقة هذا السؤال؟

قلنا: الكامل يقبل الكمال، وفيض الحق غير متناه بحال، وما من مقام إلا وفوقه ما هو أعلا منه في رتبتي الجلال والكمال، فطلبه ﷺ بالجعل جعلاً خاصًا، ومددًا كليًا هاميًا على المورد الأكمل ناصًا والنور كاشف، والمكاشف لما يكشفه النور راشف، وهو ﷺ مأمور بطلب الزيادة من العلم ولا نهاية له؛ بل غاية وصولنا فيه لمرتبة الفخر؛ كما أشار إليه حديث: «**سبحانك ما عرفناك حق معرفتك**»[1]، فالمعنى على هذا: اللهم اجعل لي نورًا خاصًا أسمع به من خطابك الأقدس ما لا يسمع، وأبصر به ما لا يبصر ويدرك به شعري ما لا ينال، وبشري ما لا يتفوه به، ولا يقال ويقف به لحمي على السر المصون المحتمي، وعظامي تدرك به في الكنز المظلم السامي، وأدرك به ما احتوت عليه الجهات إدراكاً لا يماثله إدراك في سائر الأنات، وأشهد به في قلبي ما لا يشهد، وفي قبري ما لا يعهد، ثم طلب الزيادة منه، وهذا مقتضى أدب العبودة التي تأخذ عنه، فحضرة هذا النور الخاص هي حضرة، قاب أو أدنى التي اختص به ﷺ دون غيره، فليس لسواه الولوج؛ كولوجه فيها، ولا العروج كعروجه، ووقوفه على خوافيها، وللنور حضرات لا تنحصر، وأعلاها حضره الحضرة الإلهية المختصة بأرفع تجلي لاسم الله المخصوص ذلك برسول الله، وحبيب الله:وله ثلاث درجات: درجة عامة، وخاصة وخاصة الخاصة، وكل درجة لها بداية، وتوسط وغاية؛ ولكل منها ذوق وشرب ورأي، ولكل منها قال وحال، وما لا يقال، ولكل جمود وخمود، وكهود ولكل تدلي، وتولي وتعلي، ولكل خبون وفتون وسكون، والدخول في أول حضرة من حضرات النور يكشف عن هذه النظورات

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (2/ 410).

ثم قال: وهذه الأنوار التي سأها ﷺ في كل جزء من أجزائه؛ إنما هو دوام النظر من نور النور يشاهد القيومية في كل حركة وسكون يتولاه بحيطته، ولكلا ومنتظره ويستقيم له بحفظه، انتهى.

فإن قلت: إذا كان السيد المختار أصل الأنوار، ومركز الأدوار، وينبوع الأطوار، وعمودية الأسرار، وهو البحث الظاهر عن نوره كل نور في الطول والعرض، ويشهد لتخليصه من العوارض البشرية، وكونه نورًا صرفًا عدم وقوع ظله على الأرض، فما حقيقة هذا السؤال؟

قلنا: الكامل يقبل الكمال، وفيض الحق غير متناه بحال، وما من مقام إلا وفوقه ما هو أعلا منه في رتبتي الجلال والكمال، فطلبه ﷺ بالجعل جعلاً خاصًا، ومددًا كليًا هاميًا على المورد الأكمل ناصًا والنور كاشف، والمكاشف لما يكشفه النور راشف، وهو ﷺ مأمور بطلب الزيادة من العلم ولا نهاية له، بل غاية وصولنا فيه لمرتبة الفخر؛ كما أشار إليه حديث: «**سبحانك ما عرفناك حق معرفتك**»[1]، فالمعنى على هذا: اللهم اجعل لي نورًا خاصًا أسمع به من خطابك الأقدس ما لا يسمع، وأبصر به ما لا يبصر ويدرك به شعري ما لا ينال، وبشري ما لا يتفوه به، ولا يقال ويقف به لحمي على السر المصون المحتمي، وعظامي تدرك به في الكنز المطلم السامي، وأدرك به ما احتوت عليه الجهات إدراكاً لا يماثله إدراك في سائر الأنات، وأشهد به في قلبي ما لا يشهد، وفي قبري ما لا يعهد، ثم طلب الزيادة منه، وهذا مقتضى آدب العبودة التي تأخذ عنه، فحضرة هذا النور الخاص هي حضرة، قاب أو أدنى التي اختص به ﷺ دون غيره، فليس لسواه الولوج؛ كولوجه فيها، ولا العروج كعروجه، ووقوفه على خوافيها، وللنور حضرات لا تنحصر، وأعلاها حضره الحضرة الإلهية المختصة بأرفع تجلي لاسم الله المخصوص ذلك برسول الله، وحبيب الله:وله ثلاث درجات: درجة عامة، وخاصة وخاصة الخاصة، وكل درجة لها بداية، وتوسط وغاية؛ ولكل منها ذوق وشرب ورأي، ولكل منها قال وحال، وما لا يقال، ولكل جمود وخمود، وكهود ولكل تدلي، وتولي وتعلي، ولكل خبون وفتون وسكون، والدخول في أول حضرة من حضرات النور يكشف عن هذه النظورات

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (2/ 410).

السطور، وكلما ارتقى المريد عالمًا نورانيًا شاهد أمرًا وجدانيًا، وأدرك الأشياء على ما هي عليها عيانًا، وانجلت عليها عرائس الحقائق، فأدركها إيقانًا.

وقلت سابقًا:

حضرة النور تكسب الأنوارا ... وهو يمحو من الفتى الآثارا
يدّعي أهلها التحقق فيها ... وهي في العز والعلا لا تُجارى
عبدها عندها مقيم يراها ... حين تجلى عليه منا جهارا
تتجلى فيها ملاح المغاني ... للمعاني حتى تريح النهارا
فيضها القدسي يُضيء الدياجي ... مستمدًا عطاء يفوق البحارا
فارم ثوب الظلام عنك وحل ... محله النور، فالظهور أثارا
واشهد النور يبدو في كل شيء ... عن جمال به أزاح الخمارا
وخلة الحبيب [.....] فاحفظ ... واحتس الكأس إن مديرًا أدارا
هذه حضرة الهنا والتصابي ... فادخلوها، ثم اكتموا الأسرارا
وإذا ما دخلتم حِماها ... نلتم العز والمنى والفخارا
فاشكروا نعمة الإله عليكم ... وأفيضوا مما بكم مدرارا
وأطلقوا للحصير في أرض نفس ... ثم فكوا عنها قيود الأسارى
ثم زكوا أموال ما نلتموه ... من نوال، مِنْ مَنْع ذاك حذارا
وصلاة على الحبيب التهامي ... مَنْ به المسرف الكئيب استجارا
وسلام عليه في كل وقت ... ما تبدّا سر، وسر توارى
على آله وصحب كرام ... قد محى عنهم المنى أوزارا

وقد ورد في الكتاب المجيد آيات كثيرة فيها الحث على الخروج من الظلمات إلى النور الحميد، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الحديد:9] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب:43]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم:5]، والخروج من الظلمات العناصر والطبائع

والفوائد والمألوفات والشواغل أمنًا يتأتى بدوام ذكر الله، والنظر فيها يدل على الله ويهدي إليه، واستخلاص الحقيقة الإنسانية، واللطيفة الربانية من أيدي الظلمات الكيانية واجب، ولا يتم ذلك إلا بالإقبال على ذكر الله؛ لأنه الرافع لكل حاجب، وما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب.

فافهم: خلصني الله وإياك من ظلمات القواطع، وأشرق فيَّ وفيك أنوار اللوامع والسّواطع.

([1] في حِنْدِسٍ) قال في «القاموس»: الحندس بالكسر: الليل المظلم والظلمة، وجمعه حنادس، وتحندس الليل أظلم والرجل سقط وضعف، والحنادس ثلاث ليال بعد الظلم، انتهى.

**(الأَوْهَام)**: جمع وهم، قال في «القاموس»: الوَهْمُ من خَطَرَاتِ القَلْبِ، أو مَرْجُوحُ طَرَفَي المُتَرَدَّدِ فيه ج أوهامٌ، والطريقُ الواسعُ، والرَّجُلُ العظيمُ، والجَمَلُ الذَّلولُ في ضِخَمٍ وقُوَّةٍ ج أوهامٌ ووُهومٌ ووُهُمٌ. ووَهِمَ في الحِسابِ، كوَجِلَ غَلِطَ، وفي الشيءِ، كَوَعَدَ ذَهَبَ وَهْمُهُ إليه. وأَوْهَمَ كذا من الحِسابِ أسْقَطَ، أو وَهَمَ، كوَعَدَ ووَرِثَ، وأَوْهَمَ بمعنًى. وتَوَهَّمَ ظَنَّ. وأوْهَمَهُ وَوَهَّمَه غيرُهُ. وأتْهَمَه بكذا إتْهاماً، واتَّهَمَهُ، كافْتَعَلَهُ، وأوْهَمَهُ: أدْخَلَ عليه التُّهَمَةَ، كهُمَزَةٍ، أي: ما يُتَّهَمُ عليه، فاتُّهِمَ هو، فهو مُتَّهِمٌ وتَهِيمٌ انتهى.

فالوهم ظلمة تسلك بصاحبها طريقًا غير الصواب، وتوقفه بعد سيره لمنازل العلا في مرابض الدواب، وقلت محذرًا منه الطلاب ليحذروا في مراتب الاقتراب.

وقلت أيضًا:

| | |
|---|---|
| **قطعتك عن سير العلا الأوهام** | **ورمتك أنبال القلا الأفهام** |
| **فاخرق بعزمك حجبها فلعل إن** | **يبدو الحبيب فينمحي الإيهام** |
| **ومتى خلا قلبٌ من الوهم امتلا** | **نور الولاء وراحة الإلهام** |

وقلت أيضًا:

(1) زيد في متن نسخة [عجائب].

إنـــما الأوهـــام أســـقام لـــذا قطعـــت مـــن فيافـيها أقـسام

فبـــصدق سر ولا تخـــش الـــردا فالهدى شمس به يفنى الظلام

كـــل مـــن لم يـــترك الـــوهم فـلا يرتقـــي نُـــزل الـــتدني والـــسلام

(وَيَتَلَقَّوْنَ) أي: يستقبلون، قال في «المختار»: وتلقاه، أي: استقبله، وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور:15]؛ أي: يأخذ بعض عن بعض... إلخ.

وقال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة:37].

قال القاضي- رحمه الله: استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حتى علمها، وقرأ ابن كثير بنصب (آدم) ورفع الكلمات على أنها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:23]، وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «قال آدم: «**يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: يا رب ألم تنفخ فيَّ الروح من روحك؟ قال: بلى، قال: يا رب ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى، قال يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى، قال يا رب إن تبت وأصلحت أترجعني إلى الجنة؟ قال: نعم**»[1]، انتهى.

وقال الله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:6]، والتلقي على قسمين رحماني وشيطاني؛ والأول قد يكون بواسطة الأمين، أو ملك الإلهام ذو القدر المكين، أو من غير واسطة، ومن التلقي كان نبينا ﷺ يسابق الأُمين في التلاوة، فأوحى الله تعالى إليه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ [طه:114] ؛ لأن في المسابقة تعجيل الواسطة، فقال ﷺ: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»[2]، وصاحب التلقي الخفي دائمًا في الترقي، وقد يؤذن له في الإلقاء فيلقي، والشيطان قد يكون بواسطة الأعوان، وقد يلقي هو في الأمنية فينسخ الله ما يلقي الشيطان، وقد يكون يتصور بعض الشياطين بصورة الإنسان ففي الحديث الشريف: « **انظروا من تجالسون، وعمن تأخذون دينكم، فإن**

(1) رواه الحاكم في المستدرك (9/ 247).

(2) تقدم تخريجه.

**الشياطين يتصورون في صورة الرجال، فيقول: حدثنا وأخبرنا، وإذا جلستم إلى رجل فاسألوه عن أمه وأبيه وعشيرته، فتفقدونه إذا غاب»**[1] رواه الحاكم في تاريخه والديلمي عن ابن مسعود ﷺ.

وعنه ﷺ: **«يوشك أن يظهر فيكم شياطين، كان سليمان بن داود أوثقها في البحر يصلون معكم في مساجدكم، ويقرءون معكم القرآن، ويجادلونكم في الدين، وإنهم لشياطين في صورة الإنسان»**[2] رواه الطبراني عن ابن عمر.

وعنه ﷺ: **" إن سليمان بن داود أوثق شياطين في البحر فإذا كان سنة خمس وثلاثين ومائة خرجوا في صور الناس، وأبشارهم فجالسوهم في المجالس والمساجد، ونازعوهم في القرآن "**[1] والحديث رواه الشيرازي في الألقاب عن ابن عمر.

وعنه ﷺ: **«لا تنقضي الدنيا حتى يخرج الشياطين من البحر يعلمون الناس القرآن»**[1] رواه أبو نعيم عن أبي هريرة، وفي رواية **« لا تقوم الساعة حتى يمشي إبليس في الطرق، والأسواق يتشبه بالعلماء، يقول: حدثني فلان ابن فلان عن رسول الله ﷺ كذا أو كذا»**[5]، رواه أبو نعيم عن واثلة ﷺ.

وعنه ﷺ: **«يوشك أن تروا شياطين الإنس يسمع أحدهم الحديث، فيفشيه على غيره، فيصد الناس عن استماعه من صاحبه الذي يحدث به»**[6] رواه الطبراني عن ابن عباس.

ونعوذ بالله وبوجه الله أن يسلط علينا أحد هؤلاء الشياطين، فنمسي بعد الإصابة نعد في الخاطئين، وللشياطين أولياء من الإنس يوحي إليهم في بواطنهم، وربما يتخيل أحدهم أنه فتح وهو ذلة، وفتح قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:121]، ومن هؤلاء الأولياء من

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (1/ 107).

(2) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (1/ 140)، والسيوطي في جامع الأحاديث (24/ 282).

(3) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (9/ 48).

(4) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (16/ 359).

(5) رواه الخطيب البغدادي في الكفاية (1/ 430).

(6) رواه الطبراني في الكبير (11/ 360).

يصرعه شيطانه من غير أن يعنيه كلية، ويلقي في قلبه علومًا وأسرارًا ممتزجة بضلال ليروج على صاحبها، ومن يسمع منه ذلك فيضله ويضل به خلقًا كثيرًا.

ومنهم من يترآى أي: له الشياطين في صور أولياء الله ويتسمون بأسمائهم ويفيدونه أمورًا، ويخبرونه عن حوادث فتقع كما أخبروا به، فيزداد اعتقاده الفاسد واعتقاد من يعتقده، وقد ضل في هذا الباب خلق لا يحصي عددهم وبعضهم من يصرع الشيطان قلبه، ويتكلم فيه بمعارف، وأسرار كلها باطلة، أو بعضها، أو الأغلب فيها الصحة على قدر قوة صاحبه في العلم الظاهر، فلا يمكن أن يأتيه من الباطل إلا ما يعلم أنه يروج عليه، وكثيرًا ما يلقي على الأفهام أمورًا زائفة؛ ثم تنكشف لمن نور فهمه، فيراها كالنقاب الزائفة فينبذها وراء ظهره، والغالب فيقبلها منه لدخوله تحت نهيه وأمره، ومن وقف على كتاب في غرور الخلق أجمعين وانصرف، وبالاعتراف اتصف، اجتهد في تحصين بيت قلبه من الشيطان الرجيم؛ لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم؛ كما جاء في الخبر عن الرؤوف الرحيم، وأغلب الملاحدة والزنادقه أضلهم الشيطان من هذا الباب، وأدخلهم بمواقده وسبكهم في قوالب يرتضيها ودفعهم سبكته التي يقتنيها، فركن إليهم وركنوا إليه، واعتمد عليهم، واعتمدوا عليه يظنون أنهم في الحاصل، وهم في الفائت؛ لتماديهم في الغي عميت منهم البصائر، ويحسبون أنهم على شيء، وقد حذر منهم سيد الكائنات عليه أفضل الصلاة، وأكمل التسليمات بقوله ﷺ: "**يكون في آخر الزمان ناس من أمتي يجادلونكم بما لم تسمعوا به، ولا آباؤكم فإياكم وإياهم**"[1] رواه مسلم عن أبي هريرة؛ كذا في «الجامع الكبير»، وقد شاع أمر هؤلاء الزنادقة محقهم الله، وأبادوا محقهم بسيف قهره وأذاقهم الأمجاد والأكباد، وفي شأنهم ألفنا «السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد»،وعقدنا فصلاً في الألفية للرد عليهم، وحذرنا من الميل إليهم.

(مِنْ تَغْرِيدِ): قال في «المختار»: الغرد لفتحتين التطريب في الصوت والغناء يقال: غَرِدَ الطائر من باب طَرِب فهو غَرِد وغرد تغريدًا وتغرد تغردًا مثله، انتهى.

(شَحْرُورِهِ): قال في «القاموس»: والشحرور: كعصفور طائر، انتهى. والمشهور شحروري.

---

(1) رواه مسلم (1/ 11).

قال الشيخ داود البصير الأنطاكي في «تذكرته»: شحرور بالضم: ضرب من العصافير إلا أنه أسود طويل العنق بالنسبة إليها، وأسود ما فيه فمه، وقد يرقش، وهو طائر مألوف يحبس لحن صوته، وإذا كان في مكان أصلح الهوى المتروح من الطاعون والوباء والروائح الكريهة، وهو حار طيب في الثانية يولد غذاء جيدًا وخلطًا صحيحًا، ويصلح البرص والفالج، والجذام، والوسواس والماليخوليا، ومن شرب من دمه بدهن اللوز أصلح صوته بعد اليأس من صحته، انتهى.

وفي ذكره استعارة مكنية، فإنه شبه الورد ببستان غنت أطياره، وذكر الشحرور تخييلاً، وكان شبه الألفاظ بالأشجار، والمعاني بالأثمار، ومن لوازم الأشجار غالبًا وجود الأطيار الصادحة عليها، ونزل الأطيار منزلة المعاني المفهمة بما تحمله المباني.

وقد يكون أراد بالشحرور: حقيقة هذا الورد والجماعة لحقائق معانيه، ورقائق مبانيه، فهي اللام التي تستمد منها حروف الورد وكلماته، وفواصله توسلاته، ولكل توسل منه حقيقة، وتلك الحقيقة قد اتصلت بحقائق غيبية، وطرائق عينية، واتخذت لها جنة وصيرته لاعتكافه عليه جنة؛ فتعود من تلك الحقائق امتدادات، وكشوفات على التالي، وتستمد هي من حقيقة ذلك التوسل، أو من سرها العالي ودرها الغالي، فيرى الكاشف حال التلاوة ازدحام الحقائق على أخذ كل منها ما اتخذ بها لمناسبة أو حال أنتجته الحضرة التي برز ذلك التوسل عنها؛ فتلقاه من فم التالي تلقي الظمآن للماء الزلال، وتعطيه ما يناسب حاله من الإمداد من القوت الحلال، ويعاين ذلك الشحرور صائحًا في بحور أنوار سائحًا في قصور أسرار فياضًا على وارد ما نورده بما لا يفي الزمان بإيراده وسرده، وليس لكل ورد هذا المورد العذب؛ كما أنه ليس لكل من تجد به الحضرات كمال الجذب، فرب ورد قاصر مدده على الحضار وآخر يعم مدده الأقطار، وفي تخصيص ذكر هذا الطائر كمال المناسبة، ولأمور تتكشف للواقف السائر، فافهم هذا الخطاب، فربما لم تره في كتاب.

**(غَرَائِب)** جمع غريبة مفعول، يتلقون، وآغرب جاء بشيء غريب، والغرائب: هي الأسرار التي تغربت عن وطنها؛ فغربت النفس عن النفس عن وطنها، **(تَدِقُّ عَلَى)** أي: تغمض وتختفي، على **(الأَفْهَامِ)** جمع فهم. قال في «تهذيب الصحاح»: فهمت شيئًا فهمًا

وفهمًا وفهامية، علمته وفلان فهم وقد استفهمني الشيء؛ فأفهمته وفهمته تفهيمًا وتفهم الكلام، إذا فهمه شيئًا بعد شيء، وفهم قبيلة، انتهى.

قال في «القاموس»: فَهِمَهُ، كفَرِحَ، فَهْماً ويُحَرَّكُ، وهي أَفْصَحُ، وفَهامَةً ويُكْسَرُ وفَهامِيَةً عَلِمَهُ، وعَرَفَهُ بالقَلْبِ. وهو فَهِمٌ، ككَتِفٍ: سَرِيعُ الفَهْمِ. واسْتَفْهَمَني فأَفْهَمْتُه وفَهَّمْتُه، وانْفَهَمَ لَحْنٌ. وتَفَهَّمَهُ: فَهِمَهُ شيئاً بعد شيءٍ.، انتهى.

قال الخفاجي في «شرح الشفاء»: والفهم هيئة تحصل للنفس تتحقق بها ما يحسن، وقول الجوهري كغيره الفهم العلم على عادتهم في التسامح، وقيل: الفهم سرعة انتقال النفس من الأمور الخارجة لغيرها، انتهى.

قال في «المصباح»: فَهِمْتُهُ فَهْمًا مِنْ بَابِ تَعِبَ وَتَسْكِينُ الْمَصْدَرِ لُغَةٌ وَقِيلَ السَّاكِنُ اسْمٌ لِلْمَصْدَرِ إذَا عَلِمْتَهُ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ هَكَذَا قَالَهُ أَهْلُ اللُّغَةِ وَيُعَدَّى بِالْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ، انتهى.

وقلت سابقًا:

فهمت مراد الحب مني، فَهِمْتُ في ... جمال مريد يُعْجِزُ الوصفَ والنُّعتا

ولم أرَ لي لِـمَـــا أراد إرادةً ... لأن أرادني بـــه فُتِّـــنْتُ فَـــتَا

ولله قـوم أمَّلـوا كـل مطلـب ... سـويٌّ، فـلا أبـلى بـذاك ولا أفـنا

وقـوم تفانـوا فيه عـن كل مقصد ... وقـوم بـه أبقـوا مـشاربهم شَـتَّى

فَـدَعْ سـائر الأشياء في جنب حبه ... ومُـتْ في الهـوى قاضـيه بالحـتفا

وجانـب بـه فهـمًا ووهمًـا وفكـرةً ... تـنل المنـى، إن عـنهم غبـتا

وإيـاك دعـوى الآن والهـو والأنـا ... إذا مـا انمحـى اسـم، واسـم ثبـتا

وإذا لم تغـب في الغـيب عنك بنوره ... ذقـت حـبه قـد بـنت دهـرًا ومـا كنـتا

فلـو كـشف الأستار للقلب لم نَمِلْ ... إلى الغـير؛ بـل في الحب للحب قد نمتا

ولا خطـر الـسلوان عـن نـور ذاته ... وكـنت بـدار العـشق والحـب فتنـتا

(فَشَرَعْتُ): الفاء عاطف، قال في «المختار»: وشرع في الأمر خاض، وبابه خضع، انتهى.

(فِي ذَلِكَ) أي: في تأليف هذا الورد؛ أي: الذي تتعشق مثله النفوس الكريمة،

وتميل إليه الطباع السليمة (**مُعْتَمِدًا**) حال؛ أي: حال كوني متوكلاً (**عَلَى السَّيِّدِ**) وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن الشخير عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**السيد الله**»[1] وهذا الحديث يشهد لجواز إطلاقه على الله.

ونقل عن مالك ﵁ أنه قال: بعدم جواز إطلاقه عليه تعالى، وكأن هذا الحديث لم يصح عنده، قال الشيخ: ياسين الحمصي- رحمه الله تعالى- في «حاشيته» على الفاكهي: قوله على سيدنا فيه استعمال السيد في غير الله تعالى، والصحيح جوازه بدليل نسيئا، وحصورًا، وقيل: لا يطلق إلا على الله.

وقيل: ويمتنع إطلاقه عليه، وحكى عن مالك والسيد المولى، للسواد؛ أي: الجماعة الكثيرة، والذي يفوق قومه، ويرتفع قدره جلي، وعلى الحليم الذي لا يستفزه غضب، وعلى الكريم وعلى (**المَالِكِ**) انتهى.

وقيل: هو المالك الذي تجب طاعته، وقيل: السخي ويطلق على الزوج، ومنه ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف:25] وقيل: هو الكريم على ربه ﷻ وقال قتادة السيد الورع العابد الحليم، وقيل غير ذلك.

المالك: من ملك الشيء، فهو مالكه ومسترقه، ولم يرد إلا مضافًا؛ كمالك يوم الدين، مالك الملك، والملك بفتح الميم، وكسر اللام، ويخفف بسكون اللام مقصور من مالك، ومليك، ويجمع على ملوك وأملاك، وهو المستغني في ذاته، وصفاته عن موجود.

وقيل معناه: الذي يعز ويذل، وقيل: التام القدرة، وهو صفة فعلية سلبية على الأول، ويرجع إلى صفة القدرة على الثاني، وسيأتي الكلام عليه عند تغير السبع المثاني، (**فَأَقُولُ فِي تَرْجَمَتِهِ**): قال في «المختار»: وترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر، ومنه الترجمان، وجمعه تراجم؛ كزعفران وزعافر وضم الجيم لغة، وضم التاء والجيم لغة، انتهى.

ومنه قولهم في ابن عباس رضي الله عنهما: ترجمان القرآن، ويقال: ترجم الرجل إذا ذكرت مناقبه، ولما ذكر إنشاء هذا الورد ومحل الإنشاء والمنشأ، وذكر أنه نافع لمن لازمه، وترتيبه، والإضافة، والزيادة والدعاء لمن دأب عليه كان هذا تفسيرًا لكلامه بلسان آخر؛ فلذا سماه ترجمة، (**رَاجِيًا**) حال، والرجاء ضد اليأس، جمعه إرجاء والرجاء: الأمل.

---

(1) رواه النسائي في الكبرى (6/ 70)، وأحمد (4/ 24-25).

قال في «المصباح»: رَجَوْتُهُ أَرْجُوهُ رُجُوًّا عَلَى فُعُولٍ أَمَّلْتُهُ أَوْ أَرَدْتُهُ قال تعالى: ﴿ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ [النبأ:27]؛ أي: لا يريدون، والاسم الرجاء بالمد ورجيته أرجيه من باب رجي، ويستعمل بمعنى الخوف؛ لأن الراجي يخاف أنه لا يدرك ما يترجاه، وقال في «المختار»: والرَّجَاءُ من الأمل ممدود يقال رَجَاهُ من باب عدا ورَجَاءً ورَجَاوَةً أيضا وتَرَجَّاهُ وارتَجَاهُ ورَجَّاهُ تَرْجِيَةً كله بمعنى وقد يكون الرَّجْوُ والرَّجَاءُ بمعنى الخوف قال الله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح:13] أي: لا تخافون عظمة الله، وقال أبو ذؤيب إذا لسعته النحل لم يرج لسعها أي لم يخف ولم يبال والرَّجَا مقصور ناحية البئر وحافتاها وكل ناحية رجا وهما رجوان والجمع أرجاء، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ﴾ [الحاقة : 17] انتهى.

وقيل: هو تعلق القلب بالشيء من حيث يتوقع وشرطه مفارقة العمل، وإلا فهو أمنية، وقال ابن العريف الصنهاجي ﷺ في «محاسن المجالس»: أما الرجاء فهو انتظار غائب، وطلب مفقود، وهو من أضعف منازل القوم في هذا الشأن؛ لأنه معارضة من وجه؛ لكونه ينتظر حصول ما غاب من آماله، ولم يأت إلا بأن، وفي ذا اشتغال القلب بما قد يكون، أو لا يكون، وليس من شأن الطائفة ذلك، بل هم مشتغلون في هم وقتهم الحاضر لا ينتظرون لغائب، ولا يحزنون على ذاهب؛ ولذا قيل الصوفي ابن وقته، وفي الانتظار معارضة الأقدار، ثم قال: واعتراض من وجه، أي: في اعتراض من وجه؛ لأن طلب المفقود الذي لم يتوجه عليه فيض الإيجاد طلب محال، وفي طلبه اعتراض، ضمنًا فإنه لا يوجد فيحدث في النفس نوع اعتراض على القدر، وإن أخفته فإنه ظاهر للمكاشف، وطلبه المفقود جهل على ما رفع قدرك، وأنا وصفي وسم بذل العبودية ومقت نازع الربوبية، ومن نازع قصم ومن سلم سلم.

وقال أيضًا: تحقيق الفقير سمة الأحباب، وحلية العبد الأوابة من ليس اسمًا له كان ذلك اسمًا له في وجوه أهله القبول، وعليهم من الله سؤال وجوه عليها للقبول علامة، وليس على كل الوجوه قبول، انتهى.

واعلم: أن الفقر سر من أسرار الله تعالى لا يهبه إلا لمن قربه واصطفاه، فما كل من ادّعى الفقر بلسانه يسلم؛ لذا دعاوه دون التحقق به في جنابه، ومن البين لدى الأكياس؛

بل وكل الناس أن من قنع بمجرد النسبة واللقب كان ناقص الرتبة عن طلب ما ارتقب، أو اعتنى بالزي واللباس دون اقتباس من نور مراقبة الأنفاس، واحتباس عن موافقة عواد الوسواس، فهو على غاية من الإفلاس، فإن الفقر ليس بمجمل العكاز والمسجد، بل يذبح النفس بسيوف المخالفة ألف ذبحة، ولا يحمل السجادة، بل بترك المألوف والعادة، ولم يرض بالصياح والتخبيط إلا من كان في سيره لقيط، ولا قنع بالمحراب والإبريق دون الإخلاص وترك التلفيق، وخرق حجب التعويق إلا من لم يدر طريق الفقر؛ أي: طريق ولا اعتنى بحمل الإشارات من غير فهم الإشارات وتخريق الخرق من غير خرق إلا من لسياج الطريق خرق وللوقوف في صفوف العادات، وببوت السادات خرق لو فهم الإشارة تمن على نفسه الفارة، وعاد مثافا، ومطل مطالبها ليس من عريد عند سماع المزاهر لمن تواجد لصوت أرواح نورها زاهر، ولا من هام لدق الطبول كمن هيمه خطاب إنك لدينا مقبول، فيا أيها الفقير تحقق بالفقر التام، وأزاح لثام البسام.

واعلم: أنه دوام الاحتياج، وعدم الاستغناء بي دون الخق حتى بالفقراء الوهاج؛ فشرط الفقير: أن يفقد رؤية فقره لا وجوده، فإن فقر رؤية الأعمال لا يقتضي عدم وجودها، فمن رأى فقره احتجب، ومن غاب عن شهود فقره وغناه شاهد العجب، وهذا معنى قولهم العارف: كائن بائن؛ أي: كائن مع وجود الأعمال بائن عن رؤيتها، وأنشدوا:

فـلا تلْـتفِتْ في الـسَّيرِ غـيراً وكـلُّ مـا ... سِـوى الله غـيرٌ فاتخِـذْ ذِكـرَه حِـصْنا

ومهْــما تــرى كــلَّ المــراتِبِ تجْــتلي ... عليْكَ فحـلْ عـنها فعَـنْ مِـثْلِها حُلْنا

وقُـلْ لـيْس لي في غَـيرِ ذاتِـكَ مَطْلَـبٌ ... فـلا صـورةٌ تُجْـلى ولا طُـرفةٌ تُجْنـى

واعلم: أن الفقر على أقسام: فقر حال، وفقر أعمال، وفقر أحوال، وفقر نوال، وفقر أخلاق، وفقر فتح إغلاق.

والأول على قسمين: اختياري واضطراري؛ فالأول: حال الزهاد؛ والثاني على قسمين: اختياري واضطراري، ورجاله أربعة: عامل عمل، وما شهد له عملاً ففقره اضطراري بحسب مشهده، فإنه موقن أن لا عمل له، وهذا صاحبه مردود.

قال سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري -قدس الله سره- في «حكمه»: «ما ترك

من الجهل شيئًا مَنْ أرادَ أن يحدث في الوقت غير ما أظهرهُ الله فيه»[1] أي: لا مداد أو رفع الواقع، وإيقاع الممتنع، فهو طالب محال، وراكب متن عميًا، أو ظهر خيال، وخال وهو كمستسمن ذا ورم، ونافخ في غير ضر مراد الأوقات ظروف، وأواني لما أودعها الحق سبحانه وتعالى فيها، فمن شأنها فلنفسه شأني فما برز للعيان إلا ما أراده الرحيم الرحمن،

---

(1) قال الشيخ ابن عجيبة: الجهل هو ضد العلم وقيل: هو عدم العلم بالمقصود، وهو على قسمين: بسيط، ومركب؛ فالبسيط: أن يجهل ويعلم أنه جاهل، والمركب: أن يجهل جهله وأقبح الجهل الجهل بالله وإنكاره بعد طلب معرفته، قلت: من آداب العارف الحقيقي أن يقر الأشياء في محلها ويسير معها على سيرها فكلما أبرزته القدرة للعيان؛ فهو في غاية الكمال والإتقان. وقال أبو الحسن النوري رضي الله عنه: مراد الله من خلقه ما هم عليه فإذا أقام الله عبدًا في مقام من المقامات فالواجب على العارف أن يقره فيه بقلبه كائنًا ما كان فإن كان لا تسلمه الشريعة رغّبه في الخروج عنه بالسياسة وينظر ما يفعل الله. قال بعضهم: من عامل الخلق بالشريعة طال خصامه معهم ومن عاملهم بالحقيقة عذرهم والواجب أن يعاملهم في الظاهر بالشريعة فيذكرهم وفي الباطن بالحقيقة فيعذرهم ومن أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله تعالى في نفسه أو في غيره فقد جمع الجهل كله ولم يترك منه شيئًا حيث عارض القدر ونازع القادر. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: 112]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]. وفي بعض الأخبار: «يقول الله تبارك وتعالى: مَنْ لم يرضَ بقضائي، ولم يَصْبِرْ على بلائي؛ فليخرجْ من تحتِ سمائي وليتَّخِذْ ربًّا سِوايَ». وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس -رضي الله عنهما: لأن الحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إليّ من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان. وقال أبو عثمان رضي الله عنه: منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته، ولا نقلني إليّ غيره فسخطته. وقال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه في كتابه: من عرف أهل حقائق الظاهر ولم ينكر عليهم شيئًا من أحوالهم يظفر بما في أيديهم ولا يمنع خيرهم قطعًا ومن عرف أهل حقائق الباطن ولم ينكر عليهم شيئًا من أحوالهم يظفر بما في أيديهم على كل حال العارف بالله يجمع بين خير الفرقتين يصطحب معهما جميعًا وكل فرقة يتلون على لونها كشيخ شيوخنا -رضي الله عنهم- سيدي أحمد اليماني -نفعنا الله به كان رضي الله عنه ممن لا ينكر حالًا من أحوال الخلق أهل الظاهر يتلمذهم في ظواهرهم ويدفعهم إليها ويقرهم فيها وأهل البواطن يتلمذهم في بواطنهم ويدفعهم إليها ويقرهم فيها فحصل له خير الفرقتين بما رزقه الله من المعرفة والحكمة قيل: إن الولي الكامل يتطور بجميع الأطوار يقضي جميع الأوطار انتهى.

ولكل شيء أجل، فإذا جاء أجله آجاب ببلى، وأجل والرجاء أمل لا يفي بطول الأجل سيما أمل النفس؛ فإنه لا ينتهي وصاحبها عن السير في عرضاته لا ينتهي، وقد شبهه بعض الأشراف من أولي الأشراف بمدينة واسعة الجوانب ممتدة الأطراف لمن حل فيها من الأطراف، ولها سكك وأبواب عدد أبواب الصرف مضروبة في الأبواب، أو أكثر من ذلك لمن فضل بحمل ما هنالك، وبعض الروحانيين يطلب من الله السلامة لبعض آحبته إلى يوم القيامة هذا لمن حل ساحتها، ورام يقطع إباحتها، وأما من تخطاها وسار عاينها كسراب بقيعة وهمية المقدار، فأهل البداية يعادلون برد الرجاء نار الخوف، وأهل الحب في واديه لا يسرحون لتنور القلب والجوف، وأهل الجذب لا يفرحون ولا يحزنون فناء بمراد مولاهم؛ إذ هم على صلواتهم دائمون، وهذا حال من ذهب في الله مع الذاهبين؛ كأبي يزيد البسطامي وأضرابه من العارفين من جعل الخوف والرجاء جناحيه طار، وقطع المناوز وبلغ الأوطار، وهما من منازل العوام، ويعبر عنهما إذا وجد في الخواص بالهيبة والأنس، وعند خواصهم بالجلال والجمال، وينبغي تقديم الخوف في الصحة، فإنه أقمع للنفس كما عند غلبتها، وفي المرض الرجاء لئلا يقع العبد في القنوط واليأس.

(فَيْض) قال في «المختار»: فاض الخبر يفيض واستفاض أي شاع وهو حديث مستفيضٌ أي منتشر في الناس ولا تقل مستفاضٌ والمُستَفيضُ أيضا الذي يسأل إفاضةَ الماء وغيره وفاض الماء أي كثر حتى سأل على ضفة الوادي وبابه باع، وفَيْضُوضَةٌ أيضًا، وفاض اللئام كثروا وفَاضَ الرجل: مات، وبابه: بَاعَ وجلس، وفاضت نفسه أي خرجت روحه قاله أبو عبيد والفراء، وقال الأصمعي: لا يقال فاض الرجل ولا فاضت نفسه وإنما يَفِيضُ الدمع والماء، ويقال: أفاض إناءه أي ملأه حتى فَاضَ، وأفاض دموعه وأفاض الماء على نفسه أي أفرغه، وأَفَاضَ النَّاسُ من عرفات إلى مِنى أي: دفعوا وكل دفعة إفاضةٌ وأَفَاضُوا في الحديث: اندفعوا فيه والفَيْضُ نيل مصر ونهر البصرة أيضًا ونهر فَيَّاضٌ بالتشديد أي كثير الماء ورجل فياض أيضًا؛ أي وهاب جواد، انتهى.

وقال السيد الشريف في «التعاريف»: الفيض: هو عبارة عن التجلي الحبي الذاتي الموجب لوجود الأشياء، ويتعداداتها في الحضرة العلمية ثم العينية كما قال: «كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف» الحديث والفيض المقدس عبارة عن التجليات الأسمائية الموجبة

لظهور ما يقتضيه استعداد تلك الأعيان في الخارج، فالفيض المقدس مرتب على الفيض الأقدس، فبالأول يحصل للأعيان استعداداتها الأصلية في العلم، وبالثاني تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها، انتهى .

(فَضْلِهِ ) قال الله تعالى: ﴿ وَسْئَلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء : 32]، وفي الحديث: «إن الله يحب أن يسأل من فضله»[1]، والفضل في اللغة: ضد النقص؛ كالفضيلة ضد النقيصة، وفي الاصطلاح ابتداء إحسان بلا علة.

(ومِنَّتِهِ) أي: إنعامه، يقال: مَنَّ عليه؛أي: أنعم هذا هاء حرف تنبيه، وذا اسم إشارة يؤتى بها للإشارة إلى القريب الحاضر.

قال ابن قاسم العبادي- رحمه الله تعالى- في شرحه على شرح المحلي للورقات: واعلم أن الإشارة الواقعة في أوائل التصانيف إن كانت بعد التأليف، فإما إلى موجود في الخارج، وإما إلى موجود في الذهن، ففي الاقتصار على الأول على هذا التقدير تقصير أو تصور، وإن كانت قبل فإلى الثاني فقط، وفي كل منهما إشكال؛ أما الأول فلأن الإشارة إلى ما في الخارج لا تستقيم إلا بأن يراد النقوش، ولا يناسبها الأخبار الواقعة بعد قولهم هذا مختصر مسمى بكذا، هذه رسالة مسماه بكذا إلا على سبيل المجاز تسمية للمعبر به باسم المعبر عنه مع أنه ليس الموجود منها إلا لشخص، وليس المقصود وصف الشخص وتسميته؛ بل وصف النون وتسميته، ولا وجود للنوع في الخارج؛ وأما الثاني فلأن الحاضر في الذهن ليس إلا الجمل والمجمل ليس هو المشار إليه ليس بمختص في علم كذا مثلاً، وإنما المشار إليه الفصل؛ لأنه هو المختص في علم كذا مثلاً، ولا حضور للمفصل، والمشار إليه يجب حضوره، وأجيب بوجوه أسهلها الحمل على حذف المضاف، والتقدير في الأول نوع هذه النقوش كذا، فالإشارة إلى ما في الخارج، فالأخبار جارية على النوع المحذوف، لكن على سبيل المجاز تسمية المعبر به باسم المعبر عنه.

**قلت**: ومن يجوز كون مسمى الكتب ونحوها والنقوش كما هو أحد احتمالات تأتي الإشارة إليها لا يسلم عدم مناسبة تلك الأخبار لها، ولا المجاز به المذكورة كما لا يخلي، وفي الثاني مفصل هذا المجمل كذا المشار إليه المجمل الحاضر في الذهن، والأخبار

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 43)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 229).

جارية على المفصل المحذوف، وبسط ما في هذا المبحث وبيان؛ أي: الأمرين من كون الإشارة لما في الخارج، وكونها لما في الذهن أولى لا يلق بهذا المحل إذا تقرر ذلك كله ظهر لك معنى الإشارة في قول هذه الألفاظ المعينة الدالة على تلك المعاني المخصوصة، أو النقوش الدالة عليها، أو المركب من الثلاثة، أو من اثنين منهما احتمالات أجازها السيد الجرجاني في مسمى الكتب، والأبواب والفصول ونحوها، واختار منها أولها، فقال فيه، وهذا هو الظاهر، انتهى.

ويرد سبق الكلام على معناه، وغنت بلابل مغناه بمغناه، ولا تظن لها الأخ في الله جعلك الله من أهل ولاه أني قصدت بوضع هذا لورد من لمحة من سبق إلى جنة الإحسان، فسبق وأدرج في درجها أهل العرفان حتى نشر عبق وأني إلى بهذا، والأوراد تسمو بسمو مرات منسمها، وتعلو وتغلو بغلو مؤلفها، وهو شبهها، وكيف يلحق البطال الأبطال! ومن في الفاقة كيف يطيق مسابقة من في المقدمة، وقد صال وطال وما القصد إلا التشبيه، والاقتفاء على آثارهم والاكتحال بمرود حبهم، وكحل حلا غبارهم عملاً بقول العارف الذاتي: إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا إن التشبه بالكرام فلاح، وبقول الثاني: إني وإن كنت لم ألحق بهم عملاه مقصر عنهم عنهم في ساعدي، فإن حبي لهم صان بلا كدره، ولا يضرهم إن كان بي كدر، وأين الخيل الأدهمية من الخيل الشطرنجية! وأين من يقول من يتقول، وأرباب الكحل ممن يتكحل! وهذا الاعتراف لشهودنا نقص حال المعاينة المنكشف ببعض معانيها لدينا، ومع ذلك فلا نقدر أن نجحد فضل مولانا الذي أغدقه علينا (يُتْلَى) أي: يقرأ يقال: تَلا القرآن تلاوة؛ أي: قرآها ( فِي السَّحَرِ) قال في «تهذيب الصحاح»: والسَّحَرُ قبيل الفجر لقيته سحرًا، ولم تعرفه في سحر ليلتك؛ إذ يصير معرفة معدولة عن المعرف بالألف واللام غلف المنكر، قال الله تعالى: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ [القمر: 34]، فإن سميت به صرفته؛ لأنه ليس على وزن المعقول، انتهى.

قال الشيخ ﷺ في «فتوحاته»: وإنما سمي السحر سحرًا؛ لأنه اختلاط الضوء والظلمة، فما هو ليل لما خالطه من ضوء الصبح، ولا هو نهار؛ لأن الشمس لم تظهر فكان ذا وجهين وجه لليل ووجه للنهار، ومن اشتق السحر فإن له وجهًا للحق وجهها للباطل، وهو صفة مذمومة على الإطلاق، فإذا ظهر مثله من صالح سمي كرامة، ولا يسمى

سحرًا، فصار محموداً بالتقييد، انتهى.

وإنما خص المؤلف- رحمه الله تعالى- تلاوته بهذا الوقت، وحض عليها فيه لما جاء في فضله من الأخبار الموقظة كل نبيه؛ فمنها قوله ﷺ: **«ركعتين يركعهما ابن آدم في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها ولو أني أشق على أمتي لفرضها عليهم»**[1] رواه ابن نصر المروزي عن حسان بن عطية مرسلاً، وقوله ﷺ: **«إن الله تعالى يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الأخير نزل إلى السماء الدنيا، فنادى هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من داع حتى ينفجر الفجر؟»**[2] رواه أحمد ومسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة معًا.

وقوله ﷺ: **«عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»**[3] رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن بلال وغيرهم.

وفي الصحيحين ومسند الإمام أحمد وجامع الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **«كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتورم قدماه، فقالت له: أتصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ قالت: فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسًا، وإذا أراد أن يركع قام، فقرأ ثم ركع»**[4].

قال ابن بطال شارح البخاري في هذا الحديث: أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة، وإن أضر ذلك في بدنه؛ لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له، فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلاً عن من لم يؤمن أنه استحق النار؟ انتهى.

وقال بعض المفسرين: قام ﷺ طول ليله على قدميه، فلما تورمت قدماه كان يقف على أطراف أصابعه، فأنزل الله تعالى: ﴿طه﴾ أي: طيء الأرض بكل قدمك وأشرح مما أنت فيه فإننا ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:2] ذكره ابن حجر في «شرح

---

(1) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (13/ 145).

(2) رواه أحمد (3/ 43-94)، ومسلم (1/ 523) بنحوه.

(3) رواه الترمذي (5/ 552)، وأحمد (5/ 125)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 127).

(4) رواه البخاري (1/ 380)، ومسلم (4/ 2171-2172)، وأحمد (4/ 255)، والترمذي (2/ 268) بنحوه.

الهمزية»، وعنه ﷺ قالت أم سليمان بن داود لسليمان: «يا بني لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم في الليل تترك الإنسان فقيراً يوم القيامة»[1] رواه البيهقي عن جابر ﷺ.

وروى الطبراني في «المعجم الأوسط» بإسناد حسن عن سهل بن سهل ﷺ قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «**يا محمد عش ما شئت، فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعرف أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزة استغناؤه عن الخلق**»[2]، وجاء في «مسلم»: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله الحرام، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**»[3]، وهو شرف المؤمن، وقد مدح الله سبحانه وتعالى المستغفرين بالأسحار فيه، والذاكرين بقوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:17-18]، وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر:9]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان:64] ما إلى غير ذلك من الآيات.

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لا ينام بالليل ولا بالنهار، فسئل؛ فقال: إن نمت بالنهار ضيعت الرعية، وإن نمت بالليل ضيعت نفسي.

وقال ابن مسعود ﷺ: فضل صلاة الليل على صلاة النهار؛ كفضل صلاة السر على صلاة العلانية.

وقال عمرو بن العاص ﷺ: ركعة الليل خير من عشرين ركعة بالنهار.

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: أحب الأعمال إلى الله تعالى في جوف الليل، وقيل له: ما لنا عجزنا عن قيام الليل قيدتكم الخطايا، وكان إذا دخل السوق، وسمع لغط الناس ولغتهم يقول: أظن ليل هؤلاء سوقاتهم لا يقيلون، ولا يريحون.

وقال الإمام أحمد ﷺ: ليس بعد مكتوبة عندي أفضل من قيام الليل.

وقال طلحة بن معروف: بلغني أنه إذا أقام العبد المتهجد في الليل ناداه ملكًا طوبى لك سلكت منهاج العابدين قبلك.

---

(1) رواه ابن ماجه (1/ 44)، والبيهقي في الشعب (4/ 183).

(2) رواه الطبراني في الأوسط (4/ 306).

(3) رواه مسلم (2/ 821).

وقال لقمان لابنه: يا بني لا يكن الديك أكيس منك يصوت بالليل وأنت نائم.

وقال الفضيل بن عياض ﷺ: إذا كنت تقدر على قيام الليل وتتركه فاعلم أنك محروم.

وكانت رابعة العدوية رضي الله عنها تقول: لولا الليل ما اخترت البقاء في الدنيا ولا ساعة.

وقال النووي في «الأذكار»: أغدق الله عليه سحائب الفيض المدرار.

وروينا في سنن أبي داود والترمذي عن عمرو بن عبسة ﷺ: «**أنه سمع النبي ﷺ يقول: أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى في تلك الساعة فكن**»[1]، قال الترمذي حديث حسن صحيح، انتهى.

روى ابن أبي الدنيا في كتاب «التهجد وقيام الليل» عن أبي هشام، قال: «**ينادي منادٍ من أول الليل، أين العابدون؟ فيقوم أناس يصلون بين المغرب والعشاء، ثم يأتي منادٍ وسط الليل، ثم يأتي بالسحر، فيقول أين العاملون؟ قال: هم المستغفرون بالأسحار وبالإسناد إلى سفيان، قال: تكفنا أماكن من أول الليل نادى منادٍ ألا ليقم العابدون، قال: فيقومون فيصلون ما شاء الله، ثم ينادي ذلك أو غيره في شطر الليل ألا ليقم القانتون، قال: فيقومون، قال: فهم كذلك يصلون إلى السحر، فإذا كان السحر نادى منادٍ أين المستغفرون؟ قال: فيستغفر أولئك، ويقوم آخرون يسبحون؛ يعني: يصلون، قال: فيلحقونهم، وإذا طلع الفجر - أسفر- ناد منادٍ ألا ليقم الغافلون، قال: فيقومون من فراشهم كأنهم موتى نشروا من قبورهم**»[2].

قال سفيان: فتراه كسلانًا داحرًا بات ليله جيفة على فراشه، وأصبح نهاره يحطب على نفسه لعبًا ولهوًا، قال: وترى صاحب الليل منكرًا الطرف فرح القلب، انتهى.

ومعنى يحطب؛ أي: يورد وقد قيل: إن الأسباب المانعة للعبد عن القيام في الأسحار؛ أربعة:

الأول: كثرة الأكل والشرب، فإن ذلك يزيد الرطوبة، وهي تزيد في النوم؛ ولذا

(1) رواه الترمذي (5/ 569)، والنسائي في الكبرى (1/ 482).

(2) رواه ابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل (ص323-365).

قال سفيان الثوري ﷺ: بقلة الطعام يملك سهر الليل، ويحكى أن إبليس عرض للحصور يحيى ﷺ، فقال له: هل نلت مني شيء قط؟ قال: لا؛ إلا أنه قدم إليك الطعام ليلة فشهيته لك حتى شبعت منه، فنمت عن وردك، فقال يحيى ﷺ: لله عليّ بأن لا أشبع من طعام أبدًا، فقال إبليس: وأنا لله عليّ أن لا أنصح آدميًا أبدًا.

والثاني: تعب الجسم فإن ذلك يورث الضعف والكسل.

والثالث: عدم نوم القيلولة.

والرابع: عدم اجتناب الذنوب، وعدم اجتناب العيوب، قال سفيان الثوري ﷺ: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته، قيل: وما ذلك الذنب؟ قال: رأيت رجلاً يبكي، فقلت: أنه مرائي، وقال: كانوا يستحيون إذا تفرغوا أن يناموا طلبًا للسلامة، انتهى.

أي: إذا تفرغوا من أعمال البر أن يناموا إذا خالفوا أن يشتغلوا بما يضرهم في دينهم، أو يستعينوا به على السلامة من الآفات والقواطع، ولا يلزم قيام الليل نصفه أو ثلثه؛ لقوله ﷺ: «**من قام من الليل قدر حلب شاة كتب من قوام الليل، وفيه ساعة إجابة**»[1]، ففي الحديث «**إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله فيها خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك في كل ليلة**»[2]، رواه الإمام أحمد ومسلم عن جابر.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[3]، ومن فوائد القيام بالأسحار النجاة من بول الشيطان في الأذن، فعن ابن مسعود ﷺ: قال: «**ذكر عند رسول الله ﷺ رجل فقيل: ما زال نائما حتى أصبح ما قام للصلاة، فقال ذلك رجل بال الشيطان في أذنيه**»[4]،

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه مسلم (1/ 521)، وأحمد (3/ 313).

(3) رواه البخاري (1/ 383) بنحوه، والديلمي في الفردوس (5/ 515).

(4) رواه البخاري (1/ 384) ومسلم (1/ 537).

متفق عليه، وعنه ﷺ: «**أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود؛ كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وأحب الصلاة على الله تعالى صلاة داود؛ كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه**»[1] رواه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر، وعن أبي ذر.

وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني -قدس الله سره- في «الجواهر والدرر»: الذي التقطه من كلام شيخه الخواص السامي على الفرد.

وسمعته يقول: قيام الليل عند العارفين؛ كالفرض في الاعتناء به، فمن ادعى مقام العرفان، ونام بالليل في الأسحار؛ فهو غير صادق.

وفي بعض الكتب الإلهية يقول الله ﷻ: يا عبدي جعلت النهار لمعاشك، وجعلت الليل للسهر معي، فانشغلت عني بالنهار، ونمت عني بالليل فما حصلت.

وقال في موضع آخر: سألت شيخنا ﷺ عما يجده المتهجدون في الأسحار من الأنس بالتقربات الإلهية، وبأهل تلك الحضرة من الأشباح والأرواح كما يجده الإنسان عنه رؤية الصالحين والوحشة، والنصرة عند رؤية الفاسقين، وقد كان بعض عباد بني إسرائيل يثابر على قيام الليل، فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان، قل لفلان العابد: إنما تقوم لما تجده من حظ نفسك من الأنس بثواب أعمالك، ولو جردتك من ذلك لم تقم أو ما معناه، انتهى.

ومن آداب الطريق: أن من فاته موسم طاعة أن يوبخ نفسه بين إخوانه، ويقول: هنيئًا لكم فلتم بحضور الموكب الإلهي، ويا خسارتي وحسرتي حيث إن هذا الخير فاتني، وكان السلف الصالح يعدون من فاته تكبيرة الإحرام يومًا من فاتته صلاة الجماعة ثلاثة أيام، فيقولون له مثلاً: عوضك الله خيرًا، أجرك الله في مصيبتك، أحسن الله عزاك في بلوتك إلى غير ذلك.

وفي الحديث الشريف: «**من سرته حسنة، وساءته سيئة فهو مؤمن**»[2] رواه الخطيب عن جابر والطبراني عن أبي موسى.

---

(1) رواه البخاري (3/ 1257)، ومسلم (2/ 816)، وأحمد (2/ 160).

(2) ذكره الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (15/ 248).

وقال ابن مسعود ﷺ: المؤمن يرى نفسه من ذنوبه كأنه قاعدتي نفسه من ذنوبه كأنه قاعدتي جبل يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا فأطاره.

وفي الحكم العطائية من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات، وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات.

وقال بعد ذلك: بيسير الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامات الاغترار، انتهى.

فإن قلت: ألم ينم علم الزهاد ليلة عن قيامه المعتاد! فأسف، فنودي في سره: كن بنا إن انحناك، ثم وإن أقمناك؛ ثم قلنا: نعم، ولا ينافي هذا المشهد ترك الحزن بالكلية، هل المراد ترك الاعتماد على العمل. وعدم نقصان الرجاء عند وجود الزلل، ومن شرط القائم في الأسحار أن يبادر إلى الطهارة، ثم الصلاة، ثم يجلس لتلاوة الورد بخشوع وانكسار، وحيث كان على هذا الترتيب المدار؛ فلنذكر للقائم في ذلك الوقت الذي فيضه مدرارًا بعض أمور تلزمه مراعاتها حال الطهارة والصلاة فحصلت الصلات والأنوار، فإن من لاحظ عيون الرضا والقبول لم تك حظ، فنقول: اعلم: أيها القائم على قدم الذل في الفسق الخائم؛ إذ قمر شوقه أبدر، واتسق أنه يلزمك أن تقوم قوام اجتهادك، وتلبي داعي رشادك؛ لتعرف قيوم فوادك وترى يرموك سوادك، وقيوم بلادك، وتحصن بيت اعتمادك، وتشيد بناء استنادك، وتقف بباب مطلوبك ومرادك وقفة ذليل خاضع لمن بإسعافك وإسنادك، فإنه يحب المنكسر قلبه من أجله، الخارج عن وطن عاداته، وشرب نهله، وإذا بهذا جزمت ورائك على التوجه خرمت، فأركب جواد الهمة، ولا تخش الأخطار، وجرد سيف العدم، ولا تخف من خطى خطار، وأسرع إلى غسل يديك من مس المحرمات عليك، وفمك طهره من غير ذكر المحبوب، وأنفك من غير انتشاق روائح الغيوب، واشمخ عن ذل العبودية لعز الربوبية ووجهك عن مواجهة غير مطلوبك، ونظرك عن شهود غير مرغوبك، واغسل يديك إلى المرافق، ولغير المغرب ولا ترافق، وفي غسلها كذلك مبالغة في اجتناب المهالك، وإشارته ترك تعاطي الأسباب اعتماد، وتوكلاً على الوهاب، وهذا حال السالك والكامل يجمع بين ما هنالك، وامسح رأس رئاستك

تواضعًا لعلام الغيوب، ولا تقف مع محض العقل، فالوقوف من جملة العيوب، وتكفي منه شهرة منه لمن في الحاصل وربعه لمن إلى عقبات المعرفة، وأصل ويلزم قبح كله لذي الجهل التاصل، وامسح أذنيك عن سماع الغير في حالة السير، وعنقك؛ وإشارته سبيلك الروح في حب السبوح، وغسل القدمين؛ إشارته عدم السعي بهما إلى غير الحما، وتثليث الجميع المبالغة في التطهير الذي قدر صاحبه سما، فهذا بإشارة ظاهرة؛ وثمّ نكات باهرة فإذا قدس الظاهر، وتطهر وخلص الباطن، وتعطر فتوجه لقبه الشهود، وكعبة الوجود، وأحضر بكلك، وكلك مع حبك، وغب عن الحضور عن تقريبك وقربك، ولا تشتغل بالخواطر عن انتشاق هذا الشذا العاطر، ولا بالشواغل عن هذا المشهد الشاغل فعسى أن تتوج بتيجان الرضا، وتكسى حلة القبول التي طرازها أضاء، وإن أقامت في الليل النفوس، وأقبلت على نهار مناجاة القدوس فبادر للطلب، وعانق الأدب، واقطع قواطعك بسيوف مهندة، ولا تكن في قيامك كالخشب المسندة، وتحقق أن محبوبك في قبلتك فاعرف من تناجي، واسمع بكلك إذ تناجي، واحضر به ساعة التناجي، وافرش في محراب العبودية بساط الصفاء، والزم حدوده، وانصب الأقدام، واصحب الأقدام، وكبر للإحرام مع الاحترام، وارم السوء وراءك واعرف ما وراءك يا عصام، واشرع في تلاوة الكلام القديم منه بدا معاني هاتيك المباني التي فيضها عميم، فإذا فهمت وهمت، وعلمت فعلمت، فاركع؛ أي: فاخضع وتنزل من منزل الأحدية الأرفع إلى مشهد الواحدية، وعد للأول ترفع، واسجد ملاحظًا مقام الفناء، وكن راجعًا للقيام، واثبت لئلا يحركك الهيام، وسبح باسم ربك في الركوع والسجود، واسبح في يم الشهود، وقل في ركوعك بعد غيبة مجموعك: سبحان ربي العظيم بسلطانه القديم بإحسانه العظم في ذاته القديم، بأسمائه وصفاته العظيم الذي لا يتناهى مجسده، ولا تخلف وعده.

وقل في سجودك حالة غيبتك بمشهودك: سبحان ربي العلي في وحدانيته الأعلى بقهره وولاءه الواهب للخطاب بفردانيته، الوهاب للأحباب مشاهدة ديمومته العلي، فلا سواه الأعلى بقهره، وولاءه الوهاب لأولي الاقتراب فيضه وهداه العلي في جماله الأعلى في كماله الوهاب للخطاب بديع وصاله، ولن يخلص الإنسان من الشيطان إلا حال سجوده للرحمن، فإنه يتعزل، ويبكي على خطيئته، ويتذكر ما فاته في قطيعته هذا بلسان يقبله

العقل، ويعضده النقل؛ وثم إشارات مخصوصة بأهل الخصوص أجنحتها مقصوصة؛ لدقة مداركها من النصوص وجد في التحيات اللائقة، والأثنية الفائقة بحسب الطاقة مع شهود الفقر والفاقة، وإذا خاطبت الحق بلسان الغيبة، وأورثك خطابه العظمة، والهيبة فارجع لخطاب الحبيب الأعظم بالأدب، والحضور فعسى أن تشاهد جماله المستور، وتحظى بمدده الموفور، وتسلم على ذاتك بذاتك، ثم عمم كل صالح تدرك سني لذاتك ليرد عليك كل من يسمع السلام، وينوب الحق عن الغافل، ومن هو في الاصطلام، ذكره بمعناه سيدي محيي الدين قدس الله سره المتين.

وقلت: سابقًا هذا المعنى؛ سابقًا عمم سلامك في الصلاة، وغيرها، وأقصد به الصلاح ممن قدراه؛ لتنال أجر مسلم قد خص في تسليمه أهل السلام من الورى، وعليك يبلغه عنك يرده إلا الذي بجماله قد أسكراه، فالحق عن هذا ينوب لحكمة، وكفى بذا شرفًا بمجدك مشعرًا هذا سلام العارفين بربهم، فافهم عساك تكون ممن قد روي بالمدام، ثم أتِ بالشهادتين؛ لتحصل رتبة الإسلام التام، واعمل بموجبها تنال الإيمان، والإحسان العام، وما دمت في الصلاة؛ وكنت صاحب حضور وعيان، فأنت عابد عن الكون بمشاهدة الديان، فإذا أردت الانصراف فسلم على أهل الحضرة الغيب سلام مودع ذاهب، وعلى أهل هذا العالم سلام من كان عنهم غائب، فهذا الغائب القائم القيام هو القيام المحمود، وهذه الصلاة هي القرآن المشهود، وإن كان كل مصل يسقط عنه الفرض، لكان نور هذه يملأ ما بين السماء والأرض.

وقلت في مدح القيام في الأسحار والتحلق بين يدي العزيز الجبار:

رُمْتَ نَيْلَ القرب من حضرة القدس ... فقُم غسق الأسحار، واشرب حلا الأنس

وزمزم بذكر الحب واتلُ مصاحبًا ... لآدابه أهل الارتقاء فَتُحَنا القدس

وفي روضنا سِرٌ ثم فاشرح رموزه ... بمحض انكشاف دون فهم ولا حدس

وفي حانة اشرب شِرْبَ صافٍ مدامة ... فنزهة عن فرج هَمٍّ وعن لَبْس

ويَمِّم له بالصدق صَبًّا مُولَهًا ... وعنك فدع أقواله [.....] وذي عبس

وإن كنت خفاشًا ولم تستطع ... ترى جمالأسما في علا الشمس

فأطلق دموع العين تُطلق الحشا ... وجُدْ للذي تهواه بالمال والنفس

لتدرك ما أَمَّلْتَ مِنْ غير مِرْيَةٍ ... وتدخلَ حيَّ الحق، والمحو والطمس

وتَنْشُقْ عرفَ القُرْبِ من باب اللوا ... وتنفتح الأبواب للمنهج الأنس

وتبدو بليل الميل ....... ... براقع حسن ساتر لضياء الشمس

ففي الليل للعشاق ما يرتجونه ... وفيه تجلِّ الحق بالأنس للأنس

وفيه اجتماع الشمل بالحب واللقا ... ورؤية نور باهر المستوى يُنْسِي

وسر مرقد سرى في أسرتي ... فتكسى بذنوب المعارف، بل تكسي

وثَمَّ أمور تاه وَصَّافُ حسنها ... وأضحى الذي قد تاه أبعد من أمس

وثَمَّ شموسٍ ضاحيات طوالع ... تقيد الدجى صحبًا، وتطلق من جلس

وعن ذي [....واقصد] لقرب فرائض ... ومن سره، وانطق إذا شئت بالهمس

وكن طالبًا إكسير كنز شهوده ... فقيمته حاشا كما قيمة الفلس

ولا تعد عن نهج الحبيب وشرعه ... فمن حاد عنه عاد بالخزي والعكس

ويا ربنا صل وسلم على الذي ... تشفع في خمسين عادت إلى خمس

وآلٍ له والصحب، ثم وتابع ... من الدهر ما الأركان قامت على الإنس

وما مصطفى البكري...... وناده ... إذا رمت نيل القرب من حضرة الأنس

والحاصل أن القيام في الأسحار دليل على حب المولى الذي هو أحق بالحب وأولى؛ لأن الليل محل تجليه وتنزله وتدليه، وهو خلوة المحب بحبيبه وزمان يقظته، وغفلة رقيبه، وفي الحديث « إذا رأيتم الرجل يتعهد المسجد، فاشهدوا له بالإيمان، وإذا رأينا من يثابر على قيام الليل شهدنا له بحب الملك الديان»؛ لأن العاشق الواله لا يلتذ بمنام، ولا يقد له قرار إلا بمشاهدة من يهواه رافع اللثام.

(نَافِعٌ) صفة الورد، والنفع: ضد الضرر، ومن أسمائه تعالى: الضار النافع؛ أي: لا ضرر فيه على تاليه، فإن كثيرًا من الأوراد يضر إذا لم يكن له استتباب، واستناد، فلا يبلغ المراد سيما ضعيف الفؤاد، وربما حصل له ما يؤذيه ويرديه، فإن إذن الشيوخ يرد الأذى عن الطالب، ويهديه، وأما هذا الورد فقد وقع منا الإذن العام بقراءته للخاص والعام؛ فكل من تلاه من قريب، أو بعيد فبإذن تلاه فلا يخشى فإنه رشيد، وقد أجزنا كل مجاز أن

يجيز به، وكل من ليس له إجازة فقد أجزناه، فانتبه فإنا أردنا به النفع المتعدي لا القاصر ليردهم الكامل به كمالاً، ويرتقي لذاك القاصر.

(إِنْ شَاءَ اللهُ) جملة إنشائية معنًى، خبرية لفظًا، وأتى بها امتثالاً للأمر، وتقال عند إرادة الأمر المستقبل لا الماضي، والنفع مما يستقبله التالي، ويترجى وقوعه، والمشيئة: هي الإرادة خلافًا للكرامية، وهي من صفات المعاني الواجبة له تعالى، ومن شأنها التخصيص، وهي كما قال السعد: صفة شأنها التخصيص قديمة زائدة على الذات على ما هو شأن سائر الصفات الحقيقية؛ لأن تخصيص بعض الأضداد بالوقوع دون بعض، وفي الأوقات دون البعض مع استواء نسبة الذات إلى الكل لا بد أن يكون لصفة شأنها التخصيص؛ لا التخصيص بلا مخصص، وامتناع احتياج الواجب في فاعليته إلى أمر منفصل، وتلك الصفة هي المسماة بالإرادة، وهو معنى واضح عند العقل مغاير للعلم، والقدرة، وسائر الصفات شأنه التخصيص، والترجيح لأحد طرفي المقدور من الفعل، والترك على الآخر، وينبه على مغايرتها للقدرة أن نسبته القدرة إلى الطرفين على السوي بخلافها.

وللعلم أن مطلق العلم نسبة إلى الكل على السوي، والعلم بما في الفعل من المصلحة، أو بأنه سيوجد في وقت كذا سابق على الإرادة، والعلم بوقوعه تابع للوقوع المتأخر عنها، وإنما قلنا وينبه؛ لأنه قال أهل الحق: إن مغايرة الحالة التي تسميها بالإرادة للعلم والقدرة وسائر الصفات ضرورية.

تتمة: مذهب أهل الحق أن كل ما أراده الله سبحانه وتعالى فهو كائن، وكل كائن فهو مراد له تعالى، وإن لم يكن مرضيًّا له، ولا مأمورًا به، وهذا ما اشتهر عن السادة ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وخالفنا المعتزلة في الأصلين ذهابًا إلى أنه أراد من الكفار والعصاة الإيمان والطاعة، ولكن ما وقع مراده، ووقع منهم الكفر والمعاصي، ولكن ما أرادها، انتهى من شرح «الجوهرة» ورد عليهم مقالهم.

(تَعَالَى) التعالي: الارتفاع، والمراد به: التقدس والتنزه؛ أي: تقدس عن كل ما لا يليق بجنابه (لِمَن) أي: للذي (وَاظَبَ عَلَيْهِ) أي: داوم على تلاوته.

قال في «القاموس»: وظَبَ على الشيء يَظِبُ وظُوباً دامَ، أو داوَمَهُ، ولَزِمَهُ، وتَعَهَّدَهُ، كَواظَبَ، وأرضٌ مَوْظوبَةٌ تُدووِلَتْ بالرَّعْي فلم يَبْقَ فيها كَلأٌ. ورَجُلٌ مَوْظوبٌ تَداوَلَتِ

النَّوائِبُ مالَهُ. ومَوْظَبٌ، كَمَقْعَدٍ ع قُرْبَ مَكَّةَ، شاذٌّ، كَمَوْرَقٍ. والوَظْبَةُ جِهازُ ذاتِ الحافِرِ.

والوظب يدل على الملازمة، وهذا ينشأ عن التكرار، والاستقامة على الأوراد ينفجر بها فجر الإمداد، وقد قال الشاهد الذي لاحت له الإمارة والعلامة: «ذرة من الاستقامة خير من ألف كرامة»، والمقصود: الثبات لا مجرد النبات.

ويحكى: أن نباتًا معلومًا بسرعة الامتداد زرع لضيق نخلة رفيعة الأعواد؛ فتعلق بها والتف عليها، ووصل في زمن يسير إليها في الثبات لا اللحاق، وقد قال لها: قد لحقت بك، فقالت له: الشأن في الثبات لا اللحاق عند السباق أولى الالتحاق لاسيما إذا أقرن التالي، وصف الملازمة (مَعَ التَّدَبُّرِ) أي: التأمل قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: 68].

قال في «القاموس»: أي: أفلم يتفهموا ما خوطبوا به في القرآن؟ انتهى.

(لِمَعَانِيهِ): جمع معنى وهو في الأصل مصدر ميمي من العناية فنقل إلى معنى المفعول، وهو ما يراد من اللفظ.

قال في «تهذيب الصحاح»: ومعنى الكلام ومعناه واحد؛ تقول: عرفت ذلك في معنى كلامه وفي معناه كلامه؛ أي: في فحواه، انتهى.

وقال في «القاموس»[1]: ومَعْنَى الكلامِ ومَعْنِيُّه ومَعْناتُه ومَعْنِيَّتُه واحِدٌ، انتهى.

فإذا فهم التالي المعنى ازداد خشوعه ونما خضوعه، وحصل كامل الثواب من المالك الوهاب، فعلى قدر اتساع دائرة المعنى على التالي تنفتح له الأبواب العوالي، فإذا ادعى الداعي بقلب عن المعنى ساهي لم تؤثر فيه الدواعي؛ لأنه لاهي، والتفهم تعقل من الفهم، البكري السهم الصائب السهم سيدي محمد ماحي غواشي الوهم قوله: فمنهم تعلم وجاهد تشاهد يأمر يدي، ومن مزيدي نفطًا، وأهل الفهم عن الله هم أهل التلقي من الله.

وإلى هذا يشير قول العارف الفريد سيدي أبا يزيد قدس الله سره: أخذتم علمكم ميتًا عن ميت، وأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت؛ أي: بلا واسطة؛ لأن العلم الإلهي إذا تدل على القلب شبه نزوله بالجبال الرواسخ التي لا يمكن النفوس جحودها؛ بل تذل

---

(1) في (3/ 455).

وتخضع لسلطانها القاهر، وأمرها الباهر، ويشهد لحقيقتها القلب والروح والسر الممنوح، فيتلقاها المكاشف عن القدوس السبوح، وأما من جهل ذلك، ولو حصل لقلبه، أو روحه بعض ما هنالك فهو محجوب سدت عليه المسالك عن أخذ العلم اللدني عن مشروعه المذهب للحوالك.

(لمبانيه) جمع مبنى على وزن معنى، وهو ما يبني عليه غيره كالأساس، فتكون المباني أصلاً؛ لأنها الحاصلة للمعاني، فهو أواني المعاني، ولذلك قال العارف الذاتي ولطيف الأواني في الحقيقة تابع للطف المعاني، والمعاني بها تسموا، والمباني أجسام، والمعاني أرواح فكلها لطف الجسم لطف الروح، وإن كان المراد الروح؛ لأنها محل الفيض، والفتوح غير أن الجسم له الفخر من حيث إنه مولد لها.

قال سيدي محيي الدين قدس الله سره: وما الفخر إلا للجسوم؛ لأنها مولدة الأرواح ناهيك من فخر، ومن ترك التدبر، والتفهم، وحضر بفكر شارد كان كمن يضرب في حديد بارد، فيا لدغ عقرب الجنة، ولسيع حية حبة تلك الشربة حرك سلسلة الهمة، والعزمة في الطلب، ولا تخش إذا كنت مغلوبًا، فكم من مغلوب غلب، وتدبر فيما يؤدي إلى حسن المنقلب، وتفهم سر توجه يدنيك من حي الرغب، فما كل وقت يؤذن للواقف بالدخول، ولا كل عمل يكسى حلة القبول، وإنما هي مواسم تقام، ونفحات تهب، فلا تسأم فتعرض لها، ولا تكن ممن عنها لها، فيا لها من نتائج عزت، وأعزت رجالها، وهي السعادة العظمى، وما كل من طلب السعادة نالها.

وقلت:

**يا من يَغُرُّ العامرية مالها يَمِّمْ لها كي تدرِ يا ذا ما لها**

**واطلب شهود جمالها بتذلل ما كل من طلب السعادة نالها**

(فُتِح بِه) بالبناء للمجهول، والفتوح على ثلاثة أقسام: فتوح في العبادة في الظاهر، وفتوح الحلاوة في الباطن، وفتوح المكاشفة.

قال سيدي محيي الدين -قدس الله سره- في الباب السادس عشر والمائتين من «فتوحاته»: فأما فتوح العبادة في الظاهر: ويكون من إخلاص القصد؛ ثم قال: وشرط الفتوح عدم؛ لأنه لا يكون نتيجة فكر، وله علامة في الطريق المفتوح، وهو عدم الأخذ من

فتوح الغير، وكان سيدي أبو مدين يقول في الفتوح: أطعمونا لحمًا طريًا كما قال: لا تطعمونا القديد؛ أي: لا تنقلوا إلينا من الفتوح إلا ما يفتح به عليكم في قلوبكم إلينا فتوح غيركم يرفع بهذا همة أصحابه بطلب الأخذ من الله تعالى، ثم قال: وبعد تقرر هذا؛ فلنذكر كل نوع من أنواع الفتوح.

أما الفتوح في العبارة: فإنه لا يكون إلا للمحمدي الكامل من كل الرجال، ولو كان وارثًا لأي نبي كان، وأقول مقام صاحب هذا الفتح: الصدق في جميع أقواله وحركاته وسكون إلى أن يبلغ به الصدق أن يعرف صاحبه، وجليسه ما في باطنه من حركة ظاهرة، ولا يمكن لصاحب هذا الفتح أن يصدر كلامًا في نفسه، ويرتبه بفكره ثم ينطق به بعد ذلك بل زمان نطقه زمان تصوره؛ لذلك اللفظ الذي يعبر به عما في ضميره؛ ولهذا التنزل حلاوة في قلب الولي نذكرها من نوع الثاني من الفتح.

ثم قال: ومن علامة صاحب هذا الفتح عند نفسه استصحاب الخشوع له، وتوالي الاقشعرار عليه في جسده بحيث يحس بأجزائه قد تفرقت، فإن لم يجد ذلك من نفسه فليعلم أنه ليس ذلك الرجل المطلوب، ولا صاحب هذا الفتح، وهذا فتح ما رأيت له في عمري فيمن لقيته من رجال الله تعالى أثرًا، وقد يكون رجال في الزمان لهم الفتح، ولم الفهم غير أني منهم بلا شك، ولا ريب فلله الحمد على ذلك.

وأما النوع الثاني من الفتوح: وهو فتوح الحلاوة في الباطن، وهو سبب جذب الحق بإعطافه، فهذه الحلاوة وإن كانت معنوية، فإن أثرها عند صاحبها يحس به كما يحس ببرد الماء البارد، وصورة الإحساس بها كصورة الإحساس بكل محسوس، وطرقها في الحس من الدماغ يتنزل محل العظم، فيجدها ذوقه فيجد عند حصول هذا الذوق استرخاء في الأعضاء، وخدرًا في الجوارح لقوة اللذة ولا استفراغًا لطاقته، ومن أصحاب هذا الفتح من تدوم معه هذه الحلاوة ساعة ويومًا وأكثر، فإذا ارتفعت زال ذلك الخدر من الجوارح فما تشبه حلاوة العسل، ولا حلاوة الجماع، ولا حلاوة شيء محسوس كما أنها لا تشبه حلاوة حصول العلوم المعشوقة للطالب؛ بل هي أعلى وأجل فإذا عطف الحق على عبده بهذه الحلاوة جذبه إليه ليمنحه علمًا لم يكن عنده، فإن لم يجد علمًا فليس بجذب، ولا تلك حلاوة.

وأما النوع الثالث من الفتوح: وهو فتوح المكاشفة الذي هو سبب معرفة الحق.

اعلم: أولاً: أن الحق أجل وأعلى من أن يعرف في نفسه لكن يعرف في الأشياء؛ فالأشياء سبب معرفة الحق سبحانه في الأشياء، وللأشياء على الحق كالستور، فإن رفعت وقع الكشف لما وراءها، فكانت المكاشفة فيرى الكاشف الحق في الأشياء كشفًا كما كان يرى النبي ﷺ من ورائه من خلف ظهره فارتفع في حقه الستر بفتح الباب مع ثبوت الظهر والخلف، فقال ﷺ: «**إني أراكم من خلف ظهري**»[1] والذين هم فتوح المكاشفة لا تقع أعينهم في الأشياء إلا على الحق فمنهم من يرى الحق في الأشياء، ومنهم من يرى الأشياء، والحق فيها الوجود الفتح، وأصل ظهور هذا الفتح من الجناب الإلهي حالة قوله:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد:31]، فيرفع الابتلاء حجاب الدعوى الذي كان يدعيه الكون، فيكون الكشف، وهو التعلق الخاص من العلم الإلهي بما وقع الأمر عليه، فعلم صدق دعوى الكون من كذبه، فمن هذه الصفة الإلهية ظهر فتح المكاشفة إذ لا يظهر في الوجود حكم إلا وله أصل في الجناب الإلهي إليه استناده، ولا يصح أن يكون الأمر إلا هكذا، فإنه قد ذكرنا في موضع أن علم أسباب الأشياء من علمه بنفسه، فخرج العالم على صورته فلا يشذ عنه حكم أصلاً فهو سبحانه رب كل شيء، ومليكه والأشياء مرتبطة به في كل حال، أو ما هو مرتبط بالأشياء؛ ولهذا غلط من غلط من أصحابنا، وبعض النظار في أنهم عرفوا الله تعالى، ثم عرفوا الأشياء، نعم عرفوا الله من حيث إنه واجب الوجود لذاته، وأنه لا يصح أن يكون غيره واجب الوجود لذاته؛ فصحت أحدية واجب الوجود هذا كله صحيح لا نزاع فيه عند المنصف، ولكن ليس المقصود إلا علم كونه رباء لهذا العالم هذا لا يعرفه ما لم يتقدم له معرفة بالعالم هذا يعطيه علم الكمل من رجال الله تعالى من أهل الحق؛ ولهذا قال ﷺ: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»[2]، وما قال: «من عرف ربه فقد عرف نفسه»؛ لأنه من حيث نفسه واجب الوجود فله الغني المطلق، فلا التفات من الفتاء المطلق إلى غير ذاته إذ لو التفت لم يصحح

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (2/ 243).

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفاء 2/ 343، والمناوي في فيض القدير 1/ 225.

ما قدرناه، فلم يعلم أنه بإله للعالم فإذا أراد أن يعلم أنه إله العالم، نظر إلى العالم فرأى فيه حقيقة الافتقار بإمكانه إلى المرجح، فلم يجب إلا هذا الواجب الوجود هو رب هذا العالم، ولو لم يعبر هذا الطريق في النظر، فلا يعرف أنه إله العالم، انتهى ملخصًا.

وقسمه أيضًا إلى ثلاثة أقسام: فتح عذاب، وفتح بركة، وفتح ابتلاء، وما ثم رابع.

وقال في «العبادلة»: إذا فتح عليك في العبارة فقد حيرك، وإذا فتح عليك في الإشارة فقد خيرك، وإذا فتح عليك في المعرفة فقد أكرمك، وإذا فتح عليك في العبادة فقد أسلمك، وإذا فتح عليك في العلم فقد أفهمك، وإذا فتح عليك فيه فقد أوجدك، وإذا فتح عليك في الذكر فقد اصطفاك لنفسه، وإذا فتح عليك في الفتح فقد اصطفاك لنفسه، وإذا فتح عليك في الكون فقد جفاك، وليس برب جاف، وليس برب جاف، وليس برب جاف بذا ورد في الخبر وذكره.

ثم قال: وإذا فتح عليك في الكل فقد ولاك، وإذا فتح عليك في الأغراض؛ فذلك عين الأعراض، فإذا فتح عليك في العرض؛ فذلك عين المرض، وإذا فتح عليك في الذوات؛ فذلك عين الشبهات، وإذا فتح عليك في الأين؛ فأنت في العين، وإذا فتح عليك في الزمان؛ أقامك في الآن، وإذا فتح عليك في الكم؛ أقامك في الحيرة والهم، وإذا فتح عليك في الكيف؛ فقد عرفك، وإذا فتح عليك في الإضافات والنسب كنت ذاب، وعصمك من الأنات، وإذا فتح عليك في الفعل؛ فأنت البعل أو في الانفعالات؛ فأنت الأهل، أو في الشرع كنت في الوضع، أو في الحال فقد كشفك، أو بالوجود فقد أكشفك وشرفك، انتهى.

(عَلَى الْعَبْدِ الْفَقِيرِ) سلف الكلام على العبد.

وأما الفقير، فقال في «القاموس»: الفقر ويضم: ضد الغنى، وقدره أن يكون له ما يكفي عياله، أو الفقير من يجد القوت والمسكين من لا شيء له؛ الفقير: المحتاج، والمسكين: من أذله الفقر أو غيره من الأحوال.

وعند الشافعي: الفقراء، ألزمنا الذين لا حرفة لهم وأهل الحرف الذين لا تقع حرفتهم من حاجتهم موقعًا، والمساكين السؤال ممن له حرفه تقع، ولا تغنيه وعياله، أو الفقير من له بلغة، والمسكين من لا شيء له؛ أو هو أحسن حالاً من الفقير، أو هما سواء

فقر ككرم، فهو فقير من فقراء وفقيره من فقائر، وافتقر وأفقره الله، وسد الله مفاقره أغناه، وسد وجوه فقره، انتهى.

والمعنى هنا: المحتاج إلى الله تعالى في كل أحواله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: 15]، قال القاضي رحمه الله: في أنفسكم، وما يضر لكم، وتعريف الفقراء للمبالغة تعرهم، كأنهم لشدة افتقارهم، وكثرة احتياجهم هم الفقراء، وإن افتقار سائر الخلق بالإضافة إلى فقرهم غير معتد به؛ ولذلك قال: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28]، انتهى.

وقال القشيري رحمه الله تعالى: الفقر شعار الأولياء، وحلية الأصفياء، واختيار الحق سبحانه وتعالى لخواصه من الأنبياء، والفقراء صفوة الله من عباده، وموضع أسراره من خلقه بهم يصون الخلق، وببركاتهم يبسط الرزق، انتهى.

وقال أبو القاسم جنيد البغدادي قدس الله سره: يا معشر الفقراء إنكم تعرفون بالله، وتكرهون لله، فانظروا كيف تكونون مع الله تعالى إذا خلوتم؟ وأنشد:

إذا بملـوك الأرض قـوم تـشرفوا ... فـلي شرف مـنكم أَجَـلُّ وأشرف
كفى شرفًا أني مضاف إليكم وإني ... لكـم أُدعـى وأُرعـى وأُعـرف

وقلت في معنى حروف الفقير:

فـاء الفقـر فـناؤه في حـب مـن ... يهـوى، وفهـم الفهـم مـن كـتابه
والقـاف قـربٌ لا يُـشَابُ، بِغَـرْفِه ... يـسقي بـه الكاسـات مـن أكـوابه
واليـاء شـهدُ مَـنْ يُحب مـسامرًا ... فيغـيب فـيه عـن شَـهِيِّ خِطَابِـهِ
والـراء رفـضُ الكـلِّ غَـبَّ لقائـه ... حتـى يـصيرَ الكـلُّ مِـنْ خُطَّابِـهِ

وقال سيدي أبو المواهب الشاذلي ﷺ في كتابه «قوانين الإشراق»: تدقيق: تفاخر الغنى مع الفقر: فقال: أنا وصف الرب الكريم الكبيرة من أين أنت أيها الحقير؟.

فقال: تدقيق: تفاخر الغني مع الفقير.

فقال الغني: أنا وصف الرب الكبير، فما أنت أيها الحقير.

فقال الفقير: لولا وصْفِي لما تميّز وصفك، ولولا تواضعي ما رفع قدرك، فأنا وصْفِي وسِمَ بذلّ العبودية، وأنت وصفك نازع الربوبية، ومن نازع قصِم، ومَن سَلَّم سَلِمَ.

وقال أيضًا: تحقيق: سمة الفقر سمة الأحباب، وحليته حلية العبد الأواب، من لبس اسمًا له كان ذلك وسمًا له في وجود أهل القبول، وهم من الله نيل المسؤول.

وجــوهٌ علـيها للقَـبولِ علامــةٌ ولـيس عـلى كـلِ الوجـوهِ قَـبولُ

انتهى[1].

واعلم: أن الفقر سر من أسرار الله تعالى لا يهبه إلا لمن قربه، واصطفاه فما كل من ادعى الفقر بلسانه يسلم له إدعاؤه دون التحقق به في جنابه، ومن البين لدى الأكياس؛ بل وكل الناس أن من قنع بمجرد النسبة واللقب كان ناقص الرتبة عن طلب ما ارتقب، أو اعتنى بالزي واللباس دون اقتباس من نور مراقبة الأنفاس، واحتباس عن موافقة عواد الوسواس، فهو على غاية من الإفلاس، فإن الفقر ليس بمحمل العكاز والمسبحة؛ بل يذبح النفس بسيوف المخالفة ألف ذبحة، ولا يحمل السجادة؛ بل بترك المألوف والعادة، ولم يرض بالصياح والتخبيط إلا من كان في سيره لقيط، ولا قنع بالمحراب والإبريق دون الإخلاص، وترك التلفيق، وخرق حجب التفويق إلا من لم يدر طريق الفقر؛ أي: طريق، ولا اعتنى بحمل الإشارات من غير فهم الإشارات، وتخريق الخرق من غير حرق إلا من لسياح الطريق خرق، وللوقوف في صفوف العادات، وبيوت السادات خرق، فلو فهم الإشارة شن على نفسه الغارة، وعاد مثالها، ومطل مطالبها ليس من عربد عند سماع المزاهرة كمن تواجد لصوت أرواح نورها زاهرة، ولا مر هام لدق الطبول كمن هيمه خطاب أنك لدنيا مقبول، وها الفقير تحقق بالفقر التام، وأزح لثام ثغره البسام.

واعلم: أنه دوام الاحتياج، وعدم الاستغناء بشيء دون الحق حتى بالفقراء الوهاج شرط الفقير: أن يفقد رؤية فقره لا وجوده؛ فإن فقد رؤية الأعمال لا يقتضي عدم وجودها، فمن رأى فقره احتجب، ومن غاب عن شهود فقره وغناه شاهد العجب، وهذا معنى قولهم العارف كائن بائن؛ أي: كائن مع وجود الأعمال، بائن عن رؤيتها.

وأنشدوا:

فـلا تلْـتفِتْ في الـسَّيرِ غـيرًا فكـلُّ مـا سِـوى الله غـيرٌ، فاتخِـذْ ذِكـرَه حِـصْنا

---

(1) انظر: قوانين حكم الإشراق (ص60)، بتحقيقنا – طبع دار الكتب العلمية ببيروت.

ومهـما تـرى كـلَّ المـراتِبِ تجْـتلي علـيْكَ، فحـلْ عـنها فعَـن مِـثْلها حُلْـنا
وقُـلْ لـيْس لي في غَـيرِ ذاتِـكَ مَطْلَـب فـلا صـورةٌ تُجْـلى ولا طُـرفة تُجْنـى

واعلم: أن الفقير على أقسام، فقر مال وفقر أعمال، وفقر أحوال، وفقر نوال، وفقر أخلاق، وفقر فتح أغلاق، والأول على قسمين: اختياري واضطراري، ورجاله أربعة: عامل عمل وما شهد له عملاً ففقره اضطراري بحسب مشهده، فإنه موقن أن لا عمل له، وهذا موقف مقتوله، وآخر ترك أعمال البر لإلحاد عن الشرع وهذا مطرود مخذول، أو يكون وهب المقبول من أعماله لقصري عصره، والفقراء من رجاله، وهذا فقره اختياري، ومراده عدم الوقوف عندها لئلا يحتجب بها، أو يكون مأمورًا بذلك، وهذا عن اضطرار ويكون وهبها ليرد على مولاه فقيرًا فينيله من فضله منالاً خطيرًا، أو يكون زهد في رؤيته؛ لأنه مشاهد الفاعل الحقيقي لا لعلة، وهذا الذي يرضى مذهبًا، ويتخذ ملة.

أخبرني الأخ في الله تعالى الشيخ مصطفى بن عمرو جعلني الله وإياه ممن وقف على حقيقة الأمر عن نفسه: قال لي منذ سنين أهب ما يتحصل مني لإخواني المسلمين، وكان مراده، دوام الاتصاف بحلية الافتقار في سائر الأطوار، ومن فقراء الأحوال من يتنزل عنها اختيارًا، ومنهم من يؤمر بذلك، فيكون اضطرارًا، وكذلك فقر النوال والأخلاق، وفتح الأغلاق.

قال الهروي- رحمه الله تعالى- في «منازل السائرين»: الفقر اسم للبراءة من رؤية الملكة، وهو ثلاث درجات: فقر الزهاد: وهو نقص اليدين من الدنيا ضبطًا، أو طلبًا، وإسكات اللسان عنها ذمًا، أو مدحًا، والسلامة منها طلبًا، أو تركًا، وهذا هو الذي تكلموا في شرفه.

والدرجة الثانية: الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل، وهو يورث الخلاص من رؤية الأعمال، ويقطع شهود الأحوال، ويمحص من أدناس مطالب المقامات.

والثالثة: صحة الاضطرار، والوقوف في مبدأ التقطع الوجداني، والاحتباس في بيداء الهجر من، وهذا فقر الصوفية، انتهى.

مخلصًا فما أسعد الفقر إلى ملك الملوك، وما أحوج المستغني بالفقر الحقير المملوك، ولما لم يكن طريقهم لأهل الدنيا مسلوك؛ بل مهمل لديهم متروك احتاج مصاحبهم إلى

أدب فوق أدب الملوك، فإن أدنى فقير زهد في مطلب أعلا ملك فهو بالنسبة للفقير إذًا صعلوك.

قال زاهد القوم الأدهمي المعروف: لو يعلم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف.

وكان الإمام الجنيد ﷺ يقول للمريد الطالب: سلوك الطريق اذهب فاخدم السلطان، وأهل حضرته، واعرف مراتبهم.

وكان سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ يقول: الفقراء كالملوك، فمن لم يعرف أدب الملوك لا ينبغي له مجالسته؛ لأنه ربما حرم عدم احترامهم إلى القطب.

وقال السيوطي رحمه الله تعالى: روى أبو نعيم في «الحلية» عن أبي موسى صدر الحديث، وهو اتخذوا عند الفقراء أيادي، فإن لهم دولة يوم القيامة؛ أي: وتمامه موضوع كذا في «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» للشيخ علي القاري رحمه الله تعالى.

وأثبته في «الجامعين» كما هنا عن «الحلية» من طريق الحسين بن علي، وتمامه المحكوم له بالوضع، «فإذا كان يوم القيامة ناد منادٍ، سيروا الفقراء، فيعتذر إليهم كما يعتذر أحدكم إلى أخيه في الدنيا»، قال القاري: لا أصل له، وقال السخاوي بعد إيراد أحاديث بمعناه: وكل هذا باطل، وسبق الحكم بذلك للذهبي وابن تيمية وغيرهما[1].

وقال سيدي محيي الدين -قدس الله سره- في الباب الخامس والسبعين من «فتوحاته»: حدثني عبد الله القلفاط بجزيرة طريف ستة وتسعين وخمسمائة، وقد جرى بيننا الكلام على المفاضلة بين الغني والفقير، أعني الغني الشاكر، والفقير الصابر، وهي مسألة طويلة، وانجرَّ في ذلك حال الفقر والغنى، فقال حضرت عند بعض المشايخ، أو حكاها لي عن أبي الربيع الكفيف المالقي تلميذ أبي العباس بن العريف الصنهاجي، قال: لو أن رجلين كان عند كل واحد منهما عشرة دنانير فتصدق أحدهما من العشرة بدينار واحد، وتصدق الآخر بتسعة دنانير من العشرة التي عنده، أيهما أفضل؟

فقال الحاضرون: الذي تصدق بالتسعة.

فقال: بماذا فضلتموه؟

(1) انظر: المقاصد الحسنة (1/ 9)، وكشف الخفاء (1/ 39)، وتخريج العراقي (8/ 413).

فقالوا: لأنه تصدق بأكثر مما تصدق به صاحبه.

فقال حسن: ولكن ننصحكم روح المسألة، وغاب عنكم، قيل له: وما هو؟

قال: في صباها على التساوي في المال، فالذي تصدق بالأكثر دخوله على الفقر أكثر من صاحبه، ففضل بتسعة إلى جانب الفقر، وهذا لا ينكره من لا يعرف المقامات والأحوال، فإن القوم ما وقضوا مع الأجور، وإنما وهو مع الحقائق والأحوال، وما يعطيه الكشف، وبهذا فضلوا على علماء الرسوم، ولو تصدق بالكل، وبقي على أصله لا شيء له كان أعلى، فتدنى من الدرجة، والذوق على قرب من تمسك به ألا ترى ما قاله شيخنا أبو العباس السبتي في المحتضر يوصي بالثلث، فإن المحتضر ما يملك من المال إلا الثلث، فخرج عما يملك، وما أبقى شيئًا، وأجاز لم الشارع أن يتصدق بالثلث كله الذي يملكه، وهو محمود في ذلك شرعًا فلقي الله فقيرًا على حكم الأصل كما خرج من عنده رجع إليه صفر اليدين. قال بعضهم:

إذا وُلِدَ المولود يقبضُ كفَّهُ دليلاً على الحرص المُرَكَّبِ في الحيِّ
ويَبْسطها عند الممات مواعظًا ألا فانظروني قد خرجتُ بلا شيِّ

فكان أفضل ممن لم يتصدق بذلك الثلث الذي يملكه أو تصدق بأقل من الثلث وينوي بما يبقيه أنه صدقة على ورثته وفيه إشارة عجيبة انتهى[1].

فكل من كان دخوله في حضرة الفقراء أكثر كان وصوله إلى حضرة الغناء أسرع، وحاله أكبر فإذا كمل الفقر حصل الغناء، وتنصل صاحبه من داء الغناء، وكماله وانتهاؤه لعدم رؤيته فمن غاب عن شهوده تحقق بالغنا في وجوده.

وقلت في معنى ذلك:

فقيرٌ من الأشياء، غنيٌّ بربها فقير من الفقر افتقارٌ كمال
فمن ثم مقرٌّ منه عن فقرِ فقره مَنْ ذاك الذي قد نال عزٌّ وصال

(وَالعَاجِزِ) قال في «القاموس»: والعَجْزُ والمَعْجِزُ والمَعْجِزَةُ، وتفتح جيمُهُما، والعَجَزانُ، محركة، والعُجُوزُ، بالضم الضَّعْفُ، والفِعلُ كضَرَبَ وسَمِعَ، فهو عاجزٌ من

(1) انظر: الفتوحات (2/ 209).

عَواجِزَ. وعَجَزَتْ، كَنَصَرَ وكَرُمَ، عُجوزاً، بالضم صارَتْ عَجوزاً.

ثم قال: وأعْجَزَهُ الشيءُ: فاتَهُ، فلاناً: وجَدَهُ عاجِزاً، وصَيَّرَهُ عاجِزاً. والتَّعْجيزُ: التَّثْبيطُ، انتهى.

وهو على أقسام عجز ساري وطارئ وظاهر وباطن، وعن اكتساب كل كمال، وشهوده عن الكمال، وعن إدراك كبير الذات، والتحقق بسائر الأسماء والصفات إذا ذواق التحقق لا منادي فمن أقر بالعجز، واعترف ودوا الجهل يقبل الزيادة ليكتمل، وما لنا كمال لا يقبلها فما زال نقصًا في الدارين، فثبت عجزنا وفقرنا، وما لنا إلا كمال مقرون بالعجز ووجوده فيه غير كماله وإلى مقام العجز الإشارة بقوله ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1]، وقوله: «**سبحانك ما عرفناك حق معرفتك**»[2].

ومنه قول الصديق الأكبر ﷺ: «**العجز عن درك الإدراك إدراك**»، وقد ضمن هذه المقالة الأكبري ذو الرتبة الفيحاء، والسحابة الهطالة بلغة الله أماله وأشهده جماله لقوله:

| | |
|---|---|
| قُــل لامــرئ رام إدراكــاً لخالقــه | العجـــز عـــن دَركَ الإدراك إدراكُ |
| مــن دانَ بالحــيرة الغــرّاءِ فهــو فتــى | لغايـــةِ العلـــمِ بالـــرحمن دراكِ |
| وأيّ شـــخصٍ أبـــى إلا تحققـــه | فـــإنَّ غايـــته جحـــد وإشراك |
| فالعجــز عــن دركِ التحقيق شمسُ حجى | جــرتْ بهــا فــوق جــوِّ النسكِ أفـلاك |

وصححه الجيلي المقدام أناله الله المرام، فقال:

| | |
|---|---|
| يــا صــورة حـير الألــباب معــناك | يــا دهــشة أذهــل الأكــوان منــساك |
| يــا غاية الغايــة القــصوى وآخــر ما | يلقــي الرشــيد ضــلالاً بــين معــناك |
| علــيك أنــت كــما أثنيت مــن كــرم | نـزهت في الحــد عــن ثــان وأسراك |
| فلــيس يــدرك فــيك المــرء بغيــته | حاشــاك مــن غايــة في المــد حاشــاك |
| فبالقــصور اعــترافي فــيك معرفتــي | فالعجـــز عـــن درك الإدراك إدراك |
| وقلــت في التــضمين رجـــاء أن | العجـــز عـــن درك الإدراك إدراك |

---

(1) رواه مسلم (1/ 352)، والترمذي (5/ 524).

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (2/ 410).

أسقي من منبع هذه المقالة المدين ... فما لمن رام غير العجز إدراك
العبد يعجز عن إدراك جملته ... فكيف يدرك من للكمل ملاك
من ذاته قد تعالت أن يحاط بها ... والعقل حار وأملاك وأفلاك
وكيف يدرك من بالعجز متصف ... من قد تقدس أن يدركه دراك
ودع وساوس أوهام الصدور وقل ... العجز عن درك الإدراك إدراك

قال الجيلي -قدس الله سره- في كتاب «غنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوه الاستماع»: العجز هو نهاية أهل النهايات، وغاية الترقي إلى الغايات ليس وراءه لكامل مرمي، ولا بعده لأكمل مرقي يقول سيد أهل هذا المقام ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك**»[1]، ويقول خليفته ذو التحقيق أبو بكر الصديق ﷺ: «العجز عن درك الإدراك إدراك»: اعلم وفقك الله تعالى أن هذا العجز ليس بالعجز المذموم الذي يسبق إلى فهوم [......]؛ بل إنه عبارة عن غاية الكمال فإن الكامل إذا تحقق بالحقائق الإلهية، وترقي في مقام الأسنوي بالحضرة العلمية يتجلى له الذات الأقدسية بما عليه من الكمالات التي لا نهاية لها، فيعلم بالضرورة أن تلك الكمالات لا تتجلى إلا في تلك الحضرة الكنهية، ولا سبيل إلى وفرها من تلك الحضرة الغيبية إلى هذا العالم الوجودي العيني؛ لأن تلك الحضرة مسمى بحضرة الحضرات، وبمقام أو أدنى فباقي الحضرات كلها تنشأ منها؛ لأن كل حضرة من حضرات الوجود عن هذه الحضرة الكبرى، فلا سبيل إلى أن يجمعها حضرة من الحضرات التي تنشأ منها؛ لأن كل حضرة من الحضرات الوجود بما هي عليه من الشأن الحقي، وإلا من الخلقي شعبة من شعب هذه الحضرة الكبرى، ونهاية ما يجمع الشعبة ما هي الشعبة عليه فلا سبيل إلى درك هذا العجز عن هذا الإدراك إلا بعد للإدراك الإلهي في حضرة الحضرات فلأجل هذا كان إدراك العجز محققًا، وهذا كلام لا يفهمه إلا الكمل من أهل الله المتحققين بمقام العبودية، انتهى.

وقال في كتاب «المناظر الإلهية»: منظرًا العجز عن درك الإدراك في هذا المنظر سئل الجنيد ﷺ عن النهاية، فقال الرجوع إلى البداية؛ لأن العبد مخلوق من العدم، والعجز

(1) تقدم تخريجه.

لاحق بالعدم، فإنه رجوع بعد تحصل الكمالات الإلهية إلى العجز والعدم، فقد صار على طرف النهاية يتجلى الله في هذا المشهد بتجل يكشف فيه للعبد عما أودعه في روحه من الكمالات الإلهية التي يعجز الكون، وما فيه عما فيه، فإذا شرف عليها شم بقوة الأحدية ما فاته من علم ما فيه من تلك الكمالات الإلهية، والاتصاف بها فلم يدركها إذ لا يمكن درك ما لا يتناهى آفة هذا المنظر لحوق العجز بالولي في مقام المقام الإلهي، وما ذاك إلا لمشهد ناقص؛ لأنه قابل صفات الله تعالى بذات نفسه فلو قابلها بذات الله لما قال بالعجز؛ لأن الله تعالى لا يلحق به عجز، فهو الكامل المطلق والله أعلم، انتهى.

(الحَقِير) يقال: حقر الشيء بالضم حقارة؛ هان قدره فلا يعبأ به فهو حقر، وتعذب بالحركة، فيقال: حقرته من باب ضرب واحتقر والحقرة اسم منه؛ مثل الفرقة من الافتراق؛ كذا في «المصباح» (مُصْطَفَى): هو المصنف سامحه الله تعالى، والاسم علمٌ مستحبٌ تسميته ومما يجب «**تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء، وانكحوا إليهم**»[1] وفي رواية: «**تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وإخوتهن**»[2]، على الوالد أن يتخير لنطفته أولاً لقوله ﷺ في أخرى: «**تخيروا لنطفكم واجتنبوا هذا السواد، فإنه لون مشوه**»[3] وأن يختار لولده اسمًا حسنًا، ولن يكنيه قبل أن يغلب عليه اللقب، وخير الأسماء ما عبد وحمد روى ابن النجار بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا أن من حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة، وأن يحسن اسمه وأدبه، وأن يزوجه إذا بلغ، ففي الحديث: «**أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**»[4].

وفي الحديث: «**تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي**»[5]، وفي رواية: «**سموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها**

---

(1) رواه ابن ماجه (1/ 633).

(2) رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (2/ 614).

(3) رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (2/ 613)، وذكره السيوطي في جامع الأحاديث (11/ 234).

(4) رواه ابن ماجه (2/ 1211).

(5) رواه البخاري (7/ 52)، ومسلم (3/ 1682).

حرب ومرة»[1].

وعنه ﷺ: «**إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم**»[2]، وهذا الاسم من أسمائه ﷺ، وإن لم يسمع تسميته به في زمانه ﷺ لكثرة أسمائه، وأول من سمي به في الإسلام الأعاجم ثم تبعهم العرب في ذلك من قدرة، وهو اسم مقصور؛ كموسى، ومشتق من الصفوة بتثليث الصادر، ومن الخلوص، والمصطفى المختار، وفي الحديث: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[3] فأنا جبار من جبار، وقلبت تارة طاء لمجاوزة الصاد، ويأتي ألفا لانفتاح ما قبلها.

وقد أنشد بعض المداحين في قوله وأجاد جاد الله عليه بالنجاة يوم التناد:

**يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له أغلاق**

**ما يرم مخلوقٌ تناول بعد ما أثنى على أخلاقك الخلاق**

(ابن) قال في «القاموس» والابنُ: الوَلَدُ، أصْلُهُ: بَنَيٌ أو بَنَوٌ ج: أبْناءٌ، والاسْمُ: البُنُوَّةُ.

ويا بُنَيَّ، بكسر الياءِ وبفَتْحِها، لُغَتانِ، كَيا أبَتِ ويا أبَتَ.

والأَبْناءُ: قَوْمٌ من العَجَمِ، سَكَنُوا اليَمَنَ، والنِّسْبَةُ: أبْناوِيٌّ وبَنَوِيٌّ، محرَّكَةً رَدًّا له إلى الواحِدِ، وأَلْحَقُوا ابْنًا الهاءَ، فقالوا: ابْنَةٌ.

وأمَّا: بِنْتٌ، فلَيْسَ على ابنٍ، وإنَّما هي صِفَةٌ على حِدَةٍ، أَلْحَقُوها الياءَ للإِلْحاقِ، ثم أبْدَلُوا التاءَ منها، والنِّسْبَةُ: بِنْتِيٌّ وبَنَوِيٌّ، انتهى.

قال ابن قتيبة في «أدب الكاتب»: وابن إذا كان متصلاً بالاسم، وهو صفة كتبت بغير ألف؛ كقولك محمد بن عبد الله في كل حال من نصب ورفع وخفض، فإذا أضفته إلى غير ذلك أثبت الألف؛ كقولك أظن محمد بن عبد الله، وكان زيد بن عمرو، وأن زيدًا بن عمرو، فإن ثنيت إنما ألحقت فيه الألف صفة كان، أو خبرًا؛ كقولك زيد وعمرو ابنا

(1) رواه أبو داود (4/ 287)، وأحمد (4/ 345).

(2) رواه الدارمي (2/ 38)، وأبو داود (4/ 287).

(3) رواه مسلم 4/ 1782، والترمذي 5/ 583.

محمد، وأظنها ابني محمد، وإن ذكرت ابنا بغير اسم؛ فقلت جانا ابن فلان كتبته بالألف، وإن نسبته إلى غير أبيه ألحقت فيه الألف؛ كقولك هذا محمد ابن أخي، فإن نسبته إلى لقب قد غلب على أبيه، أو صناعة مشهورة؛ كقولك هذا ابن القاضي لم تلحق الألف؛ لأن ذلك يقوم مقام اسم الأب، فإذا لم تلحق ابن ألفا لم ينون الاسم قبله، وإن ألحقت فيه ألفا نونت الاسم، وتكتب هذه هند ابنة فلان بالألف، والهاء، فإذا سقطت الألف كتبت هذه بنت فلان بالتاء، انتهى.

وتثبت إذا وقعت أوائل السطور خوفًا من اللبس المهجور (كَمالِ الدِّينِ) كمال الدين لقب وضع علمًا على والده، والأصل أن هذا لقب من سمي؛ كما أن شمس الدين لقب من سمي محمدًا، وشهاب الدين من سمي أحمد وكره البعض الخروج عن هذا الاصطلاح، ورأى جوازه آخرون من أهل الفلاح.

قال في «القاموس»: اللَّقَبُ، محرَّكَةً النَّبْزُ، وجمعه ألقابٌ. ولَقَّبَهُ به تَلْقيباً فتَلَقَّبَ، انتهى.

قال النووي- رحمه الله تعالى- في «الأذكار» في باب النهي عن الألقاب التي يكرهها صاحبها: قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ [الحجرات:11]، واتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكره سواء كان صفة له؛ كالأعمش والأحلج والأعمى، والأعرج؛ ثم قال: أو كان صفة لأبيه، أو أمه، أو غير ذلك مما يكرهه، واتفقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرفه إلا بذلك، انتهى.

كان- رحمه الله تعالى- على ما أخبرت به؛ لأنه لما توفي سني ستة أشهر، أو ثمانية قليل الخلط بالناس كثير الأدوار محافظًا على الأنفاس قد اتخذ الكتب سمارًا، فجنا من رياضها أثمارًا نشأ متعبدًا متنقلاً، وعلى أقرانه بتغفله عن الأمور المعاشية مشغلاً مصاحبًا للعفة والديانة والنسك والصيانة، ولما رجع والده من الحج الشريف عام ألف ونيف وثمانين ارتحل به إلى الديار الرومية، ومكث عنه سنتين أو أكثر مجدًا في طلب العلم، ومقصد الجد- رحمه الله تعالى- أن يفرغ له عن مدرسته الشامية الجوانية.

فقرأ الوالد- رحمه الله تعالى- على الشيخ محمد أبي الصفا المرحوم المغني ما تعلق الديار الشامية، وعلى شيخنا المعمر الفالح الصالح الشيخ عبد الرحمن المجلد المدرس في

جامع بني أمية ختم الله له بالحسنى، وبلغه المنزل الأسنى، وغيرهما من الأشياخ حتى صار له في هذه المدة نوع مشاركة تحمد، وحفته عناية من الله لا تجحد، ولما عزم الجد على الفراغ عن المدرسة أرسله إلى جناب شيخ الإسلام، فامتحنه فارتج عليه، وبقي مجدًا ذلك العام؛ ثم أرسله في القابل فأسعفه بعض أسلافه بمدد؛ كالغيث الوابل، وقال له مهما سئلت عنه أجب بدون تروي، فقوي جأشه على الجواب، ولديه بساط الانقباض طوى فانحظ منه شيخ الإسلام، ووجهها له مع الإقبال والإكرام.

ولما رجع الوالد- رحمه الله تعالى- إلى الشام صار يعري فيها العفة بالدرس العام اصطحب بعد رجوعه من الروم بالفاضل النبيل الشيخ عبد الجليل ابن الشيخ محمد العمري، وكان المذكور فريد العصر، ووحيد الدهر فاشتغل الوالد بالقراءة عليه مدة من الزمان، وأعطاه مفتاح خلوته التي كان به، وهي خلوة الشيخ بدر الدين الهندي التي في جامع بني أمية، وصار الوالد يتردد عليه فيها، ويأتي الشيخ إلى البيت، ويبيت عنده ليستقيا من كؤوس اهناء صافيها.

أخبرني الشيخ الفالح الشيخ سعودي بن عبد الرازق رحمه الله تعالى: قال: كنت أتعاطى خدمة الشيخ عبد الجليل، وأقرأ عليه، وكان والدك المرحوم أعطاه مفتاح خلوة بدر الدين الهندي؛ لأنها كانت بيده فدعا الشيخ ليلة، وأرسلني قبله إليها فلما دخلتها أردت المنام، فخرج إلي جن كثير حتى ركبوا علي، فخفت وانفعل منهم مزاجي لفرط الخوف فلما جاء الشيخ، وطرق الباب هربوا وصرت أسمعهم يقولون جاء الشيخ جاء الشيخ، ويتجارون فقمت، وفتحت له الباب فرآني مذهولاً فعرف، فقال إني أرسلتك وندمت؛ لأني نسيت كون الخلوة معمورة، انتهى.

ثم إن الشيخ عبد الجليل توجه إلى الحج الشريف في هذا المسير المنيف، واتحد الوالد بعده مع شقيقه الشيخ محمد والد الشيخ عبد اللطيف كان الله له، وأمنه من كل مخيف، ولقد رأيت بخط ابن العمة المرحوم السيد محمد ابن السيد محب الدين الحصني- رحمه الله تعالى- وقد كتب على أوراق بخط الوالد- رحمه الله تعالى.

قلت: إن جميع ما في هذه الأوراق خط المرحوم الصالح الفالح الناجح، فخذ فضلاً، وعين النبلاء كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن محيي الدين بن عبد القادر

البكري الصديقي الحنفي مدرس المدرسة الشامية الجوانية، فرغ له عنها والده كان شيخًا فاضلاً صالحًا- رحمه الله تعالى- توفي سنة ألف ومائة، ودفن في مقبرة الشيخ رسلان الدمشقي عند أجداده بني الصديق اللهم ارحمه وإياهم.

وأوقفني شيخنا المرحوم الفاضل الأمجد الشيخ محمد بن إبراهيم الدكدكجي المغرد غفر الله له، ويقربه أسعد على قصيدة من نظم الشيخ محمد الصديقي مؤرخًا فيها وفاة الوالد رحمه الله، وهي هذه:

بنو الصديق حمدكم موالٍ ... بشكر فاز فاعله بجهده

ولاؤكم واجبٌ نفلاً وفرضًا ... بسنة أحمدَ لسولي حمده

ونسلكم المجيد بمجد مجد ... بأسعد منتج ينمو بسعده

شموسٌ أشرقت لا كسف فيها ... وبدرٌ علاكم الله يُوقد

إن نجمًا تنازل من علاه ... ترى علمين في توسيد لحده

وأشرق بعده نجم ونجم ... وبدر، ثم بدر بعد فقد

وبعد فإن مولانا الموالي ... بسحب العفو مأمونٌ بمجد

كمال الدين والدنيا خدين ... لجد الجد في تحصيل جد

وحيدٌ، عزَّ عن ثانٍ دعاه ... إلى رضوانه المولى وخلد

قضى نحبًا وطرفَ منه دمعًا ... وصبري في نفاذ غب بعده

كمال كله قد كان حقًّا ... بيَيْن النفس عنه يحول عنده

ولما غاب أظهرت المعاني ... لنا منه للكامن ضمن عده

نجومًا مشرقات من كمال ... سَناها مرساة في تحمد

فقلت به له بيتًا بديعًا ... بجملته يؤرخ حكم قصده

كمال الدين بن علي أعطى ... ولي الفردوس والصديق جده

ولا عجب، فإن الفرع حقًّا ... بتابع أصله في أصل مجده

عليه رحمة الله دواماً مؤبدة تؤنسه بلحده

وأخبرت أنه دعا بدعوات كثيرة عادت علي منها بركات كثيرة، وأني أحضرت قبيل الاحتضار بين يديه، فقبلني بين عيني وبكى وسأل الحق سبحانه وتعالى أن ينيلني مما لديه، ثم قال: استودعك الله الذي لا تخيب ودائعه، فسرني هذا الإيداع، وحمدت الله تعالى ذو الإبداع الذي ألهمه أن أودعني إليه، وسدده حتى لم يحلني إلا عليه، وقد وجدت لهذا الإيداع في نفسي بركة عظيمة، وفوائد عوائد جسيمة، روى الحاكم الحكيم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أردت سفرًا أو تخرج مكانًا، فقل لأهلك استودعكم الله الذي لا تخيب ودائعه»**[1].

وعنه ﷺ: **«أن لقمان الحكيم قال: إن الله تبارك إذا استودع شيئًا حفظه»**[2] رواه أحمد عن ابن عمر.

وعنه ﷺ: **«إذا خرجت إلى سفرك، فقل لمن تخلفه استودعك الله الذي لا يضيع ودائعه»**[3] رواه أحمد عن أبي هريرة وحسنه كذا في «منتخب كنز العمال».

سيما من يريد المقر الأخروي، والمقر السرمدي الأبهجي الأنوري.

وأخبرتني الوالدة عن عمي رحمه الله تعالى أنه وقع عليه طلاق بائن، فذهبت إلى دار أهلها تلك الليلة، فرأى الوالد المرحوم جناب الجد الأعلى ذي المدد الذي كأسه مختوم، وهو يقول ابن الشريفة عليًا، ثم قال له: خذ لها هذا الذهب السريفي فإنه قد بقي لها عندنا، وهي في غد عند العصر تكون عندنا، وكان الأمر كذلك ذكرًا.

قالت: فإن المراجعة وقعت عند العصر؛ ثم ظهر الحمل فيك بعد أيام ووقع بعده بمدة الفراق التام.

ولقد رأيته ﷺ في مرائي جميلة على كمال حاله وحسن مآله، وخلقه ولدا ذكرا واسمه محمد أمين- رحمه الله تعالى- آمين، وثلاث بنات ماتوا في الطاعون الكائن عندنا في دمشق الشام سنة ألف ومائة وأربعة، وهؤلاء من خالتي فاطمة أسكنهم الله فسيح جناته.

---

(1) ذكره ابن عدي في «الكامل» (3/ 153).

(2) رواه أحمد (11/ 385).

(3) رواه أحمد (2/ 403).

وأبو علي هو علم الجد ذي المقام العلي كان على ما أخبرني به الثقات الثقاة صاحب أخلاق رضية ونفس مرضية، وقلب سليم، وقدم على صراط الاستقامة مستقيم حسن المعاشرة ثبت المودة، وعند للملهوف إسعاف ونجده؛ كما أخبرني بذلك الفاضل الداني الشيخ خليل الحمصاني، وممن شهد له بالفضل، وحسن السيرة شيخنا الشيخ عبد الغني ذو المآثر الشهيرة.

قال المحبي - رحمه الله تعالى- في «تاريخه» عند ترجمة والد الجد المرحوم: وأما ولد صاحب الترجمة الأصغر علي أفندي فإنه نشأ في حجر أبيه، وتحت كنف أخيه، وكان وجيهًا جسيمًا عاقلاً وسيمًا مولده سنة أربع وأربعين وألف، سافر على مصر وأقام بها مدة، وسافر منها بحرًا إلى أدرنة، وعاد إلى دمشق، وسار ثانيًا إلى أدرنة، ثم سلك الطريق وصار ملازمًا من شيخ الإسلام المولى يحيى أفندي ابن المرحوم المولى عمر أفندي المتعاون، وانفصل عن بعض مدارس الأربعين في هذه الأيام، وأخذ بدمشق المدرسة الجوزية، ثم صار بعد من حلول قريبه أحمد أفندي القاري مدرسًا بالمدرسة الشامية العمرية، وحصل على الخارج والداخل المعتبر، وتزوج بابنة علي باشا الشهير بوَرْوَد، وقد قام قاضيًا بالركب الشامي، وأتى دمشق سنة إحدى وثمانية وألف وسار ذلك العام صحبة الحاج إلى بيت الله الحرام بكمال السرور، والابتهاج وذكر وقوفه على النسبة، وكتابة والده وكتابته عليها ومراسلته مع العم المرحوم أحمد أفندي.

وقال لي الشريف الحسيب النسب الشيخ تقي الدين الشيخ محمد شمس الدين الحصني- رحمه الله تعالى: كان جدي المرحوم سليم الفطرة له محبة للناس، وهو شريكي في القراءة على شيخنا العلامة الشيخ عبد القادر الصفوري، وحججنا جميعًا سنة ألف واحدى وثمانين.

أخذ- رحمه الله تعالى- العلوم عن أشياخ كثيرة، ودخل طريق المولوي فرقي في مدة يسيرة، وكان جناب حضرة شيخ مشايخ الإسلام الإمام يحيى المنقاري يحبه ويجله، وأخبرني أحد من لازم الجد في الديار الرومية: إن كان له معرفة بعلم الطب حتى أنه ألف فيها رسالة أهداها للمذكور أعظم الله له الأجور، وأخذ طريقة النقشبندية عن العارف المحقق، والكامل المدقق: سيدي محمد الكردي اللازم الراقي علي الرازي، وقد ذكرت

هذا الإمام لمناسبته اقتضاها المقام في الرحلة المسماة «بتعريف الهموم وتفريق الغموم في الرحلة إلى بلاد الروم» ترجمته ترجمة لطيفة، وذكرت طريقة الاستخارة بالسجد، وكنت استجزت بها شيخنا الشيخ عبد الرحمن المجلد، فأجازني بها كما أجازه الجد المرحوم كما أجازه شيخه سيدي محمد اللاري- رحمه الله تعالى- وأخبرني الشيخ محمد الخلوتي أحد من خلف الشيخ علي أفندي قرة باشا القاطن الآن في قاسم باشا، وقد جرى ذكر الجد المرحوم، فقال إنه: من إخواننا في البيعة، فقد أخذ الطريق على العزيز سيدي قرة باشا على أفندي.

فقلت: لعلك تعني غيره فأخبرني بسمته، ونعته وإنه يوم وفاته حضر بعض جماعة الشيخ، قال: وكنت معهم وباشرنا تغسيله وتكفينه، وذهبنا معه بالتهليل، ودفناه بأسكدار فتحققت أن أخذ عن بدون إنكار، فسرني ذلك أن علي أفندي كامل مرشد سالك ومولده- رحمه الله تعالى- كما تقدم سنة أربع وأربعين، ووفاته تقريبًا سنة ثمان أو تسع وتسعين وألف، وكان الجد المرحوم تزوج ابنة الحاج أمين الدين طبي اللولوي، فولد له منها الوالد والعم الشيخ مصطفى، وعمتي محسنة، وتوفي العم في حياة الجد، وتأهل في الديار الرومية فجاءه ثلاث بنات والعم محمد آغا، وأخوه أحمد أغاد، ولم يسلكا طريقه سلفهما؛ بل اتبعا طريقة سلف أمهما، ومن جملة أشياخ الجد المرحوم العالم العامل، والفاضل الكامل الشيخ محمد عبد الكافي ذو الجد الوافي، والود الصافي.

ومنهم: الشيخ إبراهيم الفتال وغيرهما من العلماء الأقيال، وهو أحمد أصغر سنًا من جناب العم المرحوم أحمد أفندي الصديق- رحمه الله تعالى- كما أخبرت بخمس سنين، وقد ذكرت مولد العم ووفاته، ورويا الشيخ محمد الدكدكجي له في الرحلة المذكورة من كمال الدين لقب وضع على أعلى والد الجد ذو الصلف في الدين كان- رحمه الله تعالى- شافي المذهب سالكًا في التقي أنهج مسلك، وأبهج مذهب، متقصيًا أثر أسلافه رحيق العمل الصالح، وصرف أسلافه هينًا لينًا لطيف الصفات حسن الخلق، والخلق معرى عن الآفات يتقرب كثيرًا بصلة الأرحام، ويتودد لقلوب الخواص والعوام؛ كما أخبرني من أثق بأخباره ممن له وقوف على آثاره سكن حارة باب توما بقرب الشيخ أرسلان ﷺ، وكان يكثر من زيارته في أغلب الأحيان؛ لأن مرقده مجرب لجلاء الأحزاب، ولهناك أملاك كثيرة

ولوالده أوقاف على الذرية شهيرة؛ ثم سكن بيتًا بالقرب من باب الجابية؛ ثم بيت دان بالقرب من زقاق المارستان، ولم ينقطع عن التردد إلى منزل الأول في بعض الأحيان، وقد بيعت أملاكه باتفاق الورثة في غيبتي بنحو من خمسة عشر كيسًا بعد ما اندرس الكثير منها، وعاد حرفه طمسًا.

وأُخبرت أن اللصوص دخلوا عليه في داره الثانية، وأخذوا له أمتعة كثيرة، وعرفهم بها علانية، وخرج لهم بأثواب منامه، ولم يحس لتوكله على مقصوده ومرامه، فأطلقوا عليه مكحلة معهم صحبوها، فانسكبت في يد مطلعتها؛ فقتلته فحملوه، والأسباب التي انتهبوها، وفي الصباح ناداه الحاكم آنذاك لما بلغه ما وقع هناك، وطلب منه أن يعرفه بالأخصام لينتقم منهم فامتنع عن الإعلام؛ ثم ألح عليه في ذلك فلم يسمح له بالتعريف إرضاءً للمالك؛ بل أشهد على نفسه أنه سامحهم في الدارين ليفوز بالأجر مرتين.

قال المحبي- رحمه الله تعالى- في ترجمته الشيخ كمال الدين بن محيي الدين البكري الصديقي الدمشقي المولد والمنشأ والمقر مولده سنة خمس وسبعين وتسعمائة، وهو زبدة الأعيان المعتبرين، وبقية السلف الكرام الصالحين قد احتوى على أوصاف المفاخر، واجتنى أصناف ثمار المآثر سلك في طريق المعروف أحسن المسالك، وغلب غالب أجواء العصر في ذلك أن تغالت دعاة النسب، فنسبته الصحيح العال، وإن تعالت أهل الحسب فما أين لهم صفات الكمال، فطوبى له بهذه النسبة الرفيعة المنار التي قد افتخر بها أهل مصر والشام على سائر الأمصار، وكفاهم فخرًا بأنهم من ذرية من اختاره الرسول للصحبة والمصاهرة، واصطفاه المصطفى للخلافة على ملته وشريعته الطاهرة، فيحق على أهل السنة والجماعة تعظيم أهل البيت العتيق في كل وقت وساعة.

وإني لأحمد الله تعالى على أن طبعني على المغالاة في حبهم، وجبلني على الموالاة لأهل البيت، وأهل نسبهم شعر صح في آل بيتي حبيبي؛ ثم آل الصديق قول حبيبي، أي: شعب خلوا به حيث كانوا فهو شعبي، وشعب كل أديبي أن قلبي لهم كالكبد الحراء، وقلبي لغيرهم؛ كالقلوب.

كان ولد صاحب الترجمة من العلماء العاملين، ونشأ ولده في الصلاح والدين، وتزوج بابنتي الشيخ إبراهيم ابن الشيخ سعد الدين، وأنشأ العقارات والأملاك والحمام

الكائنة بالقيمرية، والقهوة الكائنة بباب توما، وكان له ثورة مالية، وأخذ دار بني الخطاب الكائنة بالقرب من باب الجابية بزقاق الوزير، ودخل عليه السراق، وأخذوا له أسبابًا، ونقدا كثيرًا؛ ثم أمسكوا، أو قتلوا بعد مدة، وعدت له كرامة لكون الصديق جده، وذلك سنة ثمان وأربعين وألف؛ ثم بعد ذلك ابتلي بمرض الفالج، وعالجه بعض الأطباء الجهال، وكان سبب موته ذلك الداء العضال توفي سنة ست وخمسين وألف إلى رحمة الملك المنان.

واعلم به بالمنارات الثلاث، وصلي عليه بالجامع الأموي ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان، وقد حضر جنازته غالب أهل دمشق الشام من الأعيان الكرام كان رحمه الله تعالى: طوالاً جسيمًا متواضعًا متجملاً حليمًا، له نعمة ومروءة ومكارم وفتوة، ملازمًا على الصلوات، وتشييع الجنائز، وحضور الصباحيات، وذلك للفقراء والأغنياء خالي من الكبر والرياء، وخلف ولدين أخيار وأربع إناث كبار؛ ثم ذكر ترجمة العم وألحق بها ترجمة الجد السابقة، وأطال بذكر مكاتبات بينه وبين العم متلاحقة، وكان- رحمه الله تعالى- جميلاً متدينًا أواه يتعاطى التجارة على الوجه المشروع عاملاً عالمًا بالأصول اللازمة، والفروع، ولما اصطفاه الله تعالى إليه دفن عند والده وجده أغدق الله رضوانه عليهما وعليه، ومنحنا به وبسلفه الكرام النجاة من الجرائم والآثام آمين.

(مُحْيِي الدِّين) لُقب جد الجد واسمه عبد القادر بن محمد بن بدر الدين، وما وقع في ذيل تاريخ النجم الغزي من أنه ابن حسن فهو قلم أو تحريف كاتب، وتبعه المحبي في تاريخه فإن حسن ولده على أنه؛ أي: النجم الغزي ترجمة عقب ترجمة والده ووضعه بالسكون والتعبد والانزواء عن الناس، وذكر اعتقاد الناس، وانقطاعه عنهم بمجامع السقيفة خارج باب توما، وأن لقبه بدر الدين كلقب جده، وذكر رويته له ﷺ غب إنكاره على الشيخ عبد القادر بن سوار أخباره بكثرة رؤياه له ﷺ، وقوله ﷺ له بعد قوله: من أنت يا سيدي؟

قال: أنا حبيب الله الذي يقول الشيخ عبد القادر بن سوار كثيرًا أنه يراني في منامه، وقد جئت لحضور مجلسه، وذكر رجوعه عن الأفكار، وملازمته للأطهار، واعتقاده في الشيخ عبد القادر بعد ذلك، وتقبيله يده، وأنه توفي في أوائل جمادى الأولى سنة اثني عشرة بعد الألف، ودفن إلى جانب والده عن بضع وثلاثين سنة، فلم يبق إلا إبهام حس أو

تحريف أو سهو.

وعبارة النجم- رحمه الله تعالى- عبد القادر بن حسن الشيخ العلامة الفاضل الفهامة أبو عبد الله محيي الدين ابن القاضي بدر الدين البكري الصديقي المصري الأصل الشافعي، كان من أهل العلم والديانة، وكان فقيهًا نبيهًا يحب العزلة عن الناس، وله تحر في الطهارة قريب من الوسواس، حضر درس شيخ الإسلام والدي وقرأ على أخي الشيخ شهاب الدين شرح «المحلي» مشاركًا لصاحبه الشيخ تاج الدين القرعوني مع مطالعة حاشية الوالد الصغرى عليه، ومع إمساك الشيخ شهاب الدين لشرح الوالد الصغير على المنهاج، ولازمه وغير ذلك، ولازم الشيخ نور الدين النسفي، ولعله أول من قرأ عليه فإنه تزوج بأم الشيخ محيي الدين، وسكن عندهم بمحلة باب توما[1].

وقرأ أيضًا على الشيخ إسماعيل النابلسي موافقًا للشيخ عمر القارئ، واصطحبا مدة مكتسبين في طبخ السكر وغيره حتى جمعا مالاً؛ ثم انقطع عند الشيخ محيي الدين، وتأخر عند الشيخ عمر مال كثير لم يستوفه هو ولا أولاده من بعده، وكان يدعو عليه بطول العمر مع الحاجة، ولقد صحبنا الشيخ محيي الدين مدة، وكان بيننا وبينه محبة ومودة، وكان من أولياء الله تعالى نورانية الصالحين، وأئمة العلى العاملين مات سنة ثلاث بعد الألف ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان عند والده، انتهى.

وقال المحبي- رحمه الله تعالى- في تاريخه[2]: عبد القادر بن حسن المنعوت محيي الدين بن بدر الدين البكري الصديقي الدمشقي الشافعي الإمام الفقيه الزاهد الورع كان من أجل العلى الكبار، وأصحاب الديانة والصلف وله الفضل الباهر، والمشاركة التامة في فنون كثيرة أجلها الفقه والعربية، وكان منقطعًا عن الناس قليل الاختلاط بهم ملازمًا للاشتغال والأشغال، والعبادة موصوفًا بحسن الأخلاق، وجلاله المقدار، وهو من بيت عريق مجمع على صحة انتسابهم للأسرة الصديقية، ولا يشك في نسبهم إلا جاهل، أو معاند وناهيك بنسبة، لم يبق من علماء دمشق الكبار المشهورين في هذه المائة، والتي قبلها أحد إلا وشهد بحقيقتها، ومنهم أحسن الناس بهذه النسبة السادات البكرية بمصر، ولهذه النسبة

(1) انظر: سلك الدرر للمرادي (2/ 93)، والكواكب السائرة للغزي (1/ 406).

(2) انظر: خلاصة الأثر (1/ 56).

العظيمة كان صاحب الترجمة معظمًا محترمًا، واتصاف إليه الفضل التام فزاد احترامه.

وقد قرأت بخط الأب عبد الكريم الكريمي الخالدي الدمشقي، قال: وسألت عندها حينا الإمام العلامة زيد الدين عمر بن محمد القارئ الشافعي، فقال: كان ماهر في علوم شتى منها: الفرائض والحساب والكلام، وأما الفقه والعربية فكان فيهما الغاية القصوى لا أرى له ضريبًا في الفنون المذكورة، فإنها تلقاها عن مشايخ عظام، ودأب في تحصيل الكلام؛ ثم ذكر عبارة الذيل المتقدمة انتهى.

وترجم النجم ولده الشيخ أبو بكر- رحمه الله تعالى - فقال أبو بكر عبد القادر الشيخ -العالم الفاضل المبارك المجذوب- ابن الشيخ محيي الدين البكري الصديقي الشافعي: كان في أول أمره من أزكى الناس طلب العلم، وحصل ملكة في العربية، وكان لا يفرغ من الاشتغال بالعلم.

وقرأ على والده وعلى الشيخ تاج الدين القرعوني، وغيرهما ثم تمزق وانجذب.

قيل: بسبب ملازمة الأسماء.

وقيل: لغير ذلك، وكان في جذبه يحب العزلة، ويلازم جامع السقيفة، وللناس فيه مزيد اعتقاد، وكان له كشف واضح بين ولا شك في ولايته أخبر بموته قبل وقوعه بسنين، ووجد ذلك على جدران بيته، وكانت وفاته أول الليل ليلة الثلاثاء ثاني رجب الحرام سنة إحدى وثلاثين بعد الألف، ودفن عند أبيه وجده بتربة الشيخ أرسلان رحمه الله تعالى[1] **(الصِّدِّيقِي نَسَبًا)** أي: المنسوب من جهة النسب إلى الصديق الأكبر، والعتيق الأفخر أفضل الخلق بعد الأنبياء، ولا نبغي خلافة عبد الله خليفة رسول الله ﷺ في اللطافة الذي هو أولى من علي المرتضى بالخلافة.

وقد قلت في آخر قصيدة مدحت فيها أهلي وأودعتها «النحلة النصرية في الرحلة المصرية»:

**وصـــلاة عـــلى النبـــي وآلـــه وصحاب قد أحرزوا أوصافه**

**وعـــلى جـــدي العتـــيق المكنـــى بـــأبي بكـــر العتـــيق إضـــافه**

---

(1) انظر: خلاصة الأثر (1/ 56).

نجل عثمان من جهم قريش ابن بني تميم قد كنوا قحافه

الصديق الصدّيق من هو أولى من علي الرضا بدعوى الخلافه

وعلى التابعين ما سار صب نحو ليلى فلم تصب ذاك آفه

أو تغنت بلابل الروض تشدوا رحم الله ساكنين القرافه

واصطفى مصطفى بوصف صفا وعفا عنه وارتضى أسلافه

وقد صحت له بحمد الله تعالى النسبة إلى الشرف من جهة أم جدنا أحمد زين الدين الصديقي، فنحن أسباط الحسن ﷺ، وقد نظم النسبتين الحسنية والصديقية شيخنا الهمام الشيخ عبدالغني المقدام في قصيدة فريدة بديعة مفيدة، ومطلعها:

بان عليه من القلوب شهود ولنا مواثيق به وعهود

ضاءت فروع أصوله فتبدلت بيض الليالي للأجانب سود

وله نجوم في السماء طوالع وعليه للصبح المبين عمود

للحرب منه سواهر وقواضب ولحرمة الهيجاء منه أسود

وهم السيوف المصليات على العدا ما إن لهاتيك السيوف غمود

نسب النبي ونسبة الصديق في هاتين ابننا أتت وجدود

ولهم مزايا باهرات في الورى ولهم رقي في العلا وصعود

وبدا عليهم من سرادق غيبهم وإلى المقاصد حبلهم ممدود

وذواتهم محفوظة وصفاتهم ملحوظة منها التقى والجود

هو أسعد البكري وهو الهاشمي وبمن هما في الغار دام يسود

وأبوه أحمد ذو المحامد والثنا بابن الكمال سماه والمحمود

ثم الكمال هو ابن محيي الدين مَن كان التقي يبدو به ويعود

وهو ابن بدر الدين باسم محمد يسمو له من أرض مصر وفود

وبه دمشق الشام زادت بهجة وهو الذي من أهلها معدود

وهو ابن سر النسبتين محمد هو ناصر الدين احتواه سعود

وهو ابن أحمد باسم زين الدين قد نظمت له في النسبتين عقود

وهو ابن فاطمة الشريفة بنت تا ... ج الدين بنت محمد مقصود

وأبو محمد عبد الرحمن عبد ... الملك أفضل من حوته لحود

وهو ابن يرحم الشريف أبو ... حسان يلسين لعزمه الجلمود

ابن الشريف سمي سليمان ابن من ... يحمد هو في الورى منشود

ابن الشريف علي بن محمد ... ابن لعبد الملك وهو ودود

ابن التقي المكفوف، قل حسن سما ... ابن الذي صدقت لديه وعود

حسن المثلث، مَنْ أبوه ملقبٌ ... حسن المثنى، بحره المورود

ابن الإمام السيد الحسن ابن ... فاطمة التي فضلها مشهود

بنت النبي وزوجة لعلي مَنْ ... هو الكمال لدى الورى معهود

هذا هو النسب الذي من أمه ... وله انتساب من أبيه يعود

للصاحب الصديق مَنْ يُدعى ... أبا بكر الخليفة، ليس عنه صدود

هو أحمد المعروف زين الدين ... بن محمد، تلقيبه موجود

[......] الأنام بناصر الدين .... ... وأحمد بالشهاب ملقب بودود

ابن الشريف محمد هو ناصر ... الدين الذي يدع بالتقي مشهود

ابن البهاء عوض بن عبد الخالق ... المفضال ما للفضل منه جحود

وهو ابن عبد المنعم ابن الشيخ ... يحيى السهم، بحر بالنوال يجود

ابن التقي الحسن بن موسى ابن ... من سمِّي بيحيى مثله مفقود

وهو ابن يعقوب بن نجم الدين ذي ... الفضل ابن عيسى بالفخار يقود

وهو ابن شعبان بن عيسى من ... دعا عوضًا، ووالده التقي داود

ابن الشريف محمد ابن التقي ... هو ابن طلحة أنتجه الفقود

وهو ابن عبد الله يعرف في ... الورع بأبي محمد قد دعته وفود

وهو ابن سيدنا أبي الفضل ... الصحابي الجليل أجَلَّه المعبود

عبد الرحمن ابن أفضلهم أبي ... بكر خليفة من هو المعهود

طه الرسول ومن توسل آدم ... عند الإله به وأسعد هود

صلوات ربي دائمًا وسلامه أبدًا عليهم أجمعين تزود

وتحية تزداد من عبد الغني نشرًا يفوح كما يفوح العود

طول المدى ما شاء يشرف في الدجى نسب عليه من القلوب شهود

وسبب إنشاء الشيخ حفظه الله هذه القصيدة أن المرحوم، وابن العم أحمد أفندي الصديقي لما أخرج النسبة الصديقية سنة ألف ومائة وأربعة وعشرين، لينزل فيها أسماء إخوته وأولاده، ومن هو درجتهم من بني عمتهم عمة كتب عليها علماء دمشق الشام.

ومن أجلهم الشيخ فسح الله في أجله للأنام، وقد استجزته مستعينًا الله به في كتابتها فقرأها علي، وأنا أسمع وبعد أن كتبتها قرأتها عليه، وهو يسمع وقدم على القصيدة ترجمة، وهي قوله، وقد تشرفنا بالكتابة على النسبة الشريفة البكرية التي باسم المولى الجليل حضرة أسعد أفندي وآبائه وأجداده السادة الكرام، وهي نسبة الشرف من جهة أم جدهم المعروف بزين الدين أحمد، ونسبة الصديقية من جهة آبائهم وأجدادهم رضي الله عنهم، وذلك في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ألف ومائة وأربعة وعشرين.

وهذه صورة ما كتبناه وسرد القصيدة، وقول الشيخ حفظه الله تعالى، وعليه للصبح المبين عمود ضمن فيه معنى بيت أبي تمام- رحمه الله تعالى، وهو نسب كان عليه من شمس الضحى نورًا من فلق الصباح عمودًا، ومن أمثال العرب أبين من عمود الصبح، وأبين من فلق الصبح، وقد منَّ الحق سبحانه وتعالى علي ببشرة ذكرتها في مقدمة «العرق المؤذن بالطرب».

وقلت فيها: وقد جاءت لك خلعتين الواحدة من كونك بسطًا، والثانية نسبتك للصديق فلزمني الحمد والشكر الذي بجنابه العلي يليق، وقد حصل الوالد نسبة للشرف من جهة والدته، وللفقير نسبة أخرى من جهة والدي، والحمد لله رب العالمين.

فإن لها اتصالاً بنسبة بيت الحصري، ونسبتهم تنتهي إلى السيد أبي عبد الله الحسين ﷺ، فأكون بفضل الله سبط الحنين، وبيت الحصري أسباط لنسبتنا البكرية، ولقد رأيت الوالدة في المنام من أيام، وذكرت لها أنه جاءني من جهتها نسبة للشرف.

فقالت: بل نسبتان فعجبت من ذلك، وقلت لها: لا أتحقق إلا واحدة، فقالت: والله يا ولدي أن والدي شريف فسررت بهذه الرؤيا، وحمدت الله الخبير اللطيف، وأخبرت بها

بعض الأشراف أولي الأشراف فصدق دعواها، وأشار لنسبة أخرى، وأبهم على فحواها.

والنسب: قال في «القاموس»: النَّسَبُ، محركةً، والنِّسْبَةُ، بالكسرِ والضمِّ القَرابَةُ، أو في الآباءِ خاصَّةً، واسْتَنْسَبَ ذَكَرَ نَسَبَهُ. والنَّسيبُ المُناسِبُ، وذُو النَّسَبِ، كالمَنْسُوب. ونَسَبَهُ يَنْسُبُهُ ويَنْسِبُهُ نَسَباً، محركةً، ونِسْبَةً، بالكسر ذَكَرَ نَسَبَهُ، وسَأَلَهُ أنْ يَنْتَسِبَ، وبالمَرْأةِ نَسَباً ونَسِيباً ومَنْسِبَةً شَبَّبَ بها في الشِّعْرِ. والنَّسَّابُ والنَّسَّابَةُ العالِمُ بالنَّسَبِ. وهذا الشِّعْرُ أنْسَبُ، أي أرَقُّ نَسيباً. ونَسيبٌ ناسِبٌ، كَشِعْرٌ شاعِرٌ. وأنْسَبَتِ الرِّيحُ اشْتَدَّتْ، واسْتَاقَتِ التُّرابَ والحَصى. والنَّيْسَبُ، كَحَيْدَرٍ الطَّرِيقُ المُسْتَقيمُ الواضِحُ .... إلخ.

وفي «تهذيب الصحاح»: وتنسب، أي: ادَّعى أنه نسيبك، وفي المثل القريب من تقرب لا من تنسب، انتهى.

وقال في «المختار»: النسب واحد الأنساب، والنسبة بكسر النون، وضمها مثله ورجل نسَّابه، أي: عالم بالإنسان، والهاء للمبالغة في المدح، وفلان يناسب فلانًا، فهو نسيبه، أي: قريبة وبينها مناسبة، أي: مشاكله ونسبت الرجل ذكرت نسبة، وبابه نص، ونسبته أيضًا بالكسر، انتهى.

وقد أمرنا الشارع عليه الصلاة والسلام بتعلم النسب، ومعرفته لنصل الأرحام، ولنأخذ الأكفاء الكرام الذين طابت أصولهم الفخام أن الأصول عليها ينبت الشجر، ففي الحديث: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر**»[1] رواه أحمد والترمذي والحاكم عن أبي هريرة؛ وفيه «**اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم فإنه الأقرب بالرحم إذا قطعت، وإن كانت قريبة، والأبعد بها إذا وصلت، وإن كانت بعيدة**»[2] رواه الطيالسي، والحاكم عن ابن عباس.

واعلم: أن للعبد نسبتين عال ونازل؛ فالعالي نسب القرب من حضرة الرب جل وعلا، وأهل هذا النسب العالي هم المضافون إضافة تشريف لعزيز منيع جنابه العالي في قوله: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان، وتاب إبليس معه حيث إنه استثناهم لما علم أنه اصطفاهم بقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:83]، فمن صحت نسبته

(1) رواه أحمد (2/ 374)، والترمذي (4/ 351).

(2) رواه الحاكم(1/ 292)، والطيالسي (7/ 482).

للحق كان بمعروفه أحق، وهذا نسب التقوى الذي به صاحبه على حمل التقرب يقوى قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:13].

وقال رسول الله ﷺ: «**يقول الله ﷻ: يوم القيامة اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون**»(1)، والثاني هو النسب الجسماني، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الناس يتفاضلون في الدنيا بالشرف والبيوت والإمارات والغنى والجمال والهيبة، ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى واليقين وأتقاهم أحسنهم يقينًا، وأذكاهم عملاً، وأرفعهم درجة، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الحاقة:13]، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون.

قال القاضي رحمه الله تعالى: تنفعهم لزوال التعاطف، والتراحم من فرط الدهشة بحيث: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝﴾ [عبس:34-36]، أو يفتخرون بها كما يفعلون اليوم، انتهى.

ومما ينسب لأمير المؤمنين ويعسوب الموحدين سيدي ومولاي الإمام علي بن طالب ؓ وكرم وجهه:

النـاسُ مِـن جِهَـةِ التِّمـثالِ أَكفـاءُ ... أَبـــوهُمُ آدَمُ وَالأُمُّ حَـــوّاءُ

فَـإِن يَكُـن لَهُـمُ مِـن أَصلِهِم شَرَفٌ ... يُفاخِـرونَ بِـهِ فَالطـينُ وَالمـاءُ

مـا الفَـضلُ إِلا لِأَهـلِ العِلـمِ إِنَّهُـمُ ... عَـلى الهُـدى لِمَـنِ اِسـتَهدى أَدِلّاءُ

وَقَـدرُ كُـلِّ اِمـرِئٍ مـا كـانَ يُحسِنُهُ ... وَلِلـرِجالِ عَـلى الأَفعـالِ أَسـماءُ

وفي الحديث الشريف: «**كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان**»(2) قال المناوي- رحمه الله تعالى- في «شرحه الكبير» على «الجامع الصغير»: فلا يَليق بمَن أصله مِن تُراب الافتخار والتكبر، لينتهين: اللام في جواب القسم، أي: والله لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم، أو ليكونن: عطف على لينتهين، والضمير الفاعل العائد على أقوام، وهو واو الجمع محذوف من ليكونن، يعني: والله إن أحد الأمرين واقعٌ لا محالة لما الانتهاء، أو كونهم أهون على الله من جِعْلان ، وهي

(1) رواه البيهقي في «الشعب» (4/ 289)، والطبراني في «الصغير» (1/ 383).

(2) رواه الترمذي (5/ 734)، والبيهقي (10/ 232).

دودية شوكية قوتها الغائط، فإن شَمّت ريحًا طيبًا ماتت؛ فليحذر كُل عاقل منَ الاتّكال على شرف نسبه، وفضيلة آبائه، فإن ذلك يورث النقص، والانحطاط عن معاليهم، ونهاية الحسرة والندامة، وغاية العداوة أن كل من يظهر مثالب الآخر، ويثبت مفاخر نفسه؛ لذلك فلا ينبغي لعاقل الإعجاب بنفسه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، والناس يجمعهم في الأنساب أب وإن اختلفوا في الفضل أشتاتًا.

وقيل: وليس فخار المرء إلا بنفسه، وإن عدا بإكرام ذوي نسب.

وقيل: وليس فخار المرء إلا بنفسه إذا افتخرن بأبا مضرا سلفا، قالوا: صدقت، ولكن بئس ما ولدوا، وشرف النسب، وإن كان له ثمرة فينبغي للمتصرف به أن لا يعجب بنفسه، ولا يفاخر بحسبه بأن يهن نفسه، انتهى.

وأنشد سيدي عمر بن الوردي البكري- رحمه الله تعالى:

قَدْ يَسودُ المرءُ مِنْ غيرِ أبٍ ... وبحسنِ السبكِ قدْ يُنفى الزغلْ

وكذا الوردُ منَ الشوكِ وما ... ينبتُ النرجسُ إلا منْ بصلْ

مع أني أحمدُ اللهَ على ... نسبي إذْ بأبي بكرٍ اتصلْ

قال النجم الغزي- رحمه الله تعالى- في «شرحه»، وفي قوله: إنّي أحمد الله على نَسَبي، إشارةٌ إلى أنَّ شَرفَ النَّسب نِعْمة يجب حمد الله على نسبي وشُكْره عليها، نَعَم من قَعَد به عملُه لم يَقُم به نسبه؛ كما في الحديث: «**من ضيع نسبه بسوء فعاله، فقد كفر نعمة شرف النسب وأزري بفعله على ما له من الحسب**»[1]، انتهى.

وقال الشيخ عبد الوهاب الغمري- رحمه الله تعالى- في «شرحه»: معنى هذا الكلام أنَّ النَّاظم- رحمه تعالى- يقول: عليك بنماء نفسك واجتهد فيما يرضي الله تعالى عنها، ويقربها إليه من الأعمال الصالحة التي تنفعها يوم القيامة يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، ولا تعلق آمالك بأصل، ولا فصل: يعني بأبٍ ولا أولاد، ولا يقول أبي ولا أبتي، ولا كان أبي ولا كان ابني، ولا كان جدي، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من بطأ به عمله لم**

(1) لم أقف عليه.

يسرع به نسبه»[1]، وما أحسن ما قيل في ذلك:

كُنِ ابنَ مَنْ شِئْتَ وَكُنْ مُؤَدَّبًا ... فَإِنَّما المَرْءُ بِفَضْلِ كَسْبِهِ
إنَّ الفَتَى مَنْ يقولُ هَا أَنَا ذا ... لَيسَ الفَتَى مَنْ يقولُ كَانَ أَبِي

ومن المعلوم أنه لا ينفع الإنسان عند الله هنا ما قدمه من عمل صالح ﴿تَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: 33] ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: 111]، انتهى.

وقد كنت عملت قصيدة مطلعها:

إذا انتسبَ الأشرافُ نحوَ جدودِهم ... وقد قنعُوا في ذلك النسب الأدنى
فخذْ نسبَ التقوى لتقوى بأخذِه ... على نيلِ ما ترجوهُ في المنزل الأسنى
ولا تغترر فيما الجدودُ أتتْ به ... ولكن لهم كن تابعًا تدرك الأمنا
فمن ينتسب نحو الجد وذوي الولا ... ويذكر ما نالوهُ في الحضرة الحَسْنَا

تمامها في «الروضات العرشيّة»[2].

وقلت في مطلع قصيدة معشرة:

ما افتخر الفتى بالي العظام ... يا عظام بل في الصفات العظام
فإن المفتخر بآباء سلفوا ... دون افتعل عظامي
والجامع بين شرف النسب ومكارم الأخلاق ... والمفتخر بعلمه وعمله عصامي

المعبر عنها بحسب فيضه الإلهامي، وعقدنا للنسب الروحاني في الألفية فصلاً، وذكرنا فيه أنه أقرب من الجسماني فرعًا، وأصلاً، وراجع هنا «كروم عروش التهاني في الكلام على صلوات ابن مشيش الداني»، والروضات تطغى ببعض أماني، وستأتي آخر الورد نبذة في ترجمة الصديق ﷺ، واتصال نسبه الكريم بنسب الرسول الرءوف الرحيم ﷺ صلى الله تعالى عليه، وعلى آله أولي المجد والتكريم.

---

(1) رواه مسلم (4/ 2074)، والترمذي (5/ 195).

(2) انظر: الروضات (ص 85) بتحقيقنا.

(الخَلْوتي)أي: المنسوب إلى طريق السادة الخلوتية -قدس الله أسرارهم بكرة وعشية، وأول من تسمى من رجال السلسلة بالخلوتي العالم العامل محمد أخي محمد البالسي، فإنه لكثرة خلواته سمي بالخلوتي، واشتهر أتباعه من بعده بالخلوتية.

وقلنا في الألفية: والخلوتية الكرام فرق قد نهجوا نهج الجنيد فرقوا، ومنهم فرقتنا العلية من عرفوا بالقرداتية.

والخلوتي: في الاصطلاح عبارة عن محادثة السر مع الحق، والخلوة: عبارة عما يخرج به المختلي من النعوت الإلهية، ولأهل الطريق اصطلاح خاص يعرفه السالك في طريقهم، ومنه الخلوة المصطلح عليها عندهم، ولها آداب كثيرة، وشروط لديهم شهيرة، ذكرتها في رسالة سميتها «هدية الأحباب فيما للخلوتية من الشروط والآداب» لخصت فيها رسالة التخلق للإمام من أكابر السادات قد أحاطوا بالفقير كالدائرة، وكل منهم سار مدده في جدول إليَّ، فتدافعت أمواج تلك الإمدادات عليَّ، ورآني أشرب تلك البحور المتدفقة بقلائد النحور، فحمدت الله تعالى على فضله الذي به صيرني من أهله، وقد ذكرت سلسلة الطريق في رسالة «نظم القلادة في كيفية إجلاس المريد على السجادة» وأتبعتها بالنسبة التي نظمت فيها رجالها.

(طَرِيقَة) في اصطلاح القوم هي: السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى مع قطع المنازل والترقي في المقامات، ولبعضهم في معنى حروف الطريقة: (طاء): الطريقة مع مجاهدة فيها، فلأهل التقى باسمه تنويره، و(راؤها): ترجحه في حسن تربية نوابها، وهو بالشارة معمورة، و(ياؤها): يقهر الأعداء أعظمها بالحق لا يختشي معمورة فالحق منصورة، و(قافها): قربان لا يفارقها ما دام حيًّا، فإن العمر محصورة، و(هاؤها): مهلكات ليس يسلكها إلا محب بالله مخمور.

والمفهوم من أهل هذه الطريقة عبارات كثيرة في الفرق بين الشريعة والطريقة والحقيقة؛ وعلى الحقيقة فالثلاث من الشريعة من غير تفريق.

وقلت في «الحكم الإلهية المرتبة على حروف المعجم»[1]:

الشريعة أذكار، والطريقة أنوار، والحقيقة أسرار، الشريعة تحلٍّ، والحقيقة تجلٍّ،

---

(1) في (ص129) بتحقيقنا.

الشريعة صحو، والطريقة محو، والحقيقة صحو ومحو، الشريعة أجور، والطريقة كشف نور، والحقيقة حضور، الشريعة مصباح، والطريقة أقداح، والحقيقة راح، الشريعة باب، والطريقة آداب والحقيقة لباب، انتهى.

فأدمت أيها الطالب سلوك هذه الطريقة فاطرق بابها، فعسى يفتح لك بوابها، ويسقيك من شرابها بين طلابها وشرائها، فتصبح في طلبها من السباق، وتعد من أهل السباق، ومن تهواه يناديك بناديك؛ فيطير بك الفداء، ويعجبك النداء أو تعود مخطوبًا بعد ما كنت خاطب، ولا يقال فيك: هذا ممن بليل خاطب.

واعلم أيها الأخ أن: هذه الطريقة إذا ما طرق حماها الطارق طرقته طوارق نجم السعد الطارق، فتضيء منه المفارق، ويمسي للغير مفارق، وتبدو له بوادي الوجوه الصباح بوادي القرب عند مرآه الصباح، وقد يتحقق بحقائق ذي البرقة فتأخذه اللمعة السنية البراقة الدهشية، فإنه باب المدينة التي لسكانها مدينة، ويعطي النظر النافذ الخارق فيفتك بمن لسياج الشرع خارق، إذ كان الجامع الغارق، والمخصوص بالنور؛ محيي الدين -قدس الله سره- التي شرحها المحقق الجيلي قدس الله سره، ورسالة «الأنوار فيما يمنحها صاحب الخلوة من الأسرار» وغيرهما.

وأشرنا على طرف يسير منها في رسالة «بلوغ المرام في خلوة خلوتية الشام» ويسميه أهل طريقتنا بالمقر بأشبيلية لانتسابهم إلى جناب العارف بالله تعالى الشيخ علي أفندي قرباش قدس الله روحه، ونور ضريحه، واشتهر بهذا اللقب لتعممه بالعباسي، وقد كان جامعًا بين المعقول والمنقول، وله تأليف تدل على فضل غير مجهول، أخذ عنه خلق لا يحصون عدًا، ولا يحصرون حدًا، وقد جمع كراماته غير واحد من أتباعه الفائزين باتباعه، وأخبرني رجل من أهل طريقة الشاربين صرف رحيقه أن الشيخ الأكبر أشار الله في «عنقاء مغرب» عند قوله: «وإن له حشرين، ولصبحه فجرين، ولوجهه نورين، وفي حفظه علمين، وله عالمين يشدكما في حكم، ويخص أحدهما، فهو صاحب حكمين، وهو من العجم لا من العرب، آدم اللوم أمهب، أقرب منه إلى القصر كأنه البدر الأزهر، اسمه عبد الله، وهو اسم كل عند الله، وأما اسمه الذي يختص به فلا يظهر فيه إعراب، ويتصرف في صناعة الإعراب أوله عين اليقين، وآخره قيومية التمكين، ونصف دائرة

الفلك من جهة النصف الذي هلك لا بد ثمة باسم سواه، ولا يعرف إلا إياه...» إلخ.

قلت: وكلام الشيخ في الروح، ولا يصح حمل الكلام إلا عليه، والحجة عند أهل الفتوح كما يفهم شرحها، والسياق الشروح، فافهم هذا الممنوح توفي- رحمه الله تعالى-، وهو قافل من الحج الشريف في الطريق المصري، وخلف قبيل وفاته شيخ شيخنا مصطفى أفندي الأدرنوي، وذلك سنة ألف ومائة، وتوفي مصطفى أفندي سنة الفتوحات وثلاثين، وذكرنا وفاة شيخنا ترجمته في رسالة سميتها «الكوكب الثاقب في بعض ما لشيخنا من المناقب».

**(طريقة)** أي: من حيث الطريقة التي سلك عليها، وقادني الحق سبحانه وتعالى بزمام التوفيق إليها، وقد عاينت لها بركات لا تنكر، واستعذت منها ما يجب أن يشكره، ولا يتسنى بل يذكره، وأجازني الشيخ -رحمه الله تعالى- بالإرشاد قبل وفاته بستتين أو أكثر، ثم بعد وفاته بمدة أجازني شيخنا الشيخ عبد الغني حفظه الله تعالى بطريقته القادرية والنقشبندية؛ كما ذكرت ذلك في رسالة «كشف الستر والرداء».

ثم أخذت طريقة النقشبندية على سيدي أبي يزيد البسطامي -قدس الله سره السامي- من طريق الباطن، وذكرت: الأخذ عنه في السيوف الحداد، وكانت قد حصلت لي نسبة بمحمد الله تعالى لسيدي عبد القادر -قدس الله سره- ثم منَّ الله سبحانه وتعالى عليَّ بوصلة شاذليَّة سريَّة باطنيَّة، ثم بنسبة ظاهريَّة قادريَّة، وبشرت بأن لي ثلاثين طريقة كبيرة عظيمة وثيقة، وحدثني الثقة أنه رأى جمًّا غفير الفارق، وإياك أن يقطعك عن سلكوها قاطع؛ بل كن بسيرتي العزم قاطع، إن كنت ترجو أقرب السلام، وقد نصحتك والسلام، وعن اللازم على من كان على السلوك عازم أن يرى طريقته أقرب الطرق وصولاً، وأعظمها حصولاً ليجتمع قلبه عليها فتوطنه مدة توجهه إليها ما لديها إذ الملتفت لا يصل، والمتسلسل لا يتصل؛ بل ينفصل وتوجيه العزيمة شرط في هذه الطريقة العظيمة وليعرف قدر نعمة الله تعالى عليه، ويسجد سجدة الشكر على توقيعه بين يديه فإن النعم تقيد بالشكر للمنان، والنكران يوجب نفورها فيحصل الخسران.

**(الحَنَفِي)** أي: المنسوب من حيث الاتباع إلى الإمام الأعظم، والهمام الأفخم أبي حنيفة النعمان بن ثابت المنذري، من جلت مناقبه عن الإحصاء، وعزت عن أن تستعصي،

وهو أشهر من أن يعرف أو يذكر؛ لأن الشمس رابعة النهار؛ بل أضواء وأنوار، وهو من التابعين على ما صححه بعض العلا العاملين ولد ﷺ سنة ثمانين، وتوفي سنة مائة وخمسين.

**(مَذْهَبًا)** وهو من حيث التَّمَذْهَب يمَذْهَبِ مَذْهَبًا على وزن مَفْعَل يصلح للمصدر والزمان والمكان؛ بمعنى: الذَّهاب، وفي الاصطلاح: هو ما رجح عند المجتهد في مسألة ما بعد اجتهاده حتى صار له معتقدًا ومذهبًا فمن تبعه في تلك المسائل التي اجتهد فيها، ورجَّح مذهبه على غيره يكون قد اتخذ مذْهَب ذلك المجتهد مذْهَبًا له، وهو لغة: المعتقد الذي يذهب إليه والطريقة والأصل، ويطلق على ما اختير من الأفعال، وغيرهما كما يقال: مذهب الفقهاء، وهو مأخوذ من الذَّهاب وهو الخُرُوج على المقاصد سواء وصل إليها أم لا، وهذا اختلف فيه فمن قال: لا يشترط الوصول، ومن قال يشترط، قال الله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ [طه:24]؛ أي: ائتياه، **(وَكَانَ)** من الأفعال الناقصة **(ذَلِكَ)** اسم إشارة، ويشار بها إلى البعيد المذكور المراد به هنا الفتح.

**( فِي أَوَائِلِ شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ)** قال في «القاموس» قال النحاة: قال النُّحاةُ أوائِلُ: بالهَمْزِ أَصْلُهُ أواوِلُ، لكن لَمَّا اكْتَنَفَتِ الأَلِفَ واوانِ، ووَلِيتِ الأَخِيرَةُ الطَّرَفَ فَضَعُفَتْ، وكانَتِ الكَلِمَةُ جَمْعاً، والجَمْعُ مُسْتَثْقَلٌ، قُلِبَتِ الأَخِيرَةُ هَمْزَةً. وقد يَقْلِبونَ فيقولونَ الأَوالي، انتهى.

وقال في «تهذيب الصحاح»: والأَوَّل ضدّ الآخِر عَلَى أَفْعَل مَهْمُوز الأَوْسَط قُلِبَت الهَمْزَة وَاوًا ، وأُدْغِم يَدُلُّ عَلى ذَلِكَ قَوْلُهم: هذا أَوَّلُ مِنْكَ والجَمْع الأَوَائِل والأَوالِي أيضاً عَلى القَلْب ، وقال قَوْمٌ: أَصْلُه وَوَّل على وزن فَوْعَل فَقُلِبَت الواوُ الأُولَى هَمْزة ، وإنما لم يجمع على أوول لاستثقالهم اجتماع الواوين بينهما ألف الجمع وله استعمالات أحدهما اسما بمعنى قَبْلَ منصرفًا منونًا، ومنه قولهم: الحمد لله، أوَّلاً وآخرًا، والثاني: أن يكون صفة فيكون لشغل تفضيل معناه الأسْبَق، فيكون غير منصرف للوصف، ووزن الفعل. انتهى. أوَّلُ الشيء مبدأ منه، وآخره منتهى الجزء منه، وقيل: الأوَّل فرد لا يكون من جنسه سابق عليه، ولا مقارن له.

**( شَهْر)** قال في «المصباح المنير»: الشَّهْرُ قِيلَ: مُعَرَّبٌ وَقِيلَ عَرَبِيٌّ مَأْخُوذٌ مِن الشُّهْرَةِ وَهِيَ الانْتِشَارُ،وَقِيلَ:الشَّهْرُ الهِلَالُ سُمِّيَ بِهِ لِشُهْرَتِهِ وَوُضُوحِهِ، ثُمَّ سُمِّيَت الأَيَّامُ بِهِ وَجَمْعُهُ

شُهُورٌ وَأَشْهُر، وأنشد الطيبي -رحمه الله تعالى:

ولا تصف شهرًا للفظ أشهر إلا لما أوله الراء فادر

لكن نقل المُحِبِّي في تاريخه[1] عند ترجمة درويش محمد الطالوي الشاعر الأديب، قال: فما دار بينه وبين الحسن البوريني أن الحسن نقل عن الشيخ الطيبي بيته المشهور فمر بهم في المطالعة في حواشي «الكشاف للسعد» أن إضافة لفظ الشَّهر إلى رجب ممتنع، فقال الطالوي: ينبغي أن يستثنى مما اقتضاه كلام الطيبي، فقال البوريني: بادروا إلى ذلك، فقال: إلا الأصم فهو ممتنع، فقال لكن؛ لأنه فيما رووه سمع، وبذل علل السعد المنع، انتهى.

ورأيت بخط شيخنا الهمام الشيخ عبد الغني المقدام في ورقة قرأت بخط محسن ما عبارته نقل في كتاب «نظم العقيان في أعيان الأعيان» رأيت الفضلاء لم يأتوا بشهر أوله حرف وتر من الأشهر العربية، وذكروا في أوله لفظ شهر كشهري ربيع ورجب، وشهر رمضان، واحملوا ذلك فيما كان أوله غير ذلك؛ كمحرم وصفر، فلم يأتوا في أوله شهر مع أن القياس كان ينبغي أن يكون على العكس أنه يجتمع في ذلك إن قلت: قد تعرض للمسألة من المتقدمين ابن درستويه حيث قال: الشهور كلها مذكرة إلا جمادى، وليس شيء منها يضاف إليه شهر إلا شهري ربيع، وشهر رمضان، قال الله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: 185].

وقال الراعي: شهري ربيع ما تدر لبونهم إلا حموضًا، فما كان منها اسمًا لشهر، أوصفة له قامت مقام الاسم، فهو الذي لم يجز أن يضاف إليه الشهر، ولا يذكر معه كالمحرم إنما معناه الشهر المحرم، وهو من الأشهر الحرم، وكصفر: فهو اسم معرفة كذا من قولهم صفرا لأنه يصفر صفرًا إذا خلا، وجمادى وهي معرفة وليست بصفة، وهي من جمود الماء، ورجب وهو معرفة مثل صفر، وهو من قولهم رجيب الشيء؛ أي: عظمته؛ لأنه أيضًا من الأشهر الحرم، وشعبان: وهو صفة بمنزلة عطشان من التشعب والتفرق، وشوال وهو صفة جرت مجرى الاسم، وصارت معرفة، وفيها شوال الإبل، وذو القعدة:

---

(1) في (1/ 485).

وهو صفة قامت مقام الشهر، والقعود عن التفرق؛ كقولك هذا الرجل ذو الجلسة فإذا حذفت الرجل، قلت ذو الجلسة، وذو الحجة مأخوذ من الحج، وأما الربيعان ورمضان فليست بأسماء للشهر، ولا صفات له، فلا بد من إضافة شهر إليها؛ كقولك شهر ربيع وشهر رمضان، ويدل على ذلك أن رمضان من الرمضاء؛ كقولك الغليان، وليس الغليان بالشهر، وإنما الشهر شهر الغليان، وجعل رمضان اسم معرفة للرمضاء، فلا يصرف لذلك.

وأما رواة الحديث فيرون أنه اسم من أسماء الله تعالى، وربيع إنما هو اسم للغيب، وليس الغيب بالشهر، ولكن الشهر شهر غيب فصار ربيع أسماء للغيث معرفة كزيد، فإذا قلت: ربيع الأول والآخر صفتان لشهر، وإعرابها كإعرابه، ولا يكونان صفة لربيع، وإن كان معرفة؛ لأنه ليس هنا ربيعان، وإنما هو ربيع أول واحد وشهر ربيع، ولو كان كذلك لكان نكرتين، ولكن يضاف إلى معرفة، وما به معرفة، انتهى كلام ابن درستويه من كتاب «المتمم» والله أعلم، انتهى.

ما رأيته بخط شيخنا المقدام، ورأيت بعض المحققين بعد ما نقل كلام ابن درستويه، قال: لكن رأيت في فوائد البحتري يقال: هذا شهر رمضان، وهذا رمضان بلا شهر، وأنشد جارية في رمضان الماضي تقطع الحديث بالإيماض، انتهى.

(رَبِيعِ الأَوَّلِ) قال في «القاموس»: والربيعُ: رَبيعانِ: رَبيعُ الشُّهورِ، ورَبيعُ الأَزْمِنَةِ: فَرَبيعُ الشُّهورِ: شَهْرانِ بعدَ صَفَرَ، ولا يقالُ إلَّا: شَهْرُ رَبيعِ الأَوَّلِ وشَهرُ رَبيعِ الآخِرِ، وأما رَبيعُ الأَزْمِنَةِ، فَرَبيعانِ: الربيعُ الأَوَّلُ الذي يأتي فيه النَّوْرُ والكَمْأَةُ، والربيعُ الثاني الذي تُدْرِكُ فيه الثِّمارُ، أو هو الربيعُ الأَوَّلُ، أو السنةُ سِتَّةُ أَزْمِنَةٍ: شَهْرانِ منها الربيعُ الأَوَّلُ، وشَهْرانِ صَيْفٌ، وشَهْرانِ قَيْظٌ، وشَهْرانِ الربيعُ الثاني، وشهرانِ خَريفٌ، وشهرانِ شِتاءٌ. ورَبيعٌ رابعٌ: مُخْصِبٌ، ، والنِّسْبَةُ: رِبْعِيٌّ، بالكسر، وجَمْعُ الربيعِ: أَرْبِعاءُ وأَرْبِعَةٌ ورِباعٌ، أو جَمْعُ رَبيعِ الكَلأَ: أَرْبِعَةٌ، ورَبيعِ الجَداوِلِ: أَرْبِعاءُ.... إلخ.

الربيع على أقسام ربيع زمان، ومكان، وأبدان، وجنان؛ فالأول: نفسه للدراب، والثاني: الطلاب، والثالث: لأهل الاكتساب، والرابع: خاص بالأحباب، ولما كان بالنور الأول حياة الأرواح والأسرار كان في ربيع الأول ظهور سيد الأخيار، وحيث كان شرع

هذا الورد من مدده الذي عليه المعول ناسب أن يختص ظهوره بأوائل شهر ربيع الأول.

(أَيَّامَ) منصوب على الظرفية، وهي جمع يوم، قال في «القاموس»: اليوم معلوم جمعه أيامٌ، ويومٌ أَيْوَمُ ويَوِمٌ، كفرحٍ، ووَوِمٌ وذو أيامٍ وذو أياويمَ شديدٌ، أو آخِرُ يومٍ في شهرٍ، وأيامُ الله تعالى نِعَمُهُ، وياوَمَهُ مياوَمَةً ويواماً عامَلَهُ بالأيامِ، ويامٌ قَبيلَةٌ باليَمَنِ، وابنُ نوحٍ غَرِقَ في الطوفانِ. ويَوْأَمٌ، كجَوْأَمٍ قبيلَةٌ من الحَبَشِ، انتهى.

(زِيَارَتِنَا) أي: التماسنا لبركات، فاللام صلة الزيارة أو تعليله، (لِبَيْتِ المَقْدِس) ويسمى بالبيت المُقَدَّس؛ أي: المُطَهَّر ومن أسمائه: السلام وإيليا، ومعناه بيت الله المقدس، وزيارته سنة لقوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد إلى المسجد الحرام، وإلى المسجد الأقصى، وإلى مسجدي هذا، ولا تسافر امرأة مسيرة يوم إلا مع زوجها أو ذي رحم**»[1] رواه أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمرو، وأبي سعيد معًا، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: 1]، قال القاضي: على المسجد الأقصى بيت المقدس؛ لأنه لم يكن حينئذ، ورواه المسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا؛ لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء لدن موسى ومحفوف بالأنهار والأشجار، انتهى. وهو أول القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين.

وقال: الحرمين بني بعد المسجد الحرام بأربعين سنة؛ كما جاء في بعض الأخبار، وقال مجير الدين الحنبلي في تاريخه المسمى بـ«الأنس الجليل في فضائل القدس والخليل»، ومما جاء في فضل صخرته ما رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الصخرة صخرة بيت المقدس على نخلة، والنخلة على نهر من أنهار الجنة، وتحت النخلة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران منظمان سموط أهل الجنة إلى يوم القيامة**»[2]، والصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة؛ لقوله ﷺ: «**الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت**

(1) رواه البخاري (1/ 398)، ومسلم (2/ 1014).

(2) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (14/ 55).

المقدس بخمسمائة صلاة»[1].

وروي عن أبي هريرة ﷺ قال: أقسم ربنا جل جلاله بأربعة أجبل، فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: 1-3] التين طور في مسجد دمشق، والزيتون طور زيتا مسجد بيت المقدس، وطور سينين حيث كلّم الله موسى ﷺ، وهذا الجبل البلد الأمين جبل مكة، وقال فيه: وما يقال من أن بيت المقدس طست من ذهب مملوء عقارب، وإنه كأجمة الأسد فداخله إما أن يسلم، وإما أن يدركه العطب، فقد حمل ذلك على زمان بني إسرائيل الذين كانوا يعملون فيه بمعاصي الله تعالى، فإن اللفظ المذكور قيل إنه مكتوب في التوراة.

قال بعض العلماء: وظاهر الخطاب يدل على أنهم - يعني العقارب- كانوا موجودين في ذلك الوقت، ولو أراد أقوامًا من هذه الأمة، قال: املؤها عقارب حتى يكون -والله أعلم- للمستقبل، وأما اليوم فإنما به الطائفة المنصورة، انتهى.

وسيتخذه خاتم الولاية وطنًا، ويفض بمن به فطنًا، وينشر فيه أعلام الهداية، وتنتشر من أصولها رايات الغواية، ويخاطب الفاطمي ﷺ حقيقة البيت المقدس المحيًا محياك، والمهات مماتك لسر بناؤه مؤنس، وتقوم فيه صولة الحق على قدم وساق، وتخمد كلمة الكفر في سائر الآفاق، ولما زرته في المرة الأولى تعشقته الروح لما رأته منبع الفتوح، ولا مرد يعلمها المولى؛ ثم أعدت الكرة إليه ثانيًا، ولم أكن لفنان الميل عنه ثانيًا، وأدلفنا مع أهله، واستقينا صرف نهله، واتسع لنا فيه المجال، وطاب المقام دون الترحال، وكنت عملت رحلة سميتها «الجمرة المحسبة في الرحلة القدسية»، ولم تبيض وفي الكرة الثانية عملت أخرى وسميتها «الخطوة الثانية الأنسية المروضة الذاتية القدسية»، وذكرت فيها ما فتح به عليَّ، وإسدال المنعم المفضال إليَّ، ثم تحركت الهمة بعد العود على الشام على زيارة بغداد وسكانها الأعلام، فشددنا الرحل بهذه النية السنية وتوجهنا على حلب الزيادات الربوع الزكية، فأحببت أن أجمع ما يقع في هذا المسير المنير في كراسة، وأسميها «الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية».

ولم يقسم نصيب في زيارة تلك المهاد، ولكن جاد الملك الجواد بزيارة سلطان

---

(1) رواه ابن ماجه (2/ 15)، والطبراني في «الأوسط» (7/ 112).

الزهاد، وعلم الأوتاد؛ ثم بزيارة سيدنا ومولانا يوشع فتى الكليم عليهما من الله الصلاة والتسليم، والعود إلى الديار المقدسة البهية، والتملي بشهود تلك الآثار الشهية، ثم منَّ الحق سبحانه وتعالى بالرجوع إلى الشام والحج في ذلك العام، والنور بزيارة سيد الأنام ومصباح الظلام.

وذكرت بعض ما منّ به الحق ذو الجلال والإكرام على عبده الجاني الكبير الأثام في «الحلة الحقيقية لا المجازية بالرحلة الحجازية»؛ ثم تفضل بالأوبة على المقدس الشريف، والناهل في ذلك المقر المنيف، وسهل بالرحلة على القاهرة ذات الربوع الزاهرة، وذكرنا مجمل ما حصل في النحلة النصرية، وأنعم علينا بعده بالإقامة في الساحة القدسية، وبعد مدة دعانا داعي القدوم على بلاد الروم فتوجهنا عليها حتى قدمنا عليها، وأودعنا بعض ما جرى في الرحلة المسماة «بتفريق الهموم»، ولقد عاينا للبيت من البركات السنية، وشاهدنا أنه من الإمدادات البرية ما لا يمكن ذكر مجمله فضلاً عن تفصيله، ولو أردنا لأعيانا بتدّ موره، ولو أكثرنا من قال البيان وقيله، وقد بشرنا بظهور آثار قريبة جميلة، في تلك الديار المقدسة الجليلة، ومن أراد أن يشفي منه بالوقوف على فضائلها القليل الآدام فليطالع «الأنس الجليل»، «ومثير الغرام»، وغيره مما من التواريخ العظام، يدرك المراد والمرام.

(في سَنَةٍ) قال في «القاموس»: السَّنَةُ : والعامُ، جمع : سِنُونَ وسَنَواتٌ.

وقال البيضاوي- رحمه الله تعالى: وأصل السَّنَة سَنَوَةٌ لقولهم في تصغيرها سُنَيَّة، وقيل: وأصلها سَنَهَةٌ مثل جَبْهَة، لأنّها من سَنَهَتِ النخلةُ وتَسَنَّهَتْ، إذا أتت عليها السنون، انتهى.

وقال في «المختار»: السَّنَةُ واحِدة السِّنين وفي نُقْصانها قولان: أحدهما الواو، والآخر الهاءُ، وأصْلُها السَّنْهَة بوزن الجَبْهَة وتصغيرُها سُنَيَّة وسُنَيْهَة، واسْتَأجَرَه مُسَانَاةً ومُسَانَهَةً فإذا جَمَعْتَها بالواو والنون كَسَرْتَ السِّينَ وبعضُهم يَضُمُّها، ومنهم من يقول: سِنِينٌ ومِئِينٌ بالرفع والتنوين فيعربه إعراب المفرد.

قلت: وأكثر ما يجيء ذلك في الشِّعر ويُلْزم الياء إذ ذاك، وقوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ [الكهف:25]، قال الأخفش: إنه بَدَلٌ مِن ثلاث ومن المائة أي لَبِثُوا ثَلاثَمِائَةٍ

من السِّنِين، قال: فإن كانت السِّنون تفسيراً للمائة فهي جرٌّ وإن كانت تفسير للثَّلاث فهي نَصْب، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة:259] أي: لم تُغَيِّره السُّنُون، والتَّسَنُّه التَّكَرُّج الذي يَقَعُ على الخُبْز والشَّراب وغيره، يقال: خُبْز مُتَسَنِّهٌ، انتهى.

**(أَلْفِ)** قال في «القاموس»: الألف ذَكَرٌ، ولو أُنِّثَ باعتبارِ الدَّراهِمِ لجَازَ، جمع أُلُوفٌ وآلافٌ. وأَلَفَهُ يَأْلِفُهُ أعطاهُ أَلْفاً، انتهى.

**(ومائَة)** قال في «القاموس»: والمِائَةُ: عَدَدٌ، اسمٌ يُوصَفُ به: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مِائَةٍ إبِلُهُ، والوَجْهُ الرَّفْعُ جمع: مِئاتٌ ومِئُونَ ومِيءٌ، كمِعٍ، وثلاث مِائَةٍ: أضافُوا أدْنَى العَدَدِ إلى الواحِدِ لِدَلالتِهِ على الجمعِ شاذٌّ ويقالُ: ثلاثُ مِئاتٍ ومِئِينَ، والأوَّلُ أكثَرُ، والنِّسْبةُ: مِئَوِيٌّ. وأَمْأَى القومُ: صارُوا مِئَةً، فَهُمْ مُمْؤُونَ، وأمْأَيْتُهم أنا، وشارَطَهُ مُماآةً، أي: على مِئَةٍ، كمُؤَالَفَةٍ: على أَلْفٍ، انتهى.

**(وَاثْنَيْنِ)** الاثنين أول الأعداد؛ لأن الواحد ليس لعدد؛ لأنك إذا ضربت واحدًا في واحد لا يظهر عنه إلا واحد، وهو ثاني يوم من الأيام الجمعة على القول بأن أول الأيام الأحد، وهو قول البعض، والأكثر على أنه السبت، روى مسلم في «صحيحه» في الربع الأخير منه عن أبي هريرة ﵁ قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «**خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة بعد العصر في آخر ساعة فيما بين العصر إلى الليل**»[1] هذا لفظ مسلم، وفي «الصحيح» أيضًا من حديث الأعرابي الذي قال للنبي ﷺ، وهو يخطب: «**فادع الله أن يسقينا الغيث**» الحديث إلى أن قال في آخره: «**ما رأينا الشمس سبتًا**»[2]، أي: جمعة فعبر بأول أيامها على أنه قد روي أيضا (سِبتًا) بكسر السين على أنه اسم العدد الذي بين السبت والخميس؛ ولذا قال الشاعر:

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ الدَّهْـرَ يَـومٌ وَلَـيْلَةٌ    يَكُـرَّانِ مِن سبتٍ جَدِيدٍ إلى سبتِ

وقد صحح الإمام ابن حجر في شرح «الهمزية»: أن أوله الأحد، وقال: وعليه

---

(1) رواه مسلم (4/ 2149)، والبيهقي (9/ 3).

(2) رواه مسلم (2/ 613).

الأكثرون، وهو مذهبنا كما في «الروضة»، وأصلها وأطال في ذلك فراجعه.

(وَعِشْرِينَ) قال في «القاموس»: والعِشْرونَ: عَشْرَتانِ، وعَشْرَنَهُ: جَعَلَهُ عِشْرِينَ، نادِرٌ، انتهى.

فهذا تاريخ الفتح بهذا الورد، وهذه المدة هجرية، وأول من أَرَّخَ في الإسلام من الهجرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، قال ابن المسيب ﷺ: «أول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته لست عشرة من الهجرة بمشورة علي بن أبي طالب ﷺ»[1]، رواه البخاري في تاريخه والحاكم، وعنه ﷺ قال: «قال عمر: متى نكتب التاريخ؟ فجمع المهاجرين، فقال له علي: من يوم هاجر النبي ﷺ، وترك أرض الشرك، ففعل عمر»[2] رواه البخاري في «تاريخه الصغير» وحاكم، وعن ابن سيرين: إن رجلاً قدم من أرض اليمن فقال لعمر: رأيت باليمن شيئًا يسمونه التاريخ يكتبون من عام كذا، وشهر كذا، فقال عمر: إن هذا لحسن فأرخوا، فلما أجمع على أن يؤرخ شاورهم، فقال قوم: بمولد النبي ﷺ، وقال قوم: بالبعث، وقال قوم: حين خرج مهاجرًا من مكة، وقال قوم: بالوفاة حين توفي، فقال قوم: أرخوا خروجه من مكة إلى المدينة؛ ثم بأي شيء نبدأ فنصيره أول السنة. فقال: رجب فإن أهل الجاهلية كانوا يعظمونه، وقال آخرون: شهر رمضان، وقال بعضهم ذو الحجة، وقال آخرون: الذي خرج فيه من مكة، وقال آخرون: الشهر الذي قدم فيه، فقال عثمان: أَرِّخُوا من المحرم أول السنة، وهو شهر حرام، وهو أول الشهور في العدة، وهو منصرف الناس من الحج، فصيِّروا أول السنة المحرم، وكان ذلك سنة سبع عشرة في ربيع الأول، رواه ابن أبي خيثمة في «تاريخه».

وعن ميمون بن مهران قال: «رفع إلى عمر صك محله من شعبان، فقال: أي: شعبان الذي يجيء أو الذي مضى أو الذي هو آتٍ، فقال لأصحاب النبي ﷺ: ضعوا للناس شيئا يعرفونه من التاريخ، فقال بعضهم: اكتبوا على تاريخ الروم، فقالوا: إن الروم يطول تاريخهم يكتبون من ذي القرنين، فقال: اكتبوا على تاريخ فارس، فقالوا: إن فارسًا كلما قام ملك طرح من كان قبله، فأجمع رأيهم على أن الهجرة عشر سنين، فكتبوا التاريخ

---

(1) رواه البخاري في التاريخ الكبير (1/ 9)، وذكره السيوطي في جامع الأحاديث (26/ 498).

(2) رواه البخاري في التاريخ الصغير (1/ 15)، والحاكم في المستدرك (3/ 15).

من هجرة النبي ﷺ»[1]، رواه البخاري في «الأدب»، والحاكم كذا في «منتخب كنز العمال في سنن الأقوال».

وقال سيدي محيي الدين -قدس الله سره- في «مسامراته»: ذكر ما أرخ به الناس من آدم إلى الهجرة النبوية فأول تاريخ كان بهبوط آدم عليه السلام؛ ثم بمبعث نوح، ثم بالطوفان، ثم بنار إبراهيم، وقد أرّخ بموت آدم وبمبعث إدريس، ثم إن بني إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام أرّخوا بنار إبراهيم إلى يوسف، ومن يوسف أرّخوا بمبعث موسى عليه السلام، وأرّخوا من موسى إلى ملك داود، ثم أرّخوا بما كان من الكنعانيين، وكان فيهم من أرّخ بوفاة يعقوب، ثم بخروج موسى من مصر ببني إسرائيل، ثم بخراب بيت المقدس، وأما بني إسماعيل، فقيل: أرّخوا ببناء الكعبة، ثم أرّخوا بكل قوم خرجوا من تهامة، ثم أرّخوا بعام الفيل، وبيوم الفجار، ولقد كانت معد بن عدنان تؤرّخ بغلبتهم العماليق، وإخراجهم إياهم من الحرم؛ ثم أرّخوا بأيام الحروب كحرب بني إسرائيل، وهو حرب البسوس، وكحرب داحس، وكانت حمير وكهلان تؤرّخ بملك بملوكها التابعة، وأرّخوا بنار قرار التي خربت بعض اليمن، وأرّخوا بسيل العرم، وأرّخوا بظهور الحبشة على اليمن، وقد أرّخت الأمم قبل إبراهيم بهلاك عاد بالريح، وأمّا الروم واليونان فتؤرخ بظهور الإسكندر، وأرّخ القبط بملك بخت نصر، ثم أرّخت بملك قلطيانوس القبطي.

وقالوا: إن تاريخهم إلى الألف، وأرخت المجوس بآدم، ثم أرخوا بقتل دارا وظهور الإسكندر؛ ثم بظهور أزدشير، ثم بملك يزدجر، وما زال التاريخ في العرب من عام الفيل إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتقرر الأمر على أن يؤرخ بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وجعلوا التاريخ في المحرم أول عام الهجرة، انتهى.

ويستدل له من السنة بقوله ﷺ: «**أتاني جبريل في ثلاث بقين من ذي الحجة، فقال: دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة**»[2] رواه الطبراني عن ابن عباس، فهذا أصل التاريخ.

(**وَسَمَّيْتُه**) بالتشديد يقال: اسْمَيْتُه وسَمَّيْتُه، ويتعدى بنفسه وبالباء كسميته زيدًا

---

(1) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث(27/ 291)، المتقي الهندي في كنز العمال (10/ 313).

(2) رواه الطبراني في «الكبير» (7/ 130)، والبيهقي (5/ 107).

ويزيد إذا جعلته اسمًا له، والتَّسْمِيةُ هي اللفظ بالاسم، والاسم هو ما وضع على المسمى بقصد تمييزه عن غيره، وتقدم الكلام على الاسم، والضمير راجع للورد.

(بالفَتْحِ القدسِي) أي: الصادر عن حضرة القدس، وهي محل الطهارة؛ لأن التَّقْدِيس هو التَّطْهِير، وفتحها ينشأ عنه ذلك، واسم هذه الحضرة التي تُستمد منه وتُمد اسمه تعالى القدوس، ومعناه المنزه عن النقائص تنزيهًا ذاتيًا، وهو من أسماء الصفات.

وثم حضرة أقدسية؛ القُدسيَّة عبارة عن التجلي، والأقدسية عبارة عن التَّجَلِّي العيني الخفي، أو يراد به المنسوب لِرُوحِ القُدس، وهو حقيقة روح الروح المشار إليه بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29].

فروح آدم ﷺ مخلوق لله تعالى، وروح روحه أي: الذي به قيامه وحياته وبقاؤه باقٍ قيوم حي فياض على آله وأمره، وإذا كان العبد الخصوصي روحاني الصفات قدسي الذات صارت بينه وبين روح القدس الذي هو جبريل مناسبة، فيمكنه الاستمداد منه بوسائط دقائق منه إليه لا بدونها، ومن فتح ذلك كان فتحه فتحًا صحيحًا، وكشفه كشفًا رجيحًا، وعلامته أنه لا يختل عليه ميزان الشريعة، ولا يقطع في مهيئة القطيعة وزصانة فتحه عن الإلقاء الشيطاني للتأييد الإحساني الروحاني.

وكان المصنف- رحمه الله تعالى أدرك أن هذا الورد من هذه الحضرة مشرعه، ومنها منبعه، فسماه بهذا الاسم، أو لأن الفتح به كان في البيت المقدس، والمقر الأنفس، وكل فقد أصاب الاسم محله، وانطبق على المسمى وأظله، وقد ذكر الإمام سعد الدين الفرغاني في «شرح تأييد الإمام الهمام الرباني» عند قوله: «ومسجدي الأقصى» مساجد بردها طيبة، وثرى أرضها طيبة، وذكر ما معناه أن الجالس فيه لا بد وأن يجد تقدسًا سريًا، وطهارة سرها سنيًا لحكم المواطن.

فإنها تعطي ما في قوتها حتى أن الخواطر الرديئة تقل فيه؛ بل تنقطع هذا السر الذي يبديه، ومساحة البرد كناية عن ظهور أيادي العصمة الإلهية، وهي توجب الخشية والهيبة القهرية فتندل جبال النفس، وتخضع، وما تجلَّى الحق سبحانه وتعالى لشيء إلا خضع، وتقوي أشعة الروح، والسر المشروح، فيتقدس القلب من الخواطر النفسية، ويتطهر من العلل الرجسية، فإذا حصل في هذا البيت فتح لم يكن إلا مقدسًا؛ لأنه أنا التقديس فلا

ينضح إلا ما كان على الطهارة [متوضئًا]؛ فلهذا سمي المؤلف هذا الورد بهذا الاسم لما شاهد أن له في طهارة قلب تاليه أو في مدخل سامعيه، وأعظم قسم، ومساحة البرد يدل على صفة الإذلال أيضًا، وهي لورث المحب أنسًا وبسطًا، كما أن صفة العظمة تكسبه وحشةً وقبضًا؛ فلهذا كان هذا المسجد تجليه برزخي جامع بين بسط مقرون بجلال، وأنس مصحوب بإذلال، فلا تمتد فيه دواعي النفس لوجود الجلال، وتسرح فيه الروح لاتساع الميدان بالجمال، وعن هذه الحكمة البرزخية قابل المؤلف الفتح القدسي بقوله، والكشف الأسنى، قال السيد في تعريفاته: الكشف في اللغة: رفع الحجاب، وفي الاصطلاح: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا.

وقال سيدي أحمد الرفاعي -قدس الله سره: الكشف قوة جاذبة بخاصيتها نور عين البصيرة إلى كشف فيض الغيب، فيتصل نورها به اتصال الشعاع بالزجاجة الصافية حال مقابلتها؛ ثم يتفاوت نوره منعكسًا بضوئه على صفاء القلب؛ ثم يرتقي ساطعًا إلى عالم العقل فيتصل به اتصالاً معنويًا له أثر في استضاءة نور العقل على ساحة القلب؛ فيشرق نور العقل على الإنسان، فيرى ما خفي عن الأبصار، ودق عن الأفهام صورةً، واستتر عن الأغيار مرآةً، انتهى.

وقال سيدي محيي -قدس الله سره المتين في «مواقع النجوم»: كيفية كشفية: وهذه من لطائف المكاشفات؛ فمن ذلك هو أن يخطر لك خاطر فيجيء المكاشف، ويجده مرقومًا في ثوبك، النهي عنه والأمر به كما اتفق للشيخ أبي مدين حين خطر له أن يطلق امرأته فرأى أبو العباس الخشاب مخطوطًا في ثوب أبي مدين أمسك عليك زوجك، واتفق لي ألطف من هذا، وذلك أني كنت مشغولاً بتأليف الحقائق، فقيل: اكتب، هذا باب يدق وصفه ويمنع كشفه؛ ثم لم أعرف ما اكتب بعد وبقيت انتظر الإلقاء حتى انحرف مزاجي، وكدت أهلك فنصب قدامي لوح نوري وفيه أسطر خضر ندبه فيها مكتوب: هذا باب يدق وصفه، ويمنع كشفه والكلام على الباب فقيدته... إلخ.

ثم دفع عني، ثم قال: وثم لمعرفة الخواطر والفراسة مقام غير هذا يحرم كشفه، فمن ذاق يلتذ به وهو أسنى المقامات لا يناله إلا أهل العناية من الرجال مثل نبي أو بعض

الصديقين، وهو الكشف الملكي وألطف منه الكشف اللوحي، وألطف منه الكشف العلمي، وألطف منه الكشف النوري، وألطف منه الكشف الإرادي، وألطف منه الكشف الصفاتي، وألطف منه الكشف الذاتي، انتهى.

ونقل عنه تلميذه سيدي الشيخ إسماعيل بن سودكين ﷺ في الكتاب الذي جمعه من كلامه، وسماه «لواقح الأسرار ولوامح الأنوار»، فقال: وسمعته ﷺ يقول في أهل الكشف: فكان ما وعيته من ذلك ما معنا ينبغي للمكاشف أن يكون حاذقًا، وإلا وقع في الغلط؛ لأنه يكشف له عن شيء فيراه صحيحًا لكن لا يدري بما يحكم على الذي يراه، فيجب أن يسأل ثم في كشفه، ويقول: هل الأمر كيت وكيت؟ فيرى ويتحقق إلى أن تحصل له الحقائق ثم، وإلا فقد يكشف المكاشف عن كشف حال ما يراه، وهو يعتقد أنه كشف حقيقة فيرى صاحب كشف حال ما يراه فيقطع بدوامه، وهو زائل في الزمن الثاني، وكذلك اتفق لسهل التستري- رحمه الله تعالى، وهو أنه مر في كشفه على البرزخ فما أقام فيه سوى الزمان الواحد الذي مر عليه وتخطاه إلى مقام، فلما سئل عن أحوال آهل البرزخ، قال: رأيت الناس على أحوالهم وصورهم كما كانوا، فقال له أهل الكشف ممن أحكم على الوطن: ليس الأمر على ما ذكرت، وأنت صادق في كشفك وقولك لا محالة، فلم يبق إلا أنك لما مررت على هذا الموطن ما تربصت فيه زمانين فكنت ترى حكم الزمن الثاني كيف هو، فتعلم حينئذ أن حكمهم يختلف فمن هاهنا دخل الغلط عليه- رحمه الله تعالى- ورضي عنه؛ لأنه ما كان له التفات في كشفه للعوالم؛ بل كان سابقًا إلى الله تعالى، والناس منهم من سلك مسلك سهل ﷺ، ومنهم من تأنى في طريقه وتربص في المواطن والمقامات إلى أن أحكمها، وحينئذ تفداها، ثم قال الشيخ: وأما آهل البرزخ فإنهم تتنوع عليهم الصور بنسبة ما كانت أحوالهم في الدنيا، وشرح ذلك شرحًا شافيًا.

قال جامعه وراويه: واختلف الناس في الأكمل من هاتين الطائفتين، فالذي ذهب إليه شيخنا، وأعلمه من مذهبه أن العارفين إذا حصلت لهم المشاهدة كان الذي أحكم المعارف أقرب نسبة إلى درجة النبوة والرسالة من الآخر، أي: من حيث الإرث والله أعلم.

ونقل عنه ﷺ في كتاب «الإنباه في طريق الله» الذي جمعه من كلامه: أنه قال:

المكاشفة مغايرة للمشاهدة وثمّ لكل مشاهدة كشف فما من مشاهدة إلا وكشفها أتم منها وألطف، وقد يكشف ولا يشاهد، وقد يشاهد ولا يكشف، انتهى.

وقال ﷺ في كتاب ما لا يعول عليه: كل علم من طريق الكشف أو الإلقاء أو الكفاية معلول غير صحيح، إلا الكشف الصوري، فإنه صحيح، وما وقع في أقاويل المكاشف فيما أريدت له تلك الصورة التي ظهرت له فيها بالرد فهو صحيح، وإلا فلا يعول عليه من العارفين، انتهى.

وقال الفرغاني- رحمه الله تعالى- في «الشرح»: والكشف على قسمين: حسيّ ومعنويّ، والمدرك في الكشف الحسيّ البصر الظاهر، وفي المعنويّ البصيرة الباطنية، وتسمى بالخيالي، والفرق بينهما: أنك في الكشف الخيالي إذا غمضت عيونك ترى ما كنت تراه قبل تغميضها، وفي الحسيّ لا ترى ذلك، وهو على ثلاثة أقسام: أولها: أن لا تحجب صاحبه الحجب والموانع، ويستوي عنده بُعد المسافة وقربها، ومن هذا الكشف الصوريّ الحسيّ نداء سيدنا عمر ﷺ: يا سارية الجبل وكان بين سارية وبينه نحو شهرين، والثاني: في ظهور حقيقة معنوية أو خيالية لا مثالية في صورة مثالية النظر والرأي مثل ظهور حقيقة العلم في صورة الماء وفي اللبن وظهور جبريل عليه السلام في صورة دحية؛ ومثل تمثل الجنة والنار لنظره ﷺ في عرض الحائط يوم كسوف الشمس، وفي هذا القسم ربما يحتاج إلى التأويل بالعقل، كتأويل الرؤيا، فإن وقع الغلط فيه كان من التأويل لا من الكشف؛ وأما الثالث من الأقسام: فهو أن تنشأ نفس المكاشف بقوة كماليتها صورة مثالية، وتحضرها عند عمرها لكشف ذلك الغير عنها أخبارًا يريدها.

وأما القسم الثاني من الكشف وهو المعنوي: وهو الذي آلته البصيرة فهو على ثلاثة أقسام؛ قسم يكشف لبصيرة الروح الروحانية، وقسم لكشف السر الوجودي وبصيرته، والذي يكشف للرؤية الروحية نوعان: نوع ينكشف لبصيرتها هي من جهة روحانيتها، ونوع آخر ينكشف لبصيرتها شيء من حيث إصابة بصيرتها بنور الله الساري فيها فيتفرس بنور الله من وراءها كوشفت به من فهم اسم الله تعالى وصفاته، وهذا النوع يقال له: كشف الفراسة كأنه يفترس ويصطاد شيئًا ورائعًا كوشفت به نحو افتراس الأسد صيده، انتهى.

واعلم: أن أهل الكشف على أقسام، منهم: المتكلم على الخاطر، وليس هو مع

الخاطر، ومنهم الكاشف الشذي العاطر، ويدرك منه رمز أصحابه ما طي، ومنهم: الغائب عن كشفه يرشف، ومنهم: يكشفه عن رشفه ومنهم الذائق المكاشف، وما عنده خبر بعذب تلك المراشف، ومنهم: الذي كشفه مقيَّد، ومنهم: الذي كشفه مطلق لا يتقيَّد، ومنهم: ذو الكشف الأفعالي، ومنهم: الأسمائي والصفاتي والذاتي، ومنهم: المكاشف بعلم مقام من مقامات الطريق، ومنهم: المرفوع له الحجب عن جميعها بدون تفريق، ومنهم: الذي اكتفى باليقين عن رفع الحجاب؛ لأنه باب المدينة الراشفين لباب اللباب، ومنهم: الزاهد فيه بعد العثور على خوافيه لما رآه واسع المجال، وتحقق أنه حيض الرجال، وأن الواقف معه آسير، فتركه وقصد السابقة إلى الله تعالى، وكان الحق نصيره إلى غير ذلك.

وأضاف: الكشف إلى مقام الأنس يفيد أن هذا الورد منتج بحول الله تعالى، وإذا صحب الكشف الأنس قدر صاحبه على التحقق بالمواطن؛ لأنه مستأنس غير مستوحش فيظهر له الأمر على ما هو عليه، وللأنس ثلاث درجات ذكرها الهروي - رحمه الله تعالى - في منازل السائرين، الأولى: الأنس بالشواهد، وهو استحلاء الذكر، والتغذي بالسماع، والوقوف على الإشارات، والثانية: الأنس بنور الكشف، وهو أنس شاخص؛ أي: مرتفع عن الأنس الأول وتحتويه بصولة هيمان ويضربه مع الفناء، وهذا الذي غلب قومًا على عقولهم، وسلب قومًا طاقة الاصطياد، وحل عنهم قيود العلم؛ ولهذا ورد في الخبر «**أسألك شوقًا إلى لقائك من غير ضراء يضره، ولا فتنة مضلة**»[1]، والدرجة الثالثة: أنس اضمحلال في شهود الحضرة لا يعبر عن غيبة، ولا يشار إلى حده ولا يوقف على كنهه، انتهى.

وقال الجيلي علي -قدس الله سره- في شرح «رسالة الخلوة»: قال الشيخ ﷺ: اعلم أن الأنس عند القوم ما يقع به المباسطة من الحق للعبد، وقد تكون هذه المباسطة على الحجاب، وعلى الكشف، والأنس حال القلب من تجلي الجلال، وهو عند أكثر القوم تجلي الجمال، وهو غلط من جملة ما غلطوا فيه؛ لأن لهم أغاليط في العبارة لعدم التمييز بين الحقائق، فما كل أهل الله التمييز والفرقان مع الشهود الصحيح والأنس بالله علامة عند صاحبه فإنه موضع يغلط فيه كثير من أهل الطريق، فيجدون أنسًا في حال ما يكون عليه فيتخيل أن ذلك أنس بالله، فإذا فقد ذلك الحال فقد فقد الأنس بالله، فعندنا وعند الجماعة أن أنسه كان بذلك

(1) رواه أحمد (47/ 218)، والنسائي في الكبرى (1/ 388)، والطبراني في الكبير (5/ 78).

الحال لا بالله؛ لأن الأنس بالله إذا وقع لم يزل موجودًا عنده في كل حال، وكذلك يقول القوم: من أنس بالله في الخلوة، وفقد ذلك الأنس في الملأ فأنسه لا بالله.

واعلم: أنه لا يصح الأنس بالله عند المحققين، وإنما يكون الأنس باسم إلهيٍّ خاص لا بالاسم الله، فالعالم كله ذو أنس بالله، ولكن بعضه لا يشعر أن الأنس الذي هو عليه هو بالله؛ لأنه لا بد أن يجد أنسًا بأمر ما بطريق الدوام، أو بطريق الانتقال بالأنس بأمر آخر، وليس لغير الله في الأكوان حكم فأنسه لم يكن إلا بالله، وإن كان لا يعلم، والذي ينظر فيه أنس به فذلك صورة من صور تجليه، ولكن قد يعرف، وقد يفكر فيستوحش العبد من عين ما يأنس به، ولا يشعر لاختلاف الصور، فما فقد أحد الأنس بالله، ولا استوحش أحد إلا من الله، والأنس والاستيحاش انقباض، وأنس العلماء بالله إنما هو بنفوسهم لا بالله إذ قد علموا أنهم ما يرون من الله أي: من حيث القُيُّومية سوى صورتهم، ولا يقع أنس إلا بما يرون، وغير العارفين لا يرون الأنس إلا بالغير يستوحشون مع الانفراد بنفوسهم، وكذلك الاستيحاش إنما يستوحشون من نفوسهم؛ لأن الحق مجلاهم، فهم بحسب ما يرونه فيه من أحوالهم فيقع الحكم فيهم بالأنس أو بالوحشة، وحقيقة الأنس إنما يكون بالمناسب، فمن يقول بالمناسبة يقول بالأنس، ومن يقول بارتفاع المناسبة يقول لا أنس بالله ولا وحشة، وكلٌّ حسب ذوقه فإنه الحاكم عليه، ومن الأشراف مثلنا على المقامات والمراتب، وعرف كل شخص من أين تكلم، وما نطقه، وأنه مصيب في مرتبته غير مخطئ بل لا خطأ مطلقًا في العالم، انتهى.

وقال الشيخ ﷺ في شرح "ترجمان الأشواق" عند قوله: فيه وحشية بابها أنس قد اتخذت في بيت خلوتها للذكر ناموسًا، إن هذه الحكمة العيسوية لا يقع بها أنس دون مشاهدة الذات، فناء ليس فيها لذة، وجعلها وحشة؛ أي: إنها تنشره إلى إمساكها النفوس الشريفة، وهي لا تألف لعدم المناسبة؛ فلهذا جعلها وحشية، انتهى.

بل الأمر كما قال أبو العريف الصنهاجي ﷺ: ليس بينه وبين العباد نسب يربط إلا بالعناية، ولا سبب يضبط إلا الحكم، ولا بدل غير الأزل، وما بقي فعمي وتلبس، وفي رواية فعلم بدل عمي، وفي الاصطلاحات المحبوبة: الأنس أثر مشاهدة الحضرة الإلهية في القلب، وهو جمال الجلال، وقال الإمام القشيري -قدس الله سره: وحال الهيبة والأنس،

وقد جلتنا، فأهل الحقيقة يعدونها نقصًا لتضمنها تغير العبد، فإن أهل التمكين سمت أقوالهم عن التفسير، وهم في وجود المعين، فلا هيبة لهم ولا أنس، ولا علم ولا وتر، انتهى.

وعن أويس القرني ﷺ أنه قال: ما رأيت أحدًا يعرف الله فيأنس بغيره، أي: من حيث ما يقدمون عليه من عوارف الإحسان، وما يريه به من إمداداته في كل آن حال شهوده له وغيبته عنه في سائر الأزمان.

وقالت العارفة رابعة العدوية رضي الله عنها: من أنس بالله لا يستوحش أبدًا؛ أي: فإن الأنس بالله إذا حصل ثبت، وهي علامة على أنه تحصل وتأصل فثبت، وقد يكون من حيث معرفة المستأنس بنفسه الثابتة عينها في حضرته العلم الفياض بمدد قدسه، فإذا عرف نفسه التي هذه النفس صورة مثالية لها، وأنس بما يقرب منها وعنها ما لها عرف نفسه، فاهتدى إليها، وعرف ربه حيث أقبل بالوجه الخاص عليها، وكان هذا الأنس بالنفس، وأما بالحق فمن حيث مرتبة الإطلاق فلا يمكن بالاتفاق، وكان قد سألني صديقنا المرحوم السيد خليل الإمام بالمسجد الأقصى في الحضرة الأولى لبيت المقدس عن معنى قول العارف الفارضي المعدود من أهل الدائرة الكبرى في «تائيته الصغرى»:

**فلي بعدَ أوْطاني سكونٌ إلى الفلا وبالوَحْشِ أُنسي إذ من الإنسِ وَحشتي**

وقال: ما معناه؟ كيف يترك الأنس بالخلق فرارًا إلى الحق ويأنس بالوحش؟ فضاق نطاق الوقت عن أبواب تلك الساعة لهجوم وقت الصلاة مع الجماعة، ومعنى البيت على سبيل الاختصار أن قول الشيخ -قدس الله سره: الأسرار تكون في مبدأ السلوك إلى ملك الملوك؛ وهذا الحال حال أولئك السُّلاك في هاتيك المنازل والأفلاك. وأيضًا قوله: فلي بعد أوطاني، أي: بعد خروجي من أوطاني الأصلية التي هي العدم، فإنه الوطن الأصلي، والوجود، والقربة التي لا ينبت فيها القدم سكون إلى الفلا، أي: يتناهى إلى منزل الإطلاق الذي لا قيد فيه ولا وثاق.

وقوله: وبالوحش أنسي؛ أي: وحوش فلا منزل الإطلاق الذين عم أنوار قدس مجردة لها بفلا الشهود سراح وانطلاق، والمعنى: لما تغربت عن وطني تغربت أيضًا مداركي وقطني فصرت أستوحش مما به يأنس الغير لعدم موافقتهم لي في الأذواق والسير، وإنما كان أنسي بما استوحش به أهل الحجاب ليس عن رؤية حاجب وحجاب، وشربي من كؤوس

السر المصون المسكر لصرف الشراب، وغفلتهم عمّا يشبع الظمأ، وقنعهم بالسفاف والشراب؛ لأنهم باشروا العوائق، ولم أعرج عليها، ووقفوا مع العوائق، ولم ألتفت إليها؛ فلم آنس بهم؛ لأنهم ليسوا من أبناء جنسي، وآنست بالوحش من حيث لم يعلم بأنسي، فكان أنسي في الحقيقة بأنسي لا بالوحش الذي ينسي، أو يكون أراد بالوحش الوحشية.

فقال: إذ في الوحشة أنسي، أي: لأني أستأنس بها به استوحش وبالعكس لمشاهدة المتجلي فيهما، وأنسي به لا بهما، وسبب هذا خروجه من سجن وطنه العارض، وشهد له نزوله تحت ذيل العارض، وفرضه القواطع والعوارض؛ ولذا يدعى أنس الفارض، وكل من خرج متغربًا عن وطنه بحسن منه لرجوعه عن الأصل، واستغراقه عن حالتي الوصل والفصل، وذا يحق أن يسمى بزيد إلا وأن ووحيه الزمان.

قال الخاتمي الحاتمي: قدوة أهل العرفان في العباد من خرج عن، ولحق عند ارتحاله عن أرض بدنه، ولم يقم به ميل، ولا نشاط، ولا كسل، ولم ينقص ذرة من العمل، وشاهد الأزل بعين الأزل، وناب الحق منابه، فما صعد ولا نزل، وتوقعت عليه الأسباب والعلل، فذلك الموحد العارف الكامل الذي لا يزال ولم يزل، انتهى.

وقال الجيلي -قدس الله سرّه- في «البرق الموهن» في معنى: **«ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن»**[1].

**الحضرة الثانية**: حضرة الأنس يؤنس العبد أولاً بالعلوم الإلهية الخاصة بالإلقاء الإلهي لقبول النكتة الإلهية حتى تقع في قلبه؛ ثم يؤنس بكشف ما لها؛ ثم يؤنس بمواقع نجوم الأزل من قلبه؛ ثم يؤنس بقبول الصفات الإلهية؛ ثم يؤنس بمعرفة حقيقة القرب؛ ثم يؤنس بمعرفة ما لذاته من صفات الكمال؛ ثم يؤنس بالتجدد عن الذات؛ ثم يؤنس بالسر بأنه في صفاته بذاته، وفي ذاته بذاته، وفي ذاته بصفاته، وفي كل موجود بعين ذلك الموجود، ولا يزال التأنيس مستصحبًا له في أوائل جميع المقامات الكمالية وأواخرها، وفي هذه الحضرة يؤيد العبد بالروح القدسية المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: 87] فافهم، انتهى.

ولما كان صاحب الحضرة الأنسية يؤيد بالروح القدسية قرن المؤلف الفتح القدسي

---

(1) ذكره المناوي (2/ 496)، والعجلوني (2/ 129).

بالكشف الأسنى، وحيث كان المراد من تلاوة الورد الحضور مع الحق، وهو يتم بالشهود، وهو بالغيبة عن الوجود بوجد الوجود، وهذا الوجد هو الفتح القدسي، والشهود يؤذن بكشف الحجاب، ومعاينة الأحباب من [...] [1] المؤلف هذا الورد بهذه التسمية [...] فيما قسمه مسميه، والأمل من الله [...] المنعم المالك، وإذا كان الورد [...] ، فلا بد أن يدعي أيضًا عند أهل [...] الحبيب؛ ولهذا قال المؤلف عاطفًا: هي [...] جعله عليه المعول [...] أي: وسميته [المنهج القريب إلى لقاء الحبيب] وفي «القاموس»: النَّهْجُ الطَّرِيقُ الوَاضِحُ، والمِنْهاجِ، [...] .

قال في «القاموس»: قَرُبَ منه، ككَرُمَ، وقَرِبَه، كَسَمِع، قُرْباً وقُرْباناً وقِرْباناً دَنَا، فهو قَرِيبٌ، للواحِدِ والجَمْعِ [....].

الطرق إلى الله تعالى لا تنحصر، ومنها: هذا الورد سماه بهذا الاسم تفاؤلاً وتبشيرًا لتاليه أنه الطريق الواضح القريب المقرب من حضرات القريب، وهذه والتي قبلها من[...] حسن الظن بالله والرجاء، وهو عند عبده [...] ،وليس من شأن الكريم العريض الجاه أن يقطع رجاء من استرجاه، فرجاء المؤلف أن يكون ورده طريقًا [...] قريبًا مدنيًا لصبه الكئيب.

(إلى لقاء الحبيب)؛ أي: المحبوب الذي هو الحق اللازم، واللقاء هو الوصل الذي [...] ، لكن الوصل كناية عن القرب، وهو ثمرة الحب، وهو نتيجة التقرب بالنوافل والفرائض اللذين عددهما تام متدفق فائض، ولن يتجلى الحبيب بالوصل والتقريب إلا لمن أفناه عنه، ومحاه لمن استخلصه منه، والفاني الحادث المعدوم لا يثبت لدى تجلي الباقي القديم القيوم.

يحكى أن بعض المريدين عطس في حضرة الجنيد ﷺ، فقال: الحمد لله، فقال له الشيخ: قل كما قال رب العالمين، فقال: يا سيدي، ومن هو العالم حتى يذكر مع الله، فقال له: الآن قل فإن الحادث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر، انتهى.

(وكَمُلَ) أي: الورد، قال في «القاموس»: الكمالُ التَّمامُ، كَمَلَ، كنَصَرَ وكَرُمَ وعلِمَ، كَمالاً وكُمولاً، فهو كامِلٌ وكَميلٌ، وتكامَلَ وتَكَمَّلَ فهو كامِلٌ وكَميلٌ، وتكامَلَ وتَكَمَّلَ

(1) ما بين الأقواس طمس بالأصل.

وأجمله واستعمله، وكجلد آتمه، وجملة وأعطاه المال كلا، وأكْمله واستعمله وكمّلهُ: أتمَّهُ وجَمّلَهُ، وأعطاهُ المالَ كَملاً، انتهى.

(فِي مَجْلِس): وهو الذي بين القيام والقعود، وقال في «المختار»: جلس جلوساً، وأجْلَسَه غيره، وقَوْمٌ جُلُوس مجْلِس بكسر الميم: موضع الجلوس، وبفتحها المصدر، ورجل جُلَسَة مثال هُمَزَة أي كثير الجُلوس، والجِلسة بالكسر الحال التي يكون عليها الجالس وجالسه، فهو جِلْسه وجَليسه، كما تقول: خِدْنه وخَدينه، وتَجالَسُوا في المَجالِسِ، وفي «الفتوحات» في الباب الحادي والخمسين وثلاثمائة في الوصل التاسع من المعقود لذكر مجالس الله مع عبادة وعددها.

قال الشيخ رضي الله عنه: «ولله مجالس يجالس الحق فيها عباده تسمى مجالس السنن الكيانية، وهو قوله ﷺ: «من سن سنة حسنة»[1] وتسميته في العامة بدعة حسنة؛ لأنها مبتدعة لمن سنها ما كتبها الله علينا ولا أوجبها، وعددها على عدد ما سن من ذلك وعدد من عمل بها، كل ذلك يكون مجالسة الحق فيها مع من سنها من حيث لا يشعر إلا أن يكشف الله له في سره بمجالسته إياه بعدد كل عامل بها فيرى مجالسته غريبة وهو غير عامل لها في الوقت، فيقال له: إن فلانًا وفلانًا عملا بالخير الذي سننته فجالسناه فيه فجالسناك فاحمد فعلك فيشكر الله على ذلك» انتهى.

فهذا مجلس تآلف أنتج مجالس تقريب ما بها تحريف؛ بل شريف وتعريف.

(لَطِيف) أي: دقيق يكاد لدقته ألا يتعين العدد من الزمان، فإنه كان في نحو ساعة زمانية، أو رملية، أو أقل، أو أكثر، وبعد ما سودته في وريقات «صفاء ربيعة».

(وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ) يقال: أضفت الشيء إلى الشيء؛ أي: أملته كذا في «الصحاح»، والمراد بها هنا: الإلحاق؛ أي: ألحقت به (بَعْدَ ذَلِكَ) أي: بعد الكمال، ونسخة ثانيًا (قَصِيدَةً)مفعول أضفت، والقصيدة هي: المقصودة بالوزن العربي.

قال في «القاموس»: والقَصيدُ: ما تَمّ شَطرُ أبياتِهِ، وليسَ إلّا ثلاثةَ أبياتٍ فَصاعِداً، أو سِتّةَ عَشَرَ فَصاعِداً، انتهى.

فخرج بقيد المقصود ما كان وزنه غير مقصود؛ بل كان اتفاقيًا كما وقع في بعض

---

(1) رواه مسلم (17/ 244)، وأحمد (1/ 42).

آيات قرآنية، وأحاديث نبوية حتى قال بعض الملأ من أن القرآن فيه من جميع البحور الخمسة عشر، قال السنوسي -رحمه الله تعالى- في «شرحه الصغير على الوسطى»: زادا عليهم بعد ما ذكر استدلالاتهم بالآيات، وللرد عليهم بأن كون مجرد اللفظ على هذه الأوزان لا يكفي في صرف أسماء الشعر عليه؛ بل لا بد مع ذلك أن يكون على وراء الشعر فيها مقصود للمتكلم، وعند بعضهم لا بد مع ذلك من التقفية، على أن في كثير مما ذكرته تغيير، ولو سلم؛ فالتقليب باب واسع، انتهى.

وأما الأحاديث الواردة فمن ذلك قوله ﷺ: «**هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ**»[1]، وقوله ﷺ: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**»[2]، وقوله ﷺ يوم الخندق: «**وقد سمع للمهاجرين والأنصار يقولون: نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا، فأجابهم: لبيك إن العيش عيش الآخرة، فارحم الأنصار والمهاجرة**»[3]، وقوله ﷺ: «**والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا**»[4].

وقوله ﷺ: «**إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا**»[5].

وهذا البيت شعر أمية بن أبي الصلت، تمثل به النبي ﷺ، والمحرم عليه إنشاء الشعر لا إنشاده؛ كذا قال المناوي في «شرحه الصغير» على «الجامع الصغير»، فهذه الأحاديث، وإن خرجت على وزن الشعر، فليست منه؛ لأنه ﷺ على ما روت عنه عائشة - رضي الله عنها-: إنه كان أبغض الحديث إليه الشعر، حتى أنه تمثل بقول امرئ القيس:

(سَتُبدي لَكَ الأَيّامُ ما كُنتَ جاهِلاً)، فغلبه ﷺ فقال: هو كذا أو ما معناه، فقال ﷺ: «**ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي**»[6]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:69]، وحيث خلال عن القصد فلا يسمى شعرًا (ميميَّة) أي: رويها الميم، ولا اعتداد بالألف، فإنها

(1) رواه البخاري (9/ 370)، ومسلم (9/ 279).

(2) رواه البخاري (3/ 1071)، ومسلم (3/ 1400).

(3) رواه البخاري (3/ 1043)، وابن حبان (16/ 249).

(4) رواه البخاري (3/ 1103)، ومسلم (3/ 1440).

(5) رواه البيهقي (11/ 90).

(6) ذكره المناوي (5/ 202)، والعجلوني (1/ 543).

للإطلاق (فَتَحَ بِهَا عَلَيَّ بِهَا سَابِقًا) أي: في الزمن السابق على وضع الورد، (وَصَلَوَاتٍ) جمع: صلاة، ومضى الكلام عليها (عَلَى النَّبِيِّ ﷺ) بهمز، وبدونه، واشتقاقه على الأول من النبأ، وهو الخبر، فإنه المخبر بفتح الباء عن الله، وتكبرها؛ فإنه مخبر عن نفسه بذلك.

لقول بعضهم: يجب أن يخبر غيره بنبوته، ونظر فيه، وعلى الثاني فمن النبوة، وهي الرفعة؛ لأنه مرفوع الرتبة على غيره، ويرجح بعضهم هذا، والمشهور في تعريفه: إنه إنسان أوحي إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه، فإن أمر فرسول، وإن لم يكن له كتاب، ولا نسخ شرع على الأشهر؛ فإن كان ذلك فرسول أيضًا، فالنبي أعم من الرسول عليهما.

وقال اللقاني -رحمه الله تعالى- في «الشرح الصغير»: والنبي بهمز، ودونه إنسان حسن ذكر بالغ من بني آدم أوحي عليه بشرع أمر بتبليغه كان له كتاب أولاً؛ ولهذا كثرت الرسل، وقلت الكتب؛ فإن الرسل: ثلاثمائة، والكتب مائة وأربعة، انتهى.

وزاد بعضهم فيه آخر، وهو كونه سالمًا من منفر؛ كالعمى قال: وما وقع ليعقوب وشعيب عليهما السلام، ولم يكن عمى حقيقيًا، وقيده الذكورية، فخرج للنسوة التي اختلف في نبوتهن؛ كمريم، وحواء، وأم موسى، وآسية، وسارة.

قال السبكي في «الجلسات»: ولم يصح عندنا في ذلك شيء؛ لأن النبي ﷺ كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، انتهى.

وخرج بقيد الحرية العبد، فإن من لا ولاية له على نفسه، كيف تصح ولايته على غيره؟ وخرج بقيد من بني آدم الملك والجن، وإن كان في الملائكة رسل لكن رسل إيصال لاستقلال، فإنهم يوصلون إلى النبي، وإلى الرسول بخلاف رسالة الرسول، فإنها فيه إمامًا يتعبد به هو، وأمته وذكره بمعناه المحقق ابن حجر في «شرح الهمزية»، وقال الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي -رحمه الله تعالى- في كتابه المسمى «بالصلاة والبشر في الصلاة على خير البشر»: وتحقيق المقام أن يقال في الفرق بين النبي والرسول أن النبي إذا ألقي إليه الروح الذي من شأنه أن يلقيه إليه؛ اقتصر في الحكم على نفسه خاصة، وتحرم عليه حينئذ أن يبلغ غيره، فهذا هو النبي، فإذا قيل له: بلغ ما أنزل إليك من ربك؛ إما طائفة مخصوصة كسائر الأنبياء، وإما عامة للناس كما أمر سيدنا رسول الله ﷺ، ولم يكن

هذا لميزة قبله، فيسمى من هذا الوجه رسولاً، والذي جاء به رسالة، وما اختص به من الحكم في نفسه، وحرم على غيره من ذلك هو نبوة، فهو نبي كونه رسول، وإن لم يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث عليهم، فهو رسول لا نبي، وعن خص مع التبليغ بحكم؛ فهو رسول، ونبي فما كل رسول نبي، ولها كل نبي رسول بلا شكر، فاعلم ذلك، انتهى.

ومما يجب علينا اعتقاده أن أول الأنبياء آدم، وآخرهم محمد ﷺ، وأنه أفضل الخلق على الإطلاق، وأنه بُعث إلى كافة الخلق من جن وإنس، بل قيل: والملائكة؛ تمسكًا لظاهر قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:1].

وعدد الأنبياء على ما في «مسند أحمد» عن أبي إمامة عن أبي ذرٍّ بلفظ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ وَفَّى عِدَّةُ الأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «**مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**»(1) وسنده ضعيف.

قال اللقاني في «جوهرته» حب الله على جنته ثائب رحمته: ولم تكن نبوة مكتسبة، ولو رقى في الخير أعلى عقبة.

وقال في «الشرح» ناقلاً عن السعد أنه قال: وفي كلام بعض أهل العرفان أن ما قيل من أن الولاية أفضل من النبوة، لا يصح مطلقًا، وليس من الأدب إطلاق القول به؛ بل لا بد من التقييد: وهو أن ولاية النبي أفضل من نبوته؛ لأن نبوة التشريع متعلقة بمصلحة الوقت، والولاية لا تعلق لها بوقت دون وقت، بل قام سلطانها إلى قيام الساعة، بخلاف النبوة، فإنها مختومة بمحمد ﷺ من حيث ظاهرها الذي هو الأنباء، وإن كانت دائمة من حيث باطنها الذي هو الولاية؛ أعني: التصرف في الخلق بالحق إلى قيام الساعة، ولهذا كانت علامتهم المتابعة؛ إذ ليس الولي إلا مظهر تصرف النبي، انتهى.

والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام– معصومون قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر، على الصحيح عمدًا وسهوًا؛ ومعنى الغفر في حقهم: الإحالة بينهم، وبين الذنوب؛ لأن الغفر الستر، وهل الولاية مكتسبة أولاً؟ خلف ﷺ جملة دعائية معنًا خبرية لفظًا، ودعاؤنا له ﷺ بالصلاة عليه على وجه التقرب إلى الله تعالى بما ندعو به؛ كسائر الأدعية من إرادة نفع المدعو له؛ إذ نحن فيها ممتثلون أمر الحق؛ الممتثل أمر الحق بأهل

(1) رواه أحمد في المسند (5/ 265).

الغرب، ملحق.

(وِدُّهَا) من الزيادة. وهي النحو؛ أي: أنميت بها الورد، فزاد مدده ونمى عدده؛ لأن العمل الذي لا يصلى فيه على رسول الله ﷺ ناقص البركة، والمجلس الذي لا يصلى فيه على محمد ﷺ، يكون على أهله حسرة وندامة يوم القيامة؛ فلهذا أزاد المؤلف -رحمه الله تعالى- الصلوات النبوية؛ لتكمل لتاليه المسرات الدنيوية والأخروية.

فإن قلت: لِمَ لَمْ يكتف المؤلف بالصلوات التي في آخر الورد، الواقعة بعد المنبهجة؟

قلنا: لأنه لما نشأ الورد لزمه أن ينشيء صلوات نبوية؛ لتكون صورة ورده تامة، وفيوضاتها عامة؛ ولتقع المنبهجة بين صلاتين، فتكون توسلاته مقبولة بلا مين، وإكثارًا من ذكره، والتسليم عليه ﷺ؛ (الآنَ) أي: في هذا الوقت الحاضر لديه الذي وقعت الإشارة إليه، والآن: هو لفظ مبني على الفتح بناء لازمًا؛ أما لمشابهته اسم الإشارة؛ لأن قولك الآن: هذا الوقت على مذهب سيبويه، وأما لمشابهته الحرف: فإنه لا يثنى، ولا يجمع، ولا يصغر، ويكون في الاستعمال مع لام التعريف؛ كذا قال بعضهم، وقال في «القاموس»: والآن: الوقت الذي أنت فيه، ظرف غير متمكن وقع معرفة، ولم تدخل عليه أل؛ لأنه ليس له ما يشاركه، وربما فتحوا اللام وحذفوا الهمزة؛ كقوله فسبح؛ لأن منها بالذي أنت بائح، انتهى.

وقال في «الموصل» شرح المفصل: فإن قيل: ما الفرق بين الآن، والآنف؟

قلنا: إن الآن: هو الزمان الذي أنت فيه، والآنف: هو الساعة التي قبل ساعتك التي أنت فيها، واشتقاقه من الآنف؛ لتقدمه على الوقت الحاضر، بمعنى: المتقدم، وقال في «الأشباه والنظائر»: الآن: أصلها وان؛ ثم حذفت الألف بعد الواو، وقلبت الواو ألفًا، وقيل: بل حذفت الواو، وبقيت الألف بعدها؛ فوقعت بعد الهمزة حكاها في «البسيط». انتهى.

والآن: هو الزمن المفرد الذي لا ينقسم، وبه تتعين الثوالث والثواني والدقائق، وبها بعد الانضمام تتعين الدرج، وبها الساعات، وبها اليوم، والليلة، وبهما الأسبوع، وبه الشهر، وبه السنة، وبها السنين؛ ولولا بسطت ما تقدم على الأدوار؛ لكان تكرارًا للأول، والأمر ليس فيه تكرار، فإنه واحد، وهو كلمح بالبصر؛ فالآن هو الوجود، وما عداه

العدم المفقود ماضيًا قدرته، أو مستقبلاً، ومسنده «كان الله ولا شيء معه»، ومستفد الأدوار كتب علمي في خلقي إلى يوم القيامة، وبالآن: تظهر الحقائق وتثبت، والرقائق من حيث دلالتها على المسمى، ونفي المغايرة له، وبالأدوار تظهر أحكامها الكلية المحيطة، وما بين المرتبتين؛ فعنهما من حيث الاندراج تحت حيطتها لحيطة العرش لما عداه، فإذا كان الحكم لاسم اليوم بطن ما تحته من الساعات والدرج؛ إذا كان الحكم لا يكون إلا لواحد؛ وكذا الأسماء إذا ظهر حكم أحدها بطن حكم البواقي، فإن الله تعالى واحد، وأمره واحد، ولا يظهر عن الواحد إلا واحدًا، وهذا من وجه، لا من كل وجه؛ فلا تكن جاحدًا فمن كان فاقدًا البصر، وعلى المشهد الذوقي اقتصر على الآن، ولم يتعد ما فرقه، ولم يرمق ما دونه؛ ولذا يقابل الصوفي ابن وقته؛ أي: لا يلتفت إلى ماض، ولم يعلق قلبه بآت، وإنما يشغله بمراعاة وقته الحاضر، وأنشد سيدي محمد القطب البكري قدس الله سرّه:

من يقل أني ابن أبي ذاك صوفي الزمان ومن ذاق هذا السر الوجداني

ارتاح سره من الفناء بالأماني وشغل القلب بالذاهب الفاني

وتشتت الخاطر المجموع على القرب الإحساني

ولن يستفيد صاحبه إلا ضياع الوقت المخاطب بحفظه خوف حصول المقت، ومن تحقق في قول الولي الحميد ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق:15] أدرك أنه ابن آنه بدون مزيد إن كان ممن ﴿أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:37]، والموجودات في كل آن عند المحققين معدومة، وفي الآن الثاني الزماني: تجدد أمثلتها؛ كالإعراض على أنها محققة غير موهومة، والتجلي الذي صدر فيه الإعدام غير الذي صدر فيه التجديد المثلي؛ إذا التجلي لا يتكرر، وإن وقع تكرار؛ فالحكمة تذكر وتقرر.

واعلم أن الطرق كلها مستديرة، وما ثمَّ طريق لا ميل فيه؛ ولهذا كانت النهايات رجوع إلى البدايات؛ فإذا خرج السائد عن وجوده طالبًا نفحات جوده، وسلك على خط مستقيم لم يرجع إلى ما خرج؛ لأنه الباب الذي يدخل منه ذو الطريق القويم لا يعود عليه؛ لأنه على خط الاستواء يهيم بخلاف من كانت طريقته دورية، فإنه يؤوب إلى ما خرج بدون مرية، فبهذا الاعتبار مال الخواص إلى مشهد العوام، وإن كان من وجه خاص يدركه العوام؛ فالعوام كرؤية، والسيار فيها حركته دورية، وهي دائرة، وعوالم السالك على تلك

الدائرة دائرة فما ثمّ إلا البداية، وما هناك نهاية، فإنك إذا فرضت دائرة، ولحظت لها أولاً كان آخرها غير ما قدرته أولاً، وأهل هذا السير هم مع الحق تعالى على أول قدم؛ إذ كل قدم أول بعد آخر، والآخر بعد أولاً؛ فالآن الثاني اعتباري هو الأول عند الساري، فهم السيار الطيار، والواقفون الحضار لا الخطار، وأنشد واصف عارفهم المحتسي كأس معارفهم:

فَأَثْـبَتَ فِي مُـسْتَنْقَعِ المَـوتِ رِجْلَـهُ ... وَقَـالَ لَهَـا مِـن تَحْـتِ أَخْمُصِكِ الحَـشْرُ

فافهم، وإن لم تفهم؛ فتفهَّم (وَقَصِيدَتِي) معطوف على قوله: وأضفت إليه قصيدة ميمية، والياء ياء النسبة، (الَّتِي) اسم موصول، (سَمَّيْتُهَا) أي: قبل الفتح بهذا الورد بسنتين، أو أكثر (بِالْمُنْبَهِجَة) أي: الكثيرة السرور، فإن الانبهاج: هو الحبور، فكان هذه القصيدة قد كثر سرورها لما تراه حقائقها، وتشاهده رقائقها من توالي الإمدادات الإلهية على تاليها، وتدلي نجوم الإسعادات على مواليها، وكيف لا يكون الأمر كذلك؟

وقد رأيت زين المالك؛ كما نقلت ما جرى هنالك في «السيوف الحداد» ما يدني السالك من المالك، ومن بعض ذلك: أنه قال لي ﷺ: ثم قال: اقرأ قصيدة الغزالي، ففهمت أنها:

الـشِّدَّةُ أَوْدَت بِـالمهجِ ... يَـا رَبِّ فَعجِّـل بِالفَـرَجِ

قال: وزد فيهما ثلاثة أبيات، فقلت: على الرأس والعين يا رسول الله، ثم مشى فتبعته فقلت: يا رسول الله إني عملت قصيدة على وزن قصيدة الغزالي وقد ذكرتها آخر ورد السَّحر، فقلت فيها:

بِالـذَّاتِ بِـسرِّ الـسِّرِّ بِمَـنْ ... أَفْـضَالِكَ رَبِّي مِـنكَ رَجَـي

بحقيقـتكَ العُظمَـى رَبِّي ... وَبِـنورِ الـنورِ الْمُنبلجِ

بِـسَمَاءٍ كُـنتَ بِـهِ أَزلاً ... بمحمَّـدٍ مَن جـاء بِالـبلجِ

فقال ﷺ: من أين لك هذا المدد؟ فقلت: منك يا رسول الله، قال: نعم، إلى آخر المنام المنعم به المنعم على عبده الكثير الآثام.

وحيث كانت من مدده ﷺ، فيحق لها أن يبتهج، ويبتهج قارؤها، ويسر سره بأسرارها، ومعانيها؛ لاسيما حيث كانت موضوعة (فِي الطَّرِيقَةِ الْمُنْبَلِجَة) أي: المضيئة المشرقة الواضحة؛ إذ البلج: ضياء الصبح الموجب؛ لإذهاب الظلمة وحصول الفرح

والسرور صادر منها من أجل أن تاليها يسلك به الطريق الواضحة؛ إذ ليس كل طريقة مسلوكة، ولا كل مسلوكة مملوكة، ولا كل مملوكة واضحة المسالك مشرقة تذهب الحوالك والطرق، وإن تعددت فطريق الحق واحد، وهذا الطريق هو الخط المستقيم الذي خطه بيده في الأرض السيد البر الرحيم وتلى، وأن هذا صراطي مستقيمًا؛ فاتبعوه ثم خط خطوطًا صغارًا من جانبيه وتلى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:153].

فطريق الأنبياء واحد؛ لأنهم يدعون إلى معرفة الواحد، وإنما اختلفت شرائعهم لاختلاف الأمزجة، والأعصار، والبواعث، وهذا الاختلاف ناشئ عن اختلاف النسب الإلهية، وسبب اختلافها اختلاف الأحوال؛ وسببه اختلاف الأزمان، وسببه اختلاف الحركات الفلكية، وهي عن اختلاف التوجهات الحقيَّة، وهي عن اختلاف المقاصد، وهي عن اختلاف التجليات، وهي لاختلاف الشرائع؛ فإن كل شريعة طريق موصل إليه تعالى، وهي مختلفة، فلا بُدّ أن تختلف التجليات؛ فدار الدرب فأي شيء أخذته صلح أن يكون أولاً، ووسطًا، وآخرًا، انتهى ملخصًا مما نقله الجيلي عن سيدي محيي الدين -قدس الله سرهما- في شرح «الخلوة».

ومع كون طريق الحق لا تعدد فيه بالشخص فله وجوه لا تثنى بحسب اختلاف أحوال سالكيه، ولا يشكل عليك ما قدمناه قريبًا من أن الطرق كلها مستديرة، وما ثم طريق لا ميل فيه؛ فإن ذاك من حيث باطنها وحقيقتها، فإن مبدأها الحق، ومرجعها إليه؛ فهذا معنى ميلها، وهو عين استقامتها؛ وأما من حيث ظاهرها وصورتها: فهي مستقيمة لا عوج فيها، ولا أمتي، وبحسب اختلاف الأحوال والاستعدادات، والصدق في التوجه اختلفت الأذواق والمشارب، وامتاز الذي هم بتناول الشراب عن الشارب؛ فالصادق في سيره يرى مطلوبه قريبًا، ومرغوبه ومحبوبه سامعًا لندائه مجيبًا؛ فيستهون الصعاب، ويلتذ بقطع العقاب، ويخاطب من صعب عليه المطالب من كل زاهد في المقرب، راغب في المبعد، وله طالب، ولا تقل لي الطريق وعر، فذاك سهل لمن مشاه؛ فالطريق وإن كان بعيدًا فإن الجذبات الإلهية التي تهب على المراد تدفئه، والملل والكسل، وإن حببته النفس لصاحبها؛ فإن بواعث الشوق والتوق تفنيه، وكل من لم يحكم طريق أساس طريقه أنهار، ولو أسعفه مرية بعيون إمداد وأنهار.

واعلم أن معرفة طريق السلوك التي لا توصف شمسه بغروب ودلوك؛ لا بُدَّ فيه من دليل عارف بمعالجات الذات القلبية، وتطبيب الأمراض الروحية، وكيفية الخلاص من الدسائس النفسية، ومعرفة منهاج الارتقاء في المراتب المعنوية، وطريقة التخلية والتحلية، وأحكام مداواة صفر الدنيا، وبلغم الهوى، ودم الشيطان، وسود النفس، وإعطاء كل مزاج ما يناسبه بميزان المعدلة من غير إفراط ولا تفريط، والمسير به دون تخليط في الأدوية ولا تجنيدًا، وتدريجه في مدارج التعلق بالأسماء؛ ثم التحقق والتخلق بالوصف الأسماء، وملاحظة في المخاوف، والأخذ بيده إذا عثر في المواقف، وتنهيض همته إذا ضعف عن العمل، وتقوية عزيمته إذا أولج سم الخياط الإدراك من الجمل، ولا بُدَّ له من صدمات يتلقاها عنه، وحملات تصيبه تكون منشؤها منه إلى غير ذلك من أمور باطنية، ومقامات أحوال وموارد قهرية، فهذا الدليل إن لم يفر وجوده، فهو قليل سيما في هذا الزمان الذي ليله بهيم عنه طويل، فإن وجدته فهيأ، وللسعادة تهيأ، وإلا فاتخذ كتب السلوك مسندًا إلى أن يرزقك الله من فضله مرشدًا، وأنشد:

مــــن جـــــد في الطـــــل حتـــى وجـــد فـــبلغ الإرب

بالحـــق كـــن عارفًـــا محـــبًا وكـــن عـــن الخلـــق أجنبـــيا

هذا الطريق العزيز جدًا، فإن تجد مسلكًا فهيأ، وقد ضمنت هذين البيتين في قصيدة ذكرتها في «الوارد الطارق، واللمح الفارق» (التي عَلَى) أي: المنبهجة (وَزْنِ الْمُنْفَرِجَةِ) قال في «القاموس»: ووزانه عادلة وقابلة، وحاذاه، وفلانًا كافأ على فعاله، وهو وزنه بالفتح، أو يوازنه، ويوازنته، وزنته بكرهن قبالته... إلخ.

أي: على ميزان بحر قصيدة المنفرجة التي نظمها الإمام العالم الكامل أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي -رحمه الله- ومطلعها:

اشـــــتَدِّي أَزمَـــــةُ تَنفَرِجِـــــي قَـــــد آذَنَ لَـــــيلُكِ بِالــــبَلَجِ

ولها قصة ذكرها الشارح، وكان الإمام السبكي -رحمه الله تعالى- يسميها بالفرج بعد الشدة، وكان ناظمها معاصرًا للغزالي -رحمه الله تعالى- وتوفي سنة خمسمائة وثلاثة عشر، وفيها توفي حجة الإسلام الإمام محمد بن محمد الغزالي -رحمه الله تعالى- كذا ذكره بعض شراحها، وللغزالي -رحمه الله تعالى- قصيدة على وزنها، وهي التي أُمِرت من رسول

الله ﷺ تلاوتها، وقيل: إن الغزالي - رحمه الله تعالى- توفي سنة خمس وخمسمائة، وعمره إذ ذاك خمس وخمسون سنة، وهو بتخفيف الزاي خلافًا لمن شددها.

قال الشيخ علي بن علوان الحموي- رحمه الله تعالى- في شرح «تائية» سيدي عبد القادر بن حبيب الصفدي ﷺ: الغزالي بفتح العين، وتخفيف الزاي خلافًا للعامة والخاصة؛ حيث ضبطوه بتشديد الزاي؛ حيثما قال الفيومي، فحسب كتابه «المصباح المنير»: حيث نسبه إلى غزالة قرية من قرى طوس، وقال: أخبرني بذلك الشيخ مجد الدين محمد بن محيي الدين ابن الطاهر شروان شاه ابن أبي الفضائل فخر الدين وزير عبد الله ابن ست النساء بنت أبي حامد الغزالي ببغداد سنة عشر وسبعمائة، وقال لي: أخطأ الناس في تثقيل اسم جدنا، وإنما هو بالتخفيف نسبة إلى القرية المذكورة، انتهى.

وقال الإمام النووي -رحمه الله تعالى- في «تبيانه»: الغزالي هو محمد بن محمد بن أحمد هذا العالم بتشديد الزاي، فقد روي عنه: أنه ما ذكر هذا، وقال إن أنا بتخفيف الزاي منسوب إلى قرية من قرى طوس يقال لها غزالة، انتهى.

وسيأتي الكلام على جرها وتقطيعها (وَرَدْتُهُ) أي: الورد (بَعْضَ) قال في «المختار»: بعض الشيء واحد أبعاضه، وقد بعضه تبعيضا فتبعض، انتهى.

إشارة إلى أن المراد منه شيء يسير (تَوَسُّلَات) جمع توسل: وهو الابتهال، والتضرع بين يدي الله تعالى، قال في «المصباح»: وسلت إلى الله تعالى بالعمل أسأل من باب وعد ورغبت وتقربت، ومنه اشتقاق الوسيلة، وهي ما يتقرب به إلى الشيء؛ والجمع الوسائل والوسل، قيل: جمع وسيلة، وقيل: لغة فيها، وتوسل إلى ربه بوسيلة تقرب إليه بالعمل، انتهى.

قال المصنف: [**قَدْ رَتَّبْتُهُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ فِي أَوَائِلِ تَوَسُّلَاتِهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَسْهَلَ فِي حِفْظِ كَلِمَاتِهِ وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ مَنْ لَازَمَ عَلَى تِلَاوَتِهِ وَلَمْ يُخْلِ مُصَنِّفَهُ مِنْ دَعَوَاتِهِ إِنَّهُ وَلِيُّ مَنْ يُنَادِيهِ عَلَى الْخُصُوصِ فِي الْأَسْحَارِ بِلِسَانِ الذُّلِّ وَالْانْكِسَارِ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ مَغْمُورًا بِآلَائِهِ وَأَيَادِيهِ**].

قال الشارح: (قَدْ) للتحقيق، وتأتي على سبعة أوجه؛ فتكون اسمًا بمعنى حسب، واسم فعل بمعنى يكفي، وحرف تحقيق، وحرف توقع، وتأتي لتقريب الماضي من الحال،

وللتقليل والتكثير (رَبَّتُهُ) والترتيب: إيراد عدة أشياء على وجه يراعي فيه التقديم والتأخير، وقيل هو وضع كل شيء في محله بحيث لا يزيد على المقصود، ولا ينقص عنه.

وقال السيد -رحمه الله تعالى- في «تعريفاته»: الترتيب لغة: جعل كل شيء في مرتبه، واصطلاحًا: يعد جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد، ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقديم والتأخير، انتهى.

(عَلَى حُرُوفِ المُعْجَمِ) جمع حرف، قال في «القاموس»: الحَرْفُ من كلِّ شيءٍ طَرَفُهُ، وشَفيرُهُ وحَدُّهُ، ومن الجَبَلِ أعْلاهُ المُحَدَّدُ، جمعه كعِنَبٍ، ولا نظيرَ له سِوَى طَلٍّ وطِلَلٍ، وواحدُ حُروفِ التَّهَجِّي، انتهى.

قال ابن عطاء رضي الله تعالى: إن الله تعالى لما خلق الأحرف جعلها سرًّا له، فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر، ولم يبثه في أحد من الملائكة؛ فجرت الأحرف على لسان آدم بفنون الجريات، وفنون اللغات؛ فجعله الله صورًا لها، وقال أبو عبد الله الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى: إن الله تعالى لما خلق الأحرف دعاها إلى الطاعة، فأجابت حسب ما حلاها خطاب واليها، وكانت الحروف كلها على صورة الألف؛ إلا أن الألف بقيت على صورتها وحليتها التي ابتدأت بها.

وكان الشبلي رضي الله عنه يقول: ما من حرف من حروف ألف باء تاء ثاء إلا يسبح الله بلسان، ويذكره بلغة لكل لسان منها حرف من حروف، ولكل حرف لسان وهو سر الله في خلقه الذي به يضع زوائد الفهوم، وزيادات الأذكار.

وقال الإمام الحسين رضي الله عنه: في القرآن علم كل شيء، وعلم القرآن في الأحرف، وعلم الأحرف في لام ألف، وعلم لام ألف في ألف، وعلم الألف في النقطة، وعلم النقطة في المعرفة الأصلية في علم الأزل، وعلم الأزل في المشيئة، وعلم المشيئة في غيب الهو، وعلم غيب الهو في ليس كمثله شيء، ولا يعلمه إلا هو.

وقال بعضهم: إن الحروف ثلاثون أظهر الحق منها تسعًا وعشرين حرفًا، وأخفى حرفًا واحدًا جعله مفتاح سر الأولياء ملهمه الله من شأنهم، وذكر أنه ليس مما ينعقد به اللفظ ولا يقوم في الوهم.

وقال الواسطي رحمه الله تعالى: أخرجت الأحرف ثمانية وعشرون حرفًا، وقال

الخليل رحمه الله تعالى: تسعة وعشرين حرفًا، وهي من الصفات كلها إذا ميز بها؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: 59]، وقوله ﷻ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38] فكل حرف يدل على صفة لمن ميز، أو نظر، وكل ناظر منها إلى ما يليه به، ومأخذه ومقامه وحاله.

وقال أبو سعيد الخراز ﷺ: لكل حرف من الحروف مشرب، وفهم غير الآخر، وإنما يعرفها أرباب الأسرار الصافية، والعيون المبصرة والقلوب النيرة، وقال بعضهم: جعل الله أول الحروف الألف، وآخرها الياء؛ فدل الألف على الوحدانية والعرفانية، ودل الياء على العجز والعبودية والطاعة؛ وإذا جمعت بين الحرفين الأول الذي هو الألف، والآخر الذي هو الياء وقلبتها وصحفتها صار ياء، وأقحمت الدال بينهما صار نداء؛ وهو إظهار العبودية من العباد لمولاهم بندائهم بالله يا رحمن يا رحيم، وذلك غاية مراد الزاهدين والعارفين جميعًا من قضاء حوائج الزاهدين، وقلوب نداء العارفين.

وقال بعضهم: جعل الله الحروف نقوشا لأسرار العارفين والمريدين والتائبين؛ فكل يرجع بسره إلى حرف من هذه الحروف، ويأنس به ويكن إليه على مقدار حاله، فإذا تم للعارف مقام معرفته، واطمأن إلى معروفه، واستقام معه على بساط القربة والدنو والمحادثة أشرف على معاني أسرار الحروف؛ فيخبر عنه كل حرف بما أودع الله فيه من فنون الحكم؛ وحينئذ يأنس به، وتسكن إليه الخلائق أجمع من الجن والإنس، والسباع والطيور والبهائم، ويكلموا به فيفهم عنهم، ويكلمهم فيفهمون عنه، وهذا مقام عزيز، والمريدون يعرفون من الحروف مجاري الخطاب، والتائبون يأنسون بسماعها، فلا يفهمون ما فهم العارفون والمريدون، انتهى.

مختصرًا من رسالة سيدي الشيخ عبد الرحمن السلمي -قدس الله سره- التي تكلم فيها على أسرار الحروف، وأنشد سيدي محيي الدين- قدس الله سرّه- في الباب الثاني من «فتوحاته» عندما تكلم على أسرارها:

إن الحروف أئمة الألفاظ ... شهدت بذلك ألسن الحفاظ

دارت بها الأفلاك في ملكوته ... بين النيام الخرس والأيقاظ

لحظت لها الأسماء من مكنونها ... فبدت تعز لذلك الألحاظ

**وتقول لولا فيض جودي ما بدت عند الكلام حقائق الألفاظ**

ثم نظم بقية أسماء الحروف، وأطنب القول على ما احتوت عليه هاتيك الظروف في كتابه «المبادئ والغايات» فيما تضمنته حروف المعجم من العجائب والآيات، وتكلم عليها في «مفتاح الجفر» بما هو؛ كالتنزيل والخفر وذكر فيه أنها أمة من الأمم فيها الرد والراسخون في العلم، والعلماء الذين ما رسخوا فيه، والصالحون والأغنياء والفقراء والأشقياء والعوام، وسكن ذلك في أبيات يسهل حفظها ويشفي الآلام:

**وهي الرسل من الحروف أدور والراسخون الدال رأيًا جبروا**

**والعلماء غير الذين رسخوا منك اقتهم فهكذا قد خبروا**

**والصلوات منهم بسط فقي والأغنياء صلة قد ذكروا**

**والفقراء في حروبنا لقي والاستياء ثبت كذا قد حرروا**

ثم العوام جعلت: خطف؛ كذا نقل في «الجفر» الهام الأكبر، وسيأتي الكلام على بعض خواص الحروف وأسرارها في أثناء شرح الورد.

والمعجمة؛ قال في "تهذيب الصحاح": والعجم: النقط بالسواد؛ مثل التاء عليها نقطتان، تقول: الحرف عجمته تعجيمًا، ولا تقل: عجمت، وهم حروف المعجم؛ أي: الإعجام مصدر كالمدخل؛ أي: من شأنه أن يعجم، انتهى.

وعن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: كل نبي مرسل بم يرسل؟ قال: «بكتاب منزل» قلت: يا رسول الله، أي: كتاب أنزله الله على آدم؟ قال: «كتاب المعجم» قلت: ما هي؟ قال: «أ ب ت ث.. إلخ» قلت: يا رسول الله، كم حرف؟ قال: «تسعة وعشرون»، قلت: يا رسول الله، عددت ثمانية وعشرون، قلت: يا رسول الله، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت عيناه، ثم قال: **«يا أبا ذر، والذي بعثني بالحق نبيًّا ما أنزل الله على آدم إلا تسعة وعشرين حرفًا»** قلت: ليس فيها ألف ولام، فقال ﷺ: **«لام ألف حرف واحد أنزله الله تعالى على آدم في صحيفته، ومعه سبعون ألف ملك من خالف لام ألف؛ فقد كفر بما أنزل على من لم يعد لام ألف، فهو بريء مني وأنا بريء منه، ومن لم**

**وتقول لولا فيض جودي ما بدت　　عند الكلام حقائق الألفاظ**

ثم نظم بقية أسماء الحروف، وأطنب القول على ما احتوت عليه هاتيك الظروف في كتابه «المبادئ والغايات» فيما تضمنته حروف المعجم من العجائب والآيات، وتكلم عليها في «مفتاح الجفر» بما هو؛ كالتنزيل والخفر وذكر فيه أنها أمة من الأمم فيها الرد والراسخون في العلم، والعلماء الذين ما رسخوا فيه، والصالحون والأغنياء والفقراء والأشقياء والعوام، وسكن ذلك في أبيات يسهل حفظها ويشفي الآلام:

**وهي الرسل من الحروف أدور　　والراسخون الدال رأيًا جبروا**

**والعلماء غير الذين رسخوا　　منك افتهم فهكذا قد خبروا**

**والصلوات منهم ببسط فضي　　والأغنياء صلة قد ذكروا**

**والفقراء في حروبنا لقي　　والاستياء ثبت كذا قد حرروا**

ثم العوام جعلت: خطف؛ كذا نقل في «الجفر» الهام الأكبر، وسيأتي الكلام على بعض خواص الحروف وأسرارها في أثناء شرح الورد.

والمعجمة؛ قال في «تهذيب الصحاح»: والعجم: النقط بالسواد؛ مثل التاء عليها نقطتان؛ تقول: الحرف عجمته تعجيمًا، ولا تقل: عجمت، وهم حروف المعجم؛ أي: الإعجام مصدر كالمدخل؛ أي: من شأنه أن يعجم، انتهى.

وعن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: كل نبي مرسل بم يرسل؟ قال: «بكتاب منزل» قلت: يا رسول الله، أي: كتاب أنزله الله على آدم؟ قال: «كتاب المعجم» قلت: ما هي؟ قال: «أ ب ت ث ...إلخ» قلت: يا رسول الله، كم حرف؟ قال: «تسعة وعشرون»، قلت: يا رسول الله، عددت ثمانية وعشرون، قلت: يا رسول الله، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت عيناه، ثم قال: **«يا أبا ذر، والذي بعثني بالحق نبيًّا ما أنزل الله على آدم إلا تسعة وعشرين حرفًا»** قلت: ليس فيها ألف ولام، فقال ﷺ: **«لام ألف حرف واحد أنزله الله تعالى على آدم في صحيفته، ومعه سبعون ألف ملك من خالف لام ألف؛ فقد كفر بما أنزل على من لم يعد لام ألف، فهو بريء مني وأنا بريء منه، ومن لم**

**يؤمن بالحروف، وهي تسعة وعشرون لا يخرج من النار أبدًا»**(1)، انتهى.

وفي الحديث رد على من عدها ثمانية وعشرون، اللهم إلا أن يقال: إن القائل بأنها ثمانية وعشرون أراد حروف أبجد، وهي وضعية عند أهل الخواص مرعية، وأما حروف المعجم فكما في الحديث؛ إذ اعتقاد أنها تسع وعشرون من الأحكام الشرعية، وقد قسمت إلى العناصر فناب كل عنصر سبعة، والفصول الأربعة كذلك وغير ذلك، واختلف في تقديم الواو على الهاء وتأخيرها؛ فالعرب تؤخرها، والعجم تقدمها وطريقة العرب أولى؛ فإن في تأخيرها تصير هو: وهو أولى القلوب ميزوه.

ولما كان من شأن المعرب الإعراب، والعجم الإغواب جاءت طريقة كل طائفة على حد ما دواتهم عليه طائفة، وقد اتفق لنا في هذا الورد مرافقة طريقة العجم؛ لوارد على القلب هجم، وظهرت لنا حكمة ذلك الوارد في هذا الوقت الصادر الوارد؛ وهي أن الوارد لما كانت حقائق توسلاته، ورقائق توجهاته معجمةً على الغير، مبهمةً على من لم يتكمل في السير، متغربةً عن وطن شروقها، متغربةً غير عربية عند التائبين عن مغرب بروقها؛ كانت أعجمية المعاني وإن برزت عربية المباني، فصارت من هذا الوجه أعجمية الإدراك إلا عند أهل الفهم الثاقب والإدراك، وبهذه المناسبة وافقنا طريقة العجم لهذا الوجه الخاص، ولغير هذا من الحكم العوالي العوالي التي يدركها الخواص، والتزمنا ذكر الحروف.

(**أَوَائِل**) جمع أول (**تَوَسُّلَاتِهِ**) أي: في كل توسل من توسلاته، ولم أر وردًا رُتب على هذا الترتيب، على أني وقفت على أوراد كثيرة منوعة الأساليب، وأظنه لم يخطر على بالي قبل ترصيفه؛ بل عند شروعي في تأليفه لا جل؛ أو (**لِيَكُونَ ذَلِكَ**) الترتيب.

(**أَسْهَل**): خبر يكون؛ أي: أيسر، والسهولة ضد الحزونة، قال في «القاموس»: وقد سهل ككرم سهالة وسهله تسهيلاً: يسره، انتهى.

(**فِي حِفْظ**) أي: في وعي وصيانة، قال في «المصباح»: حفظت المال وغيره حفظًا إذا منعته الضياع والتلف، ثم قال: وحفظ القرآن؛ أي: وعاه على ظهر قلبه، واستحفظته الشيء: سألته أن يحفظه، وقيل: استودعته إياه وفيمن بما استحفظوا من كتاب الله بالقولين، انتهى.

---

(1) لم أقف عليه.

(كَلِمَاتِـه) جمع كلمة، والكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد، منها يتركب الكلام، وهي والكلام قيل مشتقان من الكلْم بتسكين اللام، وهو للجرح لتأثير معانيهما في النفوس كالجرح، وقد عبر بعض الشعراء عن بعض تأثيراتها بالجرح؛ حيث يقول: جراحات السنان لها التئام ولا يلتئم ما جرح اللسان، ذكره الخاني رحمه الله.

(وَالله أَسْـأَلُ) قدم لفظ الجلالة على عامله للاهتمام والاختصاص؛ أي: لا أسأل أن ينفع به من لازم على تلاوته... إلخ إلا الله؛ لأنه القادر على ذلك لا غيره من كل فانٍ هالك.

قال في «القاموس»: والسؤال والسؤلة بالضم المسألة لغة في المهموز، وسألت أسأل بفتحها سُؤالا بالضم، والكسر لغة في سألت، وقولهم: هما يتساولان: يدل على إنهما واويان في الأصل؛ وكهمزة كثير السؤال والسؤلا: الدلو الضخم، انتهى.

والسؤال إذا كان من الأدنى للأعلى؛ كما هنا يقال فيه: دعاء، وبالعكس فهو: طلب، ومن المساوي: التماس.

(أَنْ يَنْفَعَ بِهِ) أي: بالورد الموروود ورد التقريب -إن شاء الله تعالى المجيب القريب- كل من استقي ورده؛ ليكون مظهر اسمه تعالى النافع؛ وليكون لكل من دأب على تلاوته من الحضيض إلى السهى رافع، وأطلق النفع ليعم المنافع كلها أجلها وأقلها، فيحمي تاليه من ضرًا؛ فإنه ويكفي شر أعراضه وأغراضه (مَنْ لَازَمَ)من الإخوان والأحباب (عَلَى تِلَاوَتِـهِ) منتسبًا أو خاليًا عن الانتساب، والتلاوة: هي القراءة، يقال: تلا القرآن يتلوه تلاوة ككتابة قراءة (وَلَمْ يُخْلِ مُصَنِّفَهُ مِنْ دَعَوَاتِهِ) أي: لم يجعل مضيفه خاليًا من توجهاته في خلواته وجلواته؛ لأن الدعاء في ظهر الغيب مجاب، والملك يقول للداعي: «**ولك مثل ذلك**»[1]، ودعاؤه مقبول لدى الوهاب، والداعي إذا دعا غيبًا لأخيه؛ فقد دعا له بلسان لم يعص الله فيه.

وإذا كان سيد الأحباب ﷺ يقول لسيدي عمر بن الخطاب ﷺ: «**لا تنسنا يا أخي من دعائك**»[2]، كما رواه أبو داود عنه ﷺ.

(1) رواه الدارقطني في العلل (6/ 277).

(2) رواه أبو داود (2/ 80)، وابن سعد في الطبقات (3/ 273).

وفي رواية أحمد وابن ماجه عنه أيضًا: «**يا أخي أشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا**»[1].

فكيف لا يتطلب منعي الورد من إخوانه الدعاء، وهو أحقر من سعي، وأفقر من دعاء، والتصنيف جعل إليه أصنافًا، يقال: صنفت الشجرة ورقها؛ أي: أخرجته، ومنه تصنيف الكتاب، والتأليف: هو تحصيل الألفة، ومن المسائل حتى تجتمع وتلتئم؛ فهو والترصيف قريبان؛ فإنه ضم الحجارة بعضها على بعض كضم المسائل المتفرقة.

والدعوات: جمع دعوة، والدعاء الرغبة إلى الله تعالى، قال في «القاموس»: دعا ودعوة والدعاة السبابة... إلخ، وفي «المختار»: ودعوت الله له، وعليه أدعوه دعاء، الدعوة للمرة الواحدة والدعاء أيضًا واحد الأدعية، انتهى.

(**إِنَّهُ**) أي: الحق سبحانه وتعالى بكسر الهمزة على أنه تعليل مستأنف، ويجوز فتحها على تقدير لام الجر؛ أي: وإنما طلبت نفع من لازم تلاوته منه تعالى؛ لأنه (**وَلِيٌّ**) من يعاد به بلسان حاله،أو قاله، والولي: هو الناصر لأوليائه، القاهر لأعدائه فوليه بحسن رعايته، منصوره وعدوه بحكم أشقائه مقهورة، قال الله تعالى الله: ﴿وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: 257] فهو وليهم، وهم أولياؤه إن أولياءه إلا المتقون.

وفي الحديث الشريف يقول الله تعالى: «**من أهان لي وليًا؛ فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأسرع شيء إلى نصرة أوليائي، إني لأغضب لهم، كما يغضب الليث الحرد، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن، وهو يكره الموت، وأنا أكره مساءته...**»[2] إلى آخر الحديث.

وفي رواية قال الله تعالى: «**من آذى لي وليًا، فقد استحل محاربتي**»[3].

وفي أخرى يقول الله تبارك وتعالى: «**من عاد لي وليًا، فقد ناصبني بالمحاربة**»[4].

وفي أسمائه تعالى الولي المتولي أمر الوجود بذاته، والولاية مأخوذة من الولاء: وهو

---

(1) رواه أحمد في المسند (2/ 59)، وأبو يعلى (9/ 405).

(2) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (3/ 167)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (1/ 12).

(3) رواه أحمد في المسند (6/ 256)، والطبراني في الأوسط (9/ 139).

(4) رواه الطبراني في الكبير (12/ 145).

القرب، وهي عامة وخاصة بخاصة الخاصة.

قال الجيلي -رحمه الله تعالى- في «غنية أرباب السماع»: الولاية قيل: إنها عبارة عن تولي الحق، وقيل: إنها عبارة عن كينونة الحق عوضًا عن عبده؛ أي: حال فنائه فيه، وبقائه له، وقيل: إنها عبارة عن التمكين، وقيل: إنها عبارة عن إظهار آثار القدرة، وقيل: إنها عبارة عن توليه الحق العبد في العالم، وقيل: غير ذلك.

ومجمل هذا الكلام أن تعلم أن الولاية على مراتب كثيرة، وتجمعها ثلاثة أنواع: ولاية صغرى، وولاية مطلقة، وولاية كبرى.

فالولاية الصغرى: لها ألف درجة أولها: الإيمان بالغيب، وآخرها: الفناء في شهود الله.

والولاية المطلقة: لها ألف درجة أولها: الفناء في الشهود، وآخرها: التحقق بالأوصاف الإلهية.

والولاية الكبرى: لها ألف درجة أولها: التحقق بالأوصاف الإلهية، وآخرها: مقام العجز، وفيه يتحقق العبد بالكمال المطلق، انتهى.

وحيث كانت درجات الولاية متنوعة متفاوتة، كانت ولايته (مَنْ يُنَادِيهِ) بقلب حاضر، ووجه توجه ناضر أعلى ممن بالضد اتصف، وجار إذا حار فما انتصف، فنادى لكن من مكان بعيد، ولو خرج من أندلس تدليه إلى قدس فأخذه ونفسه؛ لكان مناديًا من مكان قريب أو أقرب للمنزل السعيد، ولا بُدّ لمن نادى مولاه أن يجيبه، وجدده يتولاه لما في الحديث الشريف: «**إذا قال العبد: يا الله، قال الله: عبدي أنا الله، فما حاجتك**»، وفي رواية أنه: «**إذا قال العبد: يا رب يا رب، قال الله: لبيك عبدي سل**»[1] لفظ، والنداء رفع الصوت لكن حضرة الحق تقتضي الهمس، إلا لقلبه حال أو إظهارًا لذل العبودية، ومنه ما قاله ﷺ لربه يوم بدر، والتملق بين يدي الحق سبحانه وتعالى، والإلحاح، وهو تعالى يحب المتصف بهما (عَلَى الْخُصُوصِ) وهو ما يقابل العموم، قال في «الصحاح»: خصه بالشيء خصوصًا وخصوصية والفتح أفصح، انتهى.

أي: وخصوصًا إذا كان النداء (فِي الأَسْحَارِ) فإن لله خواص في الأمكنة والأزمنة

(1) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (1/ 196).

والأشخاص؛ لاسيما إذا نادى مولاه الذي بالجميل أولاه (بِلِسَانِ) قال في «القاموس»: اللسان: المقول، ويؤنث جمعه ألسنة، وألسن، ولُسن، انتهى.

وهو حقيقي ومجازي، ومنه لسان (الذُّلِ) وفيه استعارة مكنية، وهو ضد العز، قال في «المختار»: ذل يذل بالكسر، ذو مذلة: فهو ذليل، وهم أذلاء انتهى.

وهو من صفات العبودية؛ كما أن العز من صفات الربوبية، وهذه الصفة تطلب ممن يقابلها الذل، وهو حجاب الخلق عن التطلع إلى صفات الحق إلا من باب التخلق بالأخلاق الإلهية، ومن تجلي الله تعالى بأوصافه، ومنحه من بحر فيضها كامل اعترافه مع الأقدار بالعجز، وحسن اعترافه فهو المؤمن، الموصوف بالعزة: الذي تأخذه لدى الذكر الفرحة والهزة، وهو الغني بسيده، الفقير إليه، العزيز به، الذليل لديه، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8] وعزة المؤمن؛ كما قال المحقق الشاذلي قدس الله سره: أن يمنعه الله تعالى من التعبد للنفس، والهوى والشيطان والدنيا، أو لشيء من المكنونات في الغيب والشهادة، والمنافق لا يعلم العز إلا بالأسباب والتعبد والأرباب إله مع الله تعالى الله عما يشركون... إلى آخر النص المكتوب.

والذل للمحبوب وصف مرغوب، قال العارف المطروب والمختص المسلوب تذلل كمن تهوى فليس الهوى سهل إذا وصي المحبوب صح لك الوصل تذلل له تحظي برؤيا جماله تقدم، وإلا فالغرام له أهل، وأصعب ما على العاشق المنهوب ذل الحجاب المحبوب ومن دعا السري الموهوب إلهي مهما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب، قيل للجيلي ﷺ: هل يقنع المحب بغير مشاهدة محبوبة، فأنشد:

أقسم لو أنك توَّجْتَني ... بتاج كِسْرَى مَلِكِ المَشْرق

ونُلتَني كلَّ أمورِ الورى ... مَنْ قد مضى منهم وَمنْ قد بَقِي

وقلت أنْ لا نلتقي ساعة ... أجبت يا مولاي أن نلتقي

لأن إبعادك لي ساعة ... شَيَّبَ فَوْدَيَّ مع المفرق

الكمل زال ذلهم بزوال حجابهم، وثبت تدليه؛ أي: تدلي حجابهم لعظيم احتجابهم، فزواله بالنظر للمكاشفة بحقائق الأسماء والصفات، وثبوت تدليه بالنظر لإدراك كنة الذات، وهذا هو حجاب العزة المسدول الذي لا يرتفع على كل حال، ولا

يزول وقول الشبلي ذي الشهود، ذلي عطل ذل اليهود من كونه اختياريًا متح به من عين المنة، وذلهم اضطراري ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة:61].

ولا نرى على بصيرة من بعد وبينة فيه، وهم على جهل لا يمكن القول أن يستوفيه، **(والانْكِسَار)** أي: ولسان الانكسار، وهو انفعال من الكسر: ضد الجبر، ويستعمل في المحسوسات والمعاني، ومنه أفعال المطاوعة، تقول: كسرته فانكسر، وكسرت خاطره فانكسر وحقيقته عدم الاعتبار، وإلا كذا قيل: وهو انصداع القلب بوارد كوني أو سماوي، وفي الحديث الشريف فيما يرويه عن ربه ذي الظل الوريف: «**أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي؛ أي: من أجل حبي والشوق إلى قربي، أو المنصدعة من أجل تجلياتي عليها، وإمدادتي المواصلة إليها**»[1]، ومعنى انصداعها: خضوعها وتذللها؛ ففي الحديث: «**ما تجلى الله لشيء إلا خضع**»[2].

قال الإمام القشيري: أي: فناء مقام العندية يقتضي بذاته ذلك؛ لأن نوره يمحي رسوم السالك، فالعندية الإسمائية تبقى، والظاهر أشعتها من غيب الأحدية كؤوس الإعدام تسقى، فالمتحقق بالمرتبة العبدية، وفي مقعد صدق العندية هو الجامع الفارق، والهامع بغيب البارق، وهي على أقسام: عندية الحق عند عبده، وعنديته عند ربه، وعنديته عند لغة، أو الأكوان، أو عنديتها هي عنده.

**فالأولى**: أشار إليها حديث: «مرضت فلم تعدني، فإذا قال العبد: كيف تمرض؛ وأنت رب العالمين؟ قال الله تعالى: «**أما أن فلانًا مرض فلم تعده، فلو عدته لوجدتني عنده**»[3].

**والثانية**: إليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف:26].

**والثالثة**: رؤية النفس والوقوف عند حظوظها، وامتثال أوامرها، والعمل على هواها، وعدم مخالفتها، وتصديق دعواها، والسعي في عزها دون إذلالها، وذلك عين ذلها وتفي إذلالها.

---

(1) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (1/ 75)، وأبو نعيم في الحلية (2/ 364)، بنحوه.

(2) رواه ابن ماجه (1/ 401)، والبيهقي في السنن (3/ 333).

(3) رواه مسلم (4/ 1990).

ففي الحديث الشريف: «من أذل نفسه أعز دينه، ومن أعز نفسه أذل دينه، والدين لا بُدّ منه، ومن سمن نفسه هزل دينه، ومن سمن دينه سمن له دينه وسمنت له نفسه»[1] رواه أبو نعيم في «الحلية» عن أبي هريرة.

**والرابعة**: وقوفه عند الأكوان؛ لاشتغال قلبه بها، أو وقوفها بعضها عنده لاشتغالها به، وهو سبب داعٍ لاشتغاله هو أيضًا بها، وعن هذا الشغل يكون الحجاب والقصور في فهم معاني السنة والكتاب، والغيبة عن أسرار الدين؛ إذ هو عند القوى المتين، ومتى لم يكن العبد عنده لم يدر حقيقته، بل لم يدرك غيبته وغفلته.

ومن علم فيه فعلمه عنده عارية، ومن جهل فيه لكن الحجة عليه؛ حيث لم يخضع للأقدار الجارية، فالعالم به منكسر القلب بخوف الميل، والقلب والجاهل كذلك؛ لاستغراقه في الظلام الحالك، وإن لم يشعر بها هنالك فحقائقه لها كمال الشعور بتلك المهالك؛ فلله در قوم نبتت شجرة انكسارهم في أراضي قلوبهم، مصحوبة بافتقارهم حين سقيت بها مدد العندية المدنية من محبوبهم؛ فأثمرت برفعة مقدارهم، مصداقًا لقول السيد الكريم الذي اصطفاه الله واجتباه من تواضع لله رفعه الله.

قال سيدي أحمد الرفاعي قدس الله سره: الطرق إلى الله تعالى عدد أنفاس الخلائق، وأقربها الذل والانكسار.

وقال سيدي محيي الدين عبد القادر الجيلاني قدس الله سره السني الرباني: ما وصلت إلى الله تعالى بقيام ليل ولا صيام نهار؛ ولكن وصلته إلى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر، فعلى قدر التدلي يكون التعلي، فمن ذل دل، ومن دل حل، ومن حل جل، ومن جل لسانه كل، ومن كل لسانه ذل؛ فرجع الآخر للأول، وعلى هذا المعول، ومن لم يكن كالأرض بانكساره لا تنبت أرض قلبه غرائب أسفاره، ومن يكن خد له يداس حق أن يده تباس، فعلى أهل الانكسار أيها السيار تراما؛ فإن ما صانوه لن يسأم، فعسى ترى ما.

وعلامة المتحقق فيه أن لا يقدر برفع رأسه بين الناس؛ لما يتحققه من نفسه من الأدناس والأرجاس، وربما غيبة ذلك التحقق عن الشعور والإحساس، ويغلبه الحياء من

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (3/ 279).

الله؛ فينكس للهيبة الرأس، وإذا مدح يذوب ويستغفر ويثوب، ويأخذه من الانقباض غب الإيناس، فهذا المعدود من الأكياس؛ لعدم اغتراره بلوامع سواطع الاقتباس، فما تراه إلا ضاربًا بذقنه إلى صدره، يضرب أخماسًا للأسداس، يبشر فيسر، ولا يفتر بل لا يغتر عن مراقبة نفسه، وحفظ الأنفاس.

وقلت في صفاتهم راجيًا نيل صفائهم:

للحب إن تبغ الوصال يقينا فاقصد حماه فسيه عسكرينا

قوم لقد خضعوا لعز جلاله ظنوا الشمال من الكمال يمينا

بالانكسار تدرعوا من هيبته والافتقار يرون ذلك دينا

وتهيموا بجماله وتيتموا بجلاله والدمع يفتح معينا

والذل لذهم لدى عتباته بالوجد بواحسين نواحينا

ودموعهم تجري على وجناتهم يتدفق حيناً ويرفق حينا

لم يرفعوا رأساً لهم من ذلة إذ سرهم بالذل ظل رهينا

إن يمدحوا إذ أبوا حيًّا وانثنوا يتململون تضرعا وحنينا

مع أنهم قد أغرقوا بشهوده متمكنين به نقوا التلوينا

وقلوبهم عنها براقعها انجلت وفتوحهم قد علموه مبينا

فهم إليك وسيلتي يا سيدي أن تسقنا كأساً به تهدينا

ومن وصايا الشيخ تاج الدين النقشبندي -قدس الله سرَّه- قوله: ولا تخلع ثيابك إلا بعد الرقع؛ أي: لا ترم بها حتى ترقعها؛ لأن فيه انكسار النفس، وانكسار النفس أولى من الطيران في الهوى، والمشي على الماء...إلخ.

وهو سر إلهي يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده، لا يكون بتصنع، ولا يتأتى بتوقع، وما يشاهد من بعض الناس فهو تملق لا تذلل، فمن منح الاتصاف بالذل والانكسار، فقد حاز الخير بكلتا يديه، وعد من الأخيار، ومن نادى مولاه وناجاه مصاحبًا لهما.

(**فَإِنَّهُ**) أي: الثاني (**لَا يَزَالُ**) أي: لا ينفك، وتلك من أخوات كان (**مَغْمُورًا**):

خيرها من غمره الماء إذا غطاه، ويقال: اغتمره (بِآلائِه) جمع ألى؛ وهي النعم، قال في «القاموس»: الآلاءُ: النِّعَمُ، واحِدُها: أَلى وأَلْوٌ وأَلْيٌ وأَلَى وإِلَى ، انتهى.

قال في «المختار»: الآلاءُ: النِّعَمُ، واحِدُها: أَلى بالفتح، وقد يكسر ويكتب بالياء؛ مثل مع ومعًا...إلخ، وبالمد والقصر دائم الحضرة من يدبغ به.

ومن بلاغات العلامة المحقق عمر الزمخشري رحمه الله تعالى: طعم الآلاء: أحلى من المن، وهو أمر من ألالأ عنه المن (وَأَيَادِيه) وذي نعمة، فإن لليد معان كثيرة منها الإحسان والنعمة، وقال في «المختار»: وقد جمعت الأيدي في الشعر على أياد؛ وهو جمع الجمع؛ مثل: أكرع وأكارع، وفي الحديث الشريف«**ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافينا، ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يد الله يكافئه بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله**»[1] رواه الترمذي، وقال: حسن غريب عن أبي هريرة؛ كذا في «الجامع الكبير»، وقد أبهم اليد ﷺ لتصدق على كل يد بها تقدم.

قال البوصيري رحمه الله تعالى: وابن عفان ذي الأيادي؛ التي طال المصطفى بها الإسراء.

قال الهمام ابن حجر رحمه الله تعالى: ذي الأيادي؛ أي: النعم، وهذا في اليد بمعنى الجارحة، جمع أيدي، وجمع يد؛ فأتى له الناظم -رحمه الله تعالى- في اليد بمعنى النعمة أيضًا،انتهى.

فيكون عطف تفسير على ما قبله نازل، بأي شيء يبدأ التالي؛ أي: يأتي به التالي، قال في «القاموس»: بَدَأَ به، كَمَنَعَ ابْتَدَأَ، والشَّيْءَ: فَعَلَهُ ابْتِداءً، كَأَبْدَأَهُ ابْتَدَأَهُ، ومِنْ أَرْضِهِ خَرَجَ، واللهُ: الخَلْقَ خَلَقَهُمْ، كَأَبْدَأَ فيهما، ولَكَ البِدْءُ والبَدْأَةُ والبَداءَةُ، ويُضَمَّانِ، والبَدِيئَةُ، أي: لَكَ أنْ تَبْدَأَ، والبَدِيئَةُ البَدِيهَةُ، كالبَداءَةِ....إلخ.

والتالي: هو القارئ له؛ أي: للورد؛ بقوله أعوذ بالله...إلخ؛ ليكون ممن امتثل أمر الله في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل:98] ولنذكر قبل التكلم على الاستعاذة ما يحتاج إليه التالي من آداب الدعاء، ولوازمه، وبعض ما ورد في فضله، وتحقيق

---

(1) رواه البخاري (1/ 177)، ومسلم (1/ 377).

معنى السؤال والإجابة؛ ليكون على بصيرة من أمره، ويرجح ميزان قربه ووصله.

فاعلم أيها المريد جعلك الله ممن ألقى السمع وهو شهيد: أن من أراد الجلوس على بساط مناجاة الولي الحميد؛ ليحظى بالمدد الذي ما عليه مزيد سواء كانت المناجاة بكلام الله المجيد، أو بورد من أوراد أهل التوحيد، ببلوغه أن يشخص عظمة المناجي وذل المناجي؛ ليكون له بأنوار قربه مناجي، فيسمى من الملكات ناجي.

وقلت في معنى التناجي:

| | |
|---|---|
| إذا حبيب الفؤاد ناجى | عبداً فذاك العبد ناجي |
| وإن تجلى له محاه عنه | وتبقى فيه مناجي |
| ويشرق النور في جسنا | ت له ويمسي سرًّا مناجي |
| فيا مريد النجاة بهم | وناج إن رمست أن تناجي |
| واشهد بوادي ذلك المناجي | اذهب بها ظلمة الدياجي |
| واقبل عليه ترقى لديه | وكن به من سواه لاجي |
| وقاطع الغير في رضاه | وأدخل حماه إن كنت راجي |
| وقف بباب المنى سحيرًا | والطرف ناد والليل ساجي |
| وأشطهم إذا الوقت طاب فيضنا | وامتلا القلب بابتهاجي |
| ولا رافق سراج عقل | والشمس تغني عن السراج |
| فذا مقر الوضوح بادر | بلا امتراء دون احتجاج |
| وذا طريق قد عز نيلاً | ليس له في الإمام هاجي |
| واسلك به منهجًا سويًا | ولا تعرج على اعوجاج |

قال سيدي أبو الحسن الشاذلي -قدس الله سرّه- في كتابه «إشارات العبارات»: بسط المناجاة أربعة: إما أن تناديه من حيث أوصافك، وأنت ناظر إلى أوصافك، وإما أن تناديه من أوصافه، وأنت ناظر إلى أوصافك، أو تكون فانيًا بأوصافه في لأوصافه، أو فيجلسك الحق على بساط المناجاة، ترمق ببصرك بسد الخلل والمفارقات لو تكون ذاكرًا للمنة، ويكون البساط ها هنا الذكر، أو يكون أجلسك على بساط النعمة، وأوصاف

العبد: الفقر والعجز وللضعف والحاجة والمسكنة والجهل والذل، انتهى.

وأما آداب الدعاء فقد قال الإمام الغزالي -رحمه الله تعالى- في رسائل الحاجات: اعلم - أكمل الله لك الإسعاد، وسهل لك سبيل الرشاد- أن للدعاء آداب، ينبغي للداعي أن يحضرها وقت دعائه، ويتأدب بها في مناجاته؛ فالله ﷻ ذكره أحق من تؤدب معه وبين يديه، وجملتها أربعة عشر:

**الأول**: أن يكون الداعي على وضوء -إن قدر- في كل دعواته، أو في معظمها فإن ذلك أنور للقلب، وأرضى للرب، وأقرب للإخلاص، وأسرع للإجابة.

**الثاني**: أن يكون مستقبل القبلة، فقد روي عن النبي ﷺ إنه أتى عرفة واستقبل القبلة، ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس.

**الثالث**: أن يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، ولا يشير بأصبعه.

قال رسول الله ﷺ: «**إن ربكم كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرًا**»[1]، وكان هو ﷺ يفعل ذلك.

**الرابع**: الله يترصد الأوقات الشريفة له ولها، وحلالها ليوم عرفة وعاشوراء، وشهر رمضان، وليلة الجمعة ويوم الجمعة؛ لاسيما آخر ساعة منه، ووقت السحر من الليل، وبعد الصبح، وما بين الأذان والإقامة وتكبيرة الإحرام، وفي السجود وما شاء كل ذلك.

**الخامس**: خفض الصوت بين المخافتة والجهر؛ لقوله ﷺ: «**أيها الناس، إن الذي تدعونه ليس بأصم**»[2].

**السادس**: لا يتكلف السجع؛ لقوله ﷺ: «**إياكم والسجع في الدعاء**»[3]؛ ولأن السجع يذهب الخضوع، فإن أتاه من غير تكلف، أو حفظه من دعاء غيره، فلا بأس بذلك؛ إذا حصلت النية.

**السابع**: التضرع والخشوع والرهبة؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:90].

---

(1) رواه الترمذي (5/ 556)، وأبو داود (2/ 78).

(2) رواه الترمذي (5/ 509)، وابن خزيمة (4/ 149).

(3) رواه ابن أبي حاتم في العلل (2/ 284)، والبيهقي في السنن (1/ 358).

الثامن: أن يقدم على دعائه ذكر الله ﷻ، والصلاة والسلام على النبي ﷺ، قال أبو سليمان الداراني: من أراد أن يسأل الله حاجته، ويختم بالصلاة على النبي ﷺ؛ فإن الله يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

السادس: أن يشرك أبويه، وسائر المسلمين؛ فإن الله سبحانه وتعالى أكرم من أن يتكرم الداعي على جميع المسلمين بالدعاء لهم، ولا يتكرم هو بالإجابة فيهم، وهو تعالى أكرم من أن يجيبه فيهم، ولا يجيبه في نفسه وحاجته.

العاشر: أن يجزم بالسعي، ويصدق رجاءه، قال ﷺ «**لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي، إن شئت بل يعزم المسألة؛ فإنه لا مكروه له**»[1].

الحادي عشر: أن يلح في الدعاء، وأن يكون ثلاثًا أو خمسًا، أو ما قدر عليه؛ فإن الله تعالى يحب الملحين في الدعاء، ولا في الإلحاح انكسار القلب وخشوعه وعمارته، بذكر الله تعالى وتعلقه به.

الثاني عشر: لا يستبطئ الإجابة؛ لقوله ﷺ «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول دعوت فلم يستجب لي**»[2].

الثالث عشر: ألا يدعو فيما يكره الله ﷻ، ولا فيما يؤدي إلى ذلك، والمقت في هذا الدعاء لقرب من الإجابة، وإن أجيب في مثل ذلك فلا يظن لها إجابة؛ بل إنه إنما كان له يزداد إثمًا.

الرابع عشر: وهو الأصل أيضًا في قبول الدعاء، وسرعة إجابته؛ وذلك: التوبة من كل ذنب، والإقلاع من كل معصية، والإقبال على الله؛ لكنة الهمة فذلك هو السبب القريب في الإجابة، انتهى.

وقال سيدي عطاء قدس الله سرّه: للدعاء أركان وأجنحة وأوقات وأسباب؛ فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته ارتفع، وإن وافق أوقاته طار، وإن وافق أسبابه نجح؛ وأركانه: حضور القلب مع الله، والخشوع لله، والحياء، ورجاء كرم الله؛ وأجنحته: الصدق وأكل الحلال، وأوقاته: أوقات الفراغ والخلوة كالأسحار؛ وأسبابه: الصلاة على

---

(1) رواه البخاري (5/ 2335)، ومسلم (4/ 2063).

(2) رواه البخاري (5/ 2335)، ومسلم (4/ 2095).

النبي ﷺ، انتهى.

وقيل: مر موسى - عليه وعلى نبينا وسائر إخوانهما الصلاة والسلام- برجلٍ يدعو ويتضرع، فقال موسى ﷺ: «إلهي لو كانت حاجته بيدي قضيتها، فأوحى الله إليه: أنا أرحم به منك؛ ولكن يدعوني وله غنم وقلبه عند غنمه، وإني لا أستجيب لعبد يدعوني وقلبه عند غيري» فذكر موسى ﷺ للرجل ذلك؛ فانقطع إلى الله، فقضيت حاجته.

ويحكى أن: سيدنا إبراهيم بن أدهم ﷺ مر بسوق البصرة، فاجتمع إليه الناس، وقالوا: يا أبا إسحاق، ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء: **الأول**: عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، **والثاني**: زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته، **والثالث**: قرأتم القرآن فلم تعملوا به، **والرابع**: أكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، **والخامس**: قلتم إن الشيطان عدوكم ووافقتموه، **والسادس**: قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها، **والسابع**: قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها، **والثامن**: قلتم الموت حق ولم تستعدوا له، **والتاسع**: انتبهتم من النوم، فانشغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم، **والعاشر**: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

وقيل للإمام جعفر الصادق ﷺ: ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال: لأنكم تتبعون من لا تعرفون، ونقل القرطبي: أن من اللازم على الداعي أن يعلم أنه لا يقدر على تحصيل مطلوبه إلا بالله، وأفتى العز بن عبد السلام - عليه رحمه الملك السلام- بأن من قال: لا حاجة لنا إلى الدعاء، بناء على أن ما سبق به القضاء والقدر كائن؛ فقد كذب وعصى، ويلزمه ألا يأكل إذا جاع، ولا يشرب إذا عطش، بناء على ذلك، ولا يقول بهذا مسلم، ولا عاقل، انتهى.

وينبغي أن يكثر من الدعاء في الرخاء؛ لما في الخبر عن سيد البشر ﷺ: **«تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»**[1] أي: فإن العبد إذا راعى حقوق ربه، وأكثر من التضرع إليه في الرخاء تعرف إليه سبحانه وتعالى إذا نزلت به شدة يكشفها، وعن سليمان الفارسي رضي الله تعالى عنه: إذا كان العبد دعا في السراء فنزلت به ضر، فدعا الله تعالى قالت الملائكة: صوت معروف؛ فيشفعون له، وإذا كان العبد ليس له دعاء في السراء، فنزلت به

(1) رواه أحمد في المسند (1/ 307)، والطبراني في الكبير (11/ 123).

ضراء فدعا الله تعالى قالت الملائكة: صوت ليس بمعروف، فلا يشفعون له، انتهى.

ويلزم الداعي أن يراعي الأوقات والأحوال، قال القشيري ﷺ ناقلاً عن سيدي أبي علي الدقاق ﷺ أنه قال: الأوقات مختلفة ففي بعض الأحوال: الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب، وفي بعض الأحوال: السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب، وإنما يعرف في الوقت؛ لأن علم الوقت يحصل في الوقت، فإذا وجد العبد في قلبه إشارة إلى الدعاء؛ فالدعاء له أولى، وإذا وجد إشارة إلى السكوت، فالسكوت له أتم.

ويصح أن يقال: ينبغي للعبد ألا يكون ساهيًا عن شهود ربه في حال دعائه؛ ثم يجب أن يرعى حاله، فإن وجد من الدعاء زيادة بسط في وقته؛ فالدعاء له أولى، وإن عاد إلى قلبه في وقت الدعاء شبه زجر؛ مثل قبض، والأولى: ترك الدعاء في هذا الوقت، وإن لم يجد في قلبه لا زيادة بسط، ولا حصول زجر فالدعاء هنا وتركه هاهنا سيان؛ فإن كان الغالب عليه في هذا الوقت العلم فالدعاء أولى؛ لكونه عباده، وإن كان الغالب عليه في هذا الوقت المعرفة والحال؛ فالسكوت أولى، ويصح أيضًا أن يقال: ما كان للمسلمين فيه نصيب، أو للحق سبحانه فيه حق، فالدعاء أولى، وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم، انتهى.

وهل الدعاء أفضل من السكوت تحت مجاري الأقدار، والصبر، والرضا أم السكوت؛ فمن قائل بالأول، ومن قائل بالثاني، والتفصيل أجمل بحسب القوابل والبواعث، وخلق القوة والضعف عن التحمل، والذي عليه عند المحققين المعول الأول؛ لأن في الثاني مقاومه القهر الرباني، وهو ينشأ عن هوس نفساني.

قال سيدي محيي الدين – قدس الله سرّه– في «العبادلة»: من علم حقيقته لم يصبر، وسارع بالدعاء إلى الله ﷻ في كشف الضر الذي مسه عنه، فذلك يثق العلماء بالله وبأنفسهم؛ فمن عامل الله بما تعطيه حقيقة العبودية، فقد وفى الأدب حقه، ومن تحقق بعجزه سخر الله له من ليس بعاجز؛ ليقوم بمصالحة كائنة ما كانت ممن سوى الله؛ فإن الله لا يكون مسخرًا لعباده، بل هو سبحانه المسخر له من شاء من خلقه، وقد جاء في القرآن من ذلك آيات كثيرة معلومة عند من يقرأ القرآن، انتهى.

وقال فيه أيضًا رحمه الله تعالى: من أسلم وجهه إلى الله فقد سلم من الأخذ والبطش

به؛ فإن أمن مع استسلامه، فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وكان الله سميعًا دعائه عليمًا بحاله؛ فليس إلا حالة الاضطرار، فمن وقف لم يزل مضطرًا، ومن اضطر دعا، ومن دعا اضطرارًا أخلص، ومن أخلص في دعائه أجيب، وقال فيه: أي عبد عين إلى الله حاجة بعينها، فقضاها له زالت عبوديته إلى الله وفقره إليه؛ من حيث تلك الحاجة، وهذا مقام خطر، وفيه قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس:12] بخلاف ما إذا كان دعاؤه مطلقًا، ومرادًا به إظهار ذل العبودية فهذا، ولو قضيت حوائجه لا تزول عبوديته؛ لتعلق دعائه بمطلق الابتهال والتضرع للكبير المتعال وأنشد بعضهم:

أتشكو إليه ما ليس يخفى عليه ... فقلت ربي يرضى ذل العبيد لديه

عكف بقلبه على حضرات ربه ... فلا يبرح عن بابه

عبودية محضة أورثته كآبة غير معلق آماله بحصول قرب وإجابة.

قال سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سرّه: قفوا بقلوبكم على بابه سبحانه وسلوه، ولا تبرحوا إن أجابكم أو لم يجبكم، ولا تتهموه في فعله بكم؛ فقد يكون منعه للإجابة في حق هذا العبد السالك القاصد؛ كالفخ يجيبه حتى يصل إليه، فإذا وصل إليه قيده عنده ثم يكون بعد ذلك ما يكون من ألطافه وصلاته، انتهى.

فرُبَّ منع هو عين العطاء، ورُبَّ سرٍ هو كشف الغطاء، ورُبَّ جفاء ما به صفاء، صفاؤه ضفاء، وأنشد:

الذائق في الخفاء شرابًا ... قد قمنا لقول لقلبي

حين آن من الخفاء وأضحى ... من الهجران وهو معذب

أيا قلب لا يجزع لطول تجنب ... فإعراضه عنك التفات محجب

وربما يكون منع الإجابة ليدوم ... الممنوع على أبواب الطلب

لمحبة الحق سبحانه وتعالى ... سماع ندائه في الرغب والرهب

قال سيدي عبد القادر قدس الله سرّه: دوام البلاء خاص بأهل الولاية الكبرى؛ ليكونوا عاكفين على مناجاته؛ أي: لأنهم خواص حضراته، وكان ﷺ يقول: لا يصلح لمجالسة الحق إلا المتطهر من دنس الزلات، ولا تفتح أبوابه تعالى إلا لمن خلا عن

الـرعونات؛ أي: فإذا خلا العبد وتطهر بمدد العنايات، ولحظته عيون الرعايات فتحت له أبواب المسرات، واستجيب منه الدعوات.

وأما ما ورد في فضل فضله والتحريض عليه وشرب نهله فكثير جدًا، لا تضبطه عدًا وحدًا، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 186] وقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55] إلى غير ذلك.

ومن الأحاديث النبوية قوله ﷺ: «**إن الدعاء هو العبادة**»[1]، وفي رواية: «**الدعاء مخ العبادة**»[2].

وعنه ﷺ: «**ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**»[3].

وعنه ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**»[4].

وعنه ﷺ: «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام**»[5].

وعنه ﷺ: «**سلوا الله من فضله؛ فإنه يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج**»[6].

وعنه ﷺ: «**لا يخطه من الدعاء إحدى ثلاث: إما ذنب يغفر له، وإما خير يعجل، وإما يدخر له**»[7].

وروى الحاكم في «المستدرك» من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه، فيقول عبدي: إني أمرتك أن**

---

(1) رواه أبو داود (2/ 76)، والترمذي (5/ 211).

(2) رواه الترمذي (5/ 456)، وأبو نعيم في الحلية (9/ 323).

(3) رواه أحمد في المسند (2/ 362)، والحاكم في المستدرك (1/ 666).

(4) رواه أحمد في المسند (2/ 177)، والترمذي (5/ 517).

(5) رواه الطبراني في الأوسط (3/ 355)، والبيهقي في الشعب (6/ 429).

(6) رواه الترمذي (5/ 565)، والبيهقي في الشعب (2/ 43).

(7) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (2/ 283).

تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك، فهل كنت تدعوني بدعوة إلا استجبت لك، أليس دعوتني يوم كذا وكذا لغمٍّ نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: إني عجلتها لك في الدنيا، ودعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجًا؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: إني ادخرت لك بها الجنة كذا وكذا، ودعوتني يوم كذا وكذا في حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: إني ادخرت لك بها الجنة كذا وكذا»، قال رسول الله ﷺ: «فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل له في الدنيا، وإما أن يكون ادخر له في الآخرة، فيقول المؤمن في ذلك المقام: يا ليته لم يكن عجل له شيئًا من دعائه»[1].

فالدعاء حقٌّ لله تعالى؛ فإن لم يستجب للعبد في الدنيا، ولم يصل إلى حفظ نفسه فلقد قام بحق ربه؛ لأن الدعاء إظهار فاقة العبودية.

قال بعض العلماء في معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: 77] معناه: ما خلقتكم ولي إليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعطيكم، وتستغفروني فأغفر لكم، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: 62] قال المفسرون: المضطر المكروب المجهود، والسوء: الضر.

وقال قتادة والضحاك ومقاتل في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: 7، 8] فإذا فرغت من الصلاة فانصب إلى ربك بالدعاء، وارغب في المسألة، وفي بعض الكتب المنزلة: يا عبدي إذا سألت فاسألني فإني غني، وإذا طلبت النصرة فاطلبها مني فإني قوي، وإذا أفشيت سرك فأفشه عليَّ فإني وفي، وإذا اقترضت فاستقرضني فإني مليء، وإذا دعوت فادعني فإني حفي.

وعنه ﷺ يقول الله ﷻ: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني»[2].

وفي بعض الكتب الإلهية يقول الله تعالى: «يا ابن آدم، اذكرني بالدعاء أذكرك بالعطاء، اذكرني بالسؤال أذكرك بالنوال».

وقال أمير المؤمنين سيدي عمر بن الخطاب ﷺ: «إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك (1/ 671)، والبيهقي في الشعب (2/ 49).

(2) رواه البخاري (6/ 2696)، ومسلم (4/ 2061).

هم الدعاء فإذا أهمت علمت أن الإجابة معه»، وعما يعزي إنشاده للصديق الأكبر والرفيق الأفخم ﷺ وهو:

لو لم تسرم نيل ما أرجو واطلبه    من جود كفيك ما علمتني الطلبا

وقال الكتاني ﷺ: لن يفتح الله لسان العبد المؤمن بالمعذرة إلا ليفتح له باب المغفرة.

فإن قلت: هل الأفضل الجهر، ورفع الصوت بالدعاء أم الإسرار والمخافتة، قلنا: تقدم في كلام الغزالي أن خفض الصوت بين الجهر والإسرار هو الأولى؛ لما في الخبر عن سيد الأخيار، مع هذا فينبغي له أن يراعي خواطره، فإن رأى النفس مائلة للجهر عدل إلى الإسرار وبالعكس؛ سيما إن خاف على نفسه طروق الرياء، لكن إذا كان بين إخوانه فليس له إلا موافقتهم، لا موافقة حظ نفسه، فإن خافتوا خافتهم وإن جهروا فله، لكن لئلا يخالفهم فتقع النفرة في قلوبهم منه؛ فربما يتضرر منه بعض الحضار، فيؤذي في باطنه من جهته وهو لا يشعر، إذا الجمعية القلبية عليها المدار، ولا ينفرد عنهم بنغمة، بل يوافقهم ويعد ذلك نعمة؛ نص على هذا الأدب أهل الطريق منهم الإمام الشعراني ذو التحقيق.

وللجهر فوائد لا توجد في المخافتة منها: إيقاظ الوسنان، وإرضاء الرحمن، وطرد الجان عن الإنسان، وإغاظة الشيطان، وشهادة المكان، وتنبيه الجوارح، ونفي الكسل، وتعدي المدد إلى الجيران، وإظهار التذلل بين يدي الحنان المنان، وخرق الحجب الظلمانية المورثة للأحزان، وحرق بقايا الصعاب النفسانية المدينة من النيران.

قال الغزالي ﷺ: مثال ذكر الواحد وحده وذكر الجماعة؛ كمثل مؤذن واحد ومؤذنين جماعة، فكما أن أصوات المؤذنين جماعة يقطع جرم الهوى أكثر ما يقطعه صوت مؤذن، كذلك ذكر جماعة على قلب واحد أكثر تأثيرًا، وأشد قوة في رفع الحجب عن القلب من ذكر واحد وحده، وأيضًا فإنه يحصل لكل واحد ثواب ذكر نفسه، وثواب سماع الذكر من غيره، انتهى.

ويكره رفع الصوت بحيث يؤذي النائم، أو يشوش على المصلي، والمحدث ولو بالقرآن العظيم، وقال اللقاني - رحمه الله تعالى- في «شرحه الصغير» عند قوله: وعندنا أن الدعاء ينفع كما مر القرآن يسمع؛ يعني: أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الدعاء مطلوب شرعًا، وأنه ينفع الأحياء والأموات؛ فيقضي الله سبحانه وتعالى به الحاجات ويدفع به

البليات، ويكشف المهمات، ويعظم العطيات، ويرفع الدرجات لما سبق به من العلم والإرادة الأزليين من توقف ذلك عليه في الأزل.

وخالف المعتزلة التي على أن الدعاء لا ينفع بأن ما دعي به، إما أن يكون مما قدره الله تعالى وقضاه الله أولا، والأول: تخلفه محال، والثاني: غير حال بالعبد، فانتفت فائدته فصار عبثًا، ورد بأن القضاء المعلق جاز أن يكون رفعه مطلقًا على الدعاء، وكذلك نزوله والمبرم لسنا نعلم خصوص ما أبرم به، وتقدر المصادفة فالإتيان بالدعاء عبادة، وإن لم تنكشف به نقمة، ولم تنزل به نعمة والمدعي ترتب نفع عليه عاجلاً وآجلاً يخرجه عن العبثية؛ ثم قال: تتمات الأولى: عرف بعضهم الدعاء بأنه رفع الحاجات إلى رافع الدرجات، وبعضهم بأنه إظهار الفجر والمسكنة بلسان التضرع.

وقال السعد: إنه الطلب على سبيل التضرع، والأمر فيه سهل؛ إذ هو بديهي، وكل ذلك من باب التعريف اللفظي، ثم قال الرابعة: مذهب جمهور العلماء أن الكافر لا يستجاب له لقوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ [غافر:50] وقيل: يستجاب له، وكلام الفقهاء في باب الاستقاء يرجحه، الخامسة: يكون الدعاء بما عملت السلامة منه؛ لقوله ﷺ: «**اللهم أني أعوذ بك من المآثم والمغرم**»[1]؛ لأن الدعاء في نفسه عباده، ثم قال السابعة: حكم الدعاء الاستحباب، وقد يعرض له ما يوجبه أو يحرمه، ويصيره مكروهًا، وفي الأصل هناك العجب العجاب، انتهى.

وأما تحقيق معنى السؤال والإجابة، فقال الشيخ الحاتمي - قدس الله سرّه- وأجابه: والسائلون صنفان: صنف: بعثه على السؤال الاستعجال الطبيعي، فإن الإنسان خلق عجولاً والصنف الآخر: بعثه على السؤال؛ لما علم أنه ثمّ أمور عند الله قد سبق العلم بأنها لا تنال إلا بعد سؤال؛ فيقول: لعل ما نسأله سبحانه يكون من هذا القبيل، فسؤاله احتياط لما هو الأمر عليه من الإمكان، وهو لا يعلم ما في علم الله، ولا ما يعطيه استعداد في القبول؛ لأنه من أغمض المعلومات الوقوف في كل زمان على استعداد الشخص في ذلك الزمان، ولولا ما أعطاه الاستعداد للسؤال ما بال.

فغاية أهل الحضور الذين لا يعلمون مثل هذا أن يعلموه في الزمان الذي يكونون

---

(1) الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (10/ 430).

فيه، فإنهم لحضورهم يعلمون ما أعطاهم الحق في ذلك الزمان، وإنهم ما قبلوه إلا بالاستعداد، وهم صنفان: صنف: يعملون من قبولهم، وصنف: يعلمون من استعدادهم ما يقولونه، هذا أتم ما يكون في معرفة الاستعداد في هذا الصنف، ومن هذا الصنف من يسأل لا للاستعجال ولا للإمكان، وإنما يسأل امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: 60].

فهو العبد المحض، وليس لهذا الداعي همة فيما سأل الله فيه من معين، أو غير معين؛ وإنما همته في امتثال أوامر سيده، فإذا اقتضى الحال السؤال سأل عبودية، وإذا اقتضى التفويض والسكوت سكت؛ فقد ابتلي أيوب وغيره، وما سألوا رفع ما ابتلاهم الله تعالى به؛ ثم اقتضى لهم الحال في زمان آخر أن يسألوا رفع ذلك فرفعه الله عنهم، والتعجيل بالمسؤول فيه، والإبطاء للقدر المعين له عند الله؛ فإذا وافق السؤال الوقت أسرع الإجابة، وإذا تأخر الوقت إما في الدنيا وإما في الآخرة تأخرت الإجابة؛ أي: المسؤول فيه الإجابة التي هي لبيك، فافهم هذا.

**وأما القسم الثاني**: وهو قولنا ومنها: ما لا يكون عن سؤال؛ فالذي لا يكون عن سؤال فإنما أريد بالسؤال التلفظ به، فإنه في نفس الأمر لا بُدّ من سؤال إما باللفظ وإما بالحال أو بالاستعداد؛ كما أنه لا يصح حمد مطلق قط إلا في اللفظ، وأما في المعنى فلا بُدّ أن يقيد الحال؛ فالذي يبعثك على حمد الله تعالى هو التقييد باسم فعل، أو باسم تنزيه.

والاستعداد من العبد لا يشعر به صاحبه ويشعر بالحال؛ لأنه يعلم الباعث وهو الحال؛ فالاستعداد إذا خفي سؤال، وإنما يمنع هؤلاء من السؤال علمهم بأن الله فيهم سابقة قضائهم قد هيؤوا محلهم؛ لقبول ما يرد عليهم، وقد غابوا عن نفوسهم وأغراضهم، ومن هؤلاء من يعلم أن علم الله به في جميع أحواله هو ما كان عليه في حال ثبوت عينه قبل وجودها، ويعلم أن الحق لا يعطيه إلا ما أعطاه عينه من العلم به، وهو ما كان عليه في حال ثبوته؛ فيعلم هذا العبد علم الله به من أين حصل؟

وما ثمَّ صنف من أهل الله أعلى وأكشف من هذا الصنف؛ فهم الواقفون على سر القدر، وهم على قسمين: منهم: من يعلم ذلك مجملاً، ومنهم: من يعلمه مفصلاً، والذي يعلمه مفصلاً أعلى وأتم من الذي يعلمه مجملاً؛ فإنه يعلم ما في علم الله فيه إما بإعلام الله

إياه بما أعطاه عينه من العلم، وإما أن يكشف له عن عينه الثابتة، وانتقالات الأحوال إلى ما لا يتناهى وهو أعلى، فإنه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به؛ لأن الأخذ من معدن واحد، إلا أنه من جهة العبد عناية من الله سبقت له؛ هي من جملة أحوال عينه يعرفها صاحب هذا الكشف؛ إذا أطلعه الله على ذلك... إلخ.

وقال تلميذه الصدر القونوي - قدس الله سرّه- في «شرح الأسماء» عند الكلام على اسمه تعالى المجيب: اعلم أن الإجابة على نوعين: إجابة امتثال، وإجابة امتنان؛ **فالأول**: إجابة العبد أوامر الحق، وإجابة الخلق بعضهم بعضًا، **والثاني**: إجابة دعاء الخلق، وهو شبه إجابة الإنسان نفسه لما تدعوه، وليس بين دعاء نفس المد وإجابته إياها زمان، بل زمان الدعاء زمان الإجابة؛ كذلك قرب إجابة العبد هو كقرب العبد من إجابة نفسه، كما وصف الحق هذا القرب بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:16] فشبه قربه من العبد قرب العبد من نفسه.

ثم ما يدعو العبد إليه في حاجة مخصوصة فقد يفعل له ذلك وقد لا يفعل؛ لكن هذا في إجابة السؤال لا في إجابة الدعاء، وإذا الدعاء نحويًا الله لا بد فيه من إجابة الدعاء بلبيك من الحق في حق كل داعٍ.

ثم ما بعد هذا فهو خارج عن الدعاء، فتنويل ما بعد الدعاء والنداء من الحوائج؛ وهو ما قام في خاطره ودعا لأجله لم يضمن المجيب له ذلك إن شاء قضي، وإلا فلا بحسب قوة الرابطة وعدمها بين السائل والمجيب، وذلك أن الخلاف والوفاق في الدعاء والإجابة من علامة تصحيح النسخة الإلهية، فإن أجاب الحق سؤال عبده في مقابلة إجابة العبد أوامر ربه، فلو أجاب العبد ربه في كل ما أمره لأجاب الحق عبده في كل ما سأله، أو خطر له من تكوين أمر؛ فيظهر وقوع المخالفة والموافقة من الجانبين لا على صورته، وقد يكشف للشخص عن خواص الأحوال وللأسماء والأزمنة، وما يوجب قضاء حاجته، ولا يكشف له عن حقيقة خيريته، فيسأل فيعود وباله عليه إما في الدنيا وإما في الآخرة، فيكون ممن جني على نفسه؛ ولهذا كان أكابر الأولياء الذين ملكوا الأحوال، وكشف لهم عن خفايا الأسرار لا يرى عليهم أثر المكانة والقرب والإجابة، بل لا فرق بينهم وبين العوام في الظاهر؛ لما يشهدون ما في الإجابة من المكر والاستدراج، والذين ملكتهم الأحوال هم

خرق العوائد ونفي الفوائد.

وذلك بآفاته؛ أي: مصحوبًا بها وأدنى ما فيه أن يذوق في كل طعم نفسه، وصاحب هذا الذوق لا يفلح أبدًا، انتهى.

وأسرع ما تكون الإجابة عند الاضطرار، قال الله تعالى ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:62] والاضطرار حالة يخلقها الله تعالى فيمن يريد إجابة دعاءه، وتوافق حقائقه بأن تسعى معه في مسعاه، وأما من طلب النجاة من الغرق، وحقائقه سألت ذلك كان الغرق مداد الله لا النجاة، فأجيبت لما هنالك؛ فمهما دعا الداعي بالاضطرار ناب اضطراره مناب الاسم الأعظم؛ إذ هذا مخصوص بالخواص، وذاك بالعوام أولي الأشخاص، ولهذا لما سئل أبو يزيد – قدس الله سره- عن الاسم الأعظم، قال للسائل: أصدق؛ أي: في الاضطرار وخذ أي اسم شئت، والمضطر كما قاله بعض النبلاء: من إذا رفع إلى الله تعالى يده لم ير لنفسه عملاً؛ أي: لأن وصف الاضطرار يدهشه عن مناهل الأفكار، فلم يبق عنده شعورًا، بل يمنحه استغراقًا عنه، ومع المطلوب حضورًا.

واعلم أن الإجابة على أقسام: إجابة الحق نفسه بنفسه كما في قوله عند إفنائه لخلقه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:16] ثم أجابته نفسه لنفسه لله الواحد القهار، وإجابة العبد نفسه بنفسه في حال جر؛ لأنه في ميدان حدسه، وإجابة الحق عبده حال السؤال، وإجابته لربه على كل حال، وإجابة العبد مثله، وإجابة مثله له؛ كإجابة بعض العوام لبعض، وهي قسمان: اختيارية واضطرارية، فالأولى: كمن تجيبه الأرواح العلوية طائفة لا به ولع قهرية، والثانية: كمن تجيبه لا عن اختيار، بل إجابة قهرية جذبية مغناطيسية.

وإجابة الحق على قسمين: عامة وخاصة فقد يسأل العبد ربه بنفسه، فلا يجيبه؛ بل تقع الإجابة لحقائقه في الفائدة بطهارته وقدسه، وقد تكون عامة شاملة تامة كاملة، وفي الغالب لا تعيق إلا النفس الأبية عن بلوغ الطالب، فلو صدقت في الإجابة والإنابة؛ لأصابه الإجابة والإثابة، وليس في عوالم الإنسان من يتقاعس عن الانقياد إلا هي؛ لاشتغالها بالملاهي الموقعة لها في الدواهي، وبقيت عوالمه ورقائقه سامعة طائفة كحقائقه، فإن جاهد فيها صاحبها حتى تستسلم، وتنيب، وتخضع، وتذل، وتجيب ارتقت منبر التقريب، وإلا هبطت من درج الترحيب والترجيب، وأدرجت في درج التأديب

والتعذيب.

ومن علامة الإجابة في الدعاء: انسكاب الدموع، وحصول الخشوع والخضوع، واقشعرار الجلد، والفتح في الدعاء المرفوع، وأن لا يضجر ولا يستبطئ الإجابة، ويقنع بأنه مجد في عمل مشروع، قيل في قوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا﴾ [يونس:89] كان بين قوله تعالى: ﴿أُجِيبَت﴾ وهلاك فرعون أربعون سنة، قال سيدي أبو الحسن الحسني الشاذلي: والحال والمقام السني في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ أي: على عدم استعجال ما طلبتما، ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هم الذين يستعجلون الإجابة، انتهى.

وفي الأمثال من أدمن قرع باب يوشك أن يفتح له، وفي معناه أنشد:

وأخلق بذي السير أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وأنشد:

إِنِّي رَأَيْتُ وفي الأَيَّامِ تَجْرِبَةً ... للصَّبْرِ عاقِبَةٌ مَحْمُودَةُ الأَثَرِ

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ في أَمْرٍ يُطالِبُهُ ... فاستَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فازَ بالظَّفَرِ

ثم بعد ملاحظته ما تقدم من الآداب، فليتوجه التالي إلى الله تعالى المناح الفتاح الوهاب، ويستأذن الحق سبحانه وتعالى في دخول حضرة مناجاته ربه، ولسانه يستأذن الباب الأعظم سيد العالم، وعين أعيانه بقوله: دستور يا رسول الله؛ مستأذنًا له ﷺ في استئذان الحق جل جلاله في دخول حضرة المناجاة.

ثم بعد أن يستأذن الحق سبحانه الذي هو بالأدب أحق يشرع مستعيذًا بالله من شر الشيطان، قائلاً: أعوذ بالله؛ أي: ألتجئ واعتصم بالله لا بغيره، فإنه العياذ والملاذ، قال في «القاموس»: العَوْذُ الالتجاء، كالعِياذِ والمَعاذِ والمَعاذَةِ والتَّعَوُّذِ والاسْتِعاذَةِ، وبالضم الحديثاتُ النتاج من الظِّباء وكُلِّ أُنْثَى، كالعُوذاني، جَمْعًا عائِذٍ، وقد عاذَتْ عِياذًا، وأعاذَتْ وأعْوَذَتْ، وهي مُعِيذٌ ومُعْوِذٌ، وبالهاءِ الرُّقْيَةُ، كالمَعاذَةِ والتَّعْوِيذِ، والعَوَذُ بالتحريك المَلْجأُ، كالمَعاذِ والعِياذِ.

ثم قال: ومعاذ الله؛ أي: أعوذ بالله معاذًا، وكذا معاذة الله والمعوذتان بكسر الواو سورتان، وعوذ بالله وعوذًا؛ أي: أعوذ...إلخ، والتعوذ سنة في الصلاة عندنا، ومستحب

عند الشافعية فيها، والقارئ خارج الصلاة إجماعًا، وهل يأتي به في أول ركعة منها فقط أم في كل ركعة؟ خلف والمختار عندنا وعندهم أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، واختار في «الهداية» أن يقول: أستعيذ بالله لموافقة الآية من الشيطان؛ أي: من شره وغدره ومكره، وهو اسم لكل عاتٍ متمرد من إنس وجن أو دابة كذا في «القاموس»، وقال في «المصباح»: وفي الشيطان قولان: أحدهما: إنه من شطن إذا بعد عن الحق، أو عن رحمة الله، فتكون أصلية ووزنه فيعال، وكل عاتٍ متمرد من الإنس والجن والدواب، فهو شيطان ووصف أعرابي فرسه، فقال: كأنه شيطان في أشطان، والقول الثاني: إن الياء أصلية والنون زائدة عكس الأول، وهو من شاط يشيط؛ إذا بطل واحترق، فوزنه فعلان.

وقال الشنواني في حاشيته على «الأزهرية»: قال ابن عطية: يرد على من قال: إنه مشتق من شاط: إن سيبويه نقل عن العرب تشيطن؛ إذا فعل فِعل الشيطان، فلو كان كما قالوا لقيل تشيط، انتهى.

وقال القاضي رحمه تعالى: وجعل سيبويه نونه تارة أصلية على أنه من شطن إذا بعد فإنه بعيد عن الصلاح ويريد له قولهم تشيطن وأخرى زائدة على أنه من شاط إذا بطل لأن من أسمائه الباطل، انتهى.

وقال الحاتمي- قدس الله سره- في كتابه «الشجون المسجون»: الشيطان اسم مشتق من شاط يشوط شوطًا في الأرض وهو سرعة السير، وهو في الإنسان كناية عن الخاطر الذي لا يستقر به الفؤاد بل يشوط دائمًا في الأرض بل يهيم في كل واد، انتهى.

وفي الباب التاسع من «مختصر الفتوحات» للإمام الشعراني ﷺ: وأول من سمي من الجن شيطانًا أول من عصا، وهو الحارث فأبلسه الله؛ أي: طرده عن رحمته ومنه تفرعت الشياطين بأجمعها، فمن أمن منهم مثل هامة بن الهام بن لاقيس بن إبليس التحق بالمؤمنين ومن بقي منهم على كفره كان شيطانًا، وقد اختلف العلماء في الشيطان هل يصح أن يسلم كما يسلم الكافر عندنا، وعني الخلاف على ضبط ميم فأسلم فإن بعضهم ضبطها بالضم، وبعضهم بالفتح[1].

ثم قال: وأكثر الناس عني أن إبليس أول الجن وليس كذلك بل هو واحد من

---

(1) انظر: «مختصر الفتوحات المكية» للعارف بالله الإمام الشعراني (1/ 75). بتحقيقنا.

الجان، وليس باب لهم إنما أبوهم شخص غيره ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف:50] أي: من هذا الوصف الصنف المخلوقين الأشقياء كما كان قابيل من البشر، وكتبه الله شقيًا فهو أول الأشقياء من البشر، وإبليس أول الأشقياء من الجن، وقال الجيلي رحمه الله تعالى: وكان اسم إبليس عزرائيل، وكان قد عبد الله كذا كذا ألف سنة، وقال له: لا تعبد غيري فلما أمره الله بالسجود لآدم التبس عليه الأمر وظن أنه أن سجد لآدم كان عابدًا لغير الله تعالى وما علم أن من سجد بأمر الله كان سجوده لله فلهذا امتنع، وما سمي بإبليس إلا لهذه النكتة، وقيل: إن إبليس لما لعن هام وهاج من شدة الفرح لما ملأ العالم بنفسه، فقيل له: أتصنع هكذا وقد طردت عن الحضرة؟ فقال: هي خلعة أفردني الحبيب بها لا يلبسها ملك مقرب ولا نبي مرسل، انتهى مختصرًا من «الإنسان الكامل».

وقد ألف الشيخ مرعي الحنبلي رسالة سماها «رفع التلبيس عمن توقف فيما كفر به إبليس» ورفع الإشكال بستة أجوبة محكمة التأسيس وسببها أن جماعة من الفضلاء قالوا: نؤمن بكفره ولا نعلم السبب الذي كفر به التعيس، وهو لعنه الله تعالى يرق مع السالك ولا ينقطع وإن ارتقى عن مقعر فلك القمر، فإن تسوله عنه غير منقطع، قال في «الواقع الأسرار»: قال شيخنا - يعني الخاتمي- ذو الأنوار: وذهب بعض أصحابنا إلى أن السالكين إذا ارتقوا بنفوسهم وهم إلى السماوات والكرسي والعرش أنهم قد خرجوا عن الموطن الذي هو مقعر فلك القمر، وأن كل ما يشاهدون حق، وقد وقع القائلون بهذا في الغلط وإنما كان هذا يصح أن لو كانوا بأجسامهم فوق السماء لا بنفوسهم فقط، وإبليس لعنه الله تعالى عالم بروحانيات الأفلاك، وما تعطيه من الآثار عندما ما تنزل الآثار، وتصعد الرقائق فيعلم بتلك العلامات وبآثار الروحانيات في أي موطن هذا السالك فيظهر له من عالم الخيال صورة لك الموطن، ومثاله فيقع الملبس إلا لمن حفظه الله تعالى وأيده ونصره والسلام، انتهى.

ومن السائلين من تحرق أنفاسه الشيطان فلا يمكنه أن يدنو منه بها، ولا مما حل به من مكان كما وقع لبعض المكاشفين من أهل العيان أنه رآه على باب زاوية متحسرًا لهفان فسأله عن وقوفه فأخبره أن بعض الناس يصلي وعنده راقد غفلان، وأن أنفاس النائم

تمنعه من إفساد صلاة اليقظان، ورئي على أبواب مصر فسئل: لم لم تدخل بين البنيان؟ فقال: أنفاس أبي السعود تمنعني من الدخول للعمران، ومنهم من نظره يذيبه، وسهم جنته يذهبه إذ يصيبه، ومنهم من صوته يقمعه حين يسمعه، ومنهم من يصرعه قلب إذا منه دنا، ويقال فيه صريع الإنس لشر فيه تمكنا.

والأقوياء من أهل السلوك السافر لا يظهر عليهم شيء من هذا الحال الوافر بل يدنو منهم فلا يذوب ويلقي إليهم علومًا ما دعا بكدره مشوب، ويظهر لهم أنها إلهية عرشية سماوية، فيسخرون منه سرًّا ويفهمونه أن سرهم بما ألقاه سر، ثم يعلمونه أنهم فهموا دسائسه وانتقوا منها ما وافق ورموا في وجهه خسائسه، فيتمزق أسفًا وحسدًا ويحترق نفسًا وجسدًا، ويدنو لهم بمجاهدته الأجر ويتضاعف عليهم الفضل بالترك له والطرد والهجر، وهذا حال أرباب المقامات لا الأحوال، ويجعل الله تعالى لهم علامات يدركونها فيه لا يمكنه أن يخرج عنها، ولا يستطيع المكاشف أن يعبر عن هاتيك بغيه، فأرباب الأحوال للضعف عن مقاومته يحرقونه، وأهل المقامات للقوة الإلهية يقربونه ثم يمزقونه، قال سيدي داود بن باخلا ﷺ: لن تستطيع أن تسلم من الشيطان الملصق بذات وجودك الملتقم إذ إن قلبك الجاري منك مجرى الدم إلا برجوعك إلى من هو أقرب إليك منه وهو الله تعالى.

وكان يقول: ابن آدم ذو عوالم ثلاث: عالم إنساني، وعالم شيطاني، وعالم روحاني، فله من حيث المعنى الطيني الجهل والنسيان، ومن حيث الريح الشيطاني التكذيب والكفران والجحود والطغيان، ومن حيث الوصف الروحاني التصديق والإذعان ثم اليقين والعرفان ثم الشهود والعيان، وكان يقول: القلوب ثلاثة: قلب أرضي فالشيطان يأوي إليه وربما استحوذ بالإغواء عليه، وقلب سماوي فهو يلقي إليه ويسترق السمع من نواحيه فهو ينال من سماع أخباره وربما رجم بشهاب أنواره، وقلب عرشي فهو به لا يدانيه، انتهى.

أي: لا يدانيه بالغواية ولا يصل إليه آذاه لتدلي حجاب الرعاية والحماية الرجيم فعيل: بمعنى مفعول؛ أي: مرجوم بالأنوار المحرقة وهو المطرود عن رحمة الله، أو هو فعيل بمعنى فاعل، أي: راجم لغيره بأحجار الغواية قال الشيخ- قدس الله سرّه- في

«فتوحاته» في كتاب «الصلاة»: فإذا فرغ الإنسان من التوجيه فليقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هذا نص القرآن، وقد ورد في السنة الصحيحة: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم**» قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98].

فالعارف إذا تعوذ ينظر في الحال الذي أوجب له التعوّذ، وينظر في حقيقة ما يتعوّذ به، وينظر في ما ينبغي أن يعاذ به فيتعوّذ بحسب ذلك فمن غلب عليه في حاله أن كل شيء يستعاذ منه بيد سيده، وإن كل ما يستعاذ به بيد سيده، وإنه في نفسه عبد محل التصريف والتقليب فعاذ من سيده بسيده، وهو قوله ﷺ: «**وأعوذ بك منك**»[1] وهذه استعاذة التوحيد فيستعيذ به من الاتحاد، قال الله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 49].

وقال كذلك: ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35]، وقال: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نازعني واحدًا منهما قصمته**»[2]، ومن نزل عن هذه الدرجة في الاستعاذة استعاذ مما لا يلائم بما يلائم فعلاً كان أو صفة هذه قضية كلية، والحال يعين القضايا والحكم يكون بحسبها ورد في الخبر: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**»[3] أي: بما يرضيك مما يسخطك فقد خرج العبد هنا عن حظ نفسه بإقامة حرمة محبوبه، فهذا لله ثم الذي لنفسه من هذا الباب قوله: «وبمعافاتك من عقوبتك» فهذا في حظ نفسه، وأي المرتبتين أعلى في ذلك نظر فمن نظر إلى ما يقتضيه جلال الله من أنه لا يبلغ ممكن أي ليس في حقيقة الممكن قبول ما ينبغي لجلال الله من التعظيم، وإن ذلك محال في نفس الأمر لم ير إلا أن يكون في حظ نفسه فإن ذلك عائد عليه ومن نظر في قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

قال ما يلزمني من حق ربي إلا ما تبلغه قوّتي فأنا لا أعمل إلا في حق ربي لا في حق نفسي فشرع الشارع الاستعاذتين في هذين الشخصين، ومن رأى إن وجوده هو وجود

---

(1) رواه مسلم (1/ 352)، وابن خزيمة (1/ 329).

(2) رواه أحمد (20/ 129)، وابن ماجه (12/ 365).

(3) رواه مسلم (2/ 51)، ومالك (2/ 229).

ربه إذ لم يكن له من حيث هو وجود، قال: أعوذ بك منك، وهي المرتبة الثالثة وثبت في هذه المرتبة عين العبد فالقارئ للقرآن إذا تعوّذ عند قراءة القرآن علمه المكلف، وهو الله تعالى كيف يستعيذ وبمن يستعيذ وممن يستعيذ فقال له: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:98]، فأعطاه الاسم الجامع، وذكر له القرآن وما خص آية من آية لذلك لم يخص اسمًا من اسم بل أتى بالاسم الله فالقارئ ينظر في حقيقة ما يقرأ وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ منه في تلك الآية، فيذكره في استعاذته وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ به من أسماء الله أيّ اسم كان فيعينه بالذكر في استعاذته، ولما كان قارئ القرآن جليس الله من كون القرآن ذكرًا والذاكر جليس الله ثم زاد إنه في الصلاة حال مناجاة الله فهو أيضًا في حال قرب على قرب كنور على نور كان الأولى أن يستعيذ هنا بالله، وتكون استعاذته من الشيطان؛ لأنه البعيد يقال: بئر شطون إذا كانت بعيدة القعر والبعد يقابل القرب فتكون استعاذته في حال قربه مما يبعده عن تلك الحالة فلم يكن أولى من اسم الشيطان ثم نعته بالرجيم وهو فعيل فأمّا بمعنى المفعول فيكون معناه من الشيطان المرجوم يعني بالشهب، وهي الأنوار المحرقة قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ يعني: الكواكب ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:5]، والصلاة نور ورحمة الله بالأنوار فكانت الصلاة مما تعطي بعد الشيطان قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:45]، بسبب ما وصفت من الإحرام، وإن كان بمعنى الفاعل فهو لما يرجم به قلب العبد من الخواطر المذمومة، واللمات السيئة والوسوسة، ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا قام يصلي من الليل فإذا كبّر تكبيرة الإحرام قال: «**الله أكبر كبيرًا الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثلاثًا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه**»[1] **قال ابن عباس: همزه بالوسوسة في الصلاة، ونفثه الشعر، ونفخه الذي يلقيه من الشبهة في الصلاة يعني السهو، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إن سجود السهو ترغيم للشيطان»**[2] فوجب على المصلي أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم بخالص من

(1) رواه البيهقي (2/ 35)، والطبراني في «الكبير» (2/ 134).

(2) رواه بنحوه مالك (1/ 287)، والبيهقي (2/ 331).

قلبه يطلب بذلك عصمة ربه، ولما لم يعرف المصلي بما يأتيه الشيطان من الخواطر السيئة في صلاته والوسوسة لم يتمكن أن يعين له ما يدفعها به فجاء بالاسم الله الجامع لمعاني الأسماء إذ كان في قوة هذا الاسم حقيقة كل اسم دافع في مقابلة كل خاطر ينبغي أن يدفع، انتهى.

ولقد قال لي الشيخ قاسم بن سعيد المغربي رحمه الله تعالى: لي منذ علقت، وأنا أستعيذ بالله من الشيطان، ولم أفهم ما أشار إليه الشيخ ﷺ حتى وقفت على شرحه هنا ثم يقرأ التالي البسملة، وقد مرّ الكلام عليها ثم يقرأ الفاتحة مرة سميت بذلك؛ لأنها تفتح بها الصلاة والتلاوة والكتابة، ولأن القرآن افتتح بها، وذكر المصنف هذا الاسم فقال: إلا أن تكون فاتحة لما بينهم ويغلق على تالي الورد فإنها كما قيل تفتح ما أغلق من الأمور إذا قرئت على مريض فتحت عليه ما أغمد من المريض، وقيل: تفتح لتاليها أبواب الجنة، وقيل: أبواب الرحمة.

وقال الفاضل الشريف: فاتحة الكتاب صار علمًا بالغلبة للسورة والأصح أن أسماء السور موضوعة لتلك الألفاظ المقررة، فيكون واحدًا بالنوع كما في التلويح وشرح المقاصد، ذكر الخفاجي ثم قال: أقول والذي عليه المعول في أسماء السور وأسماء الكتب والعلوم ونحوها أنها أعلام شخصية لتلك الألفاظ المخصوصة لا للصور الذهنية ولا للنقوش ولا للمركب منها، وهي تغدو في العرف شيئًا واحدًا مشخصًا واختلاف اللافظ كتعدد أمكنة زيد لا يغير تشخصه؛ لأنها غير معتبرة فيه، ومما يشهد له شهادة يزكيها الاستقراء تسميتها كـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1]، ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:1]، ومثله مشهور معروف كتأبط شرًا وبرق نحره، وهذا دون اسم الجنس فإنه وإن لم يكن مفقودًا فيها نادر ..إلخ.

ومن أسمائها الكافية؛ لأنها تكفي قارئها عن سواها، ولا يكفي سواها عنها، وأنها تكفي تاليها ما يضره وتسمى سورة محمد؛ لأنه ذكر فيها وتسمى بالسبع المثاني لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر:87]، وهي سبع آيات باتفاق، وقيل: لأنها مقسومة بين الله وعبده، أو لأنها أنزلت مرتين بمكة والمدينة، أو لأنها احتوت على فصلين ثناء ودعاء، أو لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة وعنه ﷺ:

«الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني التي أوتيت والقرآن العظيم»[1] رواه البخاري وأبو داود عن أبي سعيد بن المعلى، وفي رواية: «السبع المثاني فاتحة الكتاب»[2] رواه الحاكم عن أبي، وعن عبد خير: «سئل علي ﷺ عن السبع المثاني، فقال: الحمد لله رب العالمين، فقيل له: إنما هي ست آيات، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم آية»[3] رواه الدارقطني والبيهقي وابن بشران في «أماليه».

وعنه ﷺ أنه كان: «إذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، وكان يقول من ترك قرأتها فقد نقص، وكان يقول: هي من تمام السبع المثاني»[4] رواه الثعلبي، كذا في «منتخب كنز العمال» ومن أسمائها الصلاة لقوله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»[5] وقيل: القراءة اسم للصلاة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء:110] أي: بقرآنك، وتسمى بأم القرآن وأم الكتاب؛ لأن القرآن يبدأ منها كقولهم مكة أم القرى، ولتقدمها في المصحف، وقال الجوهري: أم الشيء: أصله، ومكة أم القرى، واللوح أم الكتاب، وأم الدماغ التي تجمع الرأس، وأم الكتاب لأنها جامعة لأسرار الكتاب، ومن أسمائها سورة الكنز لاشتمالها على مقاصد القرآن وجملة معانيه التي هي كالجواهر النفيسة المكنونة؛ لأنها ذخر المعاد والسعادة الأبدية فتشفي وتكفي، ومن أسمائها الوافية والكافية، وقد جاء في الحديث: «إن الله أعطاني فيما مَنَّ به عليَّ أني أعطيتك فاتحة الكتاب، وهي كنز من كنوز عرشي»[6].

وقالوا: إنه سبب تسميتها بذلك أن كونها كنزًا، ومن كنز استعارة وتمثيل لعظم ما فيها، وهي أنفس من الجواهر بل هي عندها من الحجارة أو أخشن وجعل العرش والسماوات مهبطة؛ لأنها محل ابتداء ظهوره وفيضه، ولذا رفعت الأيدي في الدعاء

(1) رواه البخاري (4/ 1623)، وابن خزيمة (2/ 38).

(2) رواه الحاكم (2/ 386)، والبيهقي (2/ 443).

(3) رواه البيهقي (2/ 45)، والدارقطني (1/ 313).

(4) ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (2/ 590).

(5) رواه مسلم (1/ 296)، والترمذي (5/ 201)، وابن حبان (3/ 54).

(6) رواه البيهقي في «الشعب» (5/ 373).

نحوها، وإن تنزه الله تعالى عن المحل والجهة، وقيل: إنه من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه وهو أسلم ذكره الشهاب الخفاجي رحمه الله تعالى.

ومن أسمائها الأساس، وعن عامر والشعبي هي أساس القرآن كما أن الخلق آدم، وتسمى الشافية والشفاء لما روى أبو محمد الدارمي عن عبد الملك بن عمير مرسلاً: «**فَاتِحَةُ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ**»[1]، وروي: أن إبليس لعنه الله تعالى رنَّ حين نزلت الفاتحة؛ أي: صاح بصوت حزين، وفي «صحيح الحاكم» وابن حبان من حديث أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ في مسير فنزل ونزل رجل إلى جانبه قال: فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: «**ألا أخبرك بأفضل القرآن، قال: بلى، قال: الحمد لله رب العالمين**»[2] قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج على أبي بن كعب وفيه: «**...والذي نفسي بيده ما أُنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم**»[3] رواه الإمام أحمد والترمذي.

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: أول الفاتحة نعيم ووسطها إخلاص وآخرها رضوان، وقال عطاء بن السائب: من طلب حاجة فقال: الحمد لله رب العالمين أمامها قضيت، وقال السلمي في «تفسيره»: قال بعض الناس إنما تسمى فاتحة الكتاب لأنه فتح عليك بفاتحته لذيذ مناجاته، فكانت فاتحة لكل خير وسرور وبشارة للموحدين، وقيل أيضًا: معنى فاتحة الكتاب أنه أوائل ما فاتحناك به من خطابنا فإن تأدبت له وإلا حرمت لطائف ما بعده، وفي «الجامع الصغير» عن البشير النذير: «**فاتحة الكتاب شفاء من السم**»[4]، «**فَاتِحَةُ الْكِتَابِ تَعْدِلُ بِثُلُثَيِ الْقُرْآنِ**»[5]، «**فاتحة الكتاب أُنزلت من كنز تحت العرش**»[6]، «**فاتحة الكتاب وآية الكرسي لا يقرأهما عبد في دار فتصيبهم في ذلك اليوم عين**

---

(1) رواه الدارمي (10/ 305)، والبيهقي (5/ 379).

(2) رواه ابن حبان (3/ 51)، والحاكم (1/ 747).

(3) رواه أحمد (2/ 357)، والبيهقي (2/ 375)، والترمذي (5/ 155).

(4) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 144)، وسعيد بن منصور في سننه (2/ 535).

(5) رواه عبد بن حميد في مسنده (1/ 227).

(6) ذكره المتقي الهندي في «الكنز» (1/ 557).

إنس أو جن»[1]، «**فاتحة الكتاب تجزئ ما لا يجزئ شيء من القرآن، ولو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان وجعل القرآن في الكفة الأخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات**»[2].

وقال العليمي الحنبلي- رحمه الله تعالى- في «تفسيره»: واختلف الأئمة فيها هل هي فرضت في الصلاة، فقال أبو حنيفة: ليست فرضًا فلو قرأ آية في كل ركعة صحت صلاته، وقال صاحباه: ثلاث آيات قصار وآية طويلة تعدلها لقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:20]، من غير تقييد وفرض القراءة عندهم إنما هو في الركعتين الأوليين من الرباعية، وأما الأخيرتين فسنة، فلو سبح أو سكت فيها أجزاه، وقال الأئمة الثلاثة: هي ركن في كل ركعة من الرباعية وغيرها وتبطل الصلاة بتركها عمدًا أو سهوًا لقوله ﷺ: «**لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب**»[3]، انتهى.

ثم يشرع التالي في قرأتها بقوله بعد البسملة الحمد لله، قال القاضي رحمه الله تعالى: الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها، والمدح هو الثناء على الجميل مطلقًا، تقول: حمدت زيدًا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه، بل مدحته، وقيل: هما أخوان والشكر مقابلة النعمة قولاً وفعلاً واعتقادًا.

قال: أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجب فهو أعم منها من وجه، وأخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر كان أسيع للنعمة وأدل على مكانها لخفاء الاعتقاد، وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال ﷺ: «**الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده**»[4] والذم نقيض الحمد، والكفران نقيض الشكر، ورفعه بالابتداء وخبره لله وأصله النصب، وقد قرئ به وإنما عدل عنه إلى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بأفعال

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 139).

(2) ذكره المتقي الهندي في «الكنز» (1/ 557).

(3) رواه الترمذي (2/ 25)، والبيهقي (2/ 63)، وأبو عوانة (1/ 451).

(4) رواه البيهقي في «الشعب» (4/ 97)، وذكره المناوي (2/ 34).

مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس، ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد أن الحمد ما هو، وقيل للاستغراق إذ الحمد في الحقيقة كله له إذ ما من خير إلا وهو موليه بوسط أو بغير وسط كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:53]، وفيه إشعار بأن الله حي قادر مريد عالم إذ الحمد لا يستحقه إلا من كان هذا شأنه، وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلاً لهما من حيث إنهما يُستعملا معًا منزلة كلمة واحدة، انتهى.

قال القاضي رحمه الله تعالى: الربُّ في الأصل مصدر بمعنى الشريعة، وهي تبليغ الشيء على كماله شيئاً فشيئاً، ثم وصف به تعالى للمبالغة، كالصوم والعدل، وقيل: هو نعت من ربه يربه فهو رب؛ كقولك نم ينم فهو نم سمي به المالك؛ لأنه يحفظ ما يملكه ويربته ولا يطلق على غيره تعالى إلا مقيدا لقوله تعالى: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف:50]، ثم قال: وقرئ بالنصب إما بإضمار فعل تقديره أَمْدَحُ أو أَعْني أو على النداء أو مرفوعًا على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو وخبره إما على أنه صفة لله أو أنه بدل. انتهى.

ويطلق (الربُّ): لغةً على السيد والمالك والمصلح والحائز والصاحب والثابت والقريب والجامع والخالق والمدبر والمربي والمعبود والمحيط والكثير الخبير والمولى المنعم مع تنميتها، وإذا أفرد وحلي بـ(أل) اختص به تعالى، وبدونها يجوز إطلاقه على غيره كرب الدار، ورد قول الخطابي: إن استعمالها بمعنى السيد يشترط في المربوب، العقلُ فلا يقال: ربُّ الجبالِ بأنه شرط فاسد، بل هو رب الجميع، ومنع بعضهم أن يقال: هذا رب الجبل، وأن العبد يقول: هذا ربي، لكن هذا «حَتَّى تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّهَا» يعضده وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:76].

وقد بسط الكلام على هذا الاسم سيدي محمد القونوي -قدس الله سره- في «شرح الفاتحة» وعن بعض أهل الخواص أن من أكثر من ذكر هذا الاسم أجاب الله دعوته، وقضى حاجته، وأن من ذكره كل يوم سبعمائة مرة حماه الله من المعاصي والزلات.

واعلم أن هذا الاسم مرتبة الربوبية، ومنها يكون التجلي للبصائر هنا وللإبصار هناك قال الله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[الأعراف:143]، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾

[الأعراف:143] الآية، وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:22-23]، وجاء ربك ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:42]، وفي الحديث الشريف: «لن تروا ربكم حتى تموتوا»[1] وفيه «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ»[2]، فاسم الذات غيب مطلق مقدس لا تعلق له بالآثار من حيث هو، وإن تعلقت به هي من حيث هو الفناء الثابت لمسماه. وأما أسماء الصفات والأفعال فإنها تطلب الآثار، وعنه ظهرت؛ أي: عن طلب الأسماء ظهرت الآثار، ولهذا السر أضاف العالمين إلى هذا الاسم؛ لأنه من وجه له تعلق بها، ومن وجه اتصاف الحق به الفناء عنها، وهكذا باقي الأسماء، وعن هذا الطلب الكمالي الجمالي الجلالي الرافع سجن الستور ليتضح الكنز المخفي المستور تعينت مراتب نور النور، فلمع برق الظهور، قال الشيخ أحمد القمولي رحمه الله تعالى في «شرح الأسماء»: وحظ العبد منه؛ أي: من هذا الاسم أن يعلم أنه لا مالك إلا الله، وأنه تعالى يتصرف في ملكه كيف يشاء تصرف المالكين في أملاكهم لا حظر عليه ولا وجوب يسعد من يشاء، ويشقي من يشاء لا يسأل عما يفعل، وأنه الملك المتفرد بالملك والمرزق والمصلح، ويتخلق بحسن تربيته لنفسه وإصلاحه لها ويحس من هو في كفالته وكنفه من ولد وزوجة وأقنان، ويصلحهم بما ينفعهم في دينهم وأخراهم، انتهى.

وليرهم المخلوقات لأن كل صنف منهم يقال له: عالم، قال المحقق ابن حجر الهيثمي في «شرح الأربعين النووية»: وهو جمع عَالَمٍ مشتق من العلْم، وهو ما سوى الله تعالى أو هو كالعلامة؛ لأنه علامة على موجده، قال العارف: وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد، فالعالم دال على كمال صانعه، وجمعه بالواو والنون شاذ، ومنع بعض المحققين كونه جمعًا لعالم، وقال: هو اسم جمع له لئلا يلزم أن يكون أعم من جمعه لاختصاص العالمين بالعقلاء وشمول العالم لهم ولغيرهم أجيب بمنع اختصاص بهم بل هو شامل لهم ولغيرهم، ونقل مقاتل أن لله تعالى ثمانين ألف عالم، وعن وهب أنها ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها.

وعن ابن المسيب أنها ألف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر، وفي رواية عن

(1) رواه النسائي في «الكبرى» (4/ 419)، والهيثمي في «الزوائد» (7/ 348).

(2) رواه البيهقي في الكبرى (1/ 359)، والطبراني في الكبير (2/ 430).

مقاتل أنها ثمانين ألف نصفها في البر ونصفها في البحر، وعن الضحاك أنها ثلاثمائة وستون عالما حفاة عراة لا يعرفون خالقهم، وستون ألف مكسيون يعرفونه والله أعلم بحقائقها قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31]، انتهى ملخصًا.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه كان يقول: إن لله تعالى أربعين ألف عالم الدنيا من مشرقها إلى مغربها عالم واحد منها، والحق الذي لصاحبه بمنزل القرب الحق أن عوالم الحق سبحانه وتعالى لا تنحصر جدًّا، ولا يحاط بها عدًّا، وإن ضمن كل عالم من العوالم المذكورة عوالم ليست محصورة، وأن العوالم المشار إليها أصول عوالم بحر السائك عليها، ثم يتخطاها فلا يراها شغلاً بمن سواها، ويراها لأن الوقوف معها حجاب والشفوق إليها اغتراب وإذا كان في كل شيء آية تدل على الصانع كان كل شيء عالمًا في نفسه يكتفي به القانع، وربما رأى المكاشف في الغصن من الشجرة عوالم بحسب ورقه، فعاين في كل ورقة خلقًا بعدد أجزائها يذكرون الله تعالى ويسبحونه، ويسمع تسبيحهم ويراهم بأعيانهم ويستفيد منهم علومًا جمَّة تنكشف منها أمور مبهمة، فكيف إذا كوشف بعوالم إنسان حقائقه ورقائقه وتنوعات معارجه وطريقه؟!

ومن رأى الباب الثامن من «الفتوحات» وتأمل أرض المستمد، بهرته عوالمها وعجائبها حتى أوقد إلى الخرس والهمهمة على أنها نقطة من بحر العوالم الروحانية ورشحة من نهر هاتيك العوالم الإحسانية، وهذه الأرض لا يدخلها إلا العارفون من أي نوع كان بالروحانية الأجسام، وقد يدخل بعض الفقراء قدسها وشامها، وإن لم يشعر بالقدس والشام يعلم بهذا أن عوالم الحق سبحانه وتعالى تُنْبِئُ عن الإحاطة فإنه تعالى يقول: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8]، فكن ممن حجاب الاحتجاب أماطه الرحمن الرحيم.

قال المولى أبو السعود رحمه الله تعالى: صِفَتان لله تعالى فإن أريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين أو ما يفيض على الخروج إلى طور الوجود من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر، وإن أريد ما يعم الكل في الأطوار طلها حسبما في قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، فوجه الترتيب أن التربية لا تقتضي

المقارنة للرحمة، فإيرادها في عقبها للإيذان بأنه تعالى متفضل فيها فاعل بفيضه رحمته السابقة من غير وجوب عليه، وبأنها واقعة على أحسن ما يكون والاقتصار على نفسه تعالى بهما في التسمية لما أنه الأنسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل وإلا وفق لمقاصده، انتهى.

ومضى الكلام عليهما في البسملة: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]، قال الشيخ العالم العامل محمد المصري رحمه الله تعالى في تفسيره: قرئ ملك ومالك، فالمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء من الملك، والملك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك، واختلف أيهما أبلغ؟ فقيل: ملك أبلغ وأعم من مالك إذ كل ملك مالك ولا عكس، ولأن اسم الملك نافذ على المالك في ملكه، وقيل: مالك أبلغ لأنه يكون مالكًا للناس وغيرهم فالمالك أبلغ تصرفًا وأعظم إذ إليه إجراء قوانين الشرع، ثم عنده زيادة التملك.

وقال أبو حاتم: إن مالكًا أبلغ في مدح الخالق من ملك، وملك أبلغ في مدح المخلوقين من مالك، والفرق أن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك، فإن قيل: كيف قال: مالك يوم الدين، وهو مالك يوم الدين وغيره؟ قيل: لأنه في الدنيا كان له منازعون في الملك مثل فرعون ونمرود وغيرهما، وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد، واليوم عبارة عما بين طلوع الفجر وغروب الشمس، فاستعير بما بين ساعة القيامة إلى وقت استقرار أهل الدارين فيها، وقد يطلق اليوم على الساعة كقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: 3]، والدين: الجزاء على الأعمال والحساب بها ومنه كما تدين تدان وفي الحديث: «**الكيس من دان نفسه**»[1] أي: حاسبها، والدين القضاء والدين الطاعة يقال: دان الرجل أطاع ودان إذا عصى فهو من الأضداد، وأضاف اسم الفاعل إلى الظرف أجرى له مجرى المفعول على الاتساع كقولهم: يا سارق الليلة أهل الدار ومعناه مالك الأمور يوم الدين.

وقال المولى أبو السعود رحمه الله تعالى: وخلو إضافته عن المادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة إنما هو إذا أريد به الحال أو الاستقبال، وأما عند إرادة الاستقبال الاستقرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها إضافة حقيقية كإضافة الصفة

---

(1) رواه أحمد (4/ 124)، وابن ماجه (2/ 1423).

المشبهة إلى غير معمولها، في قراءة (مالك يوم الدين)، ويوم الدين وإن لم يكن مستمرًا في جميع الأزمنة إلا أنه لتحقق وقوعه وبقائه أبدًا أجري مجرى المحقق المستمر، ويجوز أن يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القرآن على صيغة الماضي، وما بك من إجراء الظرف مجرى المفعول به إنما هو من حيث المعنى ومن حيث الإعراب حتى يلزم كون الإضافة لفظة.

ألا ترى أنك تقول في مالك عبده أمس أنه مضاف إلى المفعول به على معنى أنه كذلك، لا إنه منصوب محلًا، وتخصيصه بالإضافة ما لتعظيمه وتهويله أو لبيان تفرده تعالى بإجراء الأمر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والأملاك حينئذ بالكلية، وإجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه وتعالى تعليل لما سبق من اختصاص الحمد لله تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى، وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه؛ لأن كل واحدة فيها مفصحة عن وجوب كل واحدة منها له تعالى، وامتناع ثبوتها لما سواه.

أما الأولى والرابعة فظاهر لأنهما معترضتان طرحه لكونه تعالى ربًا مالكًا وما سواه مربوبًا مملوكًا له تعالى، وأما الثانية والثالثة فلأن اتصافه فيهما ليس إلا بالسنة لما سواه من العالمين، وذلك يستدعي أن يكون الكل منعما عليهم، فظهر أن كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الأمور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الإطلاق وهو المعنى بالاختصاص، انتهى.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قال الشيخ المصري رحمه الله تعالى: رجع من الغيبة إلى الخطاب على التعين لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تصرفًا لنشاط السامع وأكثر إيقاظًا للإصغاء إليه، ولما ذكر التحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات، وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك؛ أي: يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعاذة ليكون أذل على الاختصاص والترقي عن البرهان إلى العيان، والانتقال من الغيبة إلى الشهود وكان المعلوم صار عيانًا، والمعقول مشاهدًا، والغيبة حضورًا، ونعبد: معناه نطيع والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل، ولذلك لم يستعمل إلا في الخضوع لله لأنه مولى النعم فكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نطلب العون والتأييد والتوفيق، وفيه إفراد الله؛ أي:

لا نعبد غيرك ولا نستعينه؛ لأن تقديم المعمول يؤذن بالحصر، وأصل نَسْتَعِين نَسْتَعْوِنُ قلبت حركة الواو إلى العين فصارت ياء، والمستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري الجماعة أوله ولسائر الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم، وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل بركاتهم، ولهذا شرعت الجماعة وقدمت العبادة على الاستعانة لتوافق رءوس الآي، وليعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة. انتهى.

وقال المولى أبو السعود رحمه الله تعالى: التفات من الغيبة إلى الخطاب، وتلوين للنظم من باب إلى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضي المقام، كما أن الشغل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في استجلاب النفوس واستمالة للقلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة إلى كل واحد من الآخرين كما في قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ [فاطر:9]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس:22].

إلى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لأسرار يقضيها ومزايا يستدعيها، وما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على أن تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما أجري عليه من النعوت الجليلة التي أوجبت له تعالى أكمل تميز وأتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والإيذان بأن حق التالي بعد ما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الأقدس المستوجب للعبودية، وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية، واستبداده بجلائل الصفات وأحكام الربوبية المميزة له عن جميع أفراد العالمين، وافتقار الكل إليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت الإشارة إليه أن يترقى من رتبة البرهان إلى طبقة العيان.

وينتقل من عالم الغيبة إلى عالم الشهود، ويلاحظ نفسه في حظائر القدس حاضرًا في محاضر الأنس كأنه واقف لدعوى مولاه ماثل بين يديه، وهو يدعو له بالخضوع والإخبات، ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلاً: يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة، فإن كل ما سواك كائنًا من كان بمعزل عن استحقاق الوجود، وفضلاً عن استحقاق أن يعبد أو يستعان، ولعل هذا هو السر باختصاص السورة

الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلاة التي هي مناجاة العبد لمولاه، ومنية المتبتل إليه بالكلية.

و(إيَّا): ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة، لا محل لها من الإعراب كالتاء في أنت، والكاف من أرأيتك وما ادعاه الخليل من الإضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب، فمما لا يعول عليه، وقيل: هي الضمائر وإيَّا دعامة لها لتصيرها منفصلة، وقيل: الضمير هو المجموع، وقرئ ﴿إياك﴾ بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد و﴿هياك﴾ بقلب الهمزة هاء.

والعبادة أقصى غاية التذلل والخضوع، ومنه طريق مُعَبَّد؛ أي: مُذَلَّل، والعبودية أدنى منها، وقيل: العبادة: فِعْلُ ما يرضى الله به، والعبودية: الرِّضا بما فَعَلَ الله، والاستعانة: طلب المعونة على الوجه الذي مرَّ بيانه، وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصد والتخصيص؛ كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل: 51].

مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه نعبدك ولا نعبد غيرك، وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة، ولإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب، وتقديم العبادة لما أنها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل، وأنها عدة الصفات المجراة عليه أيضًا، وأما الاستعانة فمن الأحكام المبينة على الصفات المذكورة، ولأن العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين، ولأن العبادة واجبة حتمًا والاستعانة تابعةٌ للمستعان فيه في الوجوب وعدمه، وقيل: لأن تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول، هذا على تقدير كون إطلاق الاستعانة عن المفعول ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا.

وقد قيل: إن المسؤول هو المعرفة في العبادة والتوفيق لإقامة مراسمها على ما ينبغي، وهو اللائق بشأن التنزيل والمناسب لحال الحامد فإن استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من أفعاله لتستعينه تعالى في إيقاعه، ومن البيِّن أنه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى واشتغاله بأداء ما توجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من أقواله وأفعاله إلا الإقبال الكلي عليه والتوجه التام إليه.

ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى أولاً وباستدعاء الهداية إلى ما يوصل إليه آخرًا فكيف يتصور أن يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من أمور دنياه، أو بما يعمها وغيرها لأنه قيل: وإياك نستعين في ذلك فإنَّا غير قادرين على أداء حقوقه من غير إعانة منك، فوجه الترتيب حينئذ واضح، وفيه الإشعار بعلو مرتبة عبادته وعزة منالها وبكونها عند العابد أشرف المباغي والمقاصد، وبكونه عن مواهبه تعالى لا من أعمال نفسه ومن الملائمة لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى، وقيل: الواو للحال أي: إياك نعبد مستعينين بك، وإيثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين للإيذان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردًا، أو عرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلاً، وأن ذلك إنما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم كما هو ديدن الملوك وللإشعار باستنزال سائر الموحدين له في الحالة العارضة له بنا على تعاضد الأدلة الملجية إلى ذلك وقرئ ﴿نِستعين﴾ بكسر النون على لغة بني تميم، انتهى.

وقال الشيخ رضي الله تعالى عنه في الباب تسع وتسعين من «فتوحاته» الذي عقده في أسرار الصلاة والقراءة: روينا في هذا الباب عن بعض المعلمين من الصالحين أن شابًا صغيرًا كان يقرأ عليه القرآن فرآه مصفر اللون فسأل عن حاله فقيل له: إنه يقوم الليل كله بالقرآن، فقال له: يا ولدي أخبرت أنك تقوم الليل كله بالقرآن، فقال: هو كما قيل لك، فقال: يا ولدي إذا كان هذه الليلة فأحضرني في قبلتك واقرأ عليَّ القرآن في صلاتك ولا تغفل عني، فقال الشاب: نعم فلما أصبح، فقال له: هل فعلت ما أمرتك به؟ فقال: نعم يا أستاذ، قال: وهل ختمت القرآن؟ قال: لا ما قدرت على أكثر من نصف القرآن، قال: يا ولدي هذا حسن إذا كان هذه الليلة فاجعل من شئت من الصحابة أمامك الذين سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ واحذر فإنهم سمعوه من رسول الله ﷺ فلا تزال في قراءتك، فقال: إن شاء الله تعالى يا أستاذ كذلك أفعل، فلما أصبح سأله الأستاذ عن ليلته، فقال: يا أستاذ ما قدرت على أكثر من ربع القرآن، فقال: يا ولدي اتل هذه الليلة على رسول الله ﷺ الذي أُنزل عليه القرآن واعرف بين يدي من تتلوه، فقال: نعم فلما أصبح، قال له: الأستاذ ما قدرت طول ليلتي على أكثر من جزء من القرآن، أو ما يقاربه، فقال: يا ولدي إذا كان هذه الليلة فلتكن تقرأ القرآن بين يدي جبريل عليه السلام الذي نزل به على قلب محمد ﷺ

واحذر واعرف قدر من تقرأ عليه، فلما أصبح، قال: يا أستاذ ما قدرت على أكثر من كذا وذكر سورًا قليلة من القرآن، قال: يا ولدي إذا كان هذه الليلة تب إلى الله تعالى، وتأهب واعلم أن المصلي يناجي ربه، وأنك واقف بين يديه تتلو عليه كلامه، فانظر حظك من القرآن، وحظه، وتدبر ما تقرأ، فليس المراد جمع الحروف ولا تأليفها ولا حكاية الأقوال وإنما المراد بالقرآن تدبر معاني ما تتلوه فلا تك جاهلاً، فلما أصبح انتظر الأستاذ الشاب، فلم يجئ إليه فبعث من سأل عن شأنه، فقيل له: إنه أصبح مريضًا يعاد، فجاء إليه الأستاذ، فلما أبصره الشاب بكى وقال: يا أستاذ جزاك الله عني خيرًا ما عرفت أني كاذب إلا البارحة لما قمت في مصلاي وأحضرت الحق وأنا بين يديه أتلو عليه كتابه، فلما استفتحت الفاتحة ووصلت إلى قوله: إياك نعبد نظرت إلى نفسي فلم أرها تصدق في قولها، فاستحييت أن أقول بين يديه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وهو يعلم أني أكذب في مقالتي، فإني رأيت نفسي لاهية بخواطرها عن عبادته، وبقيت أردد القراءة من أول الفاتحة إلى قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ولا أقدر أن أقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فإنها ما خلصت لي، فبقيت استحي أن أكذب بين يديه تعالى فيمقتني فما ركعت حتى طلع الفجر، وقد مرضت كبدي، وما أنا إلا راحل إليه على حالة لا أرضاها من نفسي، فما انقضت ثلاثة أيام حتى مات الشاب، فلما دفن أتى الأستاذ إلى قبره فسأله عن حاله، فسمع صوت الشاب من قبره وهو يقول:

أنا حي عند حي لم يحاسبني بشي

فرجع الأستاذ إلى بيته ولزم فراشه مريضًا مما أثر فيه حال الفتى فلحق به، قال الشيخ– قدس الله سره– فمن قرأ إياك نعبد على قراءة الشاب فقد قرأ.. إلخ.

ونقل الشعراني ﷺ ما معناه أن التالي ينبغي له أن يقرأ هذه الآية ملاحظًا عند قوله إياك؛ أي: لا نعبد إلا إياك بك ولا نستعين على آت إلا بك إذ لا حول ولا قوة إلا بك، أو يقرأها على أنه ممتثل للأمر الإلهي في قرأتها لا أنه ممن وفّى حق ما تقتضيه حقيقة تلاوتها.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال الشيخ محمد المصري رحمه تعالى: دعاء ورغبة من المربوب إلى الرب، والمعنى اهد: دلنا على الصراط المستقيم، وارشدنا إليه، وأرنا طريق هدايتك وصيغة الأمر والدعاء واحدة؛ لأن كل واحد منهما طلب، وإنما يتفاوتان

في الرتبة.

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ قيل: هو الإسلام، وقيل: طريق الجنة، وقيل: القرآن، وقيل: طريق السنة، وقيل غير ذلك، وأصله في اللغة: الطريق الواضح أو المكان المهيأ للسلوك، أو المستقيم هو الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:23]، على إرادة التهكم، ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون: طلب الثبات والدوام، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النساء:136]، فإن الإنسان قد يهتدي ثم ينقطع، وهداية الله أنواع لا يحصيها عدد لكنها تنحصر في أجناس مرتبة:

**الأول**: إفاضة القوى التي بها يتمكن المؤمن من الاهتداء إلى مصالحه؛ كالقوة العقلية، والحواس الباطنة، والمشاعر الظاهرة.

**والثاني**: نصب الدلائل الفارقة بين الحق، والباطل والصلاح والفساد، وإليه أشار بقوله: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾[البلد:10]، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾[فصلت:17].

**والثالث**: الهداية بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وإياها عني بقولها، ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ [الأنبياء:73]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:9].

**والرابع**: أن يكشف عن قلوبهم، ويريهم الأشياء كما هي بالوحي والإلهام، أو المنامات الصادقة، وهذا قسم يختص بعائلة الأنبياء والأولياء، وإياه عني بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام:90]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:69].

وقال المولى أبو السعود قدس الله روحه: إفراد المعظم إفراد المعونة المسؤولة بالذكر، وتعيين لما هو الأهم، أو بيان لها كأنه قيل: كيف أعينكم؟ فقيل: اهدنا، والهداية دلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية، وكذلك اختصت بالخير، وقوله تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[الصافات:23]، وارد على طريق التهكم، والأصل تعديتها بـ (إلى)، واللام كما في قوله ﷻ: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي

بِٱلۡحَقِّ﴾ [يونس:35]. فعومل معاملة اختار في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف:155]، وعليه قوله: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[العنكبوت:69]، وهداية الله مع تنوعها إلى أنواع لا تكاد تحصر، منحصرة في أجناس مرتبة:

منها: النفسية؛ كإفاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي ما يصدر عن المرء لفاعلية الطبيعية والحيوانية، والقوى المدركة، والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من إقامة مصلحته المعاشية والمعادية.

ومنها: اتفاقية، فإما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال؛ وهي نصب الأدلة المودعة في كل فرد من أفراد العالم حسبما لوح به فيما سلف، وإما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الأحكام النظرية والعملية بلسان المقال، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الإرشاد إلى مسلك الاستدلال بتلك الأدلة التكوينية الآفاقية الأنفسية، والتنبيه إلى مكانها، كما أشير إليه مجملاً في قوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾[الذاريات:20]، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات:21]، وفي قوله جلّ وعلا ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: 164]، ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾[يونس:6].

ومنها: الهداية الخاصة؛ وهي كشف الأسرار لقلب المهدي بالوحي والإلهام، ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحيها وطالب يستدعيها، والمطلوب إما زيادتها كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ [محمد:17].

وأما الثابت عليها كما روي عن علي وأُبَيّ رضي الله عنهما اهدنا: ثبتنا، ولفظ الهداية على الوجه الأخير مجاز قطعًا، وأما على الأول فإن اعتبر مفهوم الزيادة داخلاً في المعنى المستعمل فيه كان مجازًا أيضًا، وإن اعتبر خارجًا عنه مدلولا عليه بالقرآن كان حقيقة؛ لأن الهداية الزائدة هداية كما أن العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ أرشدنا.

والصراط عادة أصله السين قلبت صادًا لمكان الطاء «مصيطر» في «مسيطر» من سرط الشيء إذا ابتلعه سُمّيت به لأنها تسترِطُ السابلةَ إذا سلكوها، كما سميت لَقَمًا لأنها تلتقمهم، وقد تُشَمُّ الصاد صوت الزاي تحريًا للقرب من المبدَل منه، وقرئ بهن جميعًا،

وفصاحهنّ إخلاص الصاد، وهي لغة قريش، وهي الثابتة في الإمام، ويجمع صُرُط، نحو كتاب وكتب، ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل، والمراد طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الإفراط والتفريط.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بدل من الأول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث إنه المقصود بالنسبة، وفائدته التأكيد والتنصيص على أن طريق الذين أنعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم إلا إليه، وإطلاق الأنعام لقصد الشمول فإن نعمة الإسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها، وقيل: المراد بهم الأنبياء عليهم السلام، ولعل الأظهر أنهم المذكورون في قوله عز قائلاً: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء:69]، بشهادة ما قبله من قوله تعالى: ﴿وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء:68]، وقيل هم أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف، وقرئ: صراط من أنعمت عليهم، والإنعام إيصال النعمة وهي في الأصل الحالة التي يتلذها الإنسان من النعمة وهي اللين، ثم أطلقت على ما تستلذه النفوس من طيبات الدنيا، ونعم الله تعالى مع استحالة إحصائها تنحصر أصولها في دنيوي وأخروي، والأول قسمان: وهبي، وكسبي.

**والوهبي** أيضًا قسمان: روحاني: كنفخ الروح فيه وإمداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فإنها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في أنفسها، وجسماني: كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الأعضاء.

**والكسبي**: بخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المرضية وحصول الجاه والمال، والثاني: مغفرة ما فرط منه والرضا عنه وتبوئه في أعلى عليين مع المقربين، والمطلوب هو القسم الأخير وما هو ذريعة إلى نيله من القسم الأول، اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة، انتهى.

ولم أرَ في عبارة المصري زيادة فاقتصرت على عبارة المولى لحصول الإفادة.

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ قال المصري رحمه الله تعالى: الجمهور على المغضوب

عليهم هم: اليهود، ولا الضالين: هم النصارى، وقيل: المغضوب عليهم المشركون، والضالون المنافقون، ويشهد للأول ما جاء مفسرًا عن النبي ﷺ في قصة عدي بن حاتم أخرجه الترمذي في «جامعه» ويشهد له أيضًا قوله تعالى في اليهود: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:61]، وقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:6]، وقال في النصارى: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة:77].

والغضب في اللغة: الشِّدة أو ثوران النفس أو إرادة الانتقام وغضب الله تعالى إرادته الانتقام ممن عصاه، وهو لا يلحق المؤمنين بل يلحق الكافرين فقط قاله البكري، والمراد به أبو الحسن محمد بن محمد الصديقي البكري- قدس الله سره- وهو شيخ المؤلف وقد ترجمة الشعراني رضي الله تعالى عنه في «الطبقات الوسطى»، والسيد عبد القادر العيد روى في كتابه «النور السافر في مناقب أهل القرن العاشر» وصاحب «أشائر التحقيق في بشائر الصديق»، والنجم الغزي رحمه الله تعالى في «الكواكب السائرة» وغيرهم، والشيخ أبي الحسن ما ينوف على أربعمائة مؤلف منها التفسير الذي أشار إليه المؤلف.

ثم قال: والضلال في كلام العرب الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق، ومنه ضَلَّ اللبن في الماء؛ أي: غاب ومنه ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة:10] أي: غبنا وكنا ترابًا وغيره، المغضوب بالخفض على البدل من الذين أولها والميم في عليم ونكتة البدل إفادة أن المهتدين ليسوا يهودًا ولا نصارى، أو صفة للذين، والذين: معرفة ولا توصف المعارف بالنكرات ولا النكرات بالمعارف إلا أن الذين ليس بمقصود فهو عام أو لأن (غير) عرفت لكونها بين شيئين لا سبب بينهما كما تقول: الحي غير الميت، والساكن غير المتحرك، وبها قولان: الأول: للقاسي، والثاني: للزمخشري.

و(لا) في ﴿ولا الضالين﴾ قيل: زائدة كما في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف:12]، وقيل تأكيد، وخلته لئلا يتوهم أن الضالين معطوف على الذين، وقال الكوفيون: لا بمعنى غير، وقرئ به في الشواذ.

﴿آمين﴾ معناه استجب، وفيه لغتان: مد الألف وقصرها، وبني على الفتح؛ كأين لالتقاء الساكنين، وليست من القرآن، بدليل أنه لم يثبت في المصاحف، ولم يكن قبلنا إلا لموسى وهارون عليهما السلام، وتسن عقب الفاتحة في الصلاة وخارجها، انتهى.

وقال المولى أبو السعود رحمه الله تعالى: صفةٌ للموصول على أنه عبارةٌ عن إحدى الطوائف المذكورةِ المشهورةِ بالإنعام عليهم، وباستقامة المسْلك، ومن ضرورة هذه الشهرةِ شهرتُهم بالمغايَرة لما أضيف إليه كلمةُ (غير) من المتصفين بضدَّي الوصفين المذكورين، أعني مطلقَ المغضوب عليهم والضالين، فاكتسبت بذلك تَعرُّفاً مصححًا لوقوعها صفةً للمعرفة كما في قولك: عليك بالحركة غيرِ السكون، وُصِفوا بذلك تكملةً لما قبله وإيذانًا بأن السلامة مما ابتُلي به أولئك نعمةٌ جليلةٌ في نفسها، أي الذين جمعوا بين النعمة المُطلقة التي هي نعمةُ الإيمان ونعمةُ السلامة من الغضب والضلال.

وقيل: المرادُ بالموصول طائفةٌ من المؤمنين لا بأعيانهم، فيكون بمعنى النكرة كذي اللام إذا أريد به الجنسُ في ضمن بعضِ الأفراد لا بعينه، وهو المسمى بالمعهود الذهني، وبالمغضوب عليهم والضالين اليهودُ والنصارى، كما ورد في مسند أحمدَ والترمذي فيبقى لفظُ (غير) على إبهامه نكرةً مثل موصوفِه، وأنت خبير بأن جعْلَ الموصول عبارةً عما ذكر من طائفةٍ غيرِ معيَّنة مُخلٌّ ببدليةِ ما أضيف إليه مما قبله فإن مدارَها كونُ صراطِ المؤمنين علمًا في الاستقامة مشهودًا له بالاستواء على الوجه الذي تحقَّقتَه فيما سلف.

ومن البيِّن أن ذلك من حيثُ إضافتُه وانتسابُه إلى كلهم لا إلى بعضٍ مُبْهَمٍ منهم، وبهذا تبين ألّا سبيلَ إلى جعل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بدلاً من الموصول؛ لما عرفت من أن شأنَ البدلِ أن يُفيدَ متبوعَهُ مزيدَ تأكيدٍ وتقريرٍ، وفضلَ إيضاحٍ وتفسيرٍ، ولا ريب في أن قصارى أمرِ ما نحن فيه أن يكتسبَ مما أضيف إليه نوعَ تعرُّفٍ مصحِّحٍ لوقوعه صفةً للموصول، وأما استحقاقُ أن يكون مقصودًا بالنسبة مفيدًا لما ذكر من الفوائد فكلاّ. وقُرِئ بالنصب على الحال، والعاملُ أنعمتَ، أو على المدح، أو على الاستثناء إنْ فُسّر النعمةُ بما يعمُّ القليل.

والغضبُ: هيجانُ النفس لإرادة الانتقام، وعند إسنادِه إلى الله سبحانه يُراد به غايتُه بطريق إطلاقِ اسم السبب بالنسبة إلينا على مسبَّبِه القريبِ إنْ أُريد به إرادةُ الانتقام، وعلى مسبَّبِه البعيدِ إن أُريد به نفسُ الانتقام، ويجوز حملُ الكلام على التمثيل، بأنْ تُشبَّه الهيئةُ المنتزَعةُ من سَخَطِه تعالى للعصاة وإرادةُ الانتقام منهم لمعاصيهم بما يُنتزَعُ من حال الملِك إذا غضِب على الذين عصَوْه، وأراد أن ينتقم منهم ويعاقِبَهم، وعليهم مرتفعٌ

بالمغضوب، قائم مقامَ فاعله، والعدولُ عن إسناد الغضب إليه تعالى كالإنعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخير إليه ﷻ، دون أضدادها، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝﴾ [الشعراء: 78-80].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: 10]، و«لا» مزيدةٌ لتأكيد ما أفاده «غير» من معنى النفي كأنه قيل: لا المغضوب عليهم ولا الضالين، ولذلك جاز أنا زيداً غيرُ ضاربٍ، جوازَ أنا زيداً لا ضاربٌ وإن امتنع أنا زيداً مثلُ ضاربٍ، والضلالُ هو العدولُ عن الصراط السوي، وقُرئ وغيرِ الضالين، وقُرئ ﴿ولا الضألين﴾، بالهمزة على لغة مَنْ جدَّ في الهرب عن التقاء الساكنين.

آمين: اسم فعلٍ هو: استجبْ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله ﷺ عن معنى آمين، فقال: افعل. بُني على الفتح كأينَ لالتقاء الساكنين، وفيه لغتان مدُّ ألفه وقصرُها قال:

ويَــرحَمُ اللهُ عَـبداً قــالَ آمــينا[1]

وعن النبي ﷺ: «**لقَّنني جبريلُ آمينَ عند فراغي من قراءة فاتحةِ الكتاب، وقال: إنه كالختم على الكتاب**»[2]. وليست من القرآن وفاقاً، ولكن يسن ختمُ السورة الكريمة بها، والمشهورُ عن أبي حنيفة رحمه الله أن المصلِّيَ يأتي بها مخافتةً، وعنه أنه لا يأتي بها الإمامُ لأنه الداعي وعن الحسنِ مثلُه، وروى الإخفاءَ عبدُ الله بنُ مغفّل، وأنسُ بنُ مالك، عن النبي ﷺ، وعند الشافعيِّ رحمه الله يُجهر بها، لما روى وائلُ بنُ حُجْر: «**أن النبي ﷺ كان إذا قرأ: ولا الضالين، قال: آمين، ورفع بها صوته**»[3].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال لأُبي بن كعب: «**ألا أخبرتك بسورة لم يُنزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها، قلت: بلى يا رسول الله، قال: فاتحة الكتاب، إنها السبع المثاني،**

---

(1) الشطرة من بيت لمجنون ليلى وتمامه:

يا رَبُّ لا تَسلُبَنّي حُبَّها أبَداً ... ويَرحَمُ اللهُ عَبداً قالَ آمينا.

(2) لم أقف عليه.

(3) رواه أبو داود (1/ 246)، والطبراني في «الكبير» (22/ 21).

والقرآن العظيم الذي أوتيته»[1].

وعن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال: «**إن القومَ ليبعثُ الله عليهم العذابَ حتمًا مقضيًا، فيقرأ صبيٌّ من صبيانهم في الكتاب الحمدُ لله رب العالمين، فيسمعه الله تعالى فيرفعُ عنهم بذلك العذابَ أربعين سنة**»[2].

وعنه ﷺ: «**آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين**»[3] رواه ابن عدي، والطبراني في الدعاء عن أبي هريرة، انتهى.

وقد ألف في فضائلها وخواصها كثير من الأعلام، وأفردت بالتصنيف؛ بقصد الإفادة والإعلام، وذكر لها أهل الخواص خلوة جليلة، ودعوة آثارها جميلة على الحروف التي خلت منها؛ وهي (فجش ظخذ) وشرحها وخدمتها، وهل هي مستعذة بالعذاب، أو بالخير والثواب؟ ورجحوا الثاني، ولخص ما قاله بعض أهل التداني: أن من لازم قراءتها شاهد العجب العجاب، وبلغ سائر الآراب، وفتحت له الأبواب، وكانت شافيه واقية له من الأوصاب، كافية راقية من لسع حيات الهموم في الأحقاب، مذهبة لظمأ الفؤاد بماء مددها المنساب، أمة من أمها أم العلوم؛ لأنها أم الكتاب، مؤسس بناء تاليها، أو هي الأساس الجامع لِلُبَاب اللُّبَّاب، فمن تعلَّق بها وتمسَّك بذيل الملازمة على تلاوة أجزائها كُفي هم يوم الحساب، وحمل عقبي ذلك، وشكر ربه على التوفيق المستطاب.

ويبسمل؛ أي: ما يأتي بالبسملة، ويقرأ أوائل البقرة، قال المصري رحمه الله تعالى: قيل: إنها أول سورة نزلت بالمدينة إلى قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:281]، فإنها آخر آية نزلت، وهذه السورة فضلها عظيم، ويقال لها: فسطاط القرآن؛ لاجتماع كثير من الآيات، والأحكام، والقصص، والعجائب؛ لأن الفسطاط مجمع أهل البلد، وفيها ألف أمر، وألف نهي، وألف حكم، وألف خبر.

وفي الحديث: «**إن لكل شيء سنامًا وسنام القرآن سورة البقرة**»[4] وقد تعلمها عمر

(1) تقدم تخريجه.

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 221 -525).

(3) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (1/ 18).

(4) رواه الحاكم (1/ 748)، والطبراني في «الكبير» (9/ 129).

بفقهها وما تحتوي عليه في اثنتا عشرة سنة، وابنه عبد الله في ثمان سنين، وفي الحديث: «**أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**- يعني: السحرة- **إذا قرئت في بيت لم يدخله شيطان ثلاثة أيام**»[1] إلى قوله تعالى: ﴿المفلحون﴾؛ أي: يقرأ الآيات الأربع، فيقول: الم، قال المولى أبو السعود رحمه الله: الألفاظُ التي يعبّر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المُقطّعاتُ المرقومةُ في فواتح السورِ الكريمة أسماءٌ لها، لاندراجها تحت حدِّ الاسم، ويشهدُ به ما يعتريها من التعريف والتنكيرِ والجمع والتصغيرِ وغير ذلك من خصائص الاسم، وقد نص على ذلك أساطينُ أئمة العربية، وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحَرْفيتها محمولٌ على المسامحة.

وأما ما روي عن ابن مسعود ﷺ من أنه ﷺ قال: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله تعالى فله حسنة بحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف؛ بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[2] وفي رواية الترمذي والدارمي: «**لا أقول الم حرف ذلك الكتاب حرف، ولكن الألف حرف، واللام حرف، والميم حرف، والذال حرف، والكاف حرف**»[3] فلا تعلّق له بما نحن فيه قطعًا، فإن إطلاقَ الحرف على ما يقابل الاسمَ والفعلَ عرفٌ جديدٌ اخترعه أئمةُ الصناعة، وإنما الحرفُ عند الأوائل ما يتركب منه الكلمُ من الحروف المبسوطة، وربما يطلق على الكلمة أيضًا تجوّزًا، وأريد به في الحديث الشريف دفعُ توهمِ التجوُّز، وزيادةُ تعيينِ إرادةِ المعنى الحقيقي ليتبين بذلك أن الحسنةَ الموعودةَ ليست بعدد الكلماتِ القرآنية، بل بعدد حروفها المكتوبةِ في المصاحف، كما يلوّح به ذكرُ كتابِ الله دون كلامِ الله أو القرآن، وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلولهِ في شيء كما قيل، كيف لا والمحكومُ عليه بالحرفية واستتباع الحسنةِ إنما هي المسمَّياتُ البسيطةُ الواقعةُ في كتاب الله ﷻ، سواءٌ عُبّر عنها بأسمائها أو بأنفسها كما في قولك السينُ مهملة والشينُ مثلثة وغير ذلك مما لا يصدُق المحمولُ إلا على ذات الموضوع لا أسماؤها المؤلفة.

كما إذا قلت: الألف مؤلف من ثلاثة أحرف فكما أن الحسنات في قراءة قوله تعالى:

---

(1) رواه مسلم (1/ 553)،وابن حبان (1/ 322)، والدارمي (2/ 543).

(2) ذكره المناوي (2/ 546).

(3) رواه الترمذي (5/ 175).

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة:2]، بمقابلة حروفِهِ البسيطة، وموافقةٌ لعددها كذلك في قراءة قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة:1]، بمقابلة حروفِهِ الثلاثة المكتوبة وموافقةٌ لعددها، لا بمقابلة أسمائها الملفوظة والألفاتِ الموافقةِ في العدد، إذِ الحكمُ بأن كلاً منها حرفٌ واحد مستلزمٌ للحكم بأنه مستتبعٌ لحسنةٍ واحدة، فالعبرةُ في ذلك بالمعبَّر عنه دون المعبَّر به، ولعل السرَّ فيه أن استتباعَ الحسنةِ منوطٌ بإفادة المعنى المرادِ بالكلمات القرآنية، فكما أن سائرَ الكلماتِ الشريفة لا تفيد معانيَها إلا بتلفظ حروفِها بأنفسها، كذلك الفواتحُ المكتوبةُ لا تفيد المعانيَ المقصودةَ بها إلا بالتعبير عنها بأسمائها، فجُعل ذلك تلفظًا بالمسمَّيات كالقسمِ الأول من غيرِ فرقٍ بينهما.

ألا ترى إلى ما في الروايةِ الأخيرةِ من قوله عليه الصلاة والسلام: «**والدال حرف والكاف حرف**»[1] كيف عبّر عن طَرَفي «ذلك» باسميهما، مع كونهما ملفوظين بأنفسهما، ولقد روعيَتْ في هذه التسميةِ نُكتةٌ رائعة حيث جُعِلَ كلُ مسميّ لكونه من قبيل الألفاظ صَدْراً لاسمه، ليكون هو المفهومَ منه إثرَ ذي أثير، خلا أن الألفَ حيث تعذّر الابتداءُ بها استُعيرت مكانَها الهمزة، وهي مُعرَبة إذ لا مناسبةَ بينها وبين مبنيِّ الأصل، لكنها ما لم تلِها العواملُ ساكنةُ الأعجاز على الوقف كأسماء الأعدادِ وغيرِها، حين خلت عن العوامل، ولذلك قيل: صادْ، وقافْ، مجموعًا فيهما بين الساكنين، ولم تعامَلْ معاملةَ أينَ وكيفَ وهؤلاءِ، وإن وَلِيَها عاملٌ مسها الإعرابُ، وقصرُ ما آخِرُه ألفٌ عند التهجي لابتغاء الخِفةِ لا لأن وِزانَه وزانُ ( لا ) تقصرُ تارةً فتكونُ حرفاً وتمَدّ أخرى فتكون اسمًا لها كما في قولِ حسانَ ﷺ:

ما قال قطُّ إلا في تشهُّده ... لولا التشهُّدُ لم تُسمَعْ له لاء

وقد تكلموا في شأن هذه الفواتح الكريمةِ وما أريد بها فقيل: إنها من العلوم المستورةِ، والأسرارِ المحجوبة.

رُوي عن الصِّدِّيق ﷺ أنه قال: «في كل كتاب سرٌّ، وسرُّ القرآن أوائلُ السور».

وعن عليّ ﷺ: «إن لكل كتاب صفوةً وصفوةُ هذا الكتابِ حروفُ التهجّي».

(1) رواه الطبراني في «الأوسط» (1/ 102)، والهيثمي في «الزوائد» (7/ 163).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «عجزتِ العلماءُ عن إدراكها» وسُئل الشعبي عنها فقال: «سرُّ الله ﷻ فلا تطلُبوه»، وقيل: إنها من أسماء الله تعالى، وقيل: كلّ حرفٍ منها إشارة إلى اسمٍ من أسماء الله تعالى، أو صفةٍ من صفاته تعالى، وقيل: إنها صفاتُ الأفعال، الألفُ آلاؤه، واللام لُطفه، والميمُ مجدُه ومُلكُه، قاله محمدُ بنُ كعبٍ القُرَظي. وقيل: إنها من قبيل الحساب، وقيل: الألفُ من الله، واللامُ من جبريلَ، والميمُ من محمد، أي الله أنزل الكتاب بواسطة جبريلَ على محمدٍ عليهما الصلاة والسلام. وقيل: هي أقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة، لشرفها من حيث إنها أصولُ اللغاتِ ومبادئُ كتبِه المنزلة، ومباني أسمائِه الكريمة، وقيل: إشارةٌ إلى انتهاء كلامٍ وابتداءِ كلامٍ آخر، وقيل ، وقيل .

ولكن الذي عليه التعويلُ: إما كونُها أسماءً للسور المصدرة بها، وعليه إجماعُ الأكثر، وإليه ذهب الخليلُ وسيبويه، قالوا: سمِّيت بها إيذانًا بأنها كلماتٌ عربيةٌ معروفةُ التركيب من مسميات هذه الألفاظ، فيكون فيه إيماءٌ إلى الإعجاز والتحدّي على سبيل الإيقاظ، فلولا أنه وحيٌ من الله ﷻ لما عجِزوا عن معارضته.

ويقرُب منه ما قاله الكلبيُّ والسّدي وقَتادة من أنها أسماءٌ للقرآن، والتسمية بثلاثة أسماءٍ فصاعدًا إنما تُستنكر في لغة العرب إذا رُكِّبَتْ وجُعلت اسمًا واحدًا، كما في حَضْرَموت، فأما إذا كانت منثورة فلا استنكار فيها، والمسمى هو المجموعةُ لا الفاتحة فقط، حتى يلزمَ اتحادُ الاسمِ والمسمى، غايةُ الأمر دخولُ الاسم في المسمى، ولا محذور فيه، كما لا محذورَ في عكسه حسبما تحققْتَه آنفًا، وإنما كُتِبت في المصاحف صورُ المسميات دون صور الأسماءِ لأنه أدلّ على كيفية التلفّظ بها، وهي ( إمّا ) أن يكون على نهج التهجّي دون التركيب ولأن فيه سلامةً من التطويل لا سيما في الفواتحِ الخماسية، على أن خطَّ المُصحف مما لا يناقَشُ فيه بمخالفة القياسِ، وإما كونها مسرودةً على نمط التعديد.

وإليه جنَح أهلُ التحقيق قالوا: قالوا إنما وردت هكذا ليكون إيقاظاً لمن تُحدِّيَ بالقرآن، وتنبيهاً لهم على أنه منتظمٌ من عين ما ينظِمون منه كلامَهم، فلولا أنه خارجٌ عن طَوْق البشر، نازلٌ من عند خلّاق القُوى والقَدَر، لما تضاءلت قوتُهم، ولا تساقطت قدرتُهم، وهم فرسانُ حَلْبةِ الحِوار، وأُمراءُ الكلام في نادي الفخار، دون الإتيانِ بما يُدانيه،

فضلاً عن المعارَضة بما يُساويه، مع تظاهرهم في المضادّة والمضارّة، وتهالُكِهم على المعازة والمعارّة.

أو ليكونَ مطلَعُ ما يُتلى عليهم مستقلاً بضربٍ من الغرابة، أُنموذجًا لما في الباقي من فنون الإعجاز، فإن النطقَ بأنفُسِ الحروفِ في تضاعيف الكلام، وإن كان على طرَف التمام، يتناولُه الخواصُّ والعوامُّ، من الأعراب والأعجام، لكن التلفظَ بأسمائها إنما يتأتّى ممن درَس وخطَّ، وأما ممن لم يحُمْ حولَ ذلك قطّ، فأعزُّ من بَيْض الأنُوق، وأبعدُ من مَناط العَيُّوق، لا سيما إذا كان على نمط عجيب، وأسلوبٍ غريب، مُنْبِئٍ عن سرّ بِرّيّ، مبنيّ على نهجٍ عبقري، بحيث يحارُ في فهمه أربابُ العقول، ويعجِزُ عن إدراكه ألبابُ الفحول.

كيف لا وقد وردت تلك الفواتحُ في تسعٍ وعشرين سورةً على عدد حروف المُعجم، مشتملةً على نصفها تقريبًا، بحيث ينطوي على أنصاف أصنافها تحقيقًا أو تقريبًا، كما يتّضحُ عند الفحص والتنقير، حسبما فصّله بعضُ أفاضِلِ أئمةِ التفسير.

فسبحان من دقّتْ حكمتُه من أن تطالعَها الأنظار، وجلّت قُدرتُه عن أن تنالَها أيدي الأفكار، وإيرادُ بعضِها فرادى وبعضِها ثنائيةً إلى الخماسية جرَى على عادة الافتنان، مع مراعاة أبنيةِ الكَلِم وتفريقِها على السور، دون إيرادِ كلِّها مرةً لذلك ولِما في التكرير والإعادة من زيادة إفادةٍ، وتخصيصُ كل منها بسُورتها مما لا سبيلَ إلى المطالبة بوجهه، وعدُّ بعضِها آيةً دون بعضٍ مبنيٌّ على التوقيف البحت.

أما (الٓمٓ) فآيةٌ حيثُ ما وقعت، وقيل: في آل عمران ليست بآية، و(الٓمٓصٓ) آية و(الٓمٓر) لم تُعَدُّ آية، و(الٓر) تُعَدُّ بآية في شيء من سورها الخمس، و(طسٓمٓ) آية في سور منها، و(طه)، و(يسٓ) آيتان، و(طسٓ) ليست بآية و(حمٓ) آيةٌ في سُوَرِها كلِّها و(كٓهيعٓصٓ) آية و(حمٓ) (عٓسٓقٓ) آيتان، و(صٓ)، و(قٓ)، و(نٓ)، لم تُعَدّ واحدةٌ منها آية هذا على رأي الكوفيين، وقد قيل: إن جميعَ الفواتح آياتٌ عندهم في السور كلِّها بلا فرقٍ بينها، وأما مَنْ عداهم فلم يعُدّوا شيئاً منها آية، ثم إنها على تقدير كونها مسرودةً على نَمطِ التعديدِ لا تُشَمُّ رائحةَ الإعراب، ويوقفُ عليها وقفَ التمام، وعلى تقدير كونِها أسماءً للسور أو للقرآنِ كان لها حظٌّ منه، إما الرفعُ على الابتداء أو على الخبرية.

وإما النصبُ بفعل مُضمَرٍ، كاذكُرْ، أو بتقدير فعلِ القَسَم على طريقة: الله لأفعلن،

وإما الجرُّ بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام، ويستدعيه النظام، ولا وقف فيها عدا الرفعَ على الخبرية، والتلفظُ بالكل على وجه الحكاية ساكنةَ الأعجاز، إلا أن ما كانت منها مفردة مثل:

(ص ق ن) يتأتى فيه الإعراب اللفظي أيضًا، وقد قرأت بالنصب على إضمار فعل أي اذكرا واقرأ (ص ق ن) وإنما تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد نحو (حم، ويس، وطس) الموازنة لقابيلَ وهابيلَ حيث أجاز سيبويه فيها مثل ذلك، قال في باب أسماء السور من «كتابه»: وقد قرأ بعضهم يس والقرآنِ وقافَ والقرآنِ فكأنه جعله اسمًا أعجميًا، وقد قرأ بعضهم ثم قال اذكُرْ ياسينَ، انتهى.

وحكى الشيْرَازيُّ أيضًا عن بعضهم قراءة ياسين، ويجوز أن يكون ذلك في الكل تحريكًا لالتقاء الساكنين ولامتناع للنصب بإضماره فعل القسم؛ لأن ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما، وقد استنكر هو الجمع بين القسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الأول، وهو السر في جعل ما عدا الواو الأولى في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: 1-3]، عاطفة، ولا مجال للعطف ها هنا للمحل بين الأول والثاني في الإعراب، نعم يجوز ذلك بجعل الأول مجرورًا بإضمار الباء القسمية مفتوحًا لكونه غير منصرف، وقرئ صاد، وقاف، بالكسر على التحريك لالتقاء الساكن، ويجوز في (طسم) أن تفتح نونها من «دارا بجَرْد» ذكره سيبويه، وأما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها إلا الحكاية، وسيجيء تفاصيل سائر الأحكام كل منها مشروحة في مواقعها بإذن الله عز سلطانه.

أما هذه الفاتحةُ الشريفةُ فإن جُعلت اسمًا للسورة أو للقرآنِ فمحلُّها الرفع، إما على أنه خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ، والتقديرُ هذا (الم) أي مسمًّى به، وإنما صحت الإشارةُ إلى القرآن بعضًا أو كلاً مع عدم سبْق ذكرِه لأنه باعتبار كونِه بصدد الذكرِ صار في حكم الحاضِرِ المشاهَد، كما يقال هذا ما اشترى فلان، وإما على أنه مبتدأ، أي المسمّى به والأولُ هو الأظهر؛ لأن ما يُجعلُ عنوانَ الموضوع حقُّه أن يكون قبل ذلك معلومَ الانتساب إليه عند المخاطَب، وإذ لا عِلْمَ بالتسمية قبلُ فحقُّها الإخبارُ بها، وادعاءُ شهرتها يأباه الترددُ في أن المسمَّى هي السورةُ أو كلُّ القرآن، انتهى.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ قال المصري رحمه الله تعالى: قيل المعنى هذا الكتاب، وذلك قد تستعمل في الإشارة إلى حاضر، وإن كان موضوعًا للإشارة إلى غائب كما في الإخبار عن نفسه ذلك عالم الغيب، فذلك إشارة إلى القرآن؛ أي: هذا القرآن الذي يقرأه محمد لا ريب فيه، والإشارة فيه بذلك لقصد التعظيم بالبعد ذهابًا إلى بعد درجته، وقيل: هو على بابه إشارة لغائب، واختلف في ذلك الغائب فقيل: ذلك الكتاب؛ أي: الكتاب الذي كتبته على الخلائق بالسعادة، والشقاوة، والأجل، والرزق لا ريب فيه؛ أي: لا مبدل له، وقيل ذلك الكتاب الذي كتبته على نفسي في الأزل: «**إن رحمتي سبقت غضبي**»[1].

وقيل: إن الله تعالى قد كان وعد نبيه محمدًا ﷺ أن ينزل عليه كتابًا لا يمحوه الماء، فأشار إلى ذلك الوعد، وقيل أن ذلك إشارة لما في التوراة والإنجيل، (والم) اسم القرآن، والتقدير هذا القرآن ذلك الكتاب المفسر في التوراة والإنجيل.

وقيل: ذلك الكتاب إلى اللوح المحفوظ.

وقيل: إلى القرآن الذي في السماء لم ينزل بعد.

وقيل: إن الله تعالى كان قد وعد أهل الكتاب أن ينزل على محمد ﷺ كتابًا فالإشارة إلى ذلك الوعد.

وقيل غير ذلك، والكتاب: مصدر من كَتَبَ يَكْتُبُ إذا جمع، وهو القرآن، غلب عليه من بين الكتب في عرف أهل الشرع، وهو عند الأصوليين: اللفظ، ولو بالقوة كالمكتوب في المصاحف المنزل على محمد ﷺ، المعجز بسورة منه، المتعبد بتلاوته، بخلاف القرآن في أصول الدين؛ فإنه اسم لمدلول ذلك، وهو المعنى النفسي القائم بذاته تعالى.

﴿لَا رَيۡبَۛ﴾ أي: لا شك فيه أنه من عند الله، وهو نفيٌ عامٌ، ولذلك نصب على ريب، والرَيبُ: التهمة والحاجة، فكتاب الله لا شك فيه ولا ارتياب، والمعنى أنه في ذاته حق، وأنه مُنْزل من عند الله، وصِفَةٌ من صفاته، غير مخلوق، ولا مُحدث، وإن وقع فيه ريب للكفار تنزيلاً لوجود الشيء منزلة عدمه، بناء على وجود ما يزيله حتى صح نفي الريب على سبيل الاستغراق، وقيل هو خبر معناه النهي؛ أي: لا ترتابوا، وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها، وسُمي به الشك؛ لأنه يقلق النفس، ويزيل الطمأنينة، ومنه رب

(1) رواه البخاري (6/ 2700)، والنسائي في «الكبرى» (4/ 428).

الزمان، وهو ما يقلق النفوس، ويشخص بالقلوب من نوائبه.

﴿هُدًى﴾ أي: هادٍ للمتقين، ارتفع هدى على الابتداء والخبر؛ وهو الرُّشد والبيان؛ أي فيه كشف لأهل المعرفة، ورشد، وزيادة بيان، وقيل معناه الدلالة الموصلة إلى بغية، وهو مصدر على فعل مثل السري، والبكاء وهو على ضربين هدي ضلالة، وهو الذي يقدر عليه الرسول وأتباعه، قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:7].

والثاني: التأييد والتوفيق، وهو لله سبحانه وتعالى، قال لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:56]، فالهدى على هذا يجئ بمعنى خلق الإيمان في القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:213]، والهدى يتعدى بحرف، وبغير حرف، فالأول: كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:43]، والثاني:﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة :6] وخص المتقين بهدايته وإن كان هدى للخلق أجمعين؛ تشريفا لهم، أو إرادة الفريقين، واقتصر على المتقين؛ لأنهم الفائزون، أو للإيجاز كما في قوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل:81]، ومعنى هداية المتقي وهو مهتد، زيادة ذلك أو الدوام عليه، أو لأنهم إنما صاروا متقين باستفادتهم الهدى من الكتاب.

والتَّقْوى أصلها في اللغة: قِلّة الكلام، حكاه ابن فارس، والمتقي فوق المؤمن والطائع، وهو الذي يتقي بصالح عمله، وخالص دعائه عذاب الله تعالى، مأخوذ من اتقاء المكروه، بما يجعله حاجزًا بينك وبينه، والوقاية: فرط الصيانة، ولها مراتب:

فأولها: اتّقاء الشرك، ثم بعده اتّقاء المعاصي والسيئات، ثم بعده اتقاء الشبهات ،ثم يدع بعده الفضلات، وفي الحديث: «**عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير**»(1).

المتقي في عرف الشرع: اسم لمن تقى نفسه عما يضره في الآخرة، وأعلى مراتب التَّقْوى أن يَتَنَزَّه عما يشغل سره عن الحق، ويَتَبتَّل إليه بسرائره، وهو التّقي الحقيقي المطلوب بقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:12].

قال سهل بن عبد الله: «لا مُعِين إلا الله، ولا دَلِيل إلا رسول الله، ولا زاد إلا

---

(1) رواه الهيثمي في «الزوائد» (10/ 301).

التَّقْوَى».

وقال ابن عطاء الله: «التَّقْوى ظاهرٌ وباطِنٌ، فالظاهرُ محافظة الحدود، والباطن النية والإخلاص».

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «سادة الناس في الدُّنيا الأسخياء وسادة الناس في الآخرة الأتقياء».

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ الذين: في موضع خفض نعت للمتقين، ويجوز الرفع على القطع؛ أي: هم الذين، ويجوز النصب على المدح.

والإيمان في اللغة: التَّصْدِيق، ويتعدى بالباء واللام كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف:17]، ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ [يونس:83]، وتعديته بالباء لتضمينه معنى الاعتراف.

والإيمان في عرف الشَّرع: التصديق بما علم من الدين بالضرورة أنه من دين محمد ﷺ؛ كالتوحيد، والنبوة، والبعث، والجزاء، أو مجموعه ثلاثة أمور اعتقاد الحق والإقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين، والفقهاء، والمعتزلة، والخوارج، فمن أخل بالاعتقاد وحده فمنافق، ومن أخل بالإقرار فهو كافر، ومن أخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج، وخارج من الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة.

(والغيب) مصدر وصف به للمبالغة، وهو كلما غاب، وهو هنا قيل: الله سبحانه وتعالى وصفاته، وقيل: القضاء والقدر، وقيل: القرآن وما فيه من الغيوب، وقيل: كل ما أخبر به الرسول مما لا تهتدي إليه العقول من أشراط الساعة، وعذاب القبر، والحشر، والنشر، والصراط، والميزان، والجنة، والنار.

والغَيْب قِسْمان: قسم لا دليل عليه؛ وهو المعنى بقوله: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:59].

وقسم نصب عليه دليله؛ كالصانع وصفاته، واليوم الآخر، وأحواله، وقيل: المعنى: يؤمنون بضمائرهم وقلوبهم بخلاف المنافقين، وقيل: هو من باب الاكتفاء؛ أي يؤمنون بالغيب والشهادة؛ لأن الإيمان بكل منهما واجب، وآثر الغيب لأنه أمدح؛ ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس، انتهى.

قلت: وقد نقل سيدي محيي الدين ـ قدس الله سره ـ في كتابه «روح القدس في مناصحة النفس»[1]: أن نفسه قالت له حين أراد أن يدخل معها ديوان المحاققة، وكذلك أحوالي لا تعرض عليه، فإنه البحر الأعظم الذي لا يدرك قعره؛ إذ ليس له قعر فيدرك، ولا ساحل فيبلغ، بل فيه هلك الهالكون، ونجا المفلحون، قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: 26].

والله لو عرضت الملائكة، والنبيون، والمرسلون أجمعون أحوالهم على آية من القرآن على حد ما يعلمه الله تعالى من أسرارها، وما أودع فيها من الغيوب، لبقي الكل إلى جانبها، كلا شيء عندها، لقد قيل في أول آية منه، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: 3] يتيه العالم أعلاه وأسفله، ولا يعرف طريقه أبدًا، ولا يفي أحد بحقيقتها، فإن في الغيب أمورًا لو بَدَا منها لمحة بارق لأعلى عالم مشاهدة من العالم، وأقواه إيمانًا لتردد فيها واتهم إيمانه؛ فهم جهلوا الأسماء.

فما ظنك بما تنطوي عليه المسميات من المعاني، وذلك لعلو الأمر عن مراتب العقول، وانفراد الحق بالخلق والإيجاد دون الخلق، ولهذا قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].

ولما لم يكن لنا خلق لم يكن لنا علم، فما أعطانا فمنية منه، وعلمه لا يتناهى، فليس بإنصاف منك أن تعرض حالي على كتاب الله تعالى الأقوى الأقهر، ولكن حسبك ومن دون القرآن والنبوة من المؤمنين، فخذ مع في مراتب الولاية والعناية المنقادة السمعية السهلة المطيعة... إلخ، انتهى.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال المصري رحمه الله تعالى: أي يداومون عليها تامة الأركان بحقوقها، وقيل: يعدلون أركانها، ويحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها، من أقام العود إذا قومه، قيل هذا أقرب وأفيد؛ لأن الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن، وحقوقها الباطنة من الخشوع والإقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلي الساهي، وقد يعطي القول الأول هذا المعنى أيضًا.

---

(1) في ص (28).

وأصل الصَّلاة في اللغة: الدُّعاء بخير، والصَّلاة: الرحمة، والصلاة: العبادة، ومنه ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأنفال:35] والصلاة: القراءة، ومنه ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء:110]، والصلاة: الدين، ومنه ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود:87] وغير ذلك.

وهي في الشرع: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم مع النية، والمراد بها هنا الفرائض، والنوافل، وقيل الفرائض فقط، والصلاة سبب الرزق، وشفاء من وجع البطن وغيره، «**وكان ﷺ إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة**»[1].

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: أعطيناهم، والرزق عند أهل السنة ما صح الانتفاع به حلالاً كان أو حرامًا، وإن لم يأمر الله بالإنفاق من المحرَّم؛ لأنه إن كان مأذونًا فيه فهو حلال حكمًا، وإن كان غير مأذون فيه فهو حرام حكمًا، وجميع ذلك رزق، وهو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم، ومعنى ينفقون: يخرجون، والإنفاق: إخراج المال من اليد والملك في طاعة الله والنفقة هنا قيل: الزكاة المفروضة، وقيل: نفقة الرجل على أهله، وقيل: صدقة التَّطوع، وقيل: عام وهو الصحيح، قال بعضهم: الإيمان بالغيب حظ القلب ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الأنبياء:73]، حظُّ البدن ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج:35]، حظ المال، وقال بعض المتقدمين: مما رزقناهم ينفقون؛ أي: مما علمناهم أو مما خصصناهم به من أنوار المعرفة يفيضون.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:4]، قيل: هم مؤمنو أهل الكتاب؛ كعبد الله بن سلام، وقيل: جميع المؤمنين (وما أنزل إليك) القرآن بأسره والشريعة عن آخرها وإنما عدل عنه بلفظ الماضي، وإن كان بعضه مترقبًا تغليبًا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلاً للمنتظر منزلة الواقع.

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة:4]، يعني الكتب السالفة، وفي حديث أبي ذر قال: قلت: « **يا رسول الله، كم كتابًا أنزله الله؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف،**

(1) ذكره ابن حجر في اللسان (1/ 211)، والمناوي في الفيض (1/ 360).

**وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن.. الخ**"[1] فإن قيل كيف يمكن الإيمان بجميعها مع تنافي أحكامها؟ قيل: الإيمان بأن جميعها أنزل من عند الله أو أن الإيمان بما لم ينسخ منها.

﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:4]؛ أي: وبالبعث والنشور عالمون، واليقين: إتيان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال، وقيل: هو العلم بعد أن لم يكن ولهذا لا يقال في الله تعالى موقن، ولا لعلمه يقين، وهو من زيادة الإيمان.

قال ابن عطاء الله ﷺ: قدر قربهم من القربى أدركوا ما أدركوا من اليقين.

وقال الجنيد: اليقين ارتفاع الشك.

وقال ذو النون: كلما رأته العيون نسب إلى العلم، وكلما علمته القلوب نسب إلى اليقين، وفي تقديم الصلة وبنا يقيمون على هم تعريض لمن عداهم من أهل الكتاب وبأن اعتقادهم في أمر الآخرة غير مطابق، والآخرة: مشتقة من التأخير لتأخرها هنا أو لتأخرنا عنها وهي تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ [القصص: 83]، فغلبت كالدنيا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [5]؛ أي: من ذكر من المتقين الموصوفين بما ذكر على هدى وصل إليهم من ربهم الذي أصلح أحوالهم، وفي الآية رد على القدرية القائلين بأن الزهاد يخلقون إيمانهم وهداهم تعالى الله ربنا عن قولهم، ولو كان كما قالوا لقال: على هُدًى من أنفسهم.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [5]، هم: يجوز أن يكون مبتدأ وخبره المفلحون وهما خبر أولئك ويجوز أن تكون هم زائدة، ويسميها البصريون فاصلةً، والكوفيون عمادًا، والمفلحون خبر أولئك، وأصل الفَلاحِ في اللُّغة: الشَّقُّ والقطع، ويقال للذي شعب لصفة السفلى أَفْلَحَ فكان للفَلَح قد قطع المصاعب حتى نال مطلوبه، وقد يستعمل في الفوز والبقاء فمعنى هم المفلحون؛ أي: الفَائِزُون بالجنة والباقون فيها، وهو في العرف الظَّفَر بالمطلوب والنجاة من المرهوب، انتهى.

---

(1) رواه ابن حبان (2/ 77).

وقد ذكر أرباب الخواص هذه الآيات خواص كثيرة: الأنعام والاختصاص، قال الشيخ رجب المحمودي المعروف بابن إسحاق المالكي في كتابه «روض الأزهار في فضائل القرآن والمنافع والأذكار»: قال الحكيم هذه الآيات تزيد في الحفظ، وتقوي اليقين، ويثبت بها العلم، وتعين على الحفظ والمعرفة لمن يكتبها يوم الخميس أول النهار في إناء طاهر لم يستعمل بماء ورد ومسك وزعفران، ويمحيء بماء بئر عربي ويشربها ويمسك عن الطعام يفعل ذلك ثلاثة أيام خميس أو خمسًا أو سبعًا فإنه ينال ما ذكر ثم يقرأ التالي قوله: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل:22]، قال الشيخ المصري رحمه الله تعالى: خطاب عام؛ أي: المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له في ذاته ولا في صفاته، ولما حذر تعالى عن كتمان الحق بين أنَّ أول ما يجب إظهاره ولا يجوز كتمانه من التوحيد، ووصل ذلك بذكر البرهان وعلم طريق النظر، وهو الفكر في عجائب الصنع ليعلم أنه لا بُدَّ من فاعل لا يشبهه شيء.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ونزلت لما قال كفار قريش يا محمد انسب لنا ربك؛ أي: صفه لنا وكان للمشركين ثلاثمائة وستون صنمًا، فبين تعالى أنه واحد فلا تطلبوا غيره ولا من سواه، ولا تعبدوا إلا إياه. لا إله إلا هو تقرير للوحدانية، وإزاحة لأن يتوهم في الوجود إلهاً ولكن لا يستحق من العبادة، والمعنى لا معبود إلا الله.

وحكي عن الشبلي أنه كان يقول: الله ولا يقول لا إله إلا الله فسئل عن ذلك، فقال: أخشى أن آخذ في كلمة الجحود، ولا أصل إلى كلمة الإقرار، قال القرطبي: وهذا من علومهم الدقيقة التي ليست لها حقيقة الله تعالى ذكر هذا المعنى في كتابه نفيًا وإثباتًا وكرره ووعدنا بالثواب الجزيل عليه على لسان نبيه، وفي الحديث: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[1] أخرجه مسلم.

والمقصود القلب لا اللسان، فلو قال: لا إله إلا الله، ومات، ومعتقده وضميره الوحدانية؛ لكان من أهل الجنة باتفاق أهل السنة.

الرحمن الرحيم كالحجة عليها، فإنه لما كان مولى النعم كلها أصولها وفروعها، وأما سواه؛ إما نعمة، وإما منعم عليه، لم يستحق العبادة أحد غيره، وقيل: لما سمعه المشركون

---

(1) رواه مسلم (1/ 125)، والطبراني في «الأوسط» (185).

تعجبوا وقالوا: إن كنت صادقًا فأت بآية نعرف بها صدقك، فنزل ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران190]... إلخ.

قال في «روض الأزهار»: قال صاحب «دعامة اليقين»: إذا أردت ألا يؤذيك أحد لا شيطان، ولا جبار، ولا غيره، عليك بنقش خاتم فضة بطالع الأسد والشمس فيه بالآية، فإنه لا يغلبك أحد من خلق الله، ولا يؤذيك، ويكون النقش وفقًا بالأحرف الطيبة، وذكر بعض الأصحاب أنها تنقش في لوح من فضة، والشمس بالأسد، والقمر بالسرطان، ويمسك عنده فإن لها سرًّا عظيمًا في دوام الفرح والسرور.

قال المصنف: ثم يقرأ التالي آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة:255- 257] الآية.

قال الشَّارح: أي: الآية التي يذكر فيها الكرسي، والآية: طائفة من القرآن يتصل بعضها ببعض إلى انقطاعها، طويلة كانت أو قصيرة، كذا قيل، وهي قوله تعالى: (﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) [البقرة:255][1].

---

(1) قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قطع بها أبدء من وصف ألوهيته عن قلوب عباده أسباب العبودية؛ لأن العبودية تكون عرفان الربوبية، لأجل ذلك ذكر نفسه في أول إظهار وجوده، وأيضًا كشف عن نفسه بوصفه لعباده حتى أثبتهم ببروز سلطنته في قلوبهم عند خطرات اهجران عند قوله، وأيضًا دعا الخلق بنفسه إلى نفسه قبل ذكر الأسباب حتى حيرهم به فيه، وأيضًا رسخ أشجار المحبة في سواقي أسرار أهل المعرفة بذكره ألوهيته قبل كل شيء، ثم ذكر ليحيرهم في سراب العدم، ثم كشف لهم عن جمال القدم، وأيضًا أفرد قدمه عن العدم، وأيضًا ضرب سرادق التنزيه على سواحل =

قال المصري - رحمه الله تعالى: مبتدأ وخبر، أي: لا معبود بحقٍّ في الوجود إلا هو؛ والمعنى: أن المستحق للعبادة لا غير الحي الذي يصح أن يعلم ويُقدِّر، وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول؛ لامتناعه عن الإمكان، قيل: هو اسم الله الأعظم.

---

بحر التوحيد قوله: ﴿إِلَّا هُوَ﴾ أزال العلل عن قدس الأزل، وكشف بالأزل عن الأزل.

سُئل ابن منصور رحمة الله عليه عن هذه الآية؛ فقال: لا إله إلا الله يقتضي شيئين: إزالة العلة عن الربوبية، وتنزيه الحق عن الدرك.

وقال ابن عطاء: صدق قبول لا إله إلا الله الصبر، وبه ثبت على إيمانه والصدق، وبه اجتهد في الطاعات لربه في سره وإعلانه وإنفاق من ماله مبتغيًا به رضاه حتى لا يبقى لنفسه مدخرًا غير خالقه، والخلوة بربه في الأسحار وإظهار الافتقار بلسان الاستغفار نادمًا على عصيانه خائفًا من هجرانه.

وقال أيضًا: يحتاج مع قائل لا إله إلا الله ثلاثة أنوار نور الهداية، ونور الكفاية، ونور العناية، فمتى منَّ الله عليه بنور الهداية فهو من خواصه، ومتى منَّ عليه بأنوار الكفاية فهو معصوم من الكبائر والفواحش، ومتى منَّ عليه بأنوار العناية فهو محفوظ من الخطرات الفاسدة.

وقال بعضهم: يحتاج قائل لا إله إلا الله إلى أربع خصال: تصديق، وتعظيم، وحلاوة، وحرمة، فمَنْ لم يكن له تصديق فهو منافق، ومَنْ لم يكن له تعظيم فهو مبتدع، ومَنْ لم يكن له حلاوة فهو مرائي، ومَنْ لم يكن له حرمة فهو فاسق. قيل لأبي الحسن النوري: لِمَ لا تقول لا إله إلا الله، قال: بل أقول الله، ولا أبقي به ضدًا. وقال بعضهم: مَنْ قالها وفي قلبه رغبة أو رهبة أو طمع أو سؤال فهو مشرك.

﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ الحي الذي قامت به الأحياء، و ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ الذي يحيي بقيوميته الأموات، وأيضًا ﴿ٱلْحَيُّ﴾ الذي تتهمهم به الأنفاس، و ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ الذي تقوم بكفاية الأشخاص، والحياة من صفاته الخاصة في العدم وعامة فيها أوجد الخلق من العدم، والقيومية صفته التي لم يزل كان موصوفًا بها، ويحصلها أنه استقبل بنفسه في أزليته وأبديته، و﴿ٱلْحَيُّ﴾ الذي لبس حياته أسرار الموحدين فتوحدوا به له، و ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ الذي يربي بتجلي الصفات وكشف الذات أرواح العارفين، ففنوا في ذاته، واحترقوا بنور كبريائه. وقيل في قوله: ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ أجعله مراقبًا في قيوميته عليك وعلى جميع العالم. قيل: إنه قيوم بحفظ أذكاره على أسرار أهل صفوته.

وقال سهل: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ قائم على خلقه بكل شيء، وآجالهم، وأعمالهم، وأرزاقهم.

وقال الخواص: مَنْ عرفه بأنه ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ألزمه معرفته له طلب كل شيء منه، وترك القيام بشيء من أموره لقيامه بها. وقيل: وصف نفسه بالامتناع عن اعتراض القواطع والعلل.

قال قتادة: «الحي الذي لا يموت»، وقيل: الباقي.

قال المولى أبو السعود - رحمه الله تعالى: الحي: الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء، وهو لما خبر ثاني، أو خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من «لا إله إلا هو»، أو بدل من «الله»، أو صفة له، ويعضده القرآن بالنصب على المدح اختصاصه بالنعت القيوم، فيعول من قام بالأمر إذا حفظه؛ أي: دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه، وهو القائم بذاته المقيم لخين، انتهى.

وقال المصري -رحمه الله تعالى: وقيل: معناه القائم على كلّ نفس بما كسبت حتى يجازيها بأعمالها، ابن عباس: هو الذي لا يحول ولا يزول، وقيل: هو الذي لا ينام، والحي القيوم صفتان لله، وإنْ شئت خبر بعد خبر، انتهى.

وقال المولى أبو السعود -رحمه الله تعالى عند قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥][1]: السِّنة ما يتقدَّم النوم من الفتور، قال عدي بن رقاع: وسنان: أقصده النعاس، فرققت بي عينه سنة وليس بنائم، والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة؛ بحيث تقف المشاعر الظاهرة عن الإحساس رأسًا، والمراد: بيان انتفاء اعترائي منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه تعالى؛ لأنهما قاصران بالنسبة للقوة الإلهية؛ فإنه بمعزل من مقام التنزيل، فلا سبيل إلى حمل النظم

---

(1) ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ خوّف بهذه الإشارة خواص المراقبين حتى لا يشتغلوا بغيره طرفة عين، وأيضًا أخبر عن تنزيه إزالة التشبيه عن قلوب المريدين، وأيضًا بنفي السِّنة عن نفسه، نزه نفسه عن الغفلة، وبنفي النوم نفسه عن الغيرة، وأيضًا هذه إعلام منه جلّ وعلا أنه ينتقم عن الظالمين للمظلومين، وأيضًا علم الخلق تنزيه قدم صفاته وقدس عظيم ذاته، أي أنا مبدع العلّات، وأنا منزه عن صفات المحدثات.

وقال بغداديون: أنّى تأخذه السِّنة من كان، ولا سِنة ولو وجد السِّنة قهر العبادة ونقصًا ارتبط الأشياء بأضدادها، والفرد هو عن الأحوال لأنه محولها.

﴿مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أذل حلاوة زهرة الكونين والعالمين عن قلوب أهل الصفوة بقوله: ﴿مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ أي: الحوادث إلى استأصلها عن مزار وحدانيتي، ألا وهي الأسرار الموحدين رغبهم بفنائهم عن الأسباب والعلامات، ووبخ من التفت سره عن إلى مالِه؛ لأن الالتفات من المُنعِم إلى النعماء شرك بالمُنعِم.

الكريم على طريقة المبالغة والترقي، بناءً على أن القادر على دفع السِّنة قد لا يقدر على دفع النوم القوي؛ كما في قولك: فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم؛ وإنما تأخير النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجي، وتوسيط كلمة «لا» للتنصيص على شمول النفي لكل منهما؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [التوبة: ١٢١]، وإنما التعبير عن عدم الاعتراض، والعروض بعدم الأخذ؛ فلمراعاة الواقع؛ إذ عروض السنة والنوم لمعروضهما إنما يكون بطريق الأخذ والاستيلاء، وقيل: هو من باب التكميل، والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حيًّا قيومًا؛ فإن من يعتريه أحدهما يكون في الحياة قاصرًا، انتهى.

قال النيسابوري - رحمه الله تعالى: لما بيَّن أنه حي قيوم أكَّد ذلك بقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، أو تقول: نفى الأخص أولاً، ثم نفى الأعم ليفيد المبالغة، انتهى[1].

(﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾) قال المصري رحمه الله تعالى: ملكًا وخلقًا وهو تعزيز لقيوميته، واحتجاج على تفرده في الألوهية، والمراد بما فيهما: ما وجد فيهما ما خلا في حقيقتهما، أو خارجًا عنهما، متمكنًا فيهما، فهو أبلغ من قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فيهن (﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾) أي لا أحد (﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾) [البقرة: 255][2] له فيها، وهو بيان لكبرياء شأنه وأنه لا أحد يساويه، أو يدانيه مستقل بأن يدفع

(1) انظر: تفسير الوسيط للواحدي (2/ 115).

(2) ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ أغرق الشافع والمستشفع في بحار منته إذ لا يفرض كلاءة عباده إلا إلى نفسه، وأيضًا قطع أسباب حيل الوسيلة عن عناية الأزلية، وأيضًا أدب الخلق بهذه الآية حتى لا ينبسط إليه إلا مَنْ غلبه الشُّكر والانبساط، والأذن مقام الهيبة عند سرادق العظمة، والحكم حال الانبساط في بساط الألفة، والخائفون مراقبون الأذن، والعاشقون يريدون ويقتحمون في الحكم؛ لأن صاحب الحكم في هيجانه ملتبس بسناء التوحيد، معتزل عن الأشباح بنعت التفريد، أسكرته مشاهدة الحسن، واضطرته مكاشفة القدس إلى البسط والانبساط، وهذين الوصفين يكونان في العارف من الأنبياء والأولياء، فالأول نعت تبت، والآخر نعت أزلي.
وقيل: جذب به قلوب عباده إليه في العاجل والآجل. قال الواسطي: لو جعل إلى نفسه وسيلة غير نفسه كان معلولاً، ومَنْ تزين بإخلاصه ومحبته ورضاه توسل بصفاته إلى من لا وسيلة له إلا به قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾. قال منصور: فأي الشفيع إلى مَنْ لا يسعه غيره، ولا يحجبه سواه. وقال الواسطي: مَنْ ذا الذي يدعوني حتى أذن له في الدعاء، ومَنْ ذا الذي يؤمن به

ما يريده شفاعة واستكانة، فضلاً أن يعاوقه عنادًا، أو مناصة، ومن رفع بالابتداء، وذا خبر، والذي نعت له، وإنْ شئت بدل، والاستفهام للتعظيم، وفي الآية دليل وتقدير: بأن الله تعالى يأذن لمن شاء في الشفاعة؛ وهم الأنبياء، والعلماء، والملائكة، وغيرهم عن أكرمهم وشرفهم، ثم لا يشفعون إلا لمن ارتضى بعلمها بين أيديهم، وما خلفهم، وما قبلهم، وما بعدهم، أو بالعكس؛ لأنك مستقبل المستقبل متدبر المتدبر،يرد المولى أبو السعود: وأمور الدنيا وأمور الآخرة، أو بالعكس، أو ما يحسونه، أو ما يعقلونه، أو ما يدركونه، انتهى.

ثم قال مجاهد ﷺ: ما بين أيديهم الدنيا، وما خلفهم الآخرة، والضمير في «لما» في السماوات وما في الأرض؛ لأن فيهم العقلاء؛ أي: فيكون من باب تغليبهم على غيرهم، أو لما دل على غيرهم عليه من ذا من الملائكة والأنبياء (﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾) أي: من معلوماته؛ لأن علم الله تعالى الذي هو صفة ذاته لا يفهم، والفرق بين العلم والمعلوم أن المعلوم: منفصل عن ذاته، والعلم: متصل بها إلا بما نسب أن يعلموه بأخبار الرسل، وعطفه على ما قبله؛ لأن مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي الدَّال على وحدانيته.

---

حتى أهديه، ومَنْ ذا الذي يطيعني حتى أوفقه، ومَنْ ذا الذي ينتهي عن المعاصي حتى أعصمه.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: يعلم ما بين أيديهم من الخطرات، وما خلفهم من العثرات، وأيضًا يعلم ما بين أيديهم من المقامات، وما خلفهم من الحالات، وأيضًا يعلم منهم قبل إيجادهم ما ابتلاهم به من أسرار الأفعال المقرونة بالإرادة، ويعلم منهم بعد كونهم من درك المعاينات في مقام العبودية من أسرار علم الأزليات. وقال أبو القاسم: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ لأنه لا يخرج عن علمه معلوم، ولا يلتبس عليه وجود ولا معدوم. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ حجب علم القدم عن إدراك مَنْ أوجد من العدم، إلا ما كاشف لأهل القلوب من معانات الغيوب، وأيضًا أي ولا يحيطون بشيء مما علمه الله من نفسه من علم الأزل إلا بما شاء، أي إلا به لأنه لا وسيلة إلى علمه سواه. وقيل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ يعني من معلوماته وإذا تقاصرت العلوم من الإحاطة بمعلوماته إلا بإذنه فأي طمع لها في الإحاطة بذاته قالها أبو القاسم القشيري.

(﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾) [البقرة :٢٥٥][1] قال المولى أبو السعود رحمه الله تعالى: الكرسي ما يجلس عليه، ولا يفضل عن مقعد القاعد، وكان منسوب إلى الكرسي الذي هو المتلبد أي: المجتمع؛ لأن الكرسي في اللغة أبيات مجتمعة، وليس ثمة كرسي، ولا قاعد، ولا قعود، وإنما هو تمثيل لعظمة شأنه ﷻ وسعة سلطانه، وإحاطة علمه بالأشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلاً: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧] وقيل كرسيه: مجاز عن علمه أخذًا من كرسي العالم، قال المصري -رحمه الله تعالى- بعد ما عزاه لابن عباس ورجحه الطبري، قال: ومن الكراسية التي تضم العلم، ومنه قيل للعلماء: الكرامي كما يقال: أوتاد الأرض، وقيل: كرسيه قدرته التي يحيك بها السماوات والأرض، وقال أبو موسى الأشعري: الكرسي موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرجل يريد هو من عرش الرحمن، كموضع القدمين في أسرة الملوكي، فهو مخلوق عظيم بين يدي العرش نسبته إليه كنسبة الكرسي إلى سرير الملك، انتهى.

ثم قال المولى أبو السعود: وقيل: كرسيه ملكه؛ أي: مجاز عنه أخذًا من كرسي الملك؛ فإن الكرسي كلما كان أعظم يكون عظمة القاعد أكثر وأفرد عن شمول علمه، أو عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه، وإحاطته بالأقطار العلوية والسفلية، وقيل: هو

---

(1) ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ كرسيه قلب العارف، وهو واسع من السموات والأرض؛ لأنه معدن علوم الألوهية وعلم اللدني، الذي لا نهاية له ولا حد له، وأيضًا ﴿ كُرۡسِيُّهُ﴾ عالم الملكوت وهو مطاف أرواح العارفين لجلال الجبروت، وأيضًا ﴿كُرۡسِيُّهُ﴾ وعرشه قبلتان لأهل الحدثان ولا جهة للرحمن، ولا يعرفه بنعت التنزيه عن التباس الكون والتصافه إلا أهل كشف العيان. وقيل: العرش والكرسي إظهار للقدرة لا محلاً للذات. وقال أبو القاسم: خاطبهم على قدر فهم، وإلا فإن خطر الأكوان عند صفاته وجلال قدرته عن التعزز بعرش أو كرسي، أو التجمل بجنبي أو أنسي قبل علمه. وقيل: ﴿كُرۡسِيُّهُ﴾ في السموات والأرض هي منه كذرة. ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ أي: لا يعجزه حفظه ذلك على سعته وكبره، وأيضًا لا يوازيان في عظمته خردلة؛ لأنهما في ملكه وسلطانه أقل من ذرة، وأيضًا قامت السموات والأرض به ولا علّة في صنعه ولا آلة. في فعله منه ظهرت وبه قامت. وقيل: وصف نفسه بالامتناع عن اعتراض القواطع والعلل.

جسم بين يدي العرش محيط بالسماوات السبع لقوله ﷺ: «**ما السماوات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة**»[1] ولعله الفلك الثامن، وعن الحسن البصري: إنه العرش، انتهى.

(﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾) أي: لا يثقله مأخوذ من الأود من الاعوجاج، (﴿حِفْظُهُمَا﴾) أي: حفظ السماوات والأرض، فحذف الفاعل وأضاف المصدر إلى المفعول، (﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾) [البقرة:٢٥٥] أي: المتعالي عن الأنداد والأشباه، والمراد به علو القدر والمنزلة بعلو المكان؛ لأنه سبحانه منزه عن التحيز والعلي، والعالي: هو القادر والقاهر للأشياء العظيم المستحق بالنسبة إليه كل ما سواه، وهذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الإلهية؛ فإنها دالة على أنه سبحانه وتعالى موجود واحد في الإلهية متصف بالحياة، واجب الوجود لذاته موجه لغيره منزه عن التحيز، والحلول مبرر عن التغير والفتور ولها يناسب الأشباح، ولا يعتريه ما يعتري الأرواح مالك الملك والملكوت، ومبدع الأصول والفروع، ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلا من أذن له العالم وحده بجليلها وحقيرها، كلها وجزتها واسع الملك والقدرة؛ كلما يصلح أن يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق، ولا يثقله ميثاق عن شأن متعالٍ عما يدركه وهم.

وهو عظيم لا يحيط به فهم؛ ولذلك قال ﷺ: «**إنَّ أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله له ملكًا يكتب من حسناته، ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة**»[2].

وقال ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة كان الذي يتولى قبض روحه ذو الجلال والإكرام، وكان كمن قاتل مع أنبياء الله حتى استشهد**»[3]، انتهى.

زاد المولى أبو السعود -رحمه الله تعالى- ذكر حديثين:

**الأول**: قوله ﷺ: «**ما قرأت هذه الآية في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يومًا، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة، يا علي علِّمها ولدك وأهلك وجيرانك، فما نزلت**

---

(1) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (6/ 165)، بنحوه.

(2) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (3/ 371)، والطبراني في «المعجم الكبير» (9/ 133).

(3) ذكره السيوطي في الجامع الكبير (1/ 23996)، والقرطبي في تفسيره (3/ 269).

**آية أعظم منها»**[1].

والثاني: قوله ﷺ: **«سيد البشر آدم ﷺ، وسيد العرب محمد ﷺ، وسيد الفرس سلمان، وسيد الروم صهيب، وسيد الحبشة بلال، وسيد الجبال الطور، وسيد الشجر السدر، وسيد الأشهر المحرم، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الكلام القرآن، وسيد القرآن سورة البقرة، وسيد سورة البقرة آية الكرسي»**[2].

وتخصيص سيادته ﷺ للعرب بالذكر في أثناء تعداد السيادات الخاصة لا يدل على نفي ما دلت عليه الأخبار المستفيضة، وانعقد عليه الإجماع من سيادته ﷺ لجميع أفراد البشر، انتهى.

**قلت:** وتمام الحديث على ما ذكره في «الجامع الكبير» عازيًا إلى مسند الفردوس عن عليٍّ: أما أن فيها خمس كلمات في كل كلمة خمسون بركة، وعنه ﷺ أنه قال: **«أتاني جبريل فقال: إن عفريتًا من الجن يكيد لك؛ فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي»**[3] رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» عن الحسن مرسلاً، كذا في منتخب كنز العمال للشيخ علي المتقي الهندي -رحمه الله تعالى- وفي «الأذكار» للإمام النووي -رحمه الله تعالى- وروينا في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: **«وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان؛ فأتاني آت فجعل يحثوا من الطعام وذكر الحديث، وقال في آخره: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، ولا يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: صدقك وهو كذوب ذلك الشيطان... إلخ»**[4].

قال الشيخ عبد الرحمن الفاسي -رحمه الله تعالى- في «شرح حزب البر»: قال في «نوادر الأصول»: «لقي جبريل موسى ﷺ، فقال جبريل: إن ربك يقول: من قال دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة: اللهم إني أقدم إليك بين يدي في كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض، وكل شيء هو في علمك كائن، أو قد كان أقدم إليك

(1) ذكره أبو السعود في «التفسير» (1/ 311).

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 459).

(3) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان 1/ 88، وذكره السيوطي في الجامع الكبير (1/ 582).

(4) رواه البخاري (2/ 812).

بين يدي ذلك كله الله لا إله إلا هو الحي القيوم...إلى آخرها؛ فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا يصعد فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور، وتشتغل الملائكة».

قال أبو عبد الله الحكيم الترمذي: حصلنا حساب ليلة فبلغ ثمانمائة ألف ألف وأربعين ألف ألف، وبالنهار مثله؛ فذلك قوله ألف ألف، وستمائة ألف ألف، وثمانون ألف ألف هذا اليوم وليلة فحقيقي أن يشتغل الملائكة بذلك، وأما معنى قوله: أقدم إليك بين يدي هذه الأشياء أجمل ذكرها؛ لعجزه عن إحصائها على الانفراد، فقال: أقدم بين يدي هذه الأشياء إنه الله الذي لا إله إلا هو كان يؤدي معناه إلى أنه قديم، لم يدل قد كان قبل هذه الأشياء التي أجمل ذكرها؛ فقد كان موصوفًا بجميع هذه الصفات التي وصف بها نفسه في هذه الآية، انتهى[1].

ومقتضاه: إن آية الكرسي كانت لموسى عليه السلام وهو خلاف حديث أبي إمامة رضي الله عنه من علي عنه ﷺ قالت: «**أعطيت آية الكرسي من كنز تحت العرش ولم يؤتها نبي كان قبلي**»[2] أخرجه أبو القاسم بن الطيلسان في سلسلاته، انتهى.

وقال سيدي أحمد البوني -رحمه الله تعالى- في «شمس المعارف الصغرى»[3]: واعلم أن الآيات التي هي- أي: الكرسي- تتضمن ست صفات من صفات الألوهية:

**أولها**: نفي الشرك بقوله: الله لا إله إلا هو.

**والثانية**: إثبات الحياة التي هي شرط قيام سائر الصفات بالله.

**والثالثة**: القيوم الذي هو؛ كما قال ابن عباس رضي الله عنه: القائم بنفسه الذي لا بداية له؛ أي: القائم بنفسه والمستغني عن المحل والمخصص.

**والرابعة**: نفي الآفات عنه بقوله: لا تأخذه سنة ولا نوم.

**والخامسة**: إشارة إلى كمال الألوهية بقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: من الخلق والأمر.

(1) انظر: نوادر الأصول للحكيم (3/ 267).

(2) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (5/ 68).

(3) في (ص 23) بتحقيقنا- العلمية بيروت.

**والسادسة**: إشارة إلى سياسته؛ أي: تدبيره بقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة:255] ومقتضى الإشارة: الرد على سبعة أصناف من الكفرة الدهرية، والثنوية، وعبادة الأوثان، والنيران، والمشركين، واليهود، والنصارى، والصابئين؛ أما بقوله:﴿ ٱللَّهُ ﴾ رد على الدهرية، وبقوله: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ رد على الثنوية، وعلى القائل بالزوجة، والولد، واليهود، والنصارى، وبقوله: ﴿ ٱلْحَىُّ ﴾رد على عبدة الأوثان والنيران، وبقوله: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ رد على مشرك، وقيل: بالمحل والمكان والعدم والتعطيل، وبقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ردًا على اليهود والنصارى القائلين بالإلهية لعزير، وعيسى ابن مريم، وحاجتهم للأكل والشرب وسائر الأمور الجائزة، وبقوله: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ رد على الصابئين وعبدة النجوم؛ لأن السماوات والأرض وما بينهما مخلوقات، وبقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ ﴾ ردًا على من قال: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:3]، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله.

وروى سلمان الفارسي ﷺ عن النبي ﷺ: **«من قرأ آية الكرسي هوَّن الله عليه سكرات الموت، وما مرت الملائكة ببيت فيه آية الكرسي إلا صعقوا، ولا مروا قيل: هو الله أحد إلا سجدوا، ولا مروا بآخر الحشر إلا جثوا على ركبهم»**[1]، انتهى.

وقال في «روض الأزهار» ونقل بعضهم: إن قال: إذا كنت في سفر، أو موضع مخيف، فحط عليك بحربة دائرة، واقرأ آية الكرسي، وسورة الإخلاص، والمعوذتين، والفاتحة، ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة:٥١]؛ فإنه لا يصل إليك أحد من الجن، ولا من الإنس، ولا يعود علي إذ أتيك أحد بإذن الله ﷻ، وفيه إن من قرأها ستة عشرة مرة يوم الجمعة بعد صلاة العصر في موضع خال من الأصوات، وطلب من الله ما تمنى إلا أعطاه الله ما تمنى، وإن من قرأها ليلة الجمعة عدد المرسلين، وهو ثلاثمائة وثلاثة عشر مرة قصد حاجته، وإن من أدمن قرأتها لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة إلى غير ذلك من الفوائد التي تلوي إليها الأعنة.

وأما الحي القيوم، فقال البوني -رحمه الله تعالى- في «اللمعة النورانية»: اسمان

---

(1) لم أقف عليه.

جليلان، وذكر مما يصلح لأهل حضرة الخصوص، وهو من ذكر إسرافيل وملائكة الصور أجمعين يصلح أن يذكر في مبادئ الفجر إلى طلوع الشمس؛ أي: بعد الصلاة، وذاكره في هذا الوقت يجد الزيادة والحسنة، وييسر إلى طلب الفوائد ما لم يعهده قبل وجوده، ومن نقش هذين الاسمين عند طلوع الشمس من يوم الجمعة، وهو مستقبل القبلة على ذكر، وأمسك عنده إحياء الله ذكره إن كان خاملاً، وكثر رزقه إن كان قليلاً...والخ.

وقال في «شمس المعارف الصغرى»: وأما اسمه العلي العظيم والكبير من كبرهم، ونقشهم في خاتم من شمس؛ أي: ذهب، وكتب على دائرته: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:255]؛ فإن حامله يكون أمينًا مكينًا كل من رآه أحبه، ومن قصده بكيد لم يستطع، وإن نظرته عين بسوء رجعت عنه إلى صاحبها...إلخ.

(﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾) [البقرة:٢٥٦]، قال الشيخ محمد الخطيب المصري - رحمه الله تعالى: على الدخول فيه الدين هنا المعتقد والملة، واللام للعهد أو بدل من الإضافة؛ أي: في دين الله كقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات:41] أي: مأواه، والإكراه في الحقيقة إلزام الغير، فعلاً لا يرى فيه خيرًا يجمع عليه؛ ولكن (﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾) [البقرة:٢٥٦]؛ أي: تميز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة، ودلت الدلائل على: أن الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية، والكفر غيٌّ يؤدي على الشقاوة السرمدية، والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان طلبًا للفوز بالسعادة والنجاة، ولم يحتج إلى الإكراه والإلجاء، وقيل: هو إخبار في معنى النهي؛ أي: لا تكرهوا في الدين، وهو إما عام في الدين منسوخ بقوله تعالى: ﴿ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة:٧٣]، أو خاص بأهل الكتاب لما روي: «أن أنصاريًا كان له ابنان تنصرا قبل البعث؛ ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما، وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما؛ فأبيا واختصموا إلى رسول الله ﷺ فنزلت»[1]. وإن أهل الكتاب لا يكرهون إذا أدوا الجزية. والرشد والرشاد ضد البغي، والغي: مصدر غوى إذا ضل في معتقد أو رأي، ولا يقال: الغي في الصلاة على الإطلاق. (﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾) أي: الشيطان، أو الأصنام، أو

(1) ذكره البغوي في تفسيره (1/ 314)، وابن حجر في الإصابة (2/ 94).

كل ما عبد من دون الله، أو صد عن عبادة الله. وهو فعلوت: من الطغيان قلبت عينه، ولامه وهو يؤنث ويذكر من طغى إذا جاوز الحد، ويوصف به الواحد والجمع، وقال الجوهري: الطاغوت الكاهن، وكل رأس في الضلالة، (﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾) بالتوحيد وتصديق الرسل، (﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾) [البقرة: 256] أي: تمسك، أو طلب الإمساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق، وهي مستعارة لمتمسك بالحق عن النظر الصحيح والرأي القويم.

(﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾) لا انقطاع لها، والانفصام الانكسار من غير بينونة، قال مجاهد: العروة الوثقى هي الإيمان، وابن عباس: هي لا إله إلا الله، (﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾) للأقوال، (﴿عَلِيمٌ﴾) [البقرة: 256] [1] بالنيات، ولعله تهديد على النفاق، (﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ

---

(1) قوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ تبيّن ما استتر عن الكون في الكون في علم الأزل من السعادة والشقاء، فظهرت سمة السعادة والشقاوة من المقبولين والمطرودين؛ لأن في جباه السعداء مصابيح أنوار المعرفة تلوح، وفي جباه الأشقياء كدورات ظلمات الغي تبوح.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ الطاغوت رؤية الطاعات، والطمع في المكافآت، فمَنْ يكفر بها فهو من أهل المشاهدات، والطاغوت يقع على كل شيء سوى الله تعالى من الدنيا والنفس والشيطان.

وقيل: طاغوت كل امرئ نفسه.

قال الشيخ أبو عبد الرحمن رحمه الله: مَنْ لم يتبرأ من الكلي لا يصح له الإيمان بالله.

﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي: مَنْ أقبل من نفسه وحوله وقوته إلى خالقه فقد وجده بنعت الحفظ والكلاية، ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ هي ذات الحق سبحانه وجل عن التشبيه، وأيضًا هي المحبة والمشاهدة، وأيضًا هي العصمة القديمة التي سبقت بنعت العناية الأزلية لأهل المعرفة.

وقيل: ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ التوفيق في السبق والسعادة في الختم.

وقيل: ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ محمد ﷺ. وقيل: لا إله إلا الله. وقيل: هي السنة.

﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ ترجيه من الله لأهل المعرفة، أي مَنْ تمسك بحبلي فاز في الدارين، وسعد في المنزلين، ولا يدخل في حجال عصمته خلل الحوادث؛ لأنه في كنف العناية محروسًا بالكفاية، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ لوجدهم من ظلمات العدم إلى كشف أنوار القدم، وأيضًا يخرجهم من ظلمات الامتحان إلى مشاهدة البيان، وأيضًا يخرجهم من ظلمات

=

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) [البقرة:257] أي: يحبهم ومتولي أمرهم، أو ناصرهم، والمراد بهم من أراد الله إيمانهم وسبق في علمه أنه يؤمن، والولي: فعيل بمعنى فاعل (﴿يُخْرِجُهُم﴾) بهدايته وتوفيقه (﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾) أي: ظلمات الجهل، واتباع الهوى، وقبول الوسواس، والشبه المؤدية إلى الكفر. (﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾) إلى الهدى الموصل للإيمان: (﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾) [البقرة:٢٥٧] أي: الشياطين، أو المضلات من الهوى، والشيطان وغيرهما، (﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾) أي: من النور الذي منحوه من الفطرة إلى الكفر، وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات، أو من نور البينات إلى ظلمات الشكوك والشهوات، وقيل: نزلت في قوم ارتدوا عن الإسلام، وذكر الإخراج لما في مقابلة قوله: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، أو في كل من آمن بالنبي من اليهود قبل بعثه ثم كفر، وإسناد الإخراج إلى الطاغوت باعتبار السبب لا يأبى تعلق قدرته وإرادته به: (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾) [البقرة:257] وعيد وتحذير، وحكم عليهم بالخلود في النار بكفرهم عدلاً منه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣] ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم، انتهى[1].

---

العبودية إلى جمال الربوبية، وأيضًا يخرجهم من الفرح بما وجدوا من المقامات والدرجات إلى نور مشاهدة الذات والصفات، وأيضًا يقدسهم ويخرجهم من ظلمات البشرية بمياه الشفقة لنور الأبدية، وأيضًا يزيلهم عن أوصافهم المحدثة ويقربهم إلى بساط الجزية، ويلبسهم صفات الأزلية وسناء الصمدية.

وقال ابن عطاء: يغنيهم عن صفاتهم بصفته، فيندرج صفاتهم تحت صفاته، كما اندرجت أكوانهم تحت كونه، وحقوقه عند ذكر حقه فيصير قائمًا بالحق مع الحق للحق.

وقال أيضًا: بذل النفس لله على حكم الإيمان من علامة الهدى والقيام بأداء ما استدعى منهما من علامة التوفيق والانتهاء عما زجر عنه من علامة العصمة، فذاك لنفي الظلمات عنه بها، نوّره الله تعالى أنوار من الإيمان، وذلك الذي يوجب له الولاية.

(1) ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية. قال الواسطي: يخرجهم من ظلمات نفوسهم، صدقها ورضاها وتقواها إلى نور صفاته وما سبق لهم من متابعه.

وقال أيضًا: يخرجهم من ظلمات نفوسهم إلى أنوار ما جرى لهم في السبق عن الرضا، والصدق =

**قال المصنف: (ثم تقرأ التالي خواتيم- جمع ختم- البقرة:** ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝﴾) [البقرة:284-286].

قال الشارح: أي: آخر سورة البقرة الشريفة فيقول: (﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾) [البقرة:٢٨٤] [1]، قال المصري رحمه الله تعالى: خلقًا وملكًا،

---

والمحبة وغيرها.

وقال النوري: يخرجهم من ظلمات العلم إلى نور المشاهدة؛ لأنه ليس المعاين كالمخبر.

قال الجنيد: يخرجهم من الظلمات أوصافهم إلى أنوار صفاته.

قال أبو عثمان: يخرجهم من رؤية الأفعال إلى رؤية المنن والأفضال. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ أي: الذين ستروا ما قد عاينوا من نفوسهم أنوار فعله وقدرته وما بدت في قلوبهم من لوائح العقول بالشروع في لذائذ الشهوة وغطاء الغفلة، أولياءهم الطاغوت ومتوليهم في اعتراء التماثيل الباطلة المتخيلة، الشيطان يخرجونهم من أنوار العقول إلى ظلمات الجهل والعنادة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أي: أصحاب الهجران عن مشاهدة الرحمن، ﴿هُمْ فِيهَا﴾ في القطيعة والابتلاء، ﴿خَٰلِدُونَ﴾ ليس لهم مساغ في الوصول أبد الآبدين.

(1) ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لله خزائن ملكوت الكونين وأسرار غيب العالمين، لا يكشفها إلا لخواص أحبته.

قال ابن عطاء: الكونان هو مبديهما من غير شيء فمَن اشتغل بهما قطعاه عن الله، ومَنْ أقبل على الله وتركهما ملكهما الله تعالى إياه ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ أي: إن تظهروا ما في قلوبكم من حقائق المكاشفات والمخاطبات ليقتدي به أهل الإرادة، وتخفوه عجائب الغيب التي ترى عيون الأرواح القدسية تورعًا لئلا تفتتن بها أقوام من ضعفاء المؤمنين لقلة فهمهم يرينكم الله تمكين المظاهر بما أظهرتم، حتى لا تفتتنوا بدقائق الرياء والسمعة، ويقين الباطن بما أخفيتم من

(﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾) يعني: ما فيها من السوء والعزم عليه؛ ليرتب المغفرة والعذاب عليه، (﴿يُحَاسِبْكُم﴾) أي: يعذبكم به الله يوم القيامة، وهو حجة على من أنكر الحساب؛ كالمعتزلة والروافض.

وقال ابن عباس وجماعة: إنها منسوخة، وأنه بقي هذا التكليف حولاً حتى أنزل الله الفرج بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وعن عكرمة والشعبي وغيرهما: إنها محكمة مخصوصة، وهي في معنى الشهادة التي نهي عن كتمها.

ويروى: أن الله تعالى إذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول: أنا أخبركم بما أكننتم في أنفسكم؛ فأما المؤمنون فيخبرهم ثم يغفر لهم، وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوه من التكذيب فذلك قوله (﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾) وقال الضحاك: يعلم الله تعالى العبد يوم القيامة بما كان يسره ليعلم أنه لم يخف عليه شيء، وقيل: إن المعنى عما هو في وسعكم وتحت كسبكم، فلما كان اللفظ مما يمكن أن يدخل فيه الخواطر أشفق فيه الصحابة، فبين لهم ما أراده بالآية الأخرى، ونص على حكمها بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

والخواطر ليست هي ولا دفعها في الوسع، بل هو أمر غالب وليس مما يكتب، فكان هذا البيان فرجهم وكشف كربهم، ومما يدفع أمر النسخ أن الآية خبر، والأخبار لا

---

=

الخلق إخلاصًا وصدقًا لتذوقوا حلاوة صفاء الإخلاص في كتمان الأسرار، وأيضًا: أن تبدوا في الظاهر من شره الإحساس متابعة الوسواس ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ ما تحدث به أنفسكم في باطنكم من أطباء القلوب وحراس الغيوب يجازيكم بفتنة النفس والشيطان والغفلة والشهوة ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ لمن يدفع خطرات الباطن ترغيبًا، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ لمن يتبع هواه بدخوله في الزلات تهذيبًا.

وقال جعفر: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ الإسلام، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قال: الإيمان.

وقال الواسطي: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ من إرادة الكونين والمكنون، ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ أي: بإرادتكم فيغفر لمن يشاء لمن أراد الجنة ونعيمها، ويعذب من يشاء من أثر الدنيا على الآخرة.

وقال علي بن سهل: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ الأعمال، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ من الأحوال، ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ العارف على أحواله والزاهد على أفعاله.

يدخلها النسخ، وقيل غير ذلك. ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ مغفرته ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه، وهو صريح في نفي وجوب التعذيب، وقرئ بالجزم عطف على الجواب، وبالرفع على الاستئناف؛ أي: فهو يغفر ويعذب: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 284] فيقدر على الإجبار والمحاسبة، آمن صدق الرسول محمد ﷺ بما أنزل إليه من ربه من القرآن شهادة في، وتنصيص من الله على صحة إيمانه والاعتداد به، وأنه جازم في أمره غير شاك فيه، والمؤمنون محل تنوينه عوض من المضاف إليه ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285] لا يخلو من أن يعطف المؤمنون على الرسول؛ فيكون الضمير الذي ينوب عن التنوين راجعًا إلى الرسول والمؤمنين، أو يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين، وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ، ويكون أفراد الرسول بالحكم؛ إما لتعظيمه أو لأن إيمانه عن مشاهدة وعيان، وإيمانهم عن نظر واستدلال.

وقرئ ﴿وكتابه﴾ يعني: القرآن، أو الجنس، والفرق بينه وبين الجمع: إنه شائع في وجدان الجنس والجمع في جموعه؛ ولذلك قيل: إن الكتاب أكثر من الكتب، وروي أن سبب نزول هذه الآية: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] اشتد ذلك على الصحابة رضي الله عنهم، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا؛ أي: رسول الله كلفتنا من الأعمال ما نطيق الصلاة، والصيام، والجهاد، وقد نزل عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا: سمعنا وأطعنا**»[1]؛ فلما أقر بها القوم ودانت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥][2].

---

(1) رواه مسلم (1/ 313).

(2) قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ بأن الله تعالى قدس باطن رسوله ﷺ من شوائب النفسانية وخطرات الشيطانية، وكحّل عين سره بنور الملكوت، حتى قيل: بالصدق والإخلاص ما كشف له من عجائب الجبروت، ورأى بمصابيح القرآن أسرار الأزل والأبد ما جرى في بطنان الغيب وغيب الغيب رؤية عيان، وآمن بها إيمان المشاهدة والعرفان، كما قال الله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: 11] ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ المؤمنون على قسمين منهم العارفون والصادقون والشاهدون والمقربون، والمكاشفون والمخلصون والمحسنون والراضون والمتوكلون =

(﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾) أي: يقولون لا نفرق، وقال: ﴿بَيْنَ أَحَدٍ﴾، ولم يقل: آحاد؛ لأن أحد يتناول الواحد والجمع، والمعنى يقولون: آمنا بجميع الرسل ولا نفرق بينهم بالتصديق والتكذيب كما فرقت اليهود والنصارى، (﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾) أي: أجبنا، (﴿وَأَطَعْنَا﴾) أمرك، (﴿غُفْرَانَكَ﴾) منصوب على المصدر والعامل فيه مقدر أي: اغفر غفرانك، أو نسأل غفرانك (﴿رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾) [البقرة: 285] أي: المرجع بعد الموت، وهما قرار منهم بالبعث.

---

=

والمحبون والمريدون والمرادون، كلٌّ شاهدوا بعضًا مما شاهد الرسول ﷺ ولولا ذلك لم يشرعوا في بذل الأرواح ومجاهدة الأشباح؛ لكن للنبي ﷺ مشاهدة الصرف خاصة له بلا زحمة الخطرات، ولهم مشاهدة اليقين بوسائط الالتباس ممتحنين بالوسواس.

والقسم الثاني من المؤمنين هم الذين آمنوا إيمان الفطرة بإرشاد العلم والعقل والبيان والبرهان، وأصل هذا الإشكال إلهام وفروعها أسباب. وأيضًا استقام النبي الأمي ﷺ عند صدمة سلطان الألوهية، وتمكن فيها عاين من جلال ذات القديم -جل جلاله- بنعت صرف المشاهدة واليقين، والمؤمنون يريهم الله بعض أنوار غيبه فآمنوا بما أدركوا به.

قال الأستاذ: آمن الرسول ﷺ من حيث البرهان. ويقال: آمن الخلق بالوسائط، وآمن محمد ﷺ بغير واسطة. ويقال: هذا خطاب الحق سبحانه وتعالى معه ليلة المعراج على جهة تعظيم القدر، فقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ ولم يقل آمنت كما يقول العظيم الشأن من الناس.

قال الشيخ: وأنت تريد فله. وقال ابن عطاء: إن النبي ﷺ معدن سر الحق أظهره للعام أوقفه على شريطة قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾، وإذ أخفاه أخبر عنه بقوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: 10]، وهو مستغرق أوقاته في انتظار ما يظهر عليه الحق من الزيادات على روحه وسره وفؤاده وقلبه وشخصه؛ ألا تراه كيف نعته عن صفاته، وقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ عن صفاتك حياتك بنا وبإظهار صفاتنا عليك، ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30] عاجزون عن بلوغ درك صفاتك، وإيمان رسول الله ﷺ إيمان مكاشفة ومشاهدة، وإيمان المؤمنين إيمان بالوسائط والعلائق.

وقيل في قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾: حكمًا وتسمية، ولا المؤمن موجود ولا الإيمان ظاهر.

وقال فارس: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ قال: إيمان حقيقة ومشاهدة ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ إيمان حكم ومتابعة.

(﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾) [البقرة:256] [1] إلا ما تسعه قدرتها فضلاً ورحمة، والتكليف الأمر بما يشق على المكلف، والوسع الطاقة، والآية تدل على عدم وقوع التكليف بالمحال، ولا تدل على امتناعه، فقد قال الأشعري وجماعة من المتكلمين: تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً (﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾) من خير ثوابه (﴿ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾) من شر وزره لا ينتفع بطاعة، ولا يتضرر بمعاصيه غيرها، ولا يؤاخذ بها لم يكسبه مما وسوست به

---

(1) ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي: لو أظهر من جمال عز الأزل صفة من صفاتي لا يطيق الخلق أن يستقيموا عند كشف ذرة منها، لكن أواسيهم بلوائح التجلي بنعت الالتباس؛ لكي لا يفنوا مثل تجلي موسى وعيسى ومحمد ﷺ، وأيضًا: تسربلت الأرواح بأنوار الكبرياء، فاستقلوا بأنفسهم عند نهوضهم بأثقال المعرفة، وما أدركت من عجائب الربوبية، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [الأحزاب: 72]، وأيضًا: لا يكلف الله حق عبوديته نفوس أوليائه إلا قدر ما يطيقون من جهة التقصير والضعف عند تحمل حقيقة العبودية؛ لأن من حق الربوبية أن تذوب الأرواح والأشباح في أول تكبيره كبروا تعظيمًا وإجلالاً، وأن الله تعالى ما أظهر للخلق من معرفته إلا مقدار ما يعيشون به من جهلهم بربوبية ربهم، ولو أيقنوا أنهم في معزل من حقيقة العبودية وإدراك صرف الربوبية ماتوا حسرة على ما فاتوا، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: ما كسبت أرواحهم من مقاساة الهجران في دار الامتحان، ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ ما اكتسبت النفوس من جرائم الخطرات عند مكاشفة الغيب للأسرار فيجازي الله النفوس في الدنيا بالذوب في المجاهدات، ويجازي الأرواح في الآخرة بصرف المشاهدات، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا ﴾ أي: لا تحجبنا بنا عليك إن نسيناك، ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ بالتفاتنا إلى غيرك، ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا ﴾ أي: اعف عنا قلة المعرفة بك، ﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا ﴾ التقصير في عبادتك، ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ بمواصلتك ومشاهدتك.

وقال ابن عطاء: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ عند المصيبة واستر علينا في القيامة ولا تفضحنا بها على رءوس الأشهاد ﴿ فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ هذا نجوى أهل الامتحان من المكاشفين والمشاهدين أي: نحن أسراء معرفتك وضعفاء محبتك، فارحمنا بتجلي العظمة حتى نقوى منك بك في محل العبودية وكشف الربوبية ﴿فَٱنصُرْنَا﴾ بمعونة المعرفة وجند حقائق الإلهام عن مشاعر الألوهية، ﴿ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: على أوباش الطبيعة حتى يهزموا عن ميادين معارفك بتأييد معرفتك وتشريح من تشويشهم في صرف عبوديتك وطلب مشاهدة حضرتك.

وقيل في قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾: حكمًا وتسمية، ولا المؤمن موجود ولا الإيمان ظاهر.

نفسه، وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر؛ لأن الاكتساب فيه اعتمال، والشر تشتهيه النفس وتنجذب إليه، وكانت أجد في تحصيله وأعمل، بخلاف الخير، وجاءت العبارة في الخير بلها من حيث هو مما يفرح بكسبه، ويسر المرء به ويضاف إلى ملكه، وجاءت في الشر بعليها من حيث [إنه زل وثقل][1]، وهكذا تقول: لي ملك وعليَّ دين، ﴿رَبَّنَا﴾أي: قولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ الصواب: أي: لا تؤاخذنا بما أدى بنا إلى نسيان، أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة، أو بأنفسهما؛ إذ لا تمتنع الواحدة بهما عقلاً؛ فإن الذنوب كالسموم حكمًا؛ لأن تناولها يؤدي إلى الهلاك، وإن كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد أن يفضي إلى العقاب، وإن لم يكن عزيمة؛ كما أخذ بذلك من قبلنا؛ لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلاً؛ فيجوز أن يدعو الإنسان به اعتدادًا بالنعمة، ويؤيد ذلك مفهوم قوله ﷺ: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان**»[2] ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ أي: عبئًا ثقيلاً يأسر صاحبه؛ أي: يحبسه في مكانه» وقال مالك: الإصر الغليظ الصعب.

وقال سعيد بن جبير: الإصر شدة العمل، وما غلظ على بني إسرائيل، والمراد: التكاليف الشاقة ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة:٢٨٦] أي: حملاً مثل الذي حملته إياهم، والمراد به: ما كلف به بنو إسرائيل من قتل الأنفس في التوبة، وقطع موضع النجاسة، وخمسين صلاة في اليوم والليلة، وصرف ربع المال للزكاة، أو المعنى: ما أصابهم من الشدائد والمحن.

(﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾) أي: قوة لنا به من البلاء والعقوبة، أو من التكاليف التي لا تفي بحملها الطاقة البشرية، وهو يدل على: جواز تكليف ما لا يطاق؛ وإلا لما سبيل التخلص عنه، ابن جرير: المعنى لا تمسخنا قردة ولا خنازير، وقيل: الغُلمة؛ أي: شهوة الضِّراب، وهو النكاح، وهو بضم الغين.

(﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾) أي: امح ذنوبنا (﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾) أي: استر عيوبنا، ولا تفضحنا بالمؤاخذة، وارحمنا تعطف بنا، وتفضل علينا ففي الرحمة زيادة على المغفرة، (ويكرر) أي:

---

(1) هكذا بالأصل.

(2) رواه مسلم (1/ 323).

التالي (قوله تعالى: ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ﴾ ثلاثًا) أي: ثلاث مرات؛ ثم يقول: (﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾) [البقرة:٢٨٦] بإقامة الحجة، والغلبة على قتالهم؛ فإن شأن الولي ينصر مواليه على أعدائهم.

روي أنه ﷺ: لما دعا بهذه الدعوات قيل له عقب كل كلمة: «قد فعلت»[1]، وعنه ﷺ: «أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي عام من قدامها بعد العشاء الآخر أجزأتاه عن قيام الليل»[2]، وعنه ﷺ: «من قرأ الآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه»[3]، انتهى.

وقال في «روض الأزهار» عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن يموت في السماء السابعة؛ فليقرأ كل يوم: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ...﴾ إلى آخرها مرتين»[4].

ثم قال في رواية: «من قرأ أربع آيات من أول البقرة وآية الكرسي، وآيتين بعدها، وثلاث آيات من أواخر البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذٍ شيطان ولا شيء يكرهه، ولا تقرأ على مجنون إلا أفاق، ومن كتبها في إناء نظيف بمداد كوفي، ومحاه بماء بئر عذب، ثم شربه على الريق؛ فإنه يعين على الحفظ والنشاط للنفس، ومن أكثر من قرأتها ليلاً ونهارًا؛ فإن الأثقال تخف عنه، وتقضى ديونه، ويكتب عدوه، ويكفى شر الظلمة، ويرزق حسن اليقين»[5]، انتهى.

وعنه ﷺ: «اقرؤوا هاتين الآيتين التي في آخر سورة البقرة؛ فإن ربي أعطانيهما من تحت العرش»[6] وعنه ﷺ: «آيتان هما قرآن، وهما يشفيان، وهما مما يحبهما الله الآيتان من

---

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى (6/ 307).

(2) ذكره القرطبي في تفسيره (3/ 433).

(3) رواه البخاري (4/ 1472)، ومسلم (1/ 554).

(4) لم أقف عليه.

(5) رواه الدارمي في سننه (2/ 541).

(6) رواه الدارمي في سننه بنحوه (2/ 541)، والطبراني في المعجم الكبير (12/ 249).

آخر البقرة»[1].

قال المصنف: (ويقرأ التالي قوله ﷻ:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾[2] [التوبة: ١٢٨ - 129] سبعًا).

---

(1) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (1/ 55) والمناوي في فيض القدير (1/ 64).

(2) قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ أخبر سبحانه عن كريم ميلاده ﷺ، وعظيم ميعاده ومراده، وشرَّف بها أمَّته، حيث اختاره منها باصطفائية رسالته، وعظَّم شأنه، والحمد لله الذي جعل طينته من طينتنا، وشرَّف طينتنا حيث جعلها من طينته، وخصَّ جوهر روحه من أرواحنا، وشرَّف أرواحنا حيث كانت مع روحه في أول بديهة الأمر من الله سبحانه، وأي كرامة أعظم كرامةً من أن الله سبحانه جعل نبيًّا من أنفسنا، وأرسل إلينا بالرأفة والرحمة، وأكرم خلقه حيث جعله رحمةً للعالمين، قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4]. قال الخرّاز: أثبت لنفسك خطرًا، حين قال: ﴿ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾. قال الحسين: مِن أجلِّكم نفسًا، وأعلاكم همَّة، جاد بالكونين عوضًا عن الحقّ، ما نظر إلى الملكوت، ولا إلى السدرة، ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:17] قلبه عن موافقته.

قال ابن عطاء: نفسه موافقةٌ لأنفس الخلق، خلقه ومباينه لها حقيقة، فإنها نفس مقدَّسة بأنوار النبوّة، مؤيَّدة بمشاهدة الحقائق، ثابتة في المحلّ الأدنى، والمقام الأعلى ما زاغ، وما طغى، ثم زاد في وصفه، بقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ اشتدّت عليه مخالفتنا مع الحقّ، ومتابعتنا هوانا، واحتجابنا عن الحقّ. قال بعضهم: شقَّ عليه ركوبكم مراكب الخلاف.

قال سهل: شديدٌ عليه غفلتكم عن الله، ولو طرفة عين، ثم زاد في وصفه، بقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: حريصٌ على محبَّتكم بمشاهدة الله، ومعرفة صفاته وذاته، وعلى متابعتكم أمر الله، رءوفٌ برأفة الله بالمؤمنين، ورحيمٌ برحمة الله على الصادقين، رءوف بأهل الجنايات من المذنبين، ورحيم على أهل الطاعات من المقصّرين، فيها تشفع لأهل الجنايات، وتدعو لأهل الطاعات، وهذا من اتّصافه بصفة الله، حيث ألبسه أنوار عنايته، وزيَّنه بلطفه وشفقته.

قال بعضهم في قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: على هدايتكم لو كانت الهداية إليه، مُشفق على من اتبعه أن يأتيه نزغة من نزغات الشيطان، رحيمٌ يستجلب برحمته له رحمة الله إيَّاه. وقال: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: أن تبلغوا محل أهل المعرفة. قال جعفر الصادق: علم الله عجز خَلقه عن طاعته، فعرَّفهم =

قال الخطيب رحمه الله تعالى: الخطاب للعرب في قول الجمهور، وهذا على جهة تعدد النعمة في ذلك؛ إذ جاءهم بلسانهم، وبما يفهمونه، وقال الزجاج: لجميع العالم، والمعنى: لقد جاءكم رسول من البشر، والأول أصوب.

قال ابن عباس: ما من قبيلة من العرب إلا ولدت النبي ﷺ؛ فكأنه قال: يا معشر العرب لقد جاءكم رسول من بني إسماعيل، والقول الثاني: آكد للحجة، إذ هو بشر مثلكم لتفهموا عنه، وتأتموا به من أنفسكم يقتضي مدحًا لنسب النبي ﷺ، وأنه من صميم العرب وخالصها.

وقيل: الخطاب للمؤمنين، وقيل: لأهل مكة؛ لأنهم يعرفونه، ويتحققون مكانته، ويعلمون صدقه وأمانته، فلا يتهمونه بالكذب، وترك النصيحة لهم لكونه منهم، وفي صحيح مسلم: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[1].

(﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾) [التوبة:١٢٨] أي: يعز عليكم مشقتكم، والعنت: المشقة، وقال ابن الأنباري: أصل العنت: التشديد، إذا قالت العرب: فلان يتعنت فلانًا

=

ذلك؛ لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته، فأقام بينه وبينهم مخلوقًا من جنسهم في الصورة، فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فألبسه من نعته الرأفة والرحمة، وأخرجه إلى الخلق سفيرًا صادقًا، وجعل طاعته طاعته، وموافقته موافقته، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، ثم أفرده ﷻ لنفسه خاصة بعد أن كان من جنسهم بالصورة، فآواه إلى نفسه بشهوده عليه في جميع أنفاسه، وسلّى قلبه بإعراضهم عن متابعته، بقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ في أمر النبوة، وشرف الرسالة وجماله، حسبي عن الجملة، وقُربه ووصاله يكفيني عن جميع مراتب الثقلين؛ لأنه بوحدانيته منزّهٌ عن الأضداد، فنزّهني عن صُحبة الأغيار بمشاهدة الأنوار بوصفه لنفسه: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا غير في البَيْن من العرش إلى الثرى ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ لا على نفسي وغيري، فإنه عماد المتوكّلين، وبه ثُبتت قلوب الصادقين ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ حيث ألبس العرش أنوار عظمته بعظمته، ولولا ذلك لذاب العرش في سبحات وجهه بأقل لمحة.

(1) رواه مسلم 4/ 1782، والترمذي 5/ 583.

ويعنته، فمرادها: يشدد عليه، ويلزمه ما يصعب عليه أداؤه؛ و«ما» في عنتم مصدرية، فهي مبتدأ وعزيز خبر مقدم، ويجوز أن يكون ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ فاعل لـ﴿عَزِيزٌ﴾ صفة للرسول، وكذا ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، أي: على إيمانكم، وصلاح شأنكم بالمؤمنين منكم، ومن غيركم ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: عطف على الصفة.

قال النحاس: وأحسن ما قيل في معناه مما يوافق كلام العرب ما حدثنا أحمد بن محمد الأزدي، قال: حدثنا عبد الله بن محمد الخزاعي، قال: سمعت عمرو بن علي يقول: سمعت عبد الله بن داود الخريبي يقول: في قوله تعالى: (﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾) [التوبة:١٢٨] قال: إن تدخلوا النار ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ قال: إن تدخلوا الجنة، والحرص على الشيء الشح عليه أن يضيع ويتلف، والرءوف المبالغ في الرأفة والشفقة لا يهمه إلا شأنكم، وهو القائم بالشفاعة لكم، فلا تهتموا بما عنتم ما أقمتم على سننه؛ فإنه لا يرضيه إلا دخولكم الجنة.

(﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾) أي: أعرض الكفار يا محمد بعد هذه النعمة التي منَّ الله تعالى عليهم بها، أو عن الإيمان بك،(﴿ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾) أي: كافي الله تعالى (﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾) أي: اعتمدت، وإليه فوضت جميع أموري (﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾) [التوبة: 129] الملك العظيم، أو الجسم الأعظم المحيط الذي تنزل منه الأحكام والمقادير، وخص العرش؛ لأنه أعظم المخلوقات، فيدخل فيه ما دونه، وفي صحيح أبي داود عن أبي الدرداء قال: «**من قال إذا أصبح، وإذا أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم سبع مرات، كفاه الله ما أهمه صادقًا كان بها، أو كاذبًا**»[1] انتهى.

ويقول التالي: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ إلى آخرها (**سَبْعًا**).

قال في «روض الأزهار»: إن سرية خرجت إلى أرض الروم، فسقط رجل منهم فانكسرت فخذه، فأخذه أصحابه، وجعلوه تحت شجرة، وربطوا فرسه بإزائه، وجعلوا عنده شيئًا من ماء وزاد، فأتاه تلك الليلة آتٍ بعدما ولوا، فقال له: ضع يدك حيث تجد الألم، وقل: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ إلى آخر السورة سبع مرات، فقرأها فصحت

---

(1) رواه أبو داود (14/ 438).

فخذله، وركب فرسه، ولحق أصحابه.

ونقل عن الغزالي رضي الله عنه الحديث السابق بزيادة: «**كفاه ما أهمه من أمر دنياه وآخرته**» ثم قال: فقف على هذه واغتبط؛ فإن كثيرًا من الأذكار تكون موقوفة على الصدق والحضور، وقد عمت الرحمة في هذا الذكر لسلم الذاكر بها، وحصلت الكفاية من الهموم الدنيوية والأخروية إن وفقه الله تعالى للنطق به، وإن لم يكن له قدم في التوكل فهذه نعمة لا يقدر على قدرها، ولا يقام بواجب شكرها، فله تعالى الحمد ظاهرًا وباطنًا، أولاً وآخرًا.

وذكر أن من **فوائدها**: عطف القلوب، ودفع السموم، وطول العمر.

(**ويقرأ**) أي: التالي: (**سورة الإخلاص** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾ [الإخلاص] **ثلاثًا**).

قال النيسابوري رحمه الله تعالى: ومن أسمائها الإخلاص؛ لأن من قرأها يخلص من النار، وسورة المعرفة لأن النبي ﷺ سمع رجلاً يقرأها، فقال: «**هذا رجل عرف ربه**»[1]، وسورة الأساس؛ لقوله ﷺ: «**أسست السماوات السبع، والأرضين السبع على قل هو الله أحد**»[2] رواه أبو تمام في «فوائده»، كذا في «الجامع الصغير»؛ ثم قال: وتسمى سورة الولاية؛ لأن من لازم على قراءتها صار وليًّا لله تعالى.

ونقل القرطبي -رحمه الله تعالى- في «تذكرته»: أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ سورة قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره، وأمن من ضغطة القبر، وحملته الملائكة يوم القيامة بأجنحتها حتى يجيزونه من الصراط إلى الجنة**»[3].

وروى البيهقي في «دلائل النبوة» عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «**أتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ وهو بتبوك في سبعين ألفًا من الملائكة، فقال له: أشهد جنازة معاوية بن معاوية المزني، فخرج رسول الله ﷺ ووضع جبريل جناحه على الجبال؛ فتواضعت حتى نظر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وصلى على معاوية هو والملائكة؛ ثم قال رسول الله ﷺ: يا جبريل بم بلغ معاوية ذلك؟ قال بقراءته قل هو الله أحد قائمًا، وقاعدًا، وراكبًا،**

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان (6/ 43) بنحوه.

(2) ذكره السيوطي في الجامع الكبير 1/ 3667، والمناوي في فيض القدير 1/ 506.

(3) ذكره الهيثمي (7/ 145).

وماشيًا»[1]، انتهى.

وبه نسبة الله عز وجل لقوله ﷺ: «**قل هو الله أحد نسبة الله** ﷻ»[2] رواه الديلمي في «مسند الفردوس» عن ابن عمر، كذا في رواية «الجامع الصغير».

وعنه ﷺ: «**وقد سمع رجلاً يقرأها فقال: وجبت، قيل: يا رسول الله وما وجبت؟ قال: الجنة**»[3]، وعنه ﷺ: «**من مر على المقابر فقرأ قل: هو الله أحد أحد عشر مرة؛ ثم وهبها للأموات أعطاه الله الأجر بعدد الأموات**»[4].

وفي رواية الطبراني عن ابن جرير: «إن قرأتها عند دخول المنزل تنفي الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران».

وروى أبو الشيخ عن ابن عمر: أن «**من قرأها ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله**»[5]، وأن «**من قرأها عشية عرفة ألف مرة أعطاه الله ما سأل**»[6].

وعن كعب الأحبار: إن «**من قرأها حرم الله لحمه على النار**»[7]، ومما جاء في فضلها: أنها «**تعدل ثلث القرآن**»[8]، وأن «**بها يدخل الجنة**»[9]، وإن «**من قرأها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة**»[10]، و«**من قرأها خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة**»[11]، و«**من قرأها مائة مرة في الصلاة، أو غيرها كتب الله له براءة من النار**»[12]، إلى غير ذلك من الأخبار والآثار.

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان 6/ 73، والطبراني في الكبير 7/ 123.

(2) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 216)، ذكره السيوطي في الجامع الكبير (1/ 15477).

(3) رواه أحمد في مسنده (5/ 266)، والنسائي في الكبرى (1/ 341)، والطبراني في الكبير (8/ 215) بنحوه.

(4) ذكره السيوطي في الجامع الكبير (1/ 24603).

(5) ذكره المناوي في فيض القدير (6/ 203).

(6) ذكره المناوي في فيض القدير (6/ 203).

(7) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (6/ 30).

(8) رواه مسلم (1/ 556). (9) ذكره السيوطي في جامع الأحاديث (21/ 229).

(10) رواه أحمد في مسنده (33/ 150). (11) رواه الدارمي (10/ 385).

(12) رواه الطبراني في الكبير(18/ 331)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (7/ 145).

قال الشارح: ويقول التالي بعد البسملة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] [الإخلاص: 1].

قال القاضي رحمه الله تعالى: الضمير للشأن كقولك: هو زيد منطلق، وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة، ولا حاجة إلى العائد؛ لأنها هي هو، والمعنى: الشأن هو الله، أو لما سئل عنه، أي: الذي سألتم عنه هو الله تعالى؛ إذ روي أن قريشًا قالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا، فنزلت، وأحد بدل، أو خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال؛ كما

(1) قال البقلي: قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: كان الله جلّ جلاله مستترًا بنفسه في أزل أزله، قال: «كنتُ كنزًا مخفيًا، فأحببت أن أُعرف»، فإذا أوجد أعلام ظهور أفعاله تُعرف تعونه بفعله، فلم يعرف أحدٌ بالحقيقة؛ إذ الوسائط حجابٌ، فأراد إظهار كنوز ذاته وصفاته، فاختار من خلاصة الوجود خاصًّا خالصًا، فألبس لسانه فصاحة الربوبية، ونوّر قلبه بنور المعرفة، وظهر لعينه عين الحقيقة، فأمره بتعريفه لعباده العارفين، بقوله: ﴿قُلْ﴾: ظاهره سرٌّ، وباطنه سرٌّ، حرفٌ تحته بحرٌ من غوامض علوم الربوبية، فالقاف: إشارةٌ إلى قهر عظمته على الحدثان حتى لا يصل إلى ذرّة من حقيقة العرفان بألوهية الرحمن؛ لأن على وجه القدم وقاية الغيرة، وهناك في الأزل قلزم الحيرة، واللام: إشارةٌ إلى لا النفي أي: لا يصل إلى كنه الألوهية أهل الحدوثية أمره بالإشارة إلى الإشارة، وغوامض سرّ الذات؛ إذ قال: هو أوقع قلوب الراسخين في أودية الهوية الغيبية في تيه غيب الغيب بنعت الوله والحيرة، فلم يصلوا إلى هاء الهوية، فانصرفوا إلى واو الوصف، فعجزوا عن الوصف؛ إذ لم يصلوا إلى الموصوف، فاحتجبوا بالغيب وبُعد بطون الهوية، وانصرفوا حيارى سكارى عطاشى والهين غير مدركين أوائل الحقائق، فاعترفوا بالعجز عن الإدراك، وإدراك الإدراك، فلما علم الحق عجزهم عن إدراك سر الهوية أظهر لهم أنوار الذات والصفات، رحمةً ولطفًا بهم لكيلا يُحرموا من نصيب عرفانه وإيمانه، وقال الله أي: الذي لو تركوه، ولم تدركوه بعد طلبكم هذا، هو الله الذي بان بنعت الوحدانية والجمال والجلال من قرار الهوية، وأيضًا لما غاصوا في بحار الهوية بانت لهم أنوار الألوهية، فانصرفوا من صدمات الصمدية، وسطوات الأحدية، ووقعوا في تيه الحيرة، ونسوا ما بان لهم، وفرّوا، ثم طلبوا، فلم يجدوا، فأظهر الله ما ظهر لهم في الغيب، فقال: أين أنتم مما رأيتم هذا هو الله، فظهر لهم في الظاهر كما ظهر لهم في الباطن، فلما رأوه عيانًا فنوا في أول ألف الفردانية، ثم بقوا في لام جماله، وهابوا من عِظَم لام جلاله، ثم سقطوا في بحر هويته، أيضًا منه بدأ وإليه يعود، الأول: إشارةٌ وغيبٌ، والآخر: إشارةٌ وغيبٌ.

قال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾، وفي البين بدا وخفا بقوله: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾، فلما عاينوه سكروا بجماله، واتّصفوا بجلاله، واتّحدوا بفردانيته، وصاروا وحدانيين، كادوا أن يدّعوا الوحدانية، فقطعهم الحق عن سرّ الأحدية.

دل الله على جميع صفات الكمال؛ إذ الواحد الحقيقي ما يكون منزهًا بالذات عن اتحاد التركيب والتعدد، وما يستلزم أحدهما كالجسمية، والتحيز، والمشاركة في الحقيقة وخواصها، كوجوب الوجود، والقدرة الذاتية، والحكمة التامة المقتضية للألوهية، انتهى.

والأحد هنا بمعنى الواحد، وفي آخر السورة على بابه؛ لأنه هنا مثبت وهناك منفي، وإذا جاء مثبتًا يكون بمعنى الواحد؛ لأن الأحد خاص بالنفي، تقول: ما جاءني أحد، وجاءني واحد، ولا تقول: أحد، وحين أتى مثبتًا فهو مما قلبت فيه الواو ألفًا، فهو أحد وأصله وحد؛ فأصل أحد وحد قلبت واوه المفتوحة همزة، نحو امرأة أسماء من الوسامة، فهي الحسن فيكون أصلها وسماء كما قلبت المكسورة والمضمومة، [......] ذكره اللقاني.

وقال الشيخ أحمد القمولي -رحمه الله تعالى- في «الدرة الحسنى في شرح أسماء الله الحسنى»: واختلف العلماء في لفظ واحد وأحد، هل هما متباينان، أو مترادفان؟ على قولين:

**أحدهما**: وبه قال أبو علي الفارسي، وابن الأنباري، والزمخشري وغيرهم: أنهما مترادفان، وإن معناهما واحد، واختلف هؤلاء هل أصل أحد واحد، أم لا؟.

وقال بعضهم: أصله واحد، سقطت منه الألف على لغة من يقول: وحد، وأبدلت الواو المفتوحة همزة؛ كما أبدلوها في قولهم: امرأة أسماء، فقالوا: وسماء من الوسامة.

وقال الزجاج وغيره: ليس أصل أحد واحد، وإن كانا بمعنى؛ بل مثله وحد أبدلت الواو همزة، وقد جاء عين الأصل قول النابغة هو:

يَـومَ الجَلِـيلِ عَـلى مُـستَأنِسٍ وَحِـدِ

قال الأزهري: كأنه ذهب إلى أنه يقال: وحد يوحد، فهو وحد؛ كما يقال: حسن يحسن فهو حسن.

**وثانيهما**: أنهما متباينان؛ فأحد معناه أول، ومنه يوم الأحد؛ فإن معناه الأول عند الواضعين له هذه التسمية، وواحد معناه الفرد، واختلف هؤلاء في (أحد) فقيل: أصله كذلك ولا إبدال فيه، وقيل: أصله وحد، قلبت واوه همزة، وهذا في (أحد) المستعمل في الإثبات كقوله: (الله أحد) ، وأما أحد المستعمل في النفي كقوله: ما في الدار أحد فمدلوله: إنسان، والأكثرون على أن ألفه أصلية، ومنهم من قال: هي أيضًا منقلبة عن واو

حكاه الإقليشي، فإذا قال: ما جاء أحد؛ فمعناه: ما جاءني إنسان، ومعناه النفي التام، بخلاف قولك: واحد فإنك إذا قلت: ما جاءني واحد لا يدل على نفي جنس الأناسي؛ بل على نفي مجيء واحد بقيد الانفراد؛ لأنه يصح أن يقول: ما جاءني واحد بل اثنان، ولا يصح ذلك مع أحد.

هذا معناهما في اللغة، وأما في حق الله تعالى فقيل: معناهما واحد، وهو أنه منفرد في ذاته وصفاته وإلهيته من غير شريك ولا شبيه، وقيل: بينهما تغاير.

والأحد: الذي ليس بمنقسم ولا متجزء، فهو اسم عيني للذات فيه سلب التأليف، والكثرة عن ذاته، فتقدس بهذا الوصف عن صفات الأجسام؛ فإن غير المنقسم عنهما متحيز فليس تعالى بجوهر ولا عرض، ولا يحيط به مكان ولا زمان.

وأما الواحد: فهو وصف ذاتي فيه سلب الشريك، والنظير، والضد، ولا يوصف شيء بأحد من غير أداة التعريف إلا الله تعالى، فلا تقول: جاءني رجل أحد، فإن الله استأثر بهذا النعت فالواحد، والأحد كالرحمن الرحيم، فكما اختص تعالى بالرحمن فلا يشاركه فيه غيره، والرحيم قد تقع فيه مشاركة، كذلك اختص بأحد فلا يطلق في جانب الثبوت منكرًا على غيره، تقول: الله أحد، وأما الواحد فيطلق عليه وعلى غيره على سبيل الصفة، تقول: جاءني رجل واحد، وعندي درهم واحد، وحظ العبد من أن يعلم أن الله واجب الوجود منزه عن التركيب، وغيره من صفات الأجسام، والأعراض، والتحيز، بالمكان والزمان، وينظر أنه في نفسه ممكن الوجود، مركب من الجواهر والأعراض، محتاج إلى موحد وخالق في كل وقت من أوقات بقاءه، فإن الله تعالى لو قطع البقاء، وأعرض عنه طرفة عين لنفي وذهب، وذلك أمر يتجدد في كل وقت، فيرى نفسه بعين الفقر والحاجة والذلة، ويعامل مولاه بمقتضى ذلك، فهو يحتاج في ذاته دائمًا، ونعم الله تتجدد له في كل وقت، انتهى.

وصفة هذا الاسم الأحدية، وهي عبارة عن: تجلي ذاته ليس للأسماء، ولا للصفات، ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور؛ أي: من حيث اختصاصه بالحق سبحانه وتعالى، فلا تعلق له إلا بالذات العلية الغنية المطلقة، حتى عز وصف الإطلاق؛ لأنه قيد.

قال الشيخ ﷺ في فتوحاته: وأما ما يتعلق فالواحد والأحد من التوحيد في أحديته؛

فإن لفظ الأحدية جاءت ثابتة الإطلاق على ما سواه، فقال تعالى: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف:110]، وإن كان المفهوم منه بالنظر إلى تفسير المعاني على طريقة أهل الله: أنه لا يعبد من حيث أحديته؛ لأن الأحدية تنافي وجود العابد؛ فكأنه يقول: لا يعبد إلا الرب من حيث ربوبيته؛ فإن الرب أوجدك فله تعلق به من وجه الإيجاد، فتعلق به وتذلل له، ولا تشرك بالأحدية مع الربوبية في العبادة، فتذلل لها كما تذلل للربوبية؛ فإن الأحدية لا تعرفك ولا تقبلك؛ أي: لعدم نظرها إليك بالوجه الذي تنظر إليك به الربوبية، فسيكون تعبد في غير معبد، وتطمع في غير مطمع، وتعمل في غير معمل، وهي عبادة الجاهل؛ فينبغي: عبادة العابدين من التعلق بالأحدية؛ فإن الأحدية لا تثبت إلا لله مطلقًا، وأما ما سوى الله فلا أحدية له مطلقًا، فهذا هو المفهوم من هذه الآية عندنا، انتهى.

قال البيضاوي قدس الله سره: وقُرأ ﴿ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:1] بلا لفظ: ﴿ قُلْ ﴾ مع الاتفاق على أنه: لا بد منه في ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ ﴾ [الكافرون:1] ولا يجوز في ﴿ تَبَّتْ ﴾ ولعل ذلك؛ لأن سورة الكافرون: فيها مشاقة الرسول وموادعته لهم، و ﴿ تَبَّتْ ﴾: معاتبة عمه، فلا يناسب أن يكون منه، وأما هذا فتوحيد، يقول به تارة، ويؤمر بأن يدعو إليه، انتهى.

وسيأتي الكلام على خواص هذا الاسم عند ذكره في أثناء الورد.

﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[1] [الإخلاص:2] قال المصري –رحمه الله تعالى: مبتدأ وخبره، أي:

---

(1) لما قال الحق: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، انحسمت أطماعهم عن الوحدانية حين بانت لهم أنوار وحدته، فسبحوا في بحار ذاته وصفاته، وطلبوا الخروج إلى سواحل العرفان، فناداهم أين أنتم لو تسبحون أبدًا في بحر الذات وبحر الصفات، لم ينتهوا من بحر حقائق الألوهية، فإن بحر الذات والصفات واجد الكل في حيّز سرادق وحدانية الأفعال، غائبة في الصفات والصفات في الذات، فمن عين الجمع هو هو، ومن حيث الحقيقة هو الله، ومن حيث الفردانية أحيد وحيد لا غير؛ إذ الغير يفنى في بقائه، ثم زاد في تبوية فردانيته، بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: «الله»: ظاهر بنعوت الجلال والجمال والفردانية والوحدانية، باطن بالهوية، «والصمد»: انقطع عن إدراك الخواطر والضمائر، وغابت في مهمة صفاته الأسرار والأرواح، وتاهت في تيه هويته القلوب والأشباح، وهو تنزيه جلاله وصمديته حجبهم من نفسه، ثم أبرز من نعت صمديته نور تنزيهه، ونشقهم روائح قدسه وأنسه، وجعلهم مشتاقين إلى لقائه عاشقين جماله، فيصمدون إليه بنعت الفناء والبقاء، فلما علم عجزهم =

عن رؤية حقيقة هويته وصمديته ووحدانيته وفردانيته تجلى لهم بنعوت الجمال من لباس الأفعال، فهاموا بعشقه في بيداء أنوار جماله وجلاله، سكارى متبسّطين، وطابوا بكل مستحسن من عالم الأفعال، فلمّا سكنوا بالمستحسنات، ورؤية الجمال في الأفعال أمال أزمن قصودهم إلى فضاء الوحدانية: وأعلمهم أنه منزّهٌ عن مباشرة الحوادث، بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: لم يكن هو محل الحوادث، ولم تكن الحوادث محله، التجلّي ظهور الصفات، والالتباس ظهورها في الأفعال، وهو منزّهٌ عن التمثال والجبال، ألا ترى كيف حقق التوحيد لمن شاهد مشاهدته في أهله، بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾: غلط النصارى واليهود والكفرة والمجوس حين رأوا من الأشخاص أنوار الأرواح، ومن الأرواح سنا روح فعله، ثم نور صفته، ووقعوا في ظلمات الحلول حين لم يعرفوا أصل الأصل، وحقيقة الحقيقة، وعين العين وفردانية الذات والصفات عن مباشرة الأمثال والتمثال، سبحان المنزّه بذاته عن رؤية كل راءٍ، ومعرفة كل عارفٍ، وتوحيد كل موحدٍ، وعبادة كل عابدٍ، وجحود كل جاحدٍ، وجهل كل جاهلٍ، ووصف كل واصفٍ، كلهم في نكرة النكرة، معزولون من حقيقة المعرفة.

قال ابن عطاء: «الهاء»: تنبيهٌ عن معنى ثابت، و«الواو»: إشارةٌ إلى ما لا يدرك حقائق نعوته وصفاته بالحواس، و«الأحد»: المتفرد الذي لا نظير له، و«التوحيد»: هو الإقرار بالوحدانية، و«الأحدية»: هي الانفراد.

وقال الواسطي: «هو»: حرف ليس باسم ولا وصف، ولكنّه كنايةٌ، وإشارة كناية عن الذات، وإشارة إلى الذات، غَيْرَ الحق من يلحد في الأسماء والصفات، ويفرّق بين الصفة والموصوف، فقال: لا يكون فرقًا بين هويته، وهو ذلك لم يكن فرقًا بين هويته، ولم يكن فرقًا بين أسمائه وصفاته.

قال ابن عطاء: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: هو المنفرد باتحاد المفقودات، والمتوحد بإظهار الخفيّات.

وقال الحسين: «الأحد»: الكائن عنه كل منعوت، وإليه يصير كل مربوبٍ، فيطمس من مساكنه، ويطرح من نازله أن أشهدك إياه، فإنك وإن غيّبك عنه راعك.

قال بعضهم: توجد ثم وجد لا سبيل إلى ذلك إلا أن يوجدك الحق له.

وقال جعفر: «الصمد»: الذي لم يعط الخليقة من معرفته إلا الاسم والصفة.

وقال الواسطي: امتنع الحق بصمديته من وقوف العقول عليه، وإشارتها إليه، ولا يعرف إلا بألطاف إسدائها إلى الجوارح.

وقال ابن عطاء: «الصمد»: المتعالي عن الكون والفساد.

وقال جعفر: «الصمد»: خمسة حروف: «الألف»: دليلٌ على أحديته، و«اللام»: دليل على ألوهيته، وهما مدغمان لا يظهران على اللسان، ويظهران في الكتابة: فدلَّ ذلك على أن أحديته وألوهيته خفيّة

السيد للصمود إليه في الحوائج من صمد إذا قصد، وهو الموصوف به على الإطلاق؛ فإنه مستغن عن غيره، وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته، وقيل: معناه الدائم الباقي.

وقيل: تفسيره ما بعد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:3]..إلخ.

وقيل: إنه الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وقال مقاتل: إنه الكامل الذي لا عيب فيه، وقال الحسن وعكرمة: هو الذي لا جوف له، وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته، وتكرار لفظ الله للإشعار بأن من لم يتصف به لم يستحق الألوهية، وأخلى الجملة؛ لأنها كالنتيجة للأولى، أو الدليل عليها، انتهى.

وقال القمولي -رحمه الله تعالى: وفيه أوجه:

**أحدها**: السيد المصمود إليه في الحوائج من قولك: صمدت إليه إذا قصدته، تقول العرب: هذا بيت مصمود، ومصمد للبيت الذي تقصده الناس لحوائجهم فهم محتاجون إليه غير مستغنين عنه، وهو الغني عنهم، وعلى هذا فهو وصف فيه ثبوت، وسلب مضاف إلى كل المخلوقات؛ فإنها كلها مفتقرة إليه في إيجادها وبقائها.

وثانيها: أن الصمد هو الذي لا جوف له؛ فإنه بمعنى المصمت، ومنه يقال: لسدادة القارورة الصماد، ويقال: شيء مصمد؛ أي: صلب ليس فيه رخاوة، قال ابن قتيبة: وعلى

---

= لا تدرك بالحواس، وأنه لا يقاس بالناس، فخفاؤه في اللفظ دليلٌ على أن العقول لا تدرك، ولا تحيط به علمًا، وإظهاره في الكتابة دليلٌ على أنه يظهر على قلوب العارفين، ويبدو لأعين المحبين في دار السلام، و«الصاد»: أنه صادق فيما وعد فعله صدق، وكلامه صدق، ودعا عباده إلى الصدق، و«الميم»: دليلٌ على ملكه، وهو الملك على الحقيقة، و«الدال»: علامة دوامه في أبديته وأزليته، وإن كان الأزل والأبد؛ لأنهما ألفاظ تجرى على العواري في عباده.

وقال ابن عطاء: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: ظهر لك منه التوحيد، ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: ظهر لك منه المعرفة، ﴿لَمْ يَلِدْ﴾: ظهر لك منه الإيمان، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾: ظهر لك منه الإسلام، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: ظهر لك منه اليقين.

قال الأستاذ: كاشف الواقفين بقوله: ﴿هُوَ﴾، وكاشف الموحدين بقوله: ﴿اللَّهُ﴾، وكاشف العارفين بقوله: ﴿أَحَدٌ﴾، والعلماء بقوله: ﴿الصَّمَدُ﴾، والعقلاء بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

هذا فالدال فيه بدل من التاء وأصله المصمت، قال الشعبي: ومعناه: أنه لا يأكل ولا يشرب، وعلى هذا فإنه وصف سلبي.

**وثالثها**: أن الصمد الأملس من الحجارة الذي لا يقبل الغبار، ولا يدخل فيه شيء، ولا يخرج منه شيء، وهذا في حق الله محال؛ فوجب حمله على مجازه، وهو أن الجسم الذي لا يكون له كذلك لا يقبل الانفصال عن الغير، فيكون ذلك إشارة إلى كونه واجب الوجود لذاته غير قابل للتبدل في ذاته وصفاته، فهو على هذا وصف ذاتي، وفي هذين الموضعين بُعد؛ لأنهما من صفات الأجسام وهو على الله محال، وقد فسره المفسرون بمعان كلها راجعة إلى هذه الأوجه؛ **فقيل**: الصمد الحليم، **وقيل**: العليم.

وقال ابن مسعود والضحاك: السيد العظيم السؤدد، وقال الأصم: الخالق.

وقال الحسن بن الفضل: الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه، **وقيل**: الفرد العظيم الذي لا يتم أمر إلا به، **وقيل**: الكبير الذي ليس فوقه أحد، **وقيل**: الكامل في كل الصفات، **وقيل**: الذي لا يشبهه شيء من خلقه، **وقيل** غير ذلك، وحظ العبد منه أن يصمد لله تعالى في الحوائج، ويرغب إليه في إصلاح نفسه، وأمر دينه ودنياه وآخرته؛ فإنه القادر على ذلك لا يفعله إلا هو، انتهى.

وقال سيدي محيي الدين –قدس الله سره– في شرحه للأسماء الحسنى: الذي اقتصر فيه على الرواية التي خرجها الإمام الغزالي –رحمه الله تعالى– في كتابه «المقصد الأسنى»، وجعل كل اسم منها ينقسم إلى تعلق، وتحقق، وتخلق: الاسم الصمد:

**التعلق**: افتقارك إليه أن يجعل الفرج بيدك حتى تكون ملجأ لكل وارد من الحق والخلق، وأن تكون في حال تركيبك من الطهارة على ما كنت عليه قبل وجودك.

**التحقق**: الصمد على الحقيقة الذي يلجأ إليه في جميع الأمور، وقبحتها، وحليتها معلومها، ومجهولها.

**التخلق**: الإنسان إذا تخلق بالخلق الإلهي، واتصف بمكارم الأخلاق، وكان موضع نظر الحق من العالم جاءت إليه النفوس كلها؛ لتحققها بحصول أغراضها، وإرادتها علوًا وسفلاً، حقًا وخلقًا، وليس من شرطه أن يكون معلومًا في عالم التركيب ﴿ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [الحديد:18] ﴿ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه:14] هو ظهور

حضرة آثار الأسماء، انتهى.

وقال سيدي عبد الكريم الجيلي -قدس الله سره- في «الكمالات الإلهية»: اسمه تعالى الصمد، هو الذي استند الوجود المطلق في إطلاقه إليه، وقام الوجود المقيد في تقيده عليه، والصمد في اللغة: هو التوجه، ومن تسمية العود الذي يجعله المصلي أمامه، صمدًا بمعنى: توجيهه نحوه؛ فالمعنى في هذا الاسم: هو توجه الوجود الكل إليه في شيئيته، وموجوديته، مع غناه في وجوده عن موجود سواه، ولهذا اعتبر علماء الظاهر في الصمدية: عدم الأكل والشرب، وهذا المعنى وجه واحد من الوجوه الكثيرة الذي تضمنها هذا الاسم، وهو من أسماء الصفات، وصفية الصمدية وهو عبارة عن: تجلٍّ استغنائي يظهر فيه افتقار الموجودات كلها في وجودها إليه، انتهى.

وقال سيدي محمد القونوي ﷺ في «شرح الأسماء»: الصمد هو الذي يلجأ، ويقصد إليه في الحوائج والنوائب؛ فصمدية الحق من حيث ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر:21]، والخزائن غير متناهية؛ لكن أقسام كلياتها ترجع إلى علوية، وسفلية، وغيبية، وشهادية، ووجودية، وثبوتية، وكلها عند الحق، ومفاتيحها بيده يفتحها لمن شاء إذا شاء، واختص المختزنات الثبوتية، والأعيان الوجودية بالافتقار؛ فإن الحقائق الثبوتية تقتضي الخروج من تلك الخزائن إلى الوجود، ويكون حجاب قبول الوجود في ذاتها، ولذلك أبقى الافتقار في الوجود منها؛ ليسأل الموجد تعالى عز شأنه إيجاد ما لم يوجد نيابة عنه؛ لافتقاره إليه، فهو في سؤاله معين المختزن على وجوده.

وأما الخزائن الوجودية؛ فإنما هي أعيان الممكنات، وكل خزانة من الخزائن الوجودية مخصوصة بما لا يوجد في غيرها من الخزائن؛ ولذلك افتقر بعضها إلى بعض، وهو طلب كل واحد منها عند غيرها؛ كاحتياج زيد إلى ما عند عمر، ويفتقر زيد إلى الله فيما يحتاجه إليه من عند عمر، فيسلط الحق باعثًا على قلب عمر، ويقضي حاجة زيد بما عنده؛ أي: بأي وجه، ومخزون من كل وجه للمخزون لا يزال في الانتقال من خزانة إلى خزانة، فما ينزل منها شيء إلى غير خزانة، وكلها عند الله وبيده، فهو الصمد الذي يقصد إليه في الأمور، ويلجأ إليه في نوائب الدهور، ولما كانت الكيفيات والافتقارات موزعة على أفراد أشخاص خزائن الوجود؛ فكل عين من أعيان الوجود من الصمدية ما لا يظهر

إلا به، وكذلك نهينا أن نصمد في صلاتنا إلى السترة صمدًا؛ أي: التي يضعها المصلي أمامه، فهو إشارة إلى الغيرة الإلهية، وإنه لا ينبغي للعبد أن يصمد صمدًا إلا للصمد المطلق عز شأنه، انتهى.

ومن خواصه: أن من أكثر من ذكره قل افتقاره إلى الأكوان، وإذا داوم عليه صاحب حال صادقة رجعت حوائج الخلق إليه، ومن رسمه في مربع وحمله واشتغل بذكره لم يؤذه عطش ولا جوع؛ سيما في الأسفار، وإذا رسمه في صحيفة من رصاص ورفعه معه لا يحتلم ما دام معه، وتذهب عن حامله شهوات، ويكون مهابًا محبوبًا لكل من يراه وهذه صفحة:

| | | | |
|---|---|---|---|
| 33 | 34 | 39 | 33 |
| 38 | 37 | 33 | 37 |
| 38 | 31 | 33 | 31 |
| 35 | 35 | 39 | 35 |

وذكر الشيخ أحمد زروق ﷺ في الوصية الكافية لمن خصه الله بالعافية: أن مما يعين على الجوع أن يذكر الشخص كل يوم: يا صمد من غير من شبيه ولا شيء؛ كمثله ثلاثمائة وخمسين مرة.

قال: وأظن أنه إذا كتب لصاحب الخمر هذا العدد، وسقيه بماء غزلان الدوالي لم يشربه، وكذا إذا سقي طرح الفاخت والحمام، وقال شارح «الأسماء السهروردية»: ويقرأ هذا الاسم لحصول الأغراض تسعة آلاف، ومن ابتلي بأفعال السوء، وتمكنت من قلبه يقرأه كل يوم ألفًا، ومن خواصه: حصول النجاح والصلاح؛ فمن قرأه عند السحريات خمسة وعشرين مرة ظهر عليه آثار الصدق والصديقية، وحكي عن بعض الصالحين: أنه جاع وهو نزيل المدينة المنورة، فجلس على جانب الحجرة الشريفة، وقال: أنا ضيفك يا رسول الله فسمع من القبر الشريف: الله الرحمن الرحيم الصمد يزول الجوع، فاستعمل هذه الأسماء فلم يجد ألم الجوع، وسيمر بك ذكر الخلوة الصمدانية.

ومعنى الفتح الصمداني عند قولنا: في الورد **(افتح لنا فتحًا صمدانيًا)** ﴿لَمْ يَلِدْ﴾[1]

(1) أي: لم يكن هو محل الحوادث، ولم تكن الحوادث محله، التجلي ظهور الصفات، والالتباس ظهورها

في الأفعال، وهو منزّهٌ عن التمثال والخيال، ألا ترى كيف حقق التوحيد لمن شاهد مشاهدته في أهله بقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾: غلطَ النصارى واليهود والكفرة والمجوس حين رأوا من الأشخاص أنوار الأرواح، ومن الأرواح سنا روح فعله، ثم نور صفته، ووقعوا في ظلمات الحلول حين لم يعرفوا أصل الأصل، وحقيقة الحقيقة، وعين العين وفردانية الذات والصفات عن مباشرة الأمثال والتمثال، سبحان المنزّه بذاته عن رؤية كل راءٍ، ومعرفة كل عارفٍ، وتوحيد كل موحدٍ، وعبادة كل عابدٍ، وجحود كل جاحدٍ، وجهل كل جاهلٍ، ووصف كل واصفٍ، كلهم في نكرة النكرة، معزولون من حقيقة المعرفة.

قال ابن عطاء: «الهاء»: تنبيهٌ عن معنىً ثابتٍ، و«الواو»: إشارةٌ إلى ما لا يدرك حقائق نعوته وصفاته بالحواس، و«الأحد»: المتفرد الذي لا نظير له، و«التوحيد»: هو الإقرار بالوحدانية، و«الأحدية»: هي الانفراد.

وقال الواسطي: «هو»: حرف ليس باسم ولا وصف، ولكنه كنايةٌ، وإشارة كناية عن الذات، وإشارة إلى الذات، علمَ الحق من يلحد في الأسماء والصفات، ويفرّق بين الصفة والموصوف، فقال: لا يكون فرقًا بين هويته، وهو ذاك لم يكن فرقًا بين هويته، ولم يكن فرقًا بين أسمائه وصفاته.

قال ابن عطاء: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: هو المنفرد بإيجاد المفقودات، والمتوحد بإظهار الخفيّات.

وقال الحسين: «الأحد»: الكائن عنه كل منعوت، وإليه يصير كل مربوبٍ، فيطمس من مساكنه، ويطرح من نازله أن أشهدك إياه، فإنك وإن غيّبك عنه راعك.

قال بعضهم: توحد ثم وجد لا سبيل إلى ذلك إلا أن يوجدك الحق له.

وقال جعفر: «الصمد»: الذي لم يعطِ الخليقة من معرفته إلا الاسم والصفة.

وقال الواسطي: امتنع الحق بصمديته من وقوف العقول عليه، وإشارتها إليه، ولا يعرف إلا بألطاف أسدائها إلى الجوارح.

وقال ابن عطاء: «الصمد»: المتعالي عن الكون والفساد.

وقال جعفر: «الصمد»: خمسة حروف: «الألف»: دليلٌ على أحديته، و«اللام»: دليل على ألوهيته، وهما مدغمان لا يظهران على اللسان، ويظهران في الكتابة، فدلّ ذلك على أن أحديته وألوهيته خفيّة لا تُدرك بالحواس، وأنه لا يقاس بالناس، فخفاؤه في اللفظ دليلٌ على أن العقول لا تدركه، ولا تحيط به علمًا، وإظهاره في الكتابة دليلٌ على أنه يظهر على قلوب العارفين، ويبدو لأعين المحبّين في دار السلام، و«الصاد»: أنه صادق فيما وعد فعله صدق، وكلامه صدق، ودعا عباده إلى الصدق، و«الميم»: دليلٌ على ملكه، وهو الملك على الحقيقة، و«الدال»: علامة دوامه في أبديته وأزليته، وإن كان الأزل والأبد؛ لأنهما ألفاظٌ تجرى على العواري في عباده.

قال القاضي: روح الله روحه؛ لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه، أو يخلف عنه؛ لامتناع الغنى والحاجة إليه، ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردًا على من قال: الملائكة بنات الله، والمسيح ابن الله تعالى، أو ليطابق ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ لأنه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم.

زاد المصري، وقال ابن عباس: لم يلد كما ولدت مريم، ولم يولد كما ولد عيسى وعزير ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾ أي: ولم يكن له أحد يكافيه؛ أي: يماثله من صاحبة وغيرها، وكان أصله: أن يؤخر الظرف؛ أي: لأنه صله ليكن، لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديمًا للأهم، ويجوز أن يكون حالاً من المستكن في ﴿كُفُوًا﴾ أو خبرًا، أو يكون كفوًا: حالاً من أحد، ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف؛ لأن المراد منها: نفي انقسام الأمثال، فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل، وقرأ حمزة، ويعقوب، ونافع في رواية ﴿كُفْوًا﴾: بالتخفيف، وحفص ﴿كُفُوًا﴾ بالحركة، وقلبت الهمزة واوًا؛ لاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الإلهية، والرد على من ألحد فيها، جاء في الحديث: «**أنها تعدل ثلث القرآن**»[1]؛ فإن مقاصده محصورة في بيان العقائد والأحكام، ومن عدها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك، انتهى.

عن النبي ﷺ «**أنه سمع رجلا يقرأها فقال ﷺ: وجبت، قيل: وما وجبت؟ قال: وجبت له الجنة**»[2].

وعنه ﷺ: «**من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهًا واحدًا فردًا صمدًا لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكن له كفوًا أحد عشر مرات كتب الله له أربعون ألف حسنة**»[3] رواه أحمد، والترمذي عن تميم الداري ،انتهى.

واختلف في هذه السورة أهي مكية، أم مدنية، وكذلك المعوذتين، وصح أنها: أربع آيات، قال سيدي محمد المهدي الفاسي -شارح الدلائل- رحمه الله تعالى: فأول آية منها تنفي للكثرة والعدد، والثانية: تنفي النقص والتقليب، والثالثة: تنفي العلة والمعلول،

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

(3) رواه الترمذي (5/ 415)، وأحمد (4/ 103).

والرابعة: تنفي الشبيه والنظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، انتهى.

**ومن خواصها:** أن من كتبها في رق أرنب، وحملها معه لا يقربه شيء مما يضره من الجن والإنس والهوام بإذن الله تعالى، ومن فوائدها: ما نقل عن سيدي أبي الحسن الشاذلي -قدس الله سره- وذلك قوله: إن أردت الإخلاص، فأعن على نفسك بقراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وإن أردت تيسير الرزق، فأعن على نفسك بقراءة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وإن أردت السلامة، فأعن على نفسك بقراءة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، انتهى.

**(ثلاثًا)**؛ لقوله ﷺ: «**من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع**»[1] رواه العقيلي عن رجاء الغنوي.

قال المصنف: **(والمعوذتين)** أي: ويقرأ التالي المعوذتين، قال في «المصباح»: والمعوذتان ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ لأنهما عوذتا صاحبهما؛ أي: عصمتاه من كل سوء، انتهى.

فيقول بعد البسملة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾[2].

---

(1) رواه العقيلي في الضعفاء الكبير (1/ 374)، وذكره المناوي في فيض القدير (6/ 201).

(2) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾: في هذه الكلمة سرائر حبيبه بالاستعاذة به، ثُمَّ ذكر وصف تربيته بقوله: ﴿بِرَبِّ﴾، ثم ذكر وصفه وصفته وفعله بقوله: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾، و«الفلق»: انفلاق صخور العارفين بمياه المحبّة والمعرفة من تأثير انكشافات سبحات الغيرة عن جمال المشاهدة، وطلوع صباح الوصلة من مشارق الأحدية، أمره بالاستعاذة به منه حتى لا يكون بين الوصل والفصل محجوبًا عن عين العين، وإدراك حقيقة الحقيقة بعوارض البشرية، وهو قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: شر ظلمات قهره إذا غطّى قلوب أهل الحرمان، وطار على أسرار أهل العرفان في زمان الامتحان. ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: «الحاسد»: النفس الأمّارة، والشيطان الملعون حسدًا على روح جزّالة في الملكوت، سيّارة في أنوار الجبروت، فحسدهما مرام سهام غيرة قهر القدم، ألا ترى =

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ قال القاضي -رحمه الله تعالى: **(ما يفلق عنه)**: أي: يفرق كالفرق، فعل بمعنى المفعول وهو يعم جميع الممكنات؛ فإن فلق ظلمة العدم بنور الإيجاد عنها سيما ما يخرج من أصل كالعيون، والأمطار، والنبات، والأولاد، ويخص عرفًا بالصبح؛ ولذلك فسرّ به، وتخصيص لما فيه من تغير الحال، وتبدل وحشة الليل بسرور النور، ومحاكاة فاتحة القيامة، وللإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل عند هذا العالم قدر أن يزيل عن العابد ما يخافه، ولفظ الرب ها هنا أوقع من سائر أسمائه تعالى؛ لأن الإعاذة تربية، انتهى.

﴿ٱلْفَلَقِ﴾: كما في الحديث الذي رواه ابن جرير عن أبي هريرة: ولفظ **«الفلق جب في جهنم مغطى»**[1]، وقال ابن عباس: **«سجن في جهنم»**[2].

وعن أبي بن كعب: **«بيت في جهنم إذا فتح صاح أهل النار من حرة»**[3]، وقيل

---

=

كيف قال ﷺ: «العين حق»؛ لأنها سهمٌ من سهام قهره. قال بعضهم: «الفلق»: فلق الكمون من القلوب، فأدارها على الألسنة.

وقال محمد بن علي النهدي: عطف الله على قلوب خواص عباده، فقذف فيها، فانفلق الحجاب، وانكشف الغطاء، وهو قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾.

قال الحسين: إشارة الحقِّ أن جميع خلقه في معنى القطيعة عنه بكلمة واحدة، وهي من لطائف القرآن.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝﴾: فالق الإصباح، وفالق الحبِّ والنوى، وفلق البحر لموسى، وفلق الأسماع والأبصار، وفلق القلوب حتى انكشف له الغيوب.

قال ﷺ: **«سجدَ وجهي للذي خلقه وشقَّ سمعَه وبصرَه»**، وفلق الصدور وفتقها وشرحها؛ لتدارك ما جرى فيها من المباشرة؛ إذ في ذلك صحة التحير، وصفَّاها من شر ما خلق أن يكون مربوطًا، وإن علَت أحواله وعَظُمت أخطاره، فإن الانقطاع علامة الارتباط بما دونه من خلقه وفلقه.

قال محمد بن حامد في قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝﴾: أعلمك أن الخلق كلهم موصوفون بالبشرية، وأن الخير الذي لا شر فيه هو الذي خلق الخلق على هذه الصفة

(1) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (2/ 15)، والبدر العيني في عمدة القاري (20/ 10).

(2) رواه الديلمي في الفردوس (5/ 479).

(3) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (6/ 31).

غير ذلك.

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾: قال القاضي حفص: عالم الخلق بالاستعاذة منه لانحصار الشرفية؛ فإن عالم الأمر خير كله، وشره اختياري لازم متعد؛ كالكفر، والظلم الطبيعي؛ كإحراق النار، وإهلاك السموم، زاد المصري وقيل: هو إبليس وذريته، وقيل: جهنم.

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾: ليل عظيم ظلامه من قوله: إلى غسق الليل، وأصله: الامتلاء، يقال: غسقت العين؛ إذ امتلأت دمعًا، وقيل: السيلان، وغسق الليل انصباب ظلامه، وغسق العين سيلان دمعها.

﴿ إِذَا وَقَبَ ﴾: قال المصري: دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه؛ لأن المضار فيه تكثر ويعسر الدفع؛ ولذلك قيل: الليل أخفى للويل، وقيل: الثريا، وذلك أنها: إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين، وإذا طلعت ارتفع ذلك، وقيل: الشمس إذا غربت، قاله ابن شهاب، وقيل: هو القمر إذا غاب العتبى دخل في سهوده؛ وإذ ذلك إذا خسف به، وقيل: إذا وقب: إذا غاب، وقيل: الحية إذا لدغت، وعن بعضهم: هو الذكر إذا قام وهو غريب،﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾ أي: ومن شر النفوس، والنساء السواحر اللواتي يعقدن عقدًا في خيوط وينفثن عليها، والنفث النفخ مع ريق، وتخصيصه لما ثبت في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ سحره يهودي من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله؛ فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث في غير الصحيح سنة؛ ثم قال: «**يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيه فيه أتاني ملكان جلس أحدهما: عند رأسي، والآخر: عند رجلي، قال: ما شأن الرجل؟ قال: مطبوب؛ أي: مسحور، قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم: قال فيما ذا؟ قال: في مشط ومشاطه، وجف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذي أروان، فجاء البئر واستخرجه**»[1].

وقال ابن عباس: أما شعرت يا عائشة أن الله أخبرني بدائي، ثم بعث عليًا، وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ ، ثم رفعوا الصخرة، وهي:

---

(1) رواه البخاري 5/ 2174، ومسلم 4/ 1720.

الراعوفة صخرة أسفل البئر يقوم عليها المائح، وأخرجوا الجف؛ فإذا مشاطة رأس إنسان وأسنان من مشط، وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر، فأنزل الله تعالى هاتين السورتين إحدى عشرة آية على عدد تلك العقد، وأمر أن يتعوذ بهما، فجعل كل ما قرأ آية انحلت عقدة، فوجد خفة حتى انحلت العقد وشفاه الله؛ فكأنما نشط من عقال، والجُف: بضم الجيم: وعاء الطلع وذي أروان: بئر بالمدينة، والراعوفة: براء مهملة، وألف ثم عين مهملة؛ ثم واو وفاء، ويروى راعوثة -بالثاء المثلثة- ومطبوب: أي: مسحور.

وروي أنهم قالوا: «**يا رسول الله أنقتل الخبيث؟ فقال: أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على الناس شرًّا**»[1] وذكر القشيري: أن غلامًا من اليهود كان يخدم النبي ﷺ، وزينت إليه اليهود، ولم يزالوا به حتى أخذوا مشاطة رأس النبي ﷺ، وأخذوا عدة من أسنان مشطه، فأعطاه اليهود فسحروه، وروي أن نساء سحرن النبي ﷺ قال ابن زيد: وكن من اليهود، وقيل: هن بنات لبيد بن الأعصم.

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾، يعني: إذا ظهر حسد هو عمل بمقتضاه؛ فإنه لا يعود ضرر منه قبل ذلك إلى المحسود؛ بل يخص به لاغتمامه سرور المحسود وتخصيصه؛ لأنه العمدة في إضرار الإنسان، والحسد تمني زوال نعمة المحسود، وإن لم تصل إلى الحاسد، وفي الحديث: «**ثلاث لا يستجاب دعاؤهم: آكل الحرام، ومكثر الغيبة، ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين**»[2] وذكر الثلاثة الشامل لها ما خلق بعدها شرعًا مختلف فيها.

وقال القاضي عند الكلام على الآية الرابعة: ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور؛ لأنهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر، وقيل: المراد بالنفث في العقد: إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها، وإفراده بالتعريف؛ لأن كل نفاثة شريرة، بخلاف كل غاسق وحاسد؛ ثم قال: فيجوز أن يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه؛ كالقوي، وبالنفاثات النباتات كأن قواها النباتية من حيث إنها تزيد في طولها، وعرضها، وعمقها؛ كأنها تنفث في العقد الثلاث، وبالحاسد

---

(1) ذكره ابن الجوزي في كشف مشكل حديث الصحيحين 1/ 1217.

(2) لم أقف عليه.

الحيوان؛ فإنه إنما يقصد غيره غالبًا طمعًا فيما عنده، ولعل إفرادها من عالم الخلق؛ لأنها الأسباب القريبة للحضرة عن النبي ﷺ: **«لقد أنزلت عليَّ سورتان ما أنزل عليَّ مثلهما، وأنك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما»**[1]، يعني: المعوذتين، انتهى.

وعنه ﷺ: **«يا عقبة بن عامر إنك لن تقرأ بسورة أحب إلى الله، ولا أبلغ عنده من أن تقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝﴾؛ فإن استطعت أن لا تفوتك في صلاة فافعل»**[2] رواه ابن حبان، والطبراني، والحاكم، والبيهقي عن عقبة بن عامر، وعنه ﷺ: **«يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين قرئت قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس يا عقبة اقرأهما كلما نمت وقمت ما سأل سائل، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما»**[3] رواه أحمد، والنسائي، والحاكم عن عقبة بن عامر.

ويقول بعد البسملة:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾[4].

---

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه ابن حبان في صحيحه 5/ 150، والطبراني في الكبير 17/ 311.

(3) رواه أحمد في مسنده (4/ 148)، والنسائي في الكبرى (4/ 440).

(4) أمر حبيبه صلوات الله وسلامه عليه بالاستعاذة به، وبيّن أن مربّي الناس مزيّن آدم وذريته بزينة أنوار صفاته. ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾: بأنه أعطاهم مُلكًا أوّله معرفته، ومَلَكَ قلوبهم بجمال مشاهدته.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: حيث أرواحهم بسنا قدسه في رياض أنسه. ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾: للوسوسة مراتب: الأولى: هواجس النفس الأمّارة، والثانية: وسوسة الشيطان، والثالثة: وسوسة جنود القهريات، وموضع هذه الوساوس الصدر؛ لأن القلب موضع العقل، والروح اللطيفة والتجلّي والخطاب والمشاهدة، وهو مصونٌ برعاية الحق، فأمّا «وسوسة النفس»: فتكون في طلب الشهوات والحظوظ، وأما «وسوسة الشيطان»: فتكون في الكفر والطغيان والبدع، وأما «وسوسة القهر»: فتلد وسوسة النفس والشيطان ألقاها الحق في أرض الصدور؛ لامتحان عباده وغيرة الأزل، منعهم بهذه الوساوس عن مشاهدة الكل، فإذا أراد بلطفه وصولهم إليه ينكشف لأسرارهم سبحات جمال عظمته، فيهب في صحاري قلوبهم مثال جماله، فيكشف عن قلوبهم وصدورهم الوساوس، وظلمة الهواجس، وذلك قوله: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾

(٦) مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ (٦)﴾. ثُمَّ بيَّن أن الوسوسة تأتي من الشيطان تارة بلا واسطة، وتارة بالواسطة؛ إذ لم يقدِر الملعون أن يوسوس في صدره من غلبة نور التوفيق والمشاهدة، وظهارة الكفر وصفاء الذكر، وعار عليه في مقام غراة بعض شياطين الإنس، ويدعوه بلسانه إلى بعض الشهوات أو البدع والأهواء، فيوقعه إلى الحجاب، فأمر الله حبيبه أن يستعيذ به من وسوسة شياطين الإنس والجن الذين وصفهم الله بقوله: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ واحذر يا صاحبي من هذه الوساوس، واعرف شأنها وأصلها وفرعها، فإن الوساوس تأتيك في جميع المقامات، وفي بعض المواجيد والأحوال، فينبغي أن تعرف مكائده وأسلحته ومواقعه ووساوسه، واستعن بالله في جوابه وعلاجه؛ حتى تبلغ إلى مقام مشاهدة الحق بالحق، ويغني عنك بشريتك وأوصافها، ويكون نورًا بنوره، مقدّسًا يقدسه عن كل خاطرٍ وعارضٍ، فإنْ عرفت حقيقة ما ذكرتك فصرت إمامًا للمتقدين، وسراجًا للمقتبسين. قال عمرو المكّي: الوسواس من وجهين: من النفس، والعدو، «فوسواس النفس»: بالمعاصي التي يوسوس فيها العدو كلّها غير طبعي، فإنّ النفس لا توسوس بها، أحدهما: التشكيك، والآخر: التقول على الله بغير علمٍ، قال الله في وصف الشيطان: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. وقال يحيى بن معاذ: «الوسوسة»: بذر الشيطان، فإنْ لم تعطه أرضًا وماءً ضاع بذره، وإن أعطيته الأرض والماء بذر فيها، فسُئل ما الأرض والماء؟ فقال: الشبع أرضه، والنوم ماؤه. وقال يحيى: إنما هو جسمٌ وروحٌ وقلبٌ وصدرٌ وشغافٌ وفؤادٌ، «فالجسم»: بحر الشهوات، قال الله: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾، و«الروح» بحر المناجاة، و«الصدر»: بحر الوسواس، قال الله تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾، و«الشغاف»: بحر المحبّة. قال الله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾، و«الفؤاد»: بحر الرؤية، قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، و«التقلّب»: بحر العمل. وقال سهل: «الوسوسة»: ذكر الطبع. وقال: إذا كان القلب مشغولاً بالله لم يصل إليه الوسواس بحالٍ.

وقال عبد العزيز المكّي: يوسوس في فؤاد العامة، وقلوب الخواص لو دنا منها إبليس لاحترق.
صدق الشيخ فيما قال، ولكن في سر السر، وغيب الغيب، ونور النور، وسنا السنا، ولطف اللطف، وشهود الشهود، ودنو الدنو، ووصال الوصال، وبقاء البقاء وعيان العيان تكون قلوب العارفين والموحدين والمحبّين والمريدين والمؤمنين في قبض العزة متقلبة بين أصابع الصفة التي هي أنوار آزال الآزال، وآباد الآباد، طالبه بوصل الوصل، وعرفان العرفان، وحقيقة الحقيقة، كالفراش حول الشمع كمال شوقها الاحتراق بنيرانه، كذلك قلوبهم محترقة هناك بنيران الكبرياء، فانية في سطوات الجلال، باقية بسبحات الجمال، مصونة عن ذل الحجاب، محروسة عن طيران العذاب،

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: قال في «المصباح»: الناس اسم للجمع؛ كالقوم والرهط، وواحده إنسان من لفظه، مشتق من ناس ينوس إذا تدلى وتحرك، فيطلق على الجن والإنس، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾؛ ثم فسر الناس بالجن والناس، فقال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، سمي الجن ناسًا كما سموا رجالاً، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: 6] وكانت العرب تقول: رأيت ناسًا من الجن، ويصغر الناس على نواس؛ لكن غلب استعماله في الإنس، انتهى.

قال القاضي -رحمه الله تعالى: وقرئ في السورتين بحذف الهمزة، ونقل حركتها على اللام ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية، وهي تعم الإنسان وغيره، والاستعاذة في هذه السورة من المضار التي تعرض النفوس البشرية، وتخصها عمم الإضافة؛ ثم وخصصها بالناس هنا؛ فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك أمورهم، ويستحق عبادتهم.

زاد المصري -رحمه الله: وإنما قال: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ وإن كان ربًا لجميع الخلائق

=

كيف يخللها فنام الوسواس، فهواجس بالنفس، وحديث الناس، سبحان من صفاهم بصفائه عن كل كدور، وبراهم بقدسه عن كل علة: الوسواس في الصدور، والقلوب في الحضور والنور والسرور، كيف يصل حركات الإنسانية إلى من استغرق في بحار الوحدانية، لا بأس بأن طوى على الصدور وسواس وهواجس من محل الامتحان، فإنّ الأرواح في يمين الرحمن، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، والحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة، ألا ترى كيف شكا عنه خواص الصحابة إلى حبيب الله وصفيه صلوات الله وسلامه عليه فقالوا: «إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدُنا أن يتكلَّم به»، فقال: **أو قد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذلك صريحُ الإيمان**». وقال أبو عمرو البخاري: أصل الوسوسة ينتجها من عشرة أشياء: أولها: «الحرص»: فقاتله بالتوكل والقناعة، والثانية: «الأمل»: فاكسره بمناجاة الأجل، والثالثة: «التمتع بشهوات الدنيا»: فقاتله بزوال النعمة وطول الحساب، والرابعة: «الحسد»: فاكسره برؤية العدل، والخامسة: «البلاء»: فاكسره برؤية المنة والعوافي، والسادسة: «الكبر»: فاكسره بالتواضع، والسابعة: «الاستخفاف بحرمة المؤمنين»: فاكسره بتعظيم حرمتهم، والثامنة: «حب الدنيا والمحمدة من الناس»: فاكسره بالإخلاص، والتاسعة: «طلب العلو والرفعة»: فاكسره بالخشوع، والعاشرة: «المنع والبخل»: فاكسره بالجود والسخاء، والحمد لله حمدًا لا انقطاع له ولا انتهاء.

لأمرين: أحدهما: أن الناس معظمون، فأعلم بذكرهم أنه ربهم وإن عظموا، والثاني: أنه أمر بالاستعاذة من شرهم.

﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ قال القاضي -رحمه الله: عطف بيان له؛ فإن الرب قد لا يكون ملكًا، والملك قد لا يكون إلهًا، وفي النظم دلالة على أنه حقيق بالإعاذة قادر عليها، وإشعار على مراتب الناظر في المعارف؛ فإنه يعلم أولاً بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة، أن له ربًا لم يتغلغل في النظر حتى يستحق أنه غني عن الملك، وذات كل شيء له، ومصارف أمره منه فهو الملك الحق؛ ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة لا غيره، وتدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلاً؛ لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات إشعارًا بعظيم الآفة المستعاذ منها.

وتكرير الناس لما في الإظهار من مزيد البيان، والإشعار بشرف الإنسان ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾ أي: الوسوسة كالزلازل بمعنى: الزلة، وأما المصدر فبالكسر كالزلزال، والمراد به: الموسوس سمي بفعله مبالغة، قال المصري -رحمه الله تعالى: والمراد به: الشيطان، وسمي بفعله مبالغة لكثرة ملابسته، وقيل: المعنى من شر ذي الوسواس، والوسوسة: حديث النفس. ﴿ ٱلْخَنَّاسِ ﴾: الذي من عادته أن يخنس إذا ذكر الإنسان، وفي الخبر: إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم؛ فإذا غفل وسوس له، وإذا ذكر خنس، انتهى.

وفي الحديث الشريف: «**إن إبليس له خرطوم؛ كخرطوم الكلب، واضعه على قلب ابن آدم يذكره اللذات والشهوات، ويأتيه بالأماني، ويأتيه بالوسوسة على قلبه لشكه في ربه؛ فإذا قال العبد: أعوذ بالله السميع العليم خنس الخرطوم عن القلب من الشيطان الرجيم، وأعوذ بالله أن يحضرون أنه هو السميع العليم خنس الخرطوم عن القلب**»[1] رواه الديلمي عن معاذ.

وعنه ﷺ: «**إن للوسواس خطمًا كخطم الطائر؛ فإذا غفل ابن آدم وضع ذلك في أذن القلب يوسوس؛ فإن ابن آدم ذكر الله ﷻ نكص وخنس؛ فلذلك سمي الوسواس الخناس**»[2] رواه ابن شاهين في «الترغيب» عن أنس.

---

(1) ذكره السيوطي في الجامع الكبير (1/ 6911).

(2) ذكره السيوطي في الجامع الكبير (1/ 7887).

وعنه ﷺ: «**إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم؛ فإذا ذكر الله تعالى خنس، وإذا نسي التقم قلبه**»[1] رواه البيهقي في شعبه، وأبو يعلى في مسنده عن أنس ﷺ.

والخطم كما في «المصباح»: من كل طائر مِنْقارُهُ، ومن كل دابة مقدم الأنف والفم، انتهى.

وعنه ﷺ: «**إذا وجدت ذلك -يعني: الوسوسة- فارفع أصبعك السبابة اليمنى؛ فاطعنه في فخذك اليمنى، وقل بسم الله؛ فإنه سكين الشيطان**»[2] رواه الحكيم، والطبراني عن أبي المليح عن أبيه.

وعنه ﷺ: «**من وجد من هذه الوساوس فليقل: آمنا بالله ورسله ثلاثًا؛ فإن ذلك يذهب عنه**»[3] رواه ابن السني عن عائشة.

وعنه ﷺ: «**أن أحدكم يأتيه الشيطان فيقول: من خلقك، فيقول: الله، فيقول: من خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل: آمنت بالله ورسوله؛ فإن ذلك يذهب عنه**»[4] رواه أحمد عن عائشة.

﴿ ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:5] قال القاضي: إذا غفلوا عن ذكر ربهم، وذلك كالقوة الوهمية؛ فإنها تساعد العقل في المقدمات، فإذا آل الأمر إلى النتيجة خنس، وأخذت الوهمية توسوسه وتسلكه، ومحل «الذي» الجر على الصفة، أو النصب، أو الرفع على الذم.

وقال المصري: قال مقاتل: إن الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق سلطه الله على ذلك، ووسوسته هو الدعاء إلى طاعته بكلام خفي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت.

﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:6] بيان لـ«الوسواس»، أو «الذي»، أو متعلق بـ«يوسوس»؛ أي: يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس، وقيل: بيان للناس، على

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 109)، وأبو يعلى في مسنده (9/ 336).

(2) رواه الطبراني في الكبير (1/ 191).

(3) رواه الديلمي في الفردوس (3/ 480).

(4) رواه أحمد (2/ 331)، وأبو يعلى (8/ 160)، والطبراني في الأوسط (2/ 252).

أن المراد به: ما يعم الثقلين.

وقال الحسن: هي شيطانات، أما شيطان الجن موسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فيأتي علانية، واعترض بأن الناس لا يوسوسون في صدور الناس؛ إنما يوسوس في صدورهم الجن.

وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضًا بما يليق بهم في الظاهر؛ ثم تصل وسوستهم له القلب، وتثبت فيه بالطريق المؤدي إلى ذلك.

وقال قتادة: إن من الإنس شياطين، وإن من الجن شياطين، وقيل: غير ذلك، والجنة: جمع جني، والهاء لتأنيث الجماعة، وقيل: إن إبليس يوسوس في صدور الجن؛ كما يوسوس في صدور الناس، انتهى كلام الخطيب المصري -رحمه الله عليه.

وقال القاضي: وفيه تعسف؛ أي: القول بأن المراد به ما يعم الثقلين، عن النبي ﷺ: «إلا أن يراد به الناس؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦]؛ فإن حق الله تعالى يعم الثقلين.

وعن النبي ﷺ: «من قرأ المعوذتين؛ فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى»(١)، انتهى.

قال المصنف: (**ثُمَّ يَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ سَبْعِينَ مَرَّةً، ثُمَّ يَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ جَمِيعِ جُرْمِي وَظُلْمِي وَمَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلاثًا، بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلاثًا**).

قال الشارح: ثم يقول تالي الورد: (**استغفر الله العظيم**)، الغفر: الستر، قال في القاموس: غفره يغفره ستره، والمتاع في الوعاء ادخله، وستره كما غفره والبيت بالخطاء، وغطاه وغفر الله له ذنبه يغفر غفرًا، وغفره حسنة بالكسر، ومغفرة وغفور، أو غُفرانًا بضمها، وغفيرًا وغفيرة غطى عليه، وعفي عنه، واستغفره من ذنبه، واستغفره: إياه طلب منه غفره، والغفار من صفات الله تعالى، وغفر الأمر يغفر به بالضم، وغفيرته أصلحه بما ينبغي أن يصلح به...إلخ.

---

(١) لم أقف عليه.

وقد جاء في فضل الاستغفار؛ لاسيما في الأسحار آيات، وأخبار كثيرة الإشهار، فمنها: قول الله العزيز الغفار: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 135].

وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المزمل: ٢٠].

وقال لنبيه ﷺ: ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: 16].

وقال: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: 33].

«**فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة**»[1] رواه الترمذي عن أبي موسى ﷺ.

وعنه ﷺ أنه قال: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم أنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك، ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء؛ ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم لو أتيتني بقرآن الأرض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي لأتيتك بقرابها مغفرة**»[2] رواه الترمذي عن أنس، وقال: حديث حسن.

قال النووي في «الأذكار» -بعدما أورده: **قلت**: عنان: بفتح العين، وهو السحاب، **وأحدها**: عنانه، **وقيل**: العنان ما عزلك منها؛ أي: اعترض وظهر لك إذا رفعت رأسك، وأما قُراب الأرض: فروي بضم القاف وكسرها، والضم هو المشهور، ومعناه: ما يقارب مِلأها، وممن حكى كسرها صاحب «المطلع».

وروينا في «سنن ابن ماجه» بإسناد جيد عن عبد الله بن بُسر بضم الباء، وبالسين المهملة، ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا**»[3].

وروينا في سنن أبي داود، والترمذي عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه، وإن كان قد**

---

(1) رواه الترمذي (5/ 270).

(2) رواه الترمذي (5/ 548)، والطبراني في الأوسط (4/ 315).

(3) رواه ابن ماجه (2/ 1254)، والبزار في مسنده (8/ 433).

فر من الزحف»[1]، قال الحاكم: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم، انتهى.

وعنه ﷺ أنه تعالى يقول: «**إني لأهم بأهل الأرض عذابًا؛ فإذا نظرت إلى عمار بيوتي والمتحابين فيّ، والمستغفرين بالأسحار صرفت عذابي عنهم**»[2] رواه البيهقي عن أنس، وعنه ﷺ: «**استكثروا من قول لا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك منهم أهلكهم بالأهواء؛ فإن الشيطان يقول: قد أهلكتم بالذنوب، وأهلكوني بقول لا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك منهم أهلكتهم بالأهواء حتى يحسبوا أنهم مهتدون فلا يستغفرون**»[3] رواه الحافظ أبو موسى بن أبي بكر المديني، وأبو يعلى الموصلي من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وروى الإمام أحمد، والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: «**قال إبليس: وعزتك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الله تعالى: وعزتي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني**»[4].

وعنه ﷺ: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**»[5] رواه أبو داود، وابن ماجه عن ابن عباس.

وعنه ﷺ: «**ما أصر من استغفر؛ وإن عاد في اليوم سبعين مرة**»[6] رواه أبو داود، والترمذي عن مولى لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال الترمذي: ليس إسناده بالقوي، وجاء أنه «دواء للذنوب»، وفي أخرى أنه «جلاء القلوب».

قال الإمام النووي -رحمه الله تعالى- في «الأذكار»: ومما يتعلق بالاستغفار، ما جاء عن الربيع بن خيثم -رحمه الله- قال: لا يقل أحدكم استغفر الله، أو أتوب إليه فيكون ذنبًا إن لم تفعل؛ بل تقول: اللهم أغفر لي وتب عليّ، وهذا الذي قاله من قوله: «**اللهم اغفر لي**

---

(1) رواه أبو داود (2/ 85)، والطبراني في الكبير (5/ 89).

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان (6/ 500).

(3) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (1/ 46).

(4) رواه أحمد (3/ 29)، وأبو يعلى (2/ 530).

(5) رواه أبو داود (2/ 85)، وابن ماجه (2/ 1254).

(6) رواه أبو داود (2/ 84)، والترمذي (5/ 558).

وتب علي»[1] - حسن- وأما كراهية استغفر، وتسميته كذبًا فلا يوافق عليه؛ لأن معنى استغفر الله أطلب مغفرته، وليس في هذا كذب، ويكفي في رده حديث ابن مسعود المذكور قبل.

وعن الفضيل -رحمه الله تعالى: استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين، ويقابل ما جاء عن رابعة العدوية -رحمها الله تعالى- قالت: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير.

وعن بعض العرب: أنه تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم إن استغفاري مع إصراري لوم، وإن تركي الاستغفار مع علمي بسعة عفوك عجز، فلم يتحبب إليَّ بالنعم مع غناك عني، وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك، يا من إذا وعد وفى، وإذا تواعد تجاوز وعفى، ادخل عظم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين، انتهى.

وعن بعض الحكماء ممن له في المعرفة: قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئًا على الله وهو لا يعلم، وقال آخر: توبة الكذابين على أطراف لسانهم.

وعن يحيى بن معاذ الرازي -رحمه الله تعالى: كم مستغفر ممقوت، وساكت مرحوم يقول: استغفروا الله وقلبه فاجر، وهذا ساكت وقلبه ذاكر.

وعن رابعة العدوية -رضي الله عنها- أنها كانت تقول: استغفر الله من قولي بلا ندم، استغفر الله ما المغرور لم يفق؛ فإن الاستغفار اللساني دون الإقلاع الجناني لا يفيد العاني، ولا يرفع العذاب عن الجاني، وإنما من ندم، وأقلع، وأناب، واستغفر موافق لسانه قلبه بلغ الآراب، وما عدا هذا الاستغفار لا يعول عليه الأكابر؛ فأكثر منه نادمًا قالعًا عن الذنوب، ولا تكابر واحد به الاغترار، وإياك والإصرار، فإنه لا مستجيب مع الإصرار، أي: لأنه يصيرها كبيرة، ولا كبيرة مع الاستغفار؛ أي: لأنه يمحو تلك الآثار الخطيرة، فعليك بالاستغفار المقرون بالتوبة سيما في الأسحار؛ لأنه موطن الأوبة؛ ثم يكرره (سبعين) مرة، وخص هذا العدد لقوله ﷺ: «**من استغفر الله في كل يوم سبعين مرة لم يكتب من الكاذبين، ومن استغفر الله في ليلة سبعين مرة لم يكتب من الغافلين**»[2].

وعنه ﷺ: «**ما من عبد ولا أمة استغفر الله في كل يوم سبعين مرة إلا غفر الله**

---

(1) رواه النسائي في الكبرى (6/ 31)، وأبو شيبة في مسنده (1/ 188).

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (6/ 57).

سبعمائة ذنب»[1].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله، وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة»[2].

وعن أنس بن مالك ﷺ: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:18] قال: «مدوا الصلاة إلى السحر»[3] ثم جلسوا في الدعاء، والاستكانة، والاستغفار.

وعنه ﷺ: «ثلاثة أصوات يحبها الله: صوت الملائكة، وصوت الذي يقرأ القرآن، وصوت المستغفرين بالأسحار»[4] رواه الديلمي عن أم محمد بنت زيد بن ثابت.

وعنه ﷺ: «ثلاثة معصومون من شر إبليس وجنوده: الذاكرون الله كثيرًا بالليل والنهار، والمستغفرون بالأسحار، والباكون من خشية الله»[5] رواه أبو الشيخ في «الثواب» عن ابن عباس.

وفي «الصحيحين» عن الأغر المزني الصحابي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[6].

وقد فسر الغين بمعان كثيرة، وأخفها: ما فسره ﷺ لسيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ في رؤيا لما أشكل عليه، وقال له: يا مبارك، ذاك غين الأنوار، لا غين الأغيار.

وروى الإمام أحمد في كتاب «الزهد» - بسنده - معناه عن أبي هريرة ﷺ قال: «ما جلست إلى أحد أكثر استغفارًا من رسول الله ﷺ، قال الرجل: وما جلست إلى أحد أكثر استغفارًا من أبي هريرة»[7].

ومن أراد أن يرقع خلل الأعمال، عن أبي هريرة ﷺ إنه قال: «الغيبة تخرق الصيام

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 214).

(2) رواه البخاري (2/ 2324).

(3) ذكره ابن أبي الدنيا في التهجد وقيام الليل (1/ 313).

(4) رواه الديلمي في الفردوس (2/ 101)، والسيوطي في الجامع الكبير (1/ 11350) بنحوه.

(5) ذكره السيوطي في الجامع الكبير (1/ 11412).

(6) رواه مسلم (4/ 2075).

(7) ذكره أحمد بن حنبل في الزهد (1/ 218).

**والاستغفار يرقعه، فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم مرقع فليفعل»**(1).

وقيل لبعضهم: كيف أنت في دينك؟ قال: أمزقه بالمعاصي وأرقعه بالاستغفار، وقيل: إن الذنوب وسخ والاستغفار صابون.

وشكى رجل للحسن البصري رضي الله عنه الجرب، وآخر الفقر، وآخر قلة النسل، وآخر قلة ريع الأرض، فأمر كلًا منهم بالاستغفار، فسأله الربيع بن صبح عن ذلك: فتلا قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح:10] إلى قوله: ﴿أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: 12]، وأيضًا فالتخصيص بالسبعين لأنها أول مراتب الكثرة، فيصدق على من استغفر الله سبعين مرة أنه ممن أكثر؛ إذ أقل الاستكثار سبعون إلى سبعمائة.

قال القاضي – رحمه الله تعالى- عند قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[التوبة: 80] روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي- وكان من المخلصين- سأل رسول الله ﷺ في مرض أبيه أن يستغفر له، ففعل فنزلت، فقال ﷺ: **«لأزيدنّ عن السبعين»**(2) فنزلت: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: 6] وذلك لأنه ﷺ فهم من السبعين العدد المخصوص، لأنه الأصل، فجوز أن يكون حدًّا يخالفه حكم ما وراءه، فبين له أن المراد به: التكثير دون التحديد، وقد شاع استعمال السبعة، والسبعين، والسبعمائة ونحوها في التكثير؛ لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد، فكأن العدد بأسره ذلك.

﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:80] إشارة إلى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل فينا ولا قصور منك؛ بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:80]: المتمردين في كفرهم، وهو كالدليل على الحكم السابق؛ فإن مغفرة الكافر بالإقلاع عن الكفر والإرشاد إلى الحق، والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي، والتنبيه على عذر الرسول ﷺ في استغفاره وهو عدم يأسه من إيمانهم ما لم يعلم أنهم مطبوعون على الضلالة، والممنوع

---

(1) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (29/ 8).

(2) رواه ابن أبي حاتم (36/ 159).

هو الاستغفار بعد العلم؛ كقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: 113]، انتهى.

وأما اسمه تعالى **العظيم**، فقال صاحب «دقائق الإشارات» قال: عز من قائل، وهو العلي العظيم، وعنه ﷺ أنه كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا هو الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرضين ورب العرش العظيم**»[1] أخرجاه في «الصحيحين»، ومعناه: أنه الذي لا يمكن الامتناع عليه على الإطلاق؛ لأن عظيم القوم إنما يكون مالك أمورهم الذي لا يقدرون على مقاومته ومخالفته؛ إلا أن يدخل عليه العجز وما مات فيه، فيدخل عليه العجز فيما في يده فيضعفه، ويستطاع مقاومته.

والله تعالى قادر لا يعجزه شيء، ولا يمكن أن يعصي كرهًا، ويخالف أمره قسرًا؛ فهو العظيم إذا حقًا وصدقًا، وغيره لا يصح وصفه به، قال الخطابي: العظيم ذو العظمة والجلال، ومعياره وينصرف إلى عظم الشأن وجلالة القدر دون العظيم الذي هو من نعوت الأجسام، انتهى.

وقال سيدي محمد القونوي رحمه الله تعالى: العظيم بعلو شأنه في قلوب العارفين الذي عجزت الأبصار عن إدراك سرادق عزه وكلّت الألسن عن جلال قدره.

اعلم أن الواقف في مقام العظمة إما مؤمن وإما صاحب شهود، وذلك أن الأمر يعظم بقدر ما ينيب إليه من التفرد بالاقتدار ونعوت الأحكام؛ فإذا كان الكبرياء والاقتدار بحيث لا اقتدار لأحد على رد حكمها، ولا يقف شيء لأمرها؛ لعظمة وقوعها في القلوب حتى ينتهي إلى الحيرة والدهش، فظهور عظمة الحق تعالى وكبرياؤه في قلوب أهل الإيمان إنما هو بحسب معرفتهم آثار الأسماء الإلهية، فمن كانت معرفته بصفات الحق أكمل كانت سطوة تجليات العظمة عنده أتم، ولذلك كان ﷺ يقول: «**أنا أعلمكم بالله وأخشاكم منه**»[2].

---

(1) رواه البخاري (5/ 2336)، ومسلم (4/ 2092).

(2) ذكره الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (14/ 438).